الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية أصول الدين

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

رقم التسجـــيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

يوم الرب في اليهودية والدينونة في الإسكاتولوجيا المسيحية مقارنة بيوم الدين في الإسلام (دليل الإمكان والأبعاد العملية)

في مقارنة الأديان أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم

إعداد الطالبة:

شهناز سمية بن الموفق

إشراف الأستاذ الدكتور:

حايفي مسعود

لجنة المناقشـــة

الاسم واللقب	الصّفة	الرتبة العلميّة	الجامعة الأصليّة
ا.د. نعمان صالح	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
أ.د. حايفي مسعود	مشرفا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
أ.د.طيبات لمير	عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
أ.د.الصولي علي	عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الزيتونة– تونس
أ.د. معيرش موسى	عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور–خنشلة
د.إدريس نعيمة	عضوا	أستاذ محاضر	المدرسة العليا للأساتذة–قسنطينة

السنـــــة الـــجامعية: 1433-1434هـ/2012-2013م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة :

الحمد لله المحمود على كل حال الموصوف بصفات الكمال والجلال له الحمد في الأولى والآخرة وإليه الرجعى والمآل.

إن المشكلات التي يواجهها الإسلام في هذا العصر منها ما هو علمي يوجه إليه بلغة العلم ومصطلحاته، ولذا كان لزاما أن نضع إجاباتنا في مواجهة هذه الحملات المسعورة بنفس المصطلحات العقلية والعلمية، التي يستخدمها المعارضون للدين. وإذا كان أعظم قضايا الدين بعد الإيمان بالله، **الإيمان باليوم الآخر**، حقيقة غيبية لا مراء فيها، وكانت أهم دعاوى الإلحاد قائمة على إنكار هذا اللقاء مع الخالق، فإن إثبات إمكان الآخرة بالأدلة العقلية والحسية والشرعية، هو أيضا من الأدلة القاطعة بصحة الدين وبوجود الله، وعلينا في هذا المجال أن نكشف العلل ونمحص الأسباب السياسية والاجتماعية، التي تتجلى من خلالها الحاجة إلى الآخرة نفسيا، وأخلاقيا وسلوكيا، حتى إذا استقر في وعي الإنسان ضرورة الآخرة، كان ذلك طريقا إلى إقرار ضرورة الإيمان بالله من جانب آخر، فالآخرة إذن قضية وبرهان في آن.

وهذه هي المهمة الفكرية التي نضطلع بها في هذا البحث، ولا نكتفي بدليل واحد، بل نقدم دلائل في ضرورة الآخرة من الناحية الكونية، ونسوق شهادات تجريبية وبحوثا نفسية وروحية، تؤكد هذه الضرورة.

والشرائع السماوية متآخية في أصلها، متآخية في دعوتها، فإذا وقع خلاف ما في الأصول فنرجعه إلى التحريف من الأتباع. وموكب الرسل الكرام موكب واحد يسيرون إلى الله في طريق واحد، ويتلقون من إله واحد، وبالتالي يدعون إلى عقيدة واحدة أحد أركانها الأساسية الإيمان بيوم المعاد (أو المعادية).

إذا، فمن أهم الحقائق التي يدعونا الدين إلى الإيمان بها فكرة الآخرة، والمراد بها: أن هناك عالما آخر غير عالمنا الحاضر، وسوف نعيش في ذلك العالم خالدين، وأن عالمنا هذا هو مكان للاختبار والابتلاء، وُجد فيه الإنسان لأجل معلوم، وأن الله سوف ينهي هذا العالم، حين يحين أجله، لبناء العالم الآخر على طراز جديد، وأن الناس سوف يبعثون مرة أخرى، وسوف تعرض أعمالهم –خيرا أو شرا– على محكمة الله، الذي يجزي كل إنسان بما عمل في الحياة الدنيا .. ويسمي علماء اللاهوت النصارى والربانيون اليوم الآخر بالإسكاتولوجيا، وهي كلمة منحوتة من الأصل اليوناني (Escathon) النهاية إسكاتون، ولوغوس: تعليم، تدل على معرفة الحقائق الأخيرة، وبالمعنى الحصري تعني هذه الكلمة نهاية

الأزمنة والدينونة الإلهية، وكل الأمور المختصة بنهاية الإنسان الفردي وبنهاية البشرية. ولفظة آخرة (أ ح ر ي ت) في العبرية والتي صارت في اليونانية السبعينية "إسْكاتا" موضوعها مستقبل الشعب المختار، تتطلع إلى انتصار إلهي يتوج التاريخ بتمجيد إسرائيل فوق جميع الأمم !

وقد أضفى عليه عاموس معنى جديدا وقال: أن يوم الرب سيكون يوم دينونة على إسرائيل (ع 5: 18-20)، وتبنّى الأنبياء بعد عصر عاموس فكرته عن الدينونة، فيوم الرب وإن كان في الأصل دينونة على إسرائيل فقط، إلاّ أنّه سيشمل جميع الأمم (حز 30: 1-6) و(عوبديا 15: 17): «فإنه قريب يوم الرب على كل الأمم (...) وأما جبل صهيون فتكون عليه نجاة ويكون مقدسا».

إذا، يوم الرب عند اليهود هو يوم الدينونة الأخير العام، وسيكون ذعرا على الأشرار وبردا وسلاما على الأبرار (مز 97: 1-6)، و(مز 98: 9): «أمام الرب لأنه جاء ليدين الأرض، ويدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة».

وفي العهد الجديد هو يوم "عودة المسيح في مجده"، للدينونة (متى 24: 30-38)، وقيامة الأموات إما لقيامة الحياة أو لقيامة الدينونة، وسيقدم جميع الناس حسابا عن أعمالهم (متى 25: 31-34)، و(متى 25: 46): «فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية»

ومما تقدم، وانطلاقا من هذه الرؤية تبرز أهمية الموضوع المزدوجة من جهة أهمية هذا المعتقد الكبرى في الأديان الثلاثة، بحيث لا ينفك الإيمان باليوم الآخر عن الإيمان بوجود الله، ومما يقتضي ومما يلزم من الإيمان بالله، تصديقه في جميع ما يخبرنا به، فالقضية سلسلة يشد بعضها بعضا: فالإيمان بالله إيمان تحقيقي عن طريق النظر في الكون، وعن طريق الاستدلال العقلي اليقيني، فالأثر يدل على المؤثر والوجود يدل على الموجد... وأما ما غابت عينه وغابت آثاره فمسلك اليقين به: اليقين الإخباري، كالمَعادية في الإسكاتولوجية، ويوم الدين في الإسلام، والبعث والبرزخ والنشور..

ومن جهة أخرى فلهذا الموضوع علاقة أساسية وعلاقة خطيرة جدا بين المعتقد وبين السلوك، ومن هنا يتجلى دور الإيمان، باليوم الآخر في فاعلية التورع عن المحرمات والمعاصي والذنوب، وهذا ما يجمع يوم الدين في الإسلام والدينونة في الإسكاتولوجيا، إذ لو لا الحساب لما عرف الناس معنى المسؤولية في هذا العالم ! وانتهاء الحياة الدنيا دون رجعة إلى الله ليدين ويحاسب قمة العبث والله منزه عن العبث في أفعاله وأحكامه وأوامره «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا، وأنكم إلينا لا ترجعون، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم» [المؤمنون: 115].

ولكي نتعرف على أهم المحاور المتناولة في هذا الموضوع، لا بد من توضيح العناصر المعنونة للبحث:

- **أولا: تحليل عناصر الموضوع:**

1. **يوم الربّ**: ما هو يوم الربّ؟ هل يمثل يوم الربّ حدث معين أم فترة زمنية؟

فهو في العهد القديم: اليوم الذي سينتصر فيه يهوه على جميع أعدائه، ويخلص شعبه من كل ضيق، ويوم الرب وإن كان في الأصل دينونة على إسرائيل فقط (عا 5: 8-20 و9: 1-10)، إلا أنه سيشمل جميع الأمم (حز 30: 1 وعو 15: 17)[1].

وهو عند اليهود اليوم الأخير الذي سيكون ذعرا على الأشرار وبردا وسلاما على الأبرار (مز 97: 1 و 98: 9) [2] . وقد تم استخدام يوم الرب تسعة عشر مرة في العهد القديم، وأربعة مرات فقط في العهد الجديد. وهو في العهد القديم الوصية الثالثة من وصايا الله العشر (خر 31: 15)، وهو غالبا ما يشير إلى الأحداث المتوقعة في نهاية الأيام (أشعيا 7: 18-25) وغالبا ما ترتبط أحداثه بـــ"اليوم الأخير"، وهي فترة زمنية يتدخل فيها الله شخصيا لتحقيق تدبيره الأزلي للبشر[3].

2. **الدينونة في الإسكاتولوجيا**: هو عند اليهود يوم قريب (حز 30: 3)

يستولي فيه الذعر على البشر (اشعيا 2: 10-12)، وهو للدينونة والفرز (ملاخي 4: 5-6)، إنها النهاية في (حز 7: 5-9)، وهو عند النصارى يوم رجاء ورَدّ يكون الله فيه هو الديان الأسمى للجنس البشري، لكنه –بحسب بولس– فوض عمل الدينونة إلى شخص آخر، يذكر بولس في الأعمال (17: 31) أن الله «حدد يوما هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالبر برجل قد عينه». كما يُظهِر سفر الرؤيا أن يوم الدينونة سيبدأ بعد حرب هرمجدون التي سيدمر فيها نظام الشيطان على الأرض (رؤ 16: 14-16)، وبهذا المعنى فالاسكاتولوجيا حاضرة منذ الآن[4] في هذا العالم، ولكنها ليست تامة بعد:

---

[1] –فاضل سيداوس وصبحي حموي اليسوع، معجم اللاهوت الكتابي، ط2، دار الشرق، بيروت، ص881.

[2] –المرجع نفسه، ص882.

[3] –أحمد حجازي السقا: يوم الربّ العظيم، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2003، ص277.

[4] –منذ الآن: آنية: Actualisation، من الفعل أوّن، بمعنى المشاركة في حدث قديم بالاتحاد الروحي في ضوء الزمن الذي يذكر أو يستعمل فيه، بحضور المسيح القائم من الموت وحضور الروح القدس على وجه فعال، بصفته يحول الإنسان منذ الآن بالنعمة.

فهي –بحسبهم– الحياة الدائمة مع المسيح: هذه الحياة التي تبدأ على الأرض وتستمر في الأبدية.

من خلال ما تقدم ذكره عن الإسكاتولوجيا، سنحاول الإجابة على بعض الأسئلة المتعلقة بالأمور النهيوية[1]؛ أي المختصة بالماورائيات، وكل ما تتضمنه من مواضيع لها صلة مباشرة بموضوع الدراسة، كالموت والقيامة والحياة الأبدية، ونصيب الأبرار السماوي وقصاص الأشرار الأبدي.

همُّنا من خلال هذه الدراسة ليس المعلومات العامة فقط، بل أيضا تقديم مفهوم لاهوتي لكل هذه المواضيع، مقارنة بالمفهوم الإسلامي، ومناقشة المنكرين للبعث، ودحض شبههم –كما أسلفنا في مقدمة الموضوع– بالأدلة العقلية والعملية.

3. مقارنة بيوم الدين في الإسلام:

إنّ موضوع المقارنة التي نقصدها يكون على صعيدين:

أ–من ناحية المنهج الذي سلكه الغربيون والمسلمون في إثبات إمكان اليوم الآخر، حيث أن أوروبا بمقدار ما ترقت صُعدا في ميدان العلوم الطبيعية ومناهجها التجريبية، فقد تخلفت في ميدان المدركات اليقينية الأخرى، مما يدخل تحت اسم المجردات والغيبيات، ولكي لا نظلم قلة من الباحثين أنصفوا في بحوثهم، ينبغي أن نقول أن هذا الوصف إنما ينطبق على العقلية التي تمثل أغلبية المفكرين الغربيين، وفي أغلب القضايا العلمية ذات الطابع المذكور، وفي مقدمة من اتخذ هذا المنهج وسيلة للبحث المفكر الأمريكي "وليم جيمس" في كتابه "البراجماتزم" Le Pragmatisme.

وما نريد الوصول إليه هو حقيقة المنهج العلمي المتبع لدى جمهرة الغربيين، عندما يحاولون استخراج علم أو إدراك يقين من نص أو وثيقة في التاريخ: طريقة استنتاجية أولا، ثم إخضاع البحث لمجرد الإرادة والرغبة ثانيا، ثم القصد إلى تحريف النقول والنصوص ثالثا، في حين يتلخص المنهج العلمي للبحث عند علماء المسلمين في قاعدة جليلة كبرى، لم يعرف مثلها عند غيرهم وهي: «إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل»، ويأتي التفصيل من خلال البحث –إن شاء الله–.

ب–أما الصعيد الثاني للمقارنة فيكون في إظهار أوجه الاختلاف والاتفاق بين فقرات العهد القديم والجديد، وبين آيات القرآن الكريم في موضوع اليوم الآخر في الإسكاتولوجيا، وفي مواضيع إسكاتولوجية أخرى، ذات صلة وثيقة بموضوع الدراسة، كالبرزخ والحساب والجزاء والشفاعة بين الأديان الثلاثة.

---

1 النهيوية: مصطلح مسيحي إسكاتولوجي، فنقول "نهيوية" بدل "نهائية".

*أما اختيارنا لكلمة "يوم الدين" بدل يوم القيامة أو لفظة أخرى، فلأن الدين بمعنى الجزاء، وهو يشمل جميع أنواع القيامة من أولها إلى آخرها، ويشمل الجزاء والحساب والطاعة والقهر وكلها من معاني الدين. وكلمة الدين أنسب للفظ رب العالمين، وأنسب للمكلفين، فهو أنسب من يوم القيامة، لأنّ القيامة فيها أشياء لا تتعلق بالجزاء، أما الدين فمعناه الجزاء وكل معانيه تتعلق بالمكلفين، وإذا كان الكلام من أوله لآخره عن المكلفين، لذا ناسب اختيار كلمة "يوم الدين" بدل يوم القيامة، أو يوم الحساب أو يوم الحشر. حيث أنّ كلمة الدين تضم كل هذه المعاني. ومنه الدين الاعتقاد أو العقيدة، ولو وضعت أي كلمة أخرى لا تسد مسد كلمة الدين، لأنّ "الدين" شاملة لكل هذه الأمور، وهو يوم الدين نفسه "يوم العقيدة"، يوم بروز وظهور وانتصار العقيدة الصحيحة، كما سيتضح من خلال البحث. ثم بعد عرضنا لمفردات الموضوع، نطرح الإشكالات التي تنبثق عنه، محاولين الإجابة عنها من خلال البحث.

- **ثانيا: الإشكالية:**

إنه لأمر هام يدعونا إلى التفكير فيما إذا كان هناك عالما غير عالمنا هذا؟ وهل سوف نلقى جزاء أعمالنا في ذلك العالم؟ إن هذا السؤال ليس بعقدة فلسفية عظيمة فحسب، وإنما هو في نفس الوقت أعظم أسئلتنا العملية أيضا.. إنه سؤال تتعلق به مصالحنا الكثيرة والمسألة التي نقف أمامها الآن هي: البحث فيما إذا كان هذا العالم في حاجة –فعلا- إلى شيء من قبيل الآخرة؟ وهل يقتضي الكون –في هيكله الحالي- وقوعها؟؟ والسؤال الذي يندرج تحتها:

ما حقيقة يوم الدين في الأديان الإبراهيمية الثلاثة، و ما هي أبعادها و آثارها على الفرد و المجتمع؟ و الذي تتفرع عنه تساؤلات ندرجها كما يلي:

أهذه النظرية صحيحة؟ أم هي باطلة؟ وهل هناك إمكان لهذه الآخرة؟

وبخصوص "المعادية" المسيحية، نتساءل لماذا كانت دعوة المسيح إلى الزهادة في الدنيا والابتعاد عن أسباب التزاع والعكوف على الحياة الروحية؟ وهل هناك دلائل ووقائع تصدق هذه الدعوى؟

وكيف أنّ الدينونة دليل بطلان عقيدة الخلاص عند النصارى –إذا علمنا أن تدبير الله الخلاصي وفق مخطط إلهي أزلي هو جوهر الدين المسيحي ومصدر الحياة المسيحية بأسرها !-

ما مفهوم البعث في الفكر اليهودي والمسيحي؟ وكيف تطور هذا المفهوم إلى ما هو عليه اليوم؟

ثم ما هي مقومات البعث في الإسكاتولوجيا اليهودية؟ وما هي دلائلها في التوراة والتلمود وعند علمائهم وأحبارهم؟

وما هو مضمون "الرجاء" بعد الموت في الإسكاتولوجيا؟ وإلى أي أساس يستند؟

ثم ما هي مواضع التوافق والتعارض بين نصوص الكتاب المقدس وآيات القرآن الكريم بشأن اليوم الآخر في الإسكاتولوجيا؟

وما أثر هذه العقيدة (عقيدة المعادية) في سلوكيات الأفراد؟ وما هي أبعادها الدينية والاجتماعية؟

إذ مما لا خلاف فيه أن الشرائع السماوية متآخية في أصولها العقائدية، لذا فمن المنطقي أن نجد تشابها بين نصوصها الصحيحة، ولكن الغريب كل الغرابة أن نجد تناقضا بين أصولها الصحيحة.. بسبب التحريف والتزييف الدائم في كتبهم، بالإزاحة والإضافة عليها.. مما أوصلهم إلى هذا الاضطراب..

وفي سعينا للإجابة عن هذه التساؤلات اخترنا هذا الموضوع إلى جانب دوافع وأسباب أخرى نعرضها فيما يلي:

- **ثالثا: أسباب اختيار الموضوع**

لقد دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع أسباب هامة منها ما هو شخصي ومنها ما هو موضوعي:

*أما الذاتي فيكمن في التساؤلات الخطيرة التي تؤرقني والتي تتمحور حول مسألة الحياة والموت !

فهذه الحياة، ليست كما يراها الفيلسوف الألماني نيتشه "غدوا ورواحا" والتي تمتلئ وتخلو كالساعة، ولا هدف لها أكثر من ذلك،.. فحياتنا الراهنة قصيرة جدا، أفراحها عادية موقوتة، إذ أننا عندما نظفر بما نحلم يفاجئنا الموت، وأن الذين لا يؤمنون بالعالم الثاني –الآخرة– يحاولون بدافع الغريزة أن يجعلوا من هذا الكون عالما أبديا لأفراحهم، ولذلك بحثوا كثيرا عن أسباب الموت، حتى يتمكنوا من الحيلولة دون وقوع هذه الأسباب، من أجل تخليد الحياة، ولكنهم أخفقوا إخفاقا ذريعا ، وكلما بحثوا في هذا الموضوع رجع إليهم بحثهم برسالة جديدة عن حتمية الموت، وأنّه لا مناص منه.

فالحضارة التقنية والتي ما زالت تغذي العديد من الأحلام البشرية، حاولت أن تحل لغز الموت، هدفها من كل ذلك أن تلغي كل اعتقاد بوجود شيء ما بعد الموت: فالطب مثلا، يحاول أن يؤخر الموت قدر المستطاع، وهذا ما يسمونه "التكالب على العلاج" (L'acharnement Thérapeutique) وهو يقوم على إبقاء المريض قيد الحياة بتجاوز الحد المعقول بواسطة طرق اصطناعية، إلا أن هذه الحضارة أفرزت خيبات أمل متتالية و لم تستطع حتى اليوم أن تريح الإنسان من قلق الموت ومن ذلك السؤال الوجيه العظيم: هل هناك حياة بعد الموت؟ فلمن آمن واستيقن بوجود الله فإن هناك حياة ثانية، وهي الحياة "الآخرة" وهي ذات هدف عظيم: هو المجازات على أعمال "الحياة

الأولى" خيرا كانت أو شرا، وأن الإنسان لم يترك سدى و لم يخلق عبثا..

كلها إشكالات جعلتني أقتنع بأن لهذا الموضوع أثر كبير في حياتنا الفردية والدينية والاجتماعية: ما سبب خلق ومرد الإنسان؟ !

*أما الدافع الموضوعي: فسببه الرئيسي الرد على الملحدين من العلماء المنكرين للآخرة، باستقراء الظواهر والاستدلال اليقيني الموصل إلى أن جميع ما وصل أو سيصل إليه العلم الحديث هو بمثابة تصديق لما أسماه الإسلام: «بالحقيقة الأخيرة»، قبل أربعة عشر قرنا من الزمان: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» [فصلت: 52] بطرق الاستدلال العلمي التي نثبت بها وجود الله وإمكان الآخرة، وبطرق الاستدلال التي ذكرها القرآن في مناظرته للمنكرين للبعث، ومقارنتها بما ورد من ذلك في الكتب السماوية الأخرى، ثم مدى تأثيرات هذا المعتقد على سلوكات الفرد وأبعادها الاجتماعية والدينية، إذ الحياة الأولى حياة ابتلاء مؤقتة والحياة الثانية حياة حساب وجزاء خالدة وإقامة العدل الرباني في الخلائق، إذ لو لم يكن حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي يتره الربّ الحكيم عنه.

كما أن ما يشهده العالم العربي والإسلامي من إجحاف وتنكيل وإذلال من طرف الصهيونية المسيحية، ليس صراعات سياسية فحسب، ولكن إذا توغلنا في عمق القضية نكتشف الخلفيات والدوافع الدينية الحقيقية التي نشأ عنها هذا التحالف الصهيوني المسيحي، بتواطؤ من الحكومات الغربية وعلى رأسها أمريكا وطاعتها اللامشروطة لإسرائيل، برفع مصالحها فوق القانون الدولي، وانحيازها كليا إلى الكيان الصهيوني، ذلك أنهم يؤمنون بإسكاتولوجيا "وطنية" موضوعها "مستقبل الشعب المختار"، إسكاتولوجيا "فوق أرضية أو متسامية"، تتميز بنظرة ثنائية إلى التاريخ.. فهي تعالج نهاية الزمن الحاضر الذي يدشن زمن الخلاص الجديد والنهائي، وهذا الخلاص يرافقه تحول تام.. وتجديد كامل للكون.. هذا ما دفعنا إلى البحث والتقصي لأثر عقيدة اليوم الآخر في الإسكاتولوجيا اليهودية والمسيحية، ومقارنتها بيوم الدين في الإسلام.

- **رابعا: أهمية البحث**

ترجع أهمية الموضوع للأسباب التي نلخصها فيما يلي:

- أن إثبات إمكان اليوم الآخر والترهيب منه والترغيب له، يعتبر مصدرا رئيسيا من مصادر توجيه السلوك والتربية والحياة اليومية، وأن الترهيب من العقاب، والترغيب في الجزاء يشكل عمودا فقريا أساسيا، إن لم يكن الأساس الوحيد في جميع الشرائع السماوية.

ويقر في نفسي تفسير الغزّالي (أبو حامد) لهذه الحقيقة في معرض تعليقه على ما ورد في [سورة مريم: 72]، «وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» حين فسر قائلا: «فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك... فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه !».

ومن هنا تتجلى أهمية الإيمان بيوم الدين في فاعلية التورع عن المحرمات والمعاصي والذنوب.. وهذا موضع اتفاق في "الأصل" بين يوم الدين في الإسلام ويوم الرب في العهد القديم، والدينونة في العهد الجديد مع تعارض في الفروع –كما سيأتي بيان ذلك–.

– «أنّ أهمية الإله والحياة الآخرة عظيمة جدا، حيث أنهما أساسان لإقامة المبادئ الأخلاقية»، هذا ما يقوله "Voltaire" في كتاب "History of phylosophy" لـــ"Windelband" ونحن نشاطره الرأي، حيث نرى أن هذه العقيدة وحدها (عقيدة اليوم الآخر) كفيلة بإيجاد إطار أخلاقي أفضل للمجتمع، ولو أن هذه العقيدة زالت، فلن نجد دافعا للعمل الطيب، وسيترتب على ذلك انهيار النظام الاجتماعي.

– أن من لا يؤمن بالله واليوم الآخر يعيش في هذه الدنيا كالحيوان يأكل ويتكاثر، ولا يدري ما الحكمة التي من أجلها خلق، فالحياة الدنيا تفقد معناها بدون الإيمان باليوم الآخر، وتصبح حلقة مبتوتة عن الماضي والمستقبل .

- **خامسا: أهداف الدراسة:**

إن قيمة أي بحث علمي تظهر في الهدف المبتغى من وراء الدراسة، وفي قيمة الغرض الذي نسعى إلى تحقيقه، والإتيان بالجديد هو أهم المقاصد على الإطلاق، لأنّه سبيل العلم إلى التقدم والاستمرار، وجديد هذا البحث يكمن في السعي إلى الوصول إلى "حقيقة معتقد اليوم الآخر" في الأديان السماوية الثلاثة، ونقصد "بالحقيقة" دراسة مصدريته ومحاولة إخضاعها لمعيار النقد العلمي، مستعينين بالمنهج العلمي للبحث عن الحقيقة عند علماء المسلمين وغيرهم.

–وما مدى استشعار كلّ من الفكر الإسلامي والفكر الغربي واللاهوتي بهذه الحقيقة واهتمامه بها.

–بناء على ما سنتوصل إليه من نتائج سنحاول تبيين أثر هذا المعتقد في اختلاف القيم والمفاهيم وتحديد السلوك في الحياة الدنيا.

-كما أن الغرض من هذا البحث هو الحجاج عن العقيدة الصحيحة، والرد على منكري "البعث بعد الموت" بالأدلة العلمية والشواهد الكتابية، والتعرف على الرؤى المختلفة بشأن الدينونة في المسيحية ويوم الرب عند اليهود، خاصة الرؤية اليهودية التي تغفل جانب الجزاء الأخروي ولا تشير إلى حياة أخرى بعد الموت، وتركز على أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا، فعجبا لمن أنكر النشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى. «أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد» [ق: 15]

- **سادسا: الدراسات السابقة للموضوع**

إن موضوع الإسكاتولوجية في الأديان وبالرؤية التي طرحناها، وبالخطة التي نزمع انتهاجها لم يبحث من قبل في أي كتاب أو بحث أكاديمي –على حسب إطلاعنا-.

كما أن الدراسة المقارنة لعقيدة اليوم الآخر في الإسكاتولوجيا لم يعكف عليها الباحثون بالرغم من أهميتها من الناحية العقدية وانعكاساتها على الحياة السلوكية والنفسية والاجتماعية، غير أن هناك دراسات لبعض مباحث الموضوع، فاليوم الآخر محور مهم في كل الديانات، ومن أهمها:

كتاب "رجاء العالم" للقس "هلال دوس"، وكتاب "القيامة إيمان البعث وفكر التجديد" لـــ"راغب عبد النور"، ولكنها تناولت هذا المعتقد بالمفهوم اللاهوتي الكتابي، وأبطلت كل الانتقادات الموجهة إليه دون أن ترقى بالدليل العلمي القاطع لأن تكون نماذج علمية أكاديمية.

أما بالنسبة للدراسات الإسلامية، فلم نجد أية دراسة اهتمت بإثبات إمكان اليوم الآخر بالأدلة الطبيعية والبيولوجية والتاريخية، وتمحيص الأسباب السياسية والاجتماعية، التي تُبرز الأبعاد العملية لليوم الآخر، وآثارها على الفرد والمجتمع. عدا بعض الدراسات القليلة المتفرقة، منها: رحلة الخلود لـــ"حسن أيوب"، اليوم الآخر القيامة الكبرى الصغرى لـــ"عمر سليمان الأشقر"، واليوم الآخر في ظلال القرآن لـــ"أحمد فائز"، وعلم الإيمان لـــ"عبد المجيد الزنداني".

والموضوع –على كل ليس بالجديد- ولكن نشعر بأنه لا يزال ناقصا، رغم الجهود الطيبة التي بذلها بعض الكتاب، ممن اعتمدنا على كتبهم في إظهار أثر هذه العقيدة (عقيدة البعث) في سلوكيات الأفراد والمجتمعات، وأبعادها الاجتماعية والسياسية في التحالف اليهودي المسيحي (ضد المسلمين) من أجل إقامة مملكة إسرائيل، نذكر من بينها: التراعات الأصولية في اليهودية والمسيحية لكارين أرمسترونغ، وكتاب أسطورة هرمجدون والصهيونية المسيحية، عرض وتوثيق هشام آل قطيط.

- **سابعا: منهج الدراسة:**

وكما نعلم فإنّ طبيعة الموضوع تفرض طبيعة المنهج، وإنّ المناهج وإن تعددت وتنوعت، فإنها متكاملة ولا يمكن الفصل بينها، خاصة في مثل هذه الدراسات.

ولما كانت طبيعة الموضوع تفرض علينا التأصيل للمعتقد من جذوره التاريخية، فقد اعتمدناه في مباحث البابين الأول والثاني، في الأديان الثلاثة، أما المنهج الاستقرائي فهو سبيلنا في إثبات خبر المتواتر اليقيني للنصوص في فهمها وتحليلها وإعادة تركيبها، على أساس يضمن التوصل إلى معرفة الحق فيها، كما نستعمل المنهج النقدي في الفصل الثاني من الباب الأول في إثبات إمكان الآخرة والرد على المعارضين، بإخضاع نظرياتهم لميزان النقد العلمي.

أما المنهج المقارن، ففي مباحث الفصل الثاني والثالث من الباب الثاني، بإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف ومواطن التحريف، باعتماد منهج المقابلة بين النصوص، محاولين الوصول من خلال المقارنات إلى نتائج نرجو أن تثري حقل المعرفة في مجال الدراسات المقارنة في الأديان.

وفيما يلي الخطة التفصيلية لمحتويات الموضوع:

- **ثامنا: خطة البحث**

و التي قسمناها إلى بابين، الباب الأول إلى فصلين رئيسيين والباب الثاني إلى ثلاثة فصول، ثم خلصنا إلى ما تمخضت عنه هذه الدراسة من نتائج.

أما الباب الأول فارتأينا أن يكون في دراسة تأصيلية لليوم الآخر بالرجوع إلى جذوره في التاريخ الإنساني الذي يبحث عن نشأة المعتقدات الدينية وتطورها لدى الشعوب البدائية والمتمدنة فكما يقول المؤرخ الإغريقي بلوكارل:" قد وجدت في التاريخ مدنا بلا حصون ومدنا بلا قصور. ومدنا بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدا مدن بلا معابد"[1].

أما الفصل الأول فيبحث عن اليوم الآخر في الديانات القديمة البائدة والديانات القديمة الباقية – الحية- وفي الأديان السابقة للإسلام بغرض التوصل إلى مدى رسوخ هذه العقيدة وأنماط الاعتقاد في الموت والبعث والجزاء وصور الممارسات لشعائرها وطقوسها حتى نقف في النهاية على مواطن الالتقاء والاختلاف فيما بينها.

[1] انظر طلال أحمد سعيد: الدولة الدينية والدولة المدنية .

ثم الفصل الثاني: تناولنا فيه الأصول الكتابية لعقيدة البعث في الأديان الإبراهيمية، من خلال النصوص الدينية لمصادر التشريع والكتابات الرسولية والرؤى الآبائية ليوم الرب والدّيْنُونة في اليهودية والمسيحية، ثم مقارنتها بالمنهج العلمي للبعث في الإسلام وطرق الاستدلال في إثبات البعث بالأدلة العقلية والحسية والشرعية.

ثم نأتي إلى الباب الثاني عبر مظاهر تكريس هذه العقيدة في الواقع العملي من خلال تطور مفهوم عقيدة البعث في الفكر الإسكاتولوجي وأبعادها الاجتماعية والسياسية –في الفصل الأول- ثم مقارنتها بالارتدادات والآثار على المجتمع الإسلامي عبر تكريس مظاهر الإيمان في النفس والمجتمع أو في علاقة المعتقد بالسلوك –في الفصل الثاني-

ثم عمدنا في الفصل الثالث إلى دراسة مقارنة في مواضيع إسكاتولوجية من خلال النصوص الدينية لنخلص بعد هذا العرض إلى مواطن الاتفاق والاختلاف ونقاط التقارب والتي نراها من الأهمية بمكان بحيث نصل إلى الجواب عما تنطوي عليه حياة الإنسان من غيوب لا تزال اليوم كالأمس تقلق البشر في قرارة قلوبهم: فما الإنسان وما كنه الحياة وما مصيرها، ما الخير وما الخطيئة، ما مصدر الألم، وما هدفه، ما السبيل إلى السعادة الحقيقية، ما الموت وما الحساب والجزاء اللذان يعقبان الموت وما هو أخيرا ذلك السر البعيد المذهل الذي يحيط بوجودنا والذي منه أتينا وإليه المعاد !؟

ثم الخاتمة، وفيها خلاصة النتائج التي تمخضت عن هذه الدراسة والمستوحاة مما هو مبثوث في ثنايا فصولها ومباحثها.

هذا ونرجو أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله الكريم فما كان فيه من صواب فمنه وحده جل ثناؤه وما كان فيه من خطأ أو سهو أو تقصير فمنا ومن الشيطان.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الباب الأول:

دراسة تأصيلية لليوم الآخر في التاريخ الإنساني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

اليوم الآخر في الديانات القديمة والفلسفات الوضعية.

توْطِـــئة:

إن تاريخ الأديان يبحث عن نشأة المعتقدات الدينية وتطورها ومرتكزاتها لدى الشعوب البدائية المتخلفة والشعوب المتمدنة، فالغرض إذا من دراسة تاريخ الأديان هو معرفتها. واما مقارنة الأديان أو تاريخ الأديان المقارن، فإنه يدرس خصائص ومميزات كل دين ويوازن بينها وبين خصائص ومميزات الأديان الأخرى.[1]

و في دراسة نظريات العلماء في أصل الدين ومصدره، يرى بعضهم من مؤرخي الأديان أمثال (بنيامين كونستان): " .. أن التحسس الديني من الخواص اللازمة لطبائعنا الراسخة ومن المستحيل أن نتصور ماهية الإنسان دون ان تتبادر إلى ذهننا فكرة الدين.[2]

و منهم من وصل إلى ما وصل إليه الإمام الغزالي: من أن الدين هو حاجة فطرية، أي حاجة الناس منذ أول نشأتهم إلى معبود يتقربون إليه[3].

على ضوء ما تقدم ذكره تتبلور فكرة "الغريزة الدينية"، حتى نخلص إلى نتيجة هامة وهي "ضرورة الحاجة إلى مبدأ ديني أو أخلاقي ليضبط الإنسان إذا أريد له ألا تكون نفسه مسرحا للصراع المحتدم والفوضى التعسة"[4].

فالدين حقيقة واقعة في كل المجتمعات الإنسانية على اختلاف مستوياتها الثقافية والحضارية وأن فكرة التوحيد هي أول ديانة عرفها البشر مستدلين بأنه لم ينفك عنها مجتمع من المجتمعات الإنسانية في القديم والحديث وتوصلوا إلى أن الوثنية ليست سوى أعراض طارئة أو ما يطلق عليه بنظرية "التوحيد الفطري أو البدائي" والتي تنتهي إلى أن "فكرة الإله الأعظم توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية[5] كما ثبتت عقيدة "الإله الأعلى أو إله

---

[1] العميد طه الهاشمي: تاريخ الأديان وفلسفتها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ص 16-17.
- محمد كمال إبراهيم جعفر الدين المقارن، دار الكتب الجامعية، 1970، ص165 ص173.

[2] نقلا عن: أحمد الخشاب: الاجتماع الديني، مكتبة القاهرة الحديثة، ط3، 1970، ص14.

[3] Charles Barden : the world's religion Détroit, USA, 1954, P 41-42.

[4] محمد كمال جعفر: الدين المقارن، دار الكتب الجامعية 1970، أنظر فصل: الدين والغريزة، ص26.

[5] جيمس فريزر: الغض الذهبي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ترجمة أحمد أبو زيد، ج1، القاهرة 1971، ص25.

السماء" عند القبائل الهمجية في أستراليا وإفريقيا ومن هؤلاء (بروكلمان)[1*] الذي وجدها عند الساميين قبل الإسلام و(شريدر)[2**] الذي أثبتها عند الأجناس الآرية القديمة.

و قد صنف علماء الأديان إلى:

- طبيعية أو فطرية وهي الأديان البدائية وأديان الأقوام المتأخرة[3] وجعلوا منها: دين الصينيين والبرهميين ودين الفرس ودين المصريين.
- أديان ملهمة أو موحى بها وعدوا منها اليهودية والمسيحية والإسلام.

أما العلماء المسلمون فقد صنفوا الأديان إلى:

1. أديان صحيحة وهي الأديان الموحى بها من عند الله والتي تطلب من معتنقيها أن يعبدوا إلها واحدا لا إله غيره مع الالتزام بجملة من العبادات والطقوس والشعائر

2. أديان باطلة، وهي الديانات الأرضية "الوضعية" أي التي قام بوضعها البشر سواء أكانوا أفرادا أم جماعات.

و قد سمى مؤرخو الأديان من المسلمين الأمم التي تدين بالدين الصحيح "أهل الملل" وسموا معتنقي الأديان الباطلة "أهل النحل" ومن هؤلاء: الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" وابن حزم في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" واعتبر الشهرستاني، اليهود والنصارى والمسلمين من أهل الملل، أما الصائبة والوثنيين وعبدة النجوم والبراهمة فقد اعتبرهم من أهل النحل.[4]

---

* بروكلمان: (كارل) ولد في سنة 1868، درس العربية وكان موضوع رسالته في الدكتوراه: العلاقة بين الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري في 1890. نقلا عن شوقي أبو خليل: بروكلمان، دار الفكر، دمشق 1987.

[1] Braden Charles, World religious detroit, USA 1954, PP 33-35.

** شريدر: 1841، عالم ألماني في الرياضيات والفلسفة والتاريخ، أنظر: الفلسفة المعاصرة في أوربا: شريدر.

[2] Ibid PP 37-41

[3] نلاحظ أن كثيرا من النظريات الدينية الاجتماعية أخذت عن طريق دراسة الأقوام المتخلفة التي تعيش في القرن الحالي، إلا أن طريقة حياتها لازالت بدائية ومن تلك الأقوام، أقوام تعيش في مجاهل أستراليا وأمريكا اللاتينية وإفريقيا حيث أن كثيرا من معتقداتها وطقوسها بدائية ويفترض أنها لم تتطور كثيرا عن العصور المتحجرة القديمة.

[4] عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص44.

- ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص95.

المبحث الأول: من الديانات القديمة "البائدة": اليوم الآخر عند الشعوب المصرية :

كان المصريون أكثر الأمم القديمة تعبدا وتمسكا بالدين وتعاليمه حتى أن الدين كان عاملا فعالا في كل نشاطاتهم الحياتية وأعمالهم اليومية.[1]

و الإيمان بالآخرة والبعث من الركائز الاساسية للعقيدة المصرية القديمة فهم أقدم شعوب الأرض الذين آمنوا بالبعث بعد الموت، وكان لديهم مدرستان أو مذهبان لتفسير مسألة البعث، الأولى : أتباع العقيدة الشمسية وهم كهنة الإله رع : فقد أوجدوا علاقة بين شروق الشمس ثم غروبها ثم عودتها مرة أخرى لتواصل مسيرتها وهكذا أوجدوا العلاقة بينها

و بين حياة الإنسان : فهو يولد ثم يموت ثم يعود ثانية .

أما المذهب الثاني فكان مرتبطا بعقيدة أوزيريس التي تعبر عن حياة المصري القديم على أرضه، حيث الحياة تتجدد باستمرار في فيضان النيل وهو يغمر الأرض الميتة، فإذا بالحياة تدب فيها وتخرج من ثناياها خضراء مزهرة.[2]

أي أن أوزيريس كان تجسيدا لفيضان النيل الذي يجدد الحياة في الأرض الميتة فتنبت البذور الجديدة "البعث" أي العلاقة بين الماء وبين الإله واهب الحياة ! وقد جاء في القرآن : "يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ " (الروم، 19).

و يعتبر "أبو زهرة" أن أروع ما في العقيدة المصرية، اعتقادهم بالحياة الأخرى وانها الباقية بعد هذه الدنيا الفانية.[3]

---

[1] محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان القديمة، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص5.

- محمد فؤاد الهاشمي: الأديان في كفة الميزان، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ص24.

[2] جيمس هنري برستيد: تطور الفكر والدين في مصر القديمة، ترجمة زكي سوس، دار الكرنك للطبع والنشر و التوزيع، القاهرة، 1961، ص418.

[3] أبو زهرة: مقارنات الأديان القديمة ص17.

كما يعتقد المصريون القدماء بـــ "خلود الروح" وتحتل هذه العقيدة مكانة كبيرة في نفوس المصريين حتى قال المؤرخ اليوناني هيرودوت: "إن المصريين هم أول الشعوب التي اعتقدت بخلود النفس، فقد عثر على نقوش مدونة على الأهرامات : أن النفس خالدة لا تموت"[1] فقد كانت هذه الدنيا في نظرهم فترة قصيرة بعدها حياة لها أمد غير محدود، بل إنها ليست إلا ممرا إلى ذلك الخلود ...

و قد قام اعتقادهم بالحياة الآجلة بعد هذه العاجلة على أساسين :

أ. إن هذه الدنيا معترك يتنازع فيه الشر والخير والبر والفاجر وكثيرا ما نرى في هذا المعترك انتصار الشر على الخير وبغي الفجار على الأبرار، فلو لم يكن هناك يوم كله للخير وكله على الشر، يحاسب المسيء على إساءته ويكافئ المحسن على إحسانه ما استقام العدل الإلهي.[2]

ب. اعتقادهم في النفس الإنسانية : فهم يعتقدون وجود نفس تنفصل عن الجسم وإن كانت تحل فيه وأن تلك النفس ذات أربع شعب :

إحداها الروح وهي أساس القوى في الإنسان، والثانية : العقل والإرادة، والثالثة : صورة من الأثير أو مادة أدق منه على هيئة الجسم تماما .

و الرابعة : الجوهر الخالد السامي الذي يشترك فيه الإنسان مع الآلهة، وهو سر الوجود

و العلو، وهذه الشعبة من شعب النفس متصلة بعالم الآلهة ما دام الإنسان على قيد الحياة، فإذا مات : اتصلت به اتصالا وثيقا .

أما الروح فهي التي تظل تتردد على الإنسان في قبره إلى أن يجتاز الحساب ويصل إلى مرتبة الثواب وعندئذ تعود إليه فيشعر بما يشعر به الأحياء.[3]

---

[1] رؤوف شلبي : الأديان القديمة في الشرق ص43.

[2] أبو زهرة: مقارنات الأديان القديمة ص 19.

[3] رؤوف شلبي : الأديان القديمة في الشرق، ص 270.

- التحلل : la décomposition des corps

و قد كانوا يعتقدون أن النفس لا تعيش إلا إذا كان الجسم سليما، وسلامته هي التي تجعله صالحا لعودة الروح إليه بعد ان فارقته بالموت، لذا بذلوا أقصى الجهد في سبيل المحافظة على الجسم وجعله صالحا لحلول النفس فيه بعد الموت، مما حملهم على اختراع تحنيط الموتى وبقاء المومياء على هيئة من التماسك وعد التحلل لكي تعود النفس إلى غلافها، وكانوا يعتقدون أيضا أن الميت أو روحه في العالم الآخر تحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء في هذه الدنيا من طعام وشراب ... ولذلك تكون روح الميت في أشد الألم إذا لم تقدم القرابين من طعام وشراب وما إلى ذلك من مطاعم الأحياء في الدنيا.[1]

لهذه المعاني والخواص التي وصفوا بها النفس الإنسانية، وللعدالة الإلهية التي تسود الأكوان، اعتقد المصريون أنه لا بد من حياة أخرى فيها النعيم المقيم للأخيار والعذاب الأليم للأشرار، ثم إنه قبل أن يصل الميت إلى الثواب أو العقاب لابد من الحساب .[2]

و كانوا يجسمون هذه المحاسبة، فيضعون لها في كتاب الموتى وعلى التوابيت رسم محكمة ومحاكمة وميزان ! ولهذا الكتاب شأن كبير عند المصريين لأنهم يزعمون أن أحد الآلهة قد كتبه بيده ولذا يتعبدون بتلاوته وهم أحياء ويوضع في قبورهم وهم أموات .

يشتمل الكتاب على جميع الكلمات السحرية التي تستعمل لعلاج الأمراض وعلى الصلوات والأدعية، وعلى ما يحيط بالميت من تحنيط وطقوس دينية وعلى ما تلقنه الروح لتحسن الإجابة أمام محكمة الحساب.

و قد جاء عن منزلة الكتاب في أحد أبوابه : "أن الكتاب يعلي شأن الميت ويجعله مرهوبا لدى الآلهة"، وكل ميت وضع له هذا الكتاب تصعد روحه إلى الآلهة ولا يعترضها عارض من أحد.[3]

---

[1] سعدون محمود الساموك : موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، ج2، دار المناهج، ط1، عمان الأردن 2002، ص45 وما بعدها .

[2] سير ولسن بدج : الديانة الفرعونية، أفكار المصريين القدماء عن الحياة الأخرى، ترجمة وتقديم : يوسف سامي اليوسف، دار منارات للنشر، عمان الأردن ن ص 149.

[3] المصدر نفسه ن ص190 وما بعدها.

وقد عثر المصرولوجي جريفت على نصوص مصرية قديمة موجودة في المتحف البريطاني تصف رحلة إلى العالم الآخر، نطلع فيها على طريقة الحساب واجلزاء والعقاب ولهذه الآثار قيمتها العظمى في الكشف عن تصورات المصريين القدماء للعالم الآخر ومدى تقديرهم للعدالة في هذا العالم، والدقة في الجزاء الذي يناله الأفراد دون النظر إلى مظاهرهم في الدنيا من مال وجاه.

و القلب في الميزان يمثل أعمال الميت في حياته وهو الذي يشهد بكل ما فعله صاحبه من خير أو شر.[1]

فمن رجحت سيئاته حسناته ألقي إلى الوحش "أماييت" يفترسه —و هو وحش له رأس تمساح وجسم أسد- متأهب لالتهام الميت الذي يصدر عليه الحكم.

و من رجحت حسناته سيئاته صعدت روحه إلى السماء إلى حيث الآلهة، دون أن يعترضها عارض من أحد . ومن تعادلت حسناته وسيئاته يُعيّن للخدمة[2].

يقول السيرولس بدج : "و في جميع أصناف القبور التي تؤول إلى الطور السابق على التاريخ في مصر نجد تقدمات قربانية في أصص وأوان متنوعة وتلكم واقعة تبرهن برهنة قاطعة على أن البشر الذين صنعوا هذه القبور كانوا يؤمنون بأن أصدقاءهم وأقرباءهم الموتى سوف يعيشون مرة ثانية في مكان لا يعرفون عن حيثياته إلا أفكارا غامضة على الأرجح وسوف يعيشون حياة لا تختلف عن تلك التي كانوا قد عاشوها على الأرض، وتوحى الأدوات الصوانية والسكاكين والمكاشط (الموجودة في القبور) وما إلى ذلك .. إلى أنهم قد ظنوا بأنهم سوف يصطادون ويذبحون طرائدهم لدى القبض عليها وبأنهم سوف يقاتلون أعداءهم كذلك"[3]

مما تقدم نستنتج أن المصريين القدماء يعتقدون بخلود الروح وبالثواب والعقاب والجنة والنار وهي عقائد فطرية من جانب ثم هي بقية من دعوة الأنبياء الذين شرفوا مصر في فترات تاريخها القديم.[4]

---

[1] طه باقر : تاريخ الحضارات القديمة، الدار العالمية، بيروت، ص 83-85.

[2] المرجع نفسه، ص87.

[3] سيرولسن بدج : الديانة الفرعونية، ص 191.

[4] رشدي عليان وسعدون ساموك : الأديان —دراسة تاريخية مقارنة- القسم الأول : الديانات القديمة، دار الحرية، بغداد ص63.

وإذا كان المؤرخ اليوناني "هيرودوت" يقول : "إن المصريين هم أول الشعوب الذين اعتقدوا بخلود النفس" وكما ورد في النصوص المنقوشة على الأهرام "أن النفس خالدة لا تموت أبدا" ...

فنحن نرى بأن ما قاله "هيرودوت" صحيح، ولكن قوله بأنهم أول من اعتقد ذلك فغير مُسلّم به، لأن الله –عز وجل- قد أرسل رسلا ينذرونهم بهذا اليوم العظيم !

و في هذا يقول الشيخ أبو زهرة : "و يظهر أن صدى دعوة يوسف استمر أجيالا يعمل في النفوس المصرية"[1]

فهناك تعاليم من الله على لسان الرسل، وانحراف من الناس عن هذه التعاليم !

و في نهاية بحثنا الموجز للديانة المصرية، نسجل الملاحظات التالية:

1. أن فكرة تعدد الآلهة ظلت مسيطرة على نفوس المصريين القدماء ما عدا فترة حكم الفرعون أخناتون الذي سعى لإنشاء عقيدة الإله الواحد، وقد نجح فترة حكمه فقط، بعدها عاد المصريون إلى التعدد ولكنهم في جميع عهودهم لم ينسوا عقيدة الإله الأعظم أو الإله الأكبر.

2. إن وحدانية أخناتون لم تصل إلى التجريد المطلق الذي طبع الديانات السماوية فيما بعد

3. ولا سيما ما نص عليه القرآن الكريم –ليس كمثله شيء- بل ظلت هذه الصورة مرتبطة بصورة هذا الكوكب السماوي: الشمس !

4. من المحتمل ان تكون عقيدة التوحيد في الديانة المصرية قد ارتكزت أو استُمِدّتْ من فكر إلهي غير مباشر وذلك لما يأتي :

أ. إن إدريس الذي عُرِف عند المصريين "حوريس" أو "هوروس" وعند اليونان "هاروماكيس" وعند العبرانيين "أخنوخ" والذي سماه الله في كتابه الكريم "إدريس" قد هاجر وأتباعه من بابل إلى مصر قبل عصر "مينا" أو "ميناس" أول الفراعنة حوالي 4500 قبل الميلاد، وكان يدعو إلى التوحيد بل كان صديقا نبيا. فهل بقي أثر لدعوته هذه حتى وصل إلى الفرعون التاسع عشر أمينوفيس؟ ليس ذلك ببعيد !

[1] أبو زهرة : الديانات القديمة، ص8.

ب. من الثابت تاريخيا أن إبراهيم الخليل قد هاجر إلى مصر في العهد السابق لأسرة أخناتون[1]، وأنه مكث بها مدة اختلط خلالها بالشعب المصري واتصل بفرعونها،

ج. و معروف أن إبراهيم ذو دعوة (توحيدية الحنيفية) ... فربما يكون قد ترك اثرا لدعوته هذه في مصر !

د. أن يوسف حفيد إبراهيم قد حمل إلى مصر في ظروف معينة وعاش فيها فترة في ظل "عزيزها"* وقد أخبرنا القرآن الكريم أنه جادل بعض رفاقه في السجن جدالا خفيفا حول الوحدانية التي كان يدين بها في قوله : "يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار"[2] .. فلعله قد تأثر بديانته هذه بعض من اختلطوا به !

ه. أن احتلال المصريين لكثير من أقطار آسيا واتصالهم بأهلها قد أطلعهم على ما فيها من آثار النبيين من شرائع وعقائد فربما نالت هذه الآثار من النفس المصرية شيئا ... وانتقلت مع العائدين منهم إلى مصر ..

[1] العقاد: أبو الأنبياء ـــ دار المعارف، مصر ص .... 129-131 .

* عزيز مصر : هو بوتيفار أو قوطفير أو قوطيفار بن روحيب وزوجته راعيل بنت رماييل ولقبها زوليخة، ومنصب العزيز هو بمثابة رئيس الوزراء وقائد الجيش،
طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2، ص78.

[2] سورة يوسف، الآية 39.

المبحث الثاني : من الديانات القديمة الباقية –الحية– البرهمية الهندوسية :

هي ديانة وثنية ترتكز على عبادة قدرة الطبيعة المؤثرة في الكون ومع الزمن تمثّل هذه القوى في صورة آلهة، راحوا يعبدونها. وقد كثرت الآلهة عند الهندوس بشكل ملحوظ فأصبح لكل شيء روح ولكل روح قدسية معينة عندهم وكانت كل الآلهة قد اخذت وظيفة معينة تختلف باختلاف شخصياتها إلا أن الآلهة العليا أخذت لنفسها ثلاثة أقانيم، فدعي الأول "براهما" ووظيفته الخلق والإيجاد بحيث يعتقد الهندوس أن براهما روح العالم خلق "مانو" أول البشر ومنه جاء نسل البشرية وبإرادة براهما جاءت جميع الكائنات، وجاء من مانوا أبي البشرية أربع طبقات :

- الكهنة البراهمة Brahman

-الملوك والمحاربون الكاشتريا Kastria

-الطبقة الفيشية Visaya

-الطبقة المنبوذة من عبيد وخدم وسيمون : الشودرا Sudra [1]

و دعي الثاني فشنو، حيث يتولى المحافظة على الخلق والوجود، ثم سيفا "أسيوا" :

الإله المخرب المفني الذي "تصْفرّ به الأوراق الخضراء" وينسبون إليه النار لأنها عنصر مخرِّب[2]، وهذه الذوات الثلاث تُكوِّن الإله الواحد الأعلى.

و من أهم المعتقدات الهندوسية :

-إنكار البعث واليوم الآخر ويرون أنه لا بد من الجزاء والحساب على الخير والشر لكن يكون في الحياة الدنيا وأما يسمى "بالكارما Karma" ومعناها قانون الجزاء أو العدالة، وتعني أن جميع أعمال الإنسان الاختيارية التي تؤثر على الآخرين شرا كانت أم خيرا يجازي عليها بالثواب أو العقاب ... وهذا الجزاء يكون في الحياة، فإن لم يقع هذا في الحياة الاعتيادية، فقد يقع في الحياة الأخرى، بعد أن تنتقل الروح إلى جسد آخر[3].

---

[1] سليمان مظهر : قصة الديانات، دار المعارف، القاهرة 1984، ص 25-53

[2] أبو زهرة : مقارنات الأديان، ص27

[3] مانوراك موداك : الهند شعبها وأرضها ترجمة العميد : محمد عبد الفتاح إبراهيم طه، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، القاهرة 1964، ص 59 إلى ص 65

-و هدف الإنسان الهندوسي أن نصل إلى مرحلة الإنطلاق أو الخلاص "Nirvana" والتي تعني انعتاق روحه من الجسد واتحادها بالإله براهما[1].

-يعتقدون بتناسخ الأرواح وذلك بسبب إنكارهم للبعث وعندهم الجزاء يكون بتناسخ الأرواح إذا انتقلت بين الأجساد.

- و من المآخذ على هذه الديانة أنها لا تكتفي بحرق جثمان أفرادها الذين يتوفون بل أن زوجات المتوفى لا بد أن يحرقن معه، وإن كان قد قضي على هذه العادة منذ أجل قريب.

و تعتبر الهندوسية من الديانات القليلة التي لم تستطع الأفكار الدينية المتوافدة على الهند من تغيير جوهرها ومعتقداتها[2].

-و مما تجدر الإشارة إليه، أن الهندوسية حركة عالمية تبشيرية في الوقت الحاضر تسمى "Hare Krishna Movement" أو ضمير كرشنا، تقودها جماعات تبشيرية في معظم أقطار العالم وخاصة أمريكا وأوربا ولها أنصار عديدون في تلك الأقطار يوجههم الكائن المقدس –كما يدعونه- براهوباتا (prahupata) ومن تعاليم هذه الحركة أن الفيدا او البغوات جيتا (Bhagavad gita) هي الكتاب المقدس الأول في الكون الذي يحمل معاني الحقيقة الإلهية. وأن الإنسان جزء من الإله الأزلي الأبدي ولأجله فإن كل الناس إخوان وعليهم التضحية في سبيل الأب الأعظم (كرشنا).[3]

و من الملاحظ أن هذه الحركة تحظى بتأييد المراهقين في أوربا وأمريكا أكثر من غيرهم وقد يكون ضعف الدافع المسيحي في الوقت الحاضر سببا في انتشار هذه العقيدة في تلك القارات.

و في خاتمة بحثنا للديانة الهندوسية نقول : أن الهند من الأمم ذات التاريخ المجيد لها مدينة قديمة وحضارة عريقة، ولكن قد طمست حضارتها تلك حضارة أخرى أتى بها غزاة فاتحون آريون، وكان هؤلاء الفاتحون يحملون معهم ديانة أخرى غير ديانة الهند القديمة وإلهيْ الديانة "الهندوسية والبرهمية" والديانة الهندية القديمة كانت ذات أصول "توتمية" حيث ارتكزت على

---

[1] سليمان مظهر : قصة الديانات، ص 56.

[2] أبو زهرة : مقارنات الأديان ص 102 ص 104

[3] . Back to Godhead (tha magazine of the hare Krishna Movement) N° 40, P5 .
نقلا عن : الهند، مصدر سابق، ص 69-71.

تقديس أرواح كثيرة تسكن الصخور والحيوان والأشجار ومجاري الماء والجبال والنجوم كما كانت ذات أصول طبيعية حيث ارتكزت أيضا على تقديس القوى الطبيعية المختلفة من سماء وشمس وأرض ونار ونور وريح وماء.

فجعلوا السماء أبا وسموه (فارونا) والأرض أمّا وسموها (بونيفي) والمطر هو الإله (بارجانيا) والنار هي (أجنبي) ... والريح (فايو) والعاصفة (أندرا) والفجر (أوشاش) ومجرى الممرات في الحقل (سينا) والشمس (سوربا أو مترا أو فنشو).

و جاءت الديانة الجديدة (البرهمية) ديانة الفاتحين ولكنها لم تمح الديانة القديمة محوا تاما بل أن الناس قد مازجوا بين قديمهم وما عرض لهم. والديانة البرهمية ديانة وثنية أيضا ترتكز على عبادة قوة الطبيعة المؤثرة في الكون، ومع الزمن تمثل الناس هذه الآلهة في صورة أشخاص راحوا يعبدونهم وأصبحت الشمس التي تهب الحياة إلها جديدا اسمه (سافيتار) وضوءها إله آخر اسمه (فيفاسفات) ثم أصبحت الشمس التي تولد الحي من المحي إلها عظيما جديدا اسمه (براجاباتي) وإلى جانب هذه الآلهة توجد آلاف غيرها منها القردة والتماسيح والنمور والطواويس والببغاوات بل وحتى الفئران والأفاعي ... وكان أكبر مراكز عبادة الأفاعي في شرقي ميسور فهناك في معابد هذا الإقليم تسكن جموع زاخرة من الأفاعي حيث يقوم الكهنة على إطعامها والاهتمام بها لأن الهندوسي لا يرى فارقا بين الحيوان والإنسان ... لأن كل منهما روحا، والأرواح تنتقل دائما بين الحيوان والإنسان، ولهذا فهي صنوف إلهية نسجت خيوطها في شبكة واحدة لا نهاية لها.

و البقرة أكثر الحيوان قدسية عند الهندوسي، فإن لها تماثيل في كل معبد ومنزل وميدان، وهي تتمتع بحرية مطلقة في ارتياد الطرقات كيف شاءت، ولا يجوز للهندوسي تحت أي ظرف من الظروف ان يأكل لحمها أو يستغل جلدها في أي صناعة من الصناعات إلا إذا ماتت فيمكن حينها استغلال جلدها.

و إجمالا فقد كثرت الآلهة الهندية كثرة فاحشة وتعددت تعددا غريبا. حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلها، ثم أخذ العدد ينحسر حتى انحصرت الآلهة في ثلاثة أقانيم وهي :

1. براهما : الله الخالق، الذي صدرت عنه جميع الأشياء والذي يرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء وينسبون إليه الشمس التي يكون بها الدفء وتجري بها الحياة في الحيوان والنباتات.

2. سيفا أو سيوا : الإله المخرب المفني الذي تصفر به الأوراق الخضراء، وتفنى مياه الأنهار وينسبون إليه النار لأنها عنصر مدمر مخرب.

3. فشنو : الإله الذي يتولى المحافظة على الخلق والوجود، فكل معاني الخير والسمو من فيض فشنو وكل الحكماء والصالحين يقومون بالعدل والصلاح، والفضيلة وينصرون الأخيار على الأشرار بغيض من فشنو، وأعظم ما يتجسد فيه فشنو هو شخصية (كريشنا).

و بعد أن أرجع الهندوس كل شيء إلى هذه الآلهة الثلاث. عادوا إلى توحيدها في شخص "براهما" وارجعوا إليه كل شيء، وهكذا عرف الهندوس مبدأ التفريد (الإله الأعظم) لا عقيدة التوحيد لأنهم لم يفردوا (براهما) في العبادة والخلق والاعتقاد وإنما كان اعتقادهم شبيها باعتقاد عرب الجاهلية حيث كانوا يعتقدون بإله خالق كل شيء ولكنهم كانوا في الوقت نفسه يعبدون الأوثان لتقربهم إلى الله زلفى.[1]

فيمكن أن نجمل اعتقاد البراهمة في اليوم الآخر في جملة من الأمور :

-الثواب والعقاب على الأعمال :

يعتقد البراهمة أن جميع أعمال البشر الاختيارية التي تؤثر في الآخرين خيرا كانت أو شرا لابد من أن يجازى عليها بالثواب أو العقاب طبقا لناموس العدل الصارم، فالعدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل، وأن في الطبيعة نوعا من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصاء، وبعد الإحصاء ينال كل شخص جزاءه.[2]

-تناسخ الأرواح :

يعتقد الهنود أن الروح لا تفنى بعد الموت وإنما تحاسب بأن تعود مرة أخرى لتلبس جسدا آخر جزاء لها على ما عملت من حسنات أو اقترفت من سيئات.[3]

-الحساب عند الهنود :

و يعتقد الهنود "البراهمة" أن الإنسان يحاسب بعد الموت مباشرة وكذلك الجزاء فيعتقدون

---

[1] مظهر، قصة الديانات، ص 65-72، وأبو زهرة، مقارنات الأديان، ص 27.

[2] الهند: مرجع سابق، ص 73 وما بعدها.

[3] مظهر، قصة الديانات، ص 41

أن الإنسان إذا مات اخذه "زامون" إلى مجتمع القضاء.

و يعتقدون أن كل نفس تسكن إلى السكن الذي يناسبها فالنفس السيئة ترد إلى النباتات والحيوانات كالقمل والدود.

أما النفس الطاهرة فإنها تسكن الموضع الذي ينبغي هذا فتصير كأحد الملائكة مخالطا للمجاميع الروحانية.[1]

-الجنة والنار :

مع قول البراهمة بالتناسخ إلا أنهم يقولون بالجنة والنار فيعتقدون بالجنة ويعددون الجهنميات فنجد هنا خلط وتناقض مع القول بالتناسخ، وهذا يدل على التبديل والتحريف التي طرأ على هذه الديانات[2]، فما من أمة من الأمم وإلا وقد جاءها نذير من الله –عز وجل- كما قال سبحانه:" إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾" (فاطر، 24).

إلا أن التبديل والتغيير قد طرأ هذه المعتقدات فوُجِد هذا التناقض والاختلاف، ولسنا هنا لمناقشة هذه الاعتقادات بل المقصود بيان وجود اليوم الآخر في هذه الديانات الوضعية وثبوته في كتبهم ولقلة المصادر وصعوبة الحصول عليها لم نستطع نقل مجموعة من نصوص هذه الكتب.

- نستخلص مما تقدم بأنهم –الهندوس-:

-ينكرون البعث واليوم الآخر، ويرون أنه لا بد من الجزاء والحساب على الخير والشر لكن ذلك يكون في الحياة الدنيا.

-يعتقدون بتناسخ الأرواح، وذلك بسبب إنكارهم للبعث، فهم يرون تناسخ الأرواح ليكون الجزاء على الروح إذا انتقلت بين الأجساد.

-و أكثر أتباع الهندوسية في الهند، ويوجد لهم أقليات في الصين والتبت وكوريا، وسائر

[1] مظهر، قصة الديانات، ص 42 .

[2] المصدر نفسه، ص43 .

بلاد شرق آسيا.

-و تقوم الديانة البرهمية (الهندوسية) على النظام الطبقي فهي تقسم أتباعها إلى أربع طبقات:

- **الأولى** : البراهمة وهم مُقدّسون تجري فيهم الدماء الإلهية –بزعمهم- وهم رجال الدين، والجميع في خدمتهم.
- **الثانية** : الكاستريا، وهم الجنود والذين يقدمون القرابين للبراهمة.
- **الثالثة** : ويشا (بويسيه) وهم أصحاب الحرف كالتجارة والصناعة والزراعة.
- **الرابعة** : سودرا وهم خُلِقوا –بزعمهم- لخدمة الطوائف الثلاث الأولى !

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: اليوم الآخر عند الفرس.

I. الزرادشتية أو "المجوسية":

عبد الفرس القدماء قوى الطبيعة المؤثرة في الكون كأغلب الشعوب القديمة وكان أبرزها الإله الشمس يُنضِج محاصيلهم وسموه "مثرا" وآلهة الخصب الأرض وسموها "أنينا" وإله المطر الذي يروي حقولهم وإله الريح ومجموعة كبيرة من الآلهة التي كانت تساعدهم في الحصول على الرزق .. كإنبات الزرع وإروائه ورعايته ومدهم بمحصول وفير ... وسموا هذه الآلهة "دايفا" أي الأرواح الخيرة، كما قدس الفرس البقرة، وألّهوا الثور وسموه "هوما".

و بمضيّ الزمن تعقدت هذه الديانة ... وأخذ الفرس يؤمنون بالإضافة إلى الأرواح الخيرة بكثير من الآلهة المحلية (آلهة القبائل وآلهة العائلات) وبعدة أنواع أخرى من الآلهة والأرواح.[1]

و أنهم يملكون أن يجعلوها تفعل ما يريدون منها لهذا أعتقد الفرس أن الكهان خير الناس وأخذوا ينظرون إليهم على أنهم وسطاء بين الآلهة والبشر وصاروا يستعينون بهم في الحروب والملمات ويوسطونهم لدى الآلهة للحصول على الرزق الوفير والحظ السعيد والحياة الطيبة .. وعرف الكهان كيف يستحوذون على عقول الفرس بالسحر والشعوذة وكيف يقفون بصلابة ضد أية دعوة تهدف إلى إصلاح عقيدة الفرس ... وتخليصها من عبادة الأصنام ... وتعدد الآلهة ... والانتقال بالفرس من مبدأ التفريد (الإله الأعظم) إلى عقيدة التوحيد (الإله الواحد) وكانت أول دعوة من هذا القبيل دعوة (زرادشت).

استحوذت فكرة معرفة مصدر الخير والشر على عقل زرادشت وامتلكت كل جوارحه فلم يعد يطيق مواصلة عمله والاستقرار في بيته مع زوجته وبناته ... وقرر اعتزال الناس فترة من الوقت يعيش خلالها ناسكا يفكر في الخير والشر .. عله يقف على مصدرهما ويخلص الناس من العناء الذي يواجهونه في حياتهم.

و هناك في جبل (سابلان) ظل وحيدا يفكر ... ويحاول أن يفهم سر هذا العالم. فكر في

[1] أنظر : مظهر، قصة الديانات، ص 276-279، والمنوفي، الدين المقارن، ص 109، وعبد النعيم حسين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص 443، والهاشمي، الأديان في كفة الميزان ص 31

كل ما تعلمه، واستعراض جميع تجاربه بين الناس، و لم يستطع بادئ الأمر أن يجد في كل ذلك ما يفسر له عالم الخير والشر، حتى كاد ييئس ويتخلى عن بحثه وينهي عزلته، ويعود إلى بيته، ومع غروب الشمس وعندما أخذ الظلام يرخي سدوله، تجلت في ذهن زرادشت فكرة ابتهج لها ابتهاجا عظيما وأعتقد أنه وقف على مصدر الخير والشر. وأحاط علما بسر الحكمة.

و جوهر فكرته هو : كما أن اليوم يتألف من نهار وليل، نور وظلام فالعالم أيضا يتألف من الخير والشر، وكما أن الليل والنهار لا يمكن ان تتغير طبيعتهما، النهار منير والليل مظلم، فكذلك لا يمكن أبدا للخير أن يصبح شرا ولا للشر أن يصبح خيرا.

(الخير لا بد أن يكون خيرا دائما، والشر لا بد أن يكون شرا دائما)[1]. واستنتج زرادشت من ذلك أن عبادة الأوثان والأصنام والتقرب لآلهة الخير لتوقع الشر والهزيمة بالأعداء ولآلهة الشر لتصنع لهم خيرا خطأ فآلهة الخير لا يمكن أن تصنع شرا، وآلهة الشر لا يمكن أن تفعل خيرا، وهكذا آمن زرادشت بأن العالم تحكمه قوتان : خير واحد وشر واحد وبأن (أهورامزدا) هو قوة الخير، و(أهرمان)[2] هو قوة الشر، ولكن لماذا خلق الخير؟ ولماذا خلق الشر ؟ وما الذي يفعله الناس حتى يقضوا على الشر؟

أخذ زرادشت يفكر في ذلك وتقول مصادر الزرادشتية أنه حدث ذات يوم وهو واقف على الجبل يفكر أن أحس بنشوة روحانية تجلى له فيها كبير الملائكة (فاهومانا) واصطحبه في رحلة سماوية مثل فيها أمام رب السماء نفسه، وتلقى عنه كلمات الحق والحقيقة وتعلم أسرار الوحي واستمع إلى أمر النبوة.

نزل بعد ذلك من الجبل ليصدع بما أمِر ويجهر بدعوته للناس. وخلاصة ما جاء به من جديد في الديانة الفارسية أنه أنكر تعدد الآلهة وعبادة الأصنام وجعل الخير المحض من صفات الله ونزل بإله الشر إلى ما دون منزلة المساواة بينه وبين الإله الأعلى وبشر بالثواب وأنذر بالعقاب وقال : بأن خلق الروح سابق لخلق الجسد وقصر الربوبية على إله واحد موصوف بأرفع ما

[1] مظهر، قصة الديانات،ص 285، وبرستيد، انتصار الحضارة، ص 60، ترجمة الدكتور أحمد فخري.

[2] أهريمان "أهرمن": هو الشيطان في الديانات المنزلة.

يفهمه أبناء زمانه من صفات التنزيه.[1]

- **عقائد الزرادشة :**

1. التوحيد:

أنكر زرادشت بعنف وشدة الوثنية المتمثلة في تعدد الآلهة وعبادة الأصنام، ودعى إلى الإيمان بإله واحد "أهورا مزاد"، وقد وصفه بأرفع ما يعرفه الناس في زمانه من صفات التنزيه، فهو قديم أزلي مجرد من جميع شوائب المادة منزه عن كل أدران النقص لم يولد ولن يموت وهو روح الأرواح ... يرى ولا يُنْظر ولا تدركه عين أو بصر وهو موجود في كل مكان ولكنه لا يرى في أي مكان. وهو يعلم الحاضر والمستقبل ويعلم الغيب ويدرك دخائل النفوس وهو قدير على كل شيء ولا يسمو عليه شيء قط. وهو معين من لا معين له وراعي الفقراء والأغنياء على حد سواء، وهو مفرج الهموم ومانع الضر عن الناس، وإن أقوى الناس ليشعرون بضعفهم أمامه، وهو القوة الغير المنظورة التي يتطلع إليها الناس لتشد من أزرهم وتقوي من نفوسهم.[2]

و أهم أسماء الله الحسنى عند زرادشت هي : (**السر المسؤول .. واهب النعم .. الكامل .. القدس .. الشريف .. الحكيم .. الخبير .. الغني .. المغني .. السيد .. المنعم .. الطيب .. القهار .. محق الحق .. البصير .. الشافي .. الخلاق .. مازدا "العليم")**.[3]

و لما كان الإله في الديانة الزرادشتية قوة غيبية "غير محسوسة" –كما هو الحال في الديانات المنزلة– يعجز عن إدراك حقيقته العقل البشري ولا يقوى على تصوره خيال الإنسان لجأ زرادشت حتى يتمكن الناس من تصور هذه القوة إلى الرمز، فرمز إلى "أهورامزدا" برمزين محسوسين حتى تقوى عقول البشر عن طريق التفكير فيهما على تصور صفات الإله وهما : الشمس والنار.

"فالشمس في السماء تمثل روح أهورامزدا" في صورة يستطيع الناس إدراكها لِما امتازت

---

[1] أنظر : العقاد، الله، ص 93، ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص 112، ترجمة ذوقان. فرقوط والحيي، دراسة إسلامية في العقائد والأديان، ص 123، وسنية قراءة الرسالات الكبرى، ص 150، 151، والشهرستاني الملل والنحل، ج2، ص 42، وعبد النعيم حسين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص 446.

[2] مظهر : قصة الديانات ص 311، وانظر : ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص 112.

[3] أنظر : العقاد، الله ص 95-96، وسنية قراءة، الرسالات الكبرى، ص 151.

به من صفات تشبه صفات المبدأ الأول، إذ هي كائن مشرق متلالئ يفيض الخير على جميع الكائنات ويبعث فيها الدفء والنشاط وهي قوة لا تقاوم ولا تستطيع نزعات الشر الاقتراب منها والحط من قدرها والانتقاص من طهرها وصفاتها.

و النار في الأرض هي العنصر الذي يمثل للناس تلك القوة العليا. فهي ليست عنصرا أوليا ساذجا أزليا فحسب، بل هي أيضا قوة مطهرة مهلكة طاهرة نقية نافعة لا يمكن أن يتطرق إليها الفساد.

و هكذا تبدو تلك الصورة التي يتصور الناس من أجلها أن إتباع زرادشت يعبدون النار بينما هم يؤكدون أن تلك الفكرة خطأ كبير .. فهم لا يعبدون النار أو يتخذون منها إلها ولكنهم يروها إلى جانب الشمس رمزا لقوة الإله الذي لا يراه أحد .. ويعدون الوثنية والشرك بالإله الواحد الخير الحق جريمة كبرى لأنها تتضمن إنكار مبدأ وحدة الواحد أهورامزدا. ويقول الزاردشتيون : أنهم يقدسون النار ولا يعبدونها لأنها مقدسة كرمز.[1]

فالله في دين زرادشت واحد لا شريك له وهو خير محض لا شر فيه وهو مصدر كل خير ومجد ونور وسعادة في العالم .. وهو المشرع القدسي والقاضي الأسمى العادل الرحيم .. وقوة الإله الخيرة هي التي ستنتصر في النهاية على روح الشر (أهرمن) الذي هو سبب كل ما في العالم من شرور وعناء. فالخير عند زرادشت غالب دائم والشر مغلوب منظور إلى أجل، وما زال أهرمن يهبط في مراتب القدرة والكفاية على هذا المذهب حتى عاد كالمخلوق الذي ينازع الخالق سلطانه ولا محيص له في النهاية من الخذلان.[2]

قال الشهرستاني في عقائد زرادشت : " وكان دين زرادشت : عبادة الله والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث ".

و قال : النور والظلمة أصلان متضادان وكذلك يزدان (أهورامزاد) و(أهرمن)، والبارئ تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما، وهو لا شريك له ولا ضد ولاند، ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة. لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث، إنما حصلت من امتزاج

[1] مظهر، قصة الديانات من 312 وانظر : العقاد، الله، ص 96، والحيني، في العقائد والأديان ص 167، والدكتور يحيى هويدي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية ص 48، والشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص 60

[2] العقاد، الله، ص 95.

النور والظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم وهما يتقاومان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة والخير الشر، ثم يتخلص الخير إلى عالمه وينحط الشر إلى عالمه، وذلك هو سبب الخلاص والباري تعالى هو الذي مزجهما وخلطهما لحكمة رآها في التراكيب، وربما جعل النور أصلا وقال : وجوده وجود حقيقي، وأما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة إلى الشخص فإنه يرى أنه موجود وليس بموجود حقيقة فأبدع النور وحصل الظلام تبعا لأن من ضرورة الوجود التضاد، فوجوده ضروري واقع في الخلق لا بالقصد الأول كما ذكرنا في الشخص والظل.[1]

2. النبوة :

يؤمن الزرادشتيون بالنبوة وببعض الأنبياء ويزعمون أن زرادشت كان نبيا ورسولا إلى الخلق أجمعين، يوحى إليه وأنه كان يناجي أهورامزدا ويسمع جوابه، يسأله سؤال المتعلم لمعلمه والمستهدي لهاديه، هذا ما أسألك عنه، فاصدقني الخبر يا أهورامزدا.

من الذي رسم مسار الشموس والنجوم؟

و من الذي يجعل القمر .. يتزايد ويتضاءل ؟

و من الذي أقر الأرض تحت .. والسماء من فوق .. وأمسك السماء أن تقع ؟

و من الذي سخر الرياح والسحب سرعتها ؟

و من الذي اخرج العقل الخير ؟

إنه أنت يا واحد .. يا أهورامزدا.[2]

و تنسب الزرادشتية إلى نبيها معجزات كثيرة منها: أنه أمر على أعمى فقال : خذوا نبتة – وصفها لهم- واعصروا ماءها في عينيه فإنه يبصر، ففعلوا فأبصر الأعمى.[3]

---

[1] الملل والنحل، ج2، ص 42، 43، وانظر : المتوفي، الدين المقارن، ص 115، والشيخ محمد الخضر حسين، محمد رسول الله، ص 25.

[2] علق العقاد على مثل هذه المناجاة بقوله، ص 97، الله : لا يبعد أن زرادشت كان من أصحاب الطبائع التي تغيب عن الوعي أو تسمع في حالة وعيها أصواتا خفية من هاتف ظاهر أو محجوب كما روى سقراط وأمثاله من الموهوبين والملهمين.

[3] لا ننسى أنه كان عارفا بالطب وأنه قضى سنين طويلة في ممارسة هذه المهنة وكان عارفا بالأدوية أيضا فشفاؤه للجواد كان بالعلاج الطبيعي تدليك قوائم الجواد التي أصابها ضمور وعلاجه للأعمى إن دل على شيء فإنما يدل على معرفته بخصائص الحشائش والنباتات وليس هذا وذاك من المعجزات في شيء كما يقول الشهرستاني في الملل والنحل، ج2، ص 43

3. المنقذ :

يؤمن الزرادشتيون بأنه سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه "أشيزريكا" ومعناه : الرجل العالم. يزين العالم بالدين والعلم ويُحيي العدل ويُميت الجور ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأولى وتنقاد له الملوك وتتيسر له الأمور، ينصر الدين والحق ويحصل في زمانه الأمن وسكون الفتن وزوال المحن[1]. يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما مُلئت ظلما وجورا".

4. البعث والحساب :

يؤمن الزرادشتيون بالبعث والقيامة والحياة الأخرى والحساب والجزاء والنعيم والعذاب في جنة أو نار ويقولون : أن روح الميت إذا فارقت الجسد استقبلها الديان في صورة فتاة حسناء، تحف بها الأزهار وتعبق حولها الروائح الطيبة هذا إن كان الميت صالحا، وإلا استقبلها في صورة فتاة قبيحة جدا، وهناك تلقى (رشنوه) ملك العدل و(ميترا) رب النور قد نصبا الميزان، وتوزن أعمال الإنسان، فإذا رجحت عنده أعمال الخير صعد إلى السماء وعاش في نعيم، وإذا رجحت عنده أعمال الشر هبط إلى الهاوية وعاش في عذاب وإذا تعادلت عنده الكفتان ذهب إلى مكان لا عذاب فيه ولا نعيم، إلى أن تقوم القيامة ويتطهر العالم كله بالنار المقدسة ثم يُرفعون جميعا في حضرة مزدا في نعيم مقيم[2].

5. القيامة :

و تحدث القيامة عند الزرادشتيين عندما يصطدم كوكب ناري بالأرض وتميد بالناس وتخر الجبال هدّا، وتذوب العناصر وينصهر النحاس ويسيل إلى جهنم فيفنى اهرمان وأنصاره ويُغسل الناس ثلاثة أيام في منصهر النحاس، ويجد الصالحون ذلك بردا وسلاما، وبعد هذا يجمع مزدا الخلائق ويجازيهم بأعمالهم[3].

6. الصراط :

و يؤمن الزرادشتيين بالصراط وهو ممتد فوق جهنم، فالرجل الصالح تصحبه أعماله حتى

[1] أنظر : الشهرستاني ن الملل والنحل، ج2، ص 44

[2] أنظر العقاد، الله، ص 92 و97

[3] أنظر : المنوفي، الدين المقارن، ص 111

يجتاز الصراط إلى الجنة فيستقبله ملك جالس على كرسي من ذهب عند باب الجنة فيفتح بابها ويقول له : أدخل سالما آمنا وتمتع بحياة هنيئة.

و أما الرجل الصالح فيقع في النار بحكم مزدا ليذوق العذاب الأليم، يستمر الحال هكذا حتى تبدل الأرض بغير الأرض، ويفنى أهريمان وجنده وجميع من في الوجود من الأحياء ويبقى مزدا وجميع قوى الخير.[1]

7. الشفاعة :

يعتقد الزرادشتيون بأن حق تقرير المصير لا خطأ البشر موكول إلى نبيهم زرادشت فمن يشفع له من الخطاة ينجو من العذاب هذا ما يقرره النص الوارد في (الياسانا) رقم 44.

" .. قل لي على التحقيق .. وأبلغني يقينا .. فأنا أتوسل إليك أيها الملك المقدس .. عندما تنبلج أسمى الحياة عند مدخل مملكتك. هل من مقدرات المحكمة السماوية إعطاء كل امرئ حقه؟ حقا أنه هو –النبي المرسل– الذي توضع لروحه الساهرة كل خطايا البشر ..[2]

- **مصادر الزرادشتية :**

المصدر الرئيسي للديانة الزرادشتية هو (الزند أفستا) وهو كتابهم المقدس والكلمة مركبة من (زند) ومعناها : شرح، و(أفستا) ومعناها : نص، فيكون معنى (زند أفستا) النص والشرح.

و يتضمن هذا الكتاب التاريخ الأدبي لأمة الفرس لمدة طويلة من الزمن ككتاب اليهود المقدس (العهد القديم). كما يتضمن عقائد وشرائع وطقوس وشعائر الديانة الزرادشتية وقد قسم موارد التكليف وهي حركات الإنسان ثلاثة اقسام : اعتقاد، قول وعمل ..

فإذا جرى الإنسان في هذه الحركات على مقتضى الأمر والشريعة فاز الفوز الأكبر، وإذا قصر فيها خرج عن الدين والطاعة[3].

---

[1] أنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص 43، وعبد النعيم حسنين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص 449، وأبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، ص 159 و181.

[2] أنظر : الحيني، في العقائد والأديان، ص 168

[3] انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص 43، وعبد النعيم حسنين، حضارة مصر والرق الأدنى، ص 449 وأبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، ص 159 و181

و قد ظل هذا الكتاب قرونا عديدة يعتمد على الرواية الشفوية قبل التدوين، وعلى ذلك فالوصول إلى النص الأصلي أمر لا يمكن القطع به، يضاف إلى ذلك أنه غير مرتب ترتيبا زمنيا.[1]

وقد ترجم الأستاذ (شبيقل Spiegel) الزند أفستا إلى الإنكليزية في فصول تمثل (الفنديداد Vendidad) الفصل الأول منه وفيه يتحدث (أهورامزدا) إلى زرادشت ويمنحه أوامر الشريعة ويأتي بعد الفنديداد (الفسبرد Vispered) و(الياسنا Yasna) وهما للطقوس الدينية وفيهما : تراتيل وكتاب صلوات وهما خاصان برجال الدين.

والمصدر الذي يراه الباحثون المحدثون هاما في تصوير الديانة الزرادشتية هو "الياسنا"، وهي تتضمن خمس مجموعات من التراتيل تسمى الجاثات وعدد التراتيل سبعة عشر.

ويرى الباحثون أن الجاثات تتضمن العناصر القديمة للديانة الزرادشتية التي يضمها الكتاب الزند أفستا ويقولون : أنها احتفظت ببعض أقوال زرادشت وعلى ذلك فهي من خير المصادر لديانته.[2]

- **تحريف عقائد زرادشت :**

لم تسلم عقائد زرادشت من التبديل والتحريف والتغيير شأنها في ذلك شأن كثير من العقائد والديانات الأخرى ... فلم تبق تعاليمه وعقائده كما وضعها، عند ما سئل زرادشت عما إذا كان الإله الواحد هو وحده صانع الخير في العالم فأجاب : أن الإله له مساعدوه السماويون الذين يسمون الملائكة وقال : أن أهمهم سبعة، العقل الخير والنور والحكمة والخير والتقوى والخلود والأمر الصالح.

واضح من كلام زرادشت أنه إنما كان يعني بهذه الأسماء، أنها عبارة عن صفات ومظاهر رئيسية ومميزات متعددة للإله الواحد و لم يكن يعني أنها شخصيات حقيقية شريكة للإله الواحد في صنعه الخير وإبداعه العالم وإلا لما دعا إلى الإيمان بإله واحد حكيم.

و لكن كهنة إيران وشعبها كان عبدة الأوثان، وهم وإن قبلوا تعاليم زرادشت، فإن عقولهم كانت لا تزال عقول عبدة أوثان، ولذا فقد فهموا من كلامه، وجود شخصيات سماوية

[1] انظر : الحيني، في العقاد والأديان، ص 164

[2] انظر : الحيني، في العقاد والأديان، ص 164-165

كثيرة حقيقية تطير هنا وهناك : تساعد الرب في أعماله وتشاركه في صنع الخير، وتسيطر على العالم وتحكمه بأمر من أهورامزاد إله الآلهة أو (الإله الأعظم)، وبذلك حرفوا عقيدة التوحيد إلى التعدد، ولم يمض وقت طويل حتى أطلقوا أسماء على ألف ملاك يعيشون في السماء و9999 شيطانا أسود يساعدون روح الشر في الجحيم تحت الأرض، وتسعى بزعامة أهرمن إلى إغواء البشر على الأرض بارتكاب الآثام والشرور وهي لذلك في حرب دائمة مع أهورا مزدا وبهذه الطريقة فعل أتباع زرادشت ما لم يكن هو يريد منهم أن يفعلوه، عبدوا الأوثان القديمة بعد أن غيروا أسماءها بأسماء جديدة، وجعلوا لله شريكا في صنعه وسيطرته على العالم وهبطوا بعقيدة التوحيد إلى التفريد فالتعدد[1].

و في القرن الثالث قبل الميلاد، أي بعد موت زرادشت بحوالي ثلاثمائة عام غزا الإسكندر الأكبر أرض فارس، وحطم الأفستا، وألغى الزرادشتية، وأقام بدلها ديانة اليونان الوثنية، ولكن الفرس لم يتخلوا عن ديانتهم وأخذوا يتعبدون بها ويعلمونها لأبنائهم سرا ... حتى استقلت فارس عن الحكم الأجنبي في أوائل القرن الثالث الميلادي، أي بعد حوالي خمسمائة عام، حين قامت الدولة الساسانية في إيران، ورأت أن في إحيائها لدين زرادشت وانتصارها له ما يدعم ويثبت كيانها، فأخذ رجال الدين يجمعون ما وجدوه من الأجزاء القديمة من الأفستا في كتاب واحد وقاموا بترجمتها، ولكن صاحب هذه الترجمة أحدث تشويها للنصوص الأصلية، وإضافات كثيرة في شروحهم لهذه النصوص (الزندا) فضلا عن تأثرهم بوجه من الوجوه بالفكر اليوناني الذي انتقل إلى فارس، ومن ثم يصعب الإدعاء بأن الترجمة والشروح والإضافات الكثيرة تمثل تعاليم زرادشت تمثيلا صادقا.

و في القرن السابع الميلادي أي من حوالي أربعمائة عام، فتح العرب المسلمون بلاد فارس،

---

[1] مظهر، قصة الديانات، ص 316 والحيني، العقائد والأديان، ص 174، حيث قال : (و لكن التحريف شوه بعض معالمها وأساء إليها لأنها ظلت قرونا طويلة تنتقل من جيل إلى جيل بالرواية الشفوية حتى دونت آخر الأمر بعد أن عمل فيها الخيال وما الف الناس) وعبد النعيم حسنين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص 448و 450 حيث يقول : (غير أن أتباع زرادشت، الذين كانوا من قبل يعبدون آلهة متعددة مثلوا صفاتها في صورة كائنات خالدة مقدسة تخلق العالم وتسيطر على تنظيمه وحكمه بأمر من اهورامزاد إله الآلهة أو الإله الأعظم وبذلك تحول مذهب التوحيد إلى فكرة التعدد : والدكتور أحمد عبد الحميد غراب، هامش كتاب الإعلام بمناقب الإسلام، ص 133 حيث يقول : (لم يمض وقت طويل على موت زرادشت حتى عاد كثير من الآلهة القديمة إلى الزرادشتية في صورة ملائكة).

وأخذوا يدعون إلى الدين الإسلامي، فأقبل الكثير من الزرادشتيين على الدين الجديد وهرب بعضهم إلى خارج فارس، وبقي آخرون على دينهم القديم، و اليوم لم يبق من معتنقي ديانة زرادشت في إيران إلا نزر يسير يعيش في نواحي (يزد) من جنوبي خراسان.

أما أكثر معتنقي هذه الديانة فيعيشون في الهند ويسمون (البارسيين) أو (الفارسيين) حيث هربوا إليها عند الفتح الإسلامي، ويقدر عدد معتنقي الديانة الزرادشتية اليوم في جميع أنحاء العالم بحوالي 120 ألف نسمة[1].

و مما هو جدير بالذكر أن العرب كانوا يسمون معتنقي الديانة الزرادشتية (المجوس) وقد ورد ذكرهم بهذا الاسم في القرآن الكريم.

قال تعالى : " إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ " (الحج، 17)

و قد اختلف الفقهاء المسلمين في المركز التشريعي للمجوس في الدولة الإسلامية فرأى البعض أنهم من أهل الكتاب[2] فيعاملون معاملة الكتابيين وذهب جمهور الفقهاء إلى أنهم ليسوا من أهل الكتاب، وقد عدهم الشهرستاني ممن لهم شبهة كتاب[3]، إلا أن جميع الفقهاء اتفقوا على أنهم يعاملون معاملة الكتابيين[4]

لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المجوس : " سنوا بهم سنة أهل الكتاب" "و من أقام

---

[1] إن أتباع الزرادشتية اليوم قد شهدوا معالم دعوته ولا يحملون منه اليوم إلا انتسابهم إليه.

[2] الكتابي : هو كل من اعتقد دينا سماويا وله كتاب وله منزل كالتوراة والإنجيل. والذمي : هو من يقيم في دار الإسلام من أهل الكتاب، والأصل في الإسلام هو تمتع الذميين بجميع الحقوق العامة في الدولة الإسلامية، والحقوق العامة هي : الحقوق اللازمة للإنسان باعتباره عضوا في مجتمع ولا يمكنه الاستغناء عنها وهذه الحقوق مقررة لحماية الإنسان في نفسه وحريته وماله كالحق في التنقل وفي الاعتقاد وحرمة المسكن وغيرها: انظر: عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ص 611 و878. ويعْتبر الدستور الإيراني الحالي الزرادشتيون من أهل الكتاب.

[3] أنظر : الملل والنحل ج1، ص 36، ج2، ص 34

[4] أنظر : زيدان، أحكام الذميين، ص 15، 23، 25، 26، 27.

على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية" لهذا لم يُجْبر العرب المسلمون المجوس على ترك دينهم والدخول في الإسلام فالإسلام لا يجبر الناس على ترك دينهم (لا إكراه في الدين) وأدل دليل على ذلك بقاء فئة كبيرة من المجوس في فارس تقيم شعائرها وتوقد النار في المعابد في كل ولاية فارسية تقريبا حتى بعد الفتح الإسلامي بنحو ثلاثة قرون، بل حتى اليوم.

و في نهاية بحثنا للديانة الزرادشتية نسجِّل الملاحظات التالية :

1. التقى الفرس الأقدمون مع الهند في عبادة (مثرا) إله النور ولكنهم اختلفوا في تمثيله لقوى الخير والشر، فجعله الفرس من أرباب الخير والصلاح، وجعله الهنود من أرباب الشر والفساد.

2. تأثرت عقائد الفرس القديمة بالدِّيانة البابلية، فأخذت منها سنّة التسبيع في عدد الآلهة وجعلوا "أهورامزدا" على رأس سبعة من أرباب الحكمة والحق وقوى الطبيعة. واعتقد الفرس أن (زروان) أبو إله النور وإله الظلام، ومن المرجح أن (زروان) هذا صنم لإله البابليين (نون) أو القدر الذي يتسلط على الآلهة يتسلط على المخلوقات.

3. آمن الفرس بالعالم الآخر كما آمن به المصريون وآمنوا كذلك بالثواب والعقاب في الدار الآخرة وقالوا : بقيامة الموتى ونهاية العالم وبعث الأرواح للحساب، وبذلك جمعوا بين عقيدة الهند في نهاية العالم وعقيدة المصريين في محاسبة الروح ووزن الأعمال في موقف الجزاء[1].

4. طوّر زرادشت عقيدة الفرس القديمة، وأهم ما جاء به من جديد هو إنكار الوثنية والدّعوة إلى إله واحد حكيم، موصوف بأشرف صفات الكمال والتبشير بالثواب والإنذار بالعقاب إلا أنه، كما يقول العقاد، كان خليقا به أن يسمو بعقيدة الفرس إلى مقام أعلى من ذلك المقام في التنزيه، وأن يسمو بـــ "أهرمن" من منزلة الند إلى منزلة المارد المطرود، لولا أن وجود "أهرمن" كان لازما لبقاء الكهانة الفارسية في عهود المحن والهزائم التي منيت بها الدولة، فلو قال الكهنة للمؤمنين بـــ "أهورامزدا" أنه الإله المتفرد في الكون بالتصريف والتقدير ربما يكفرون بدينهم ... ولهذا اكبروا من قوة "أهرمن" وجعلوا انتصاره عقوبة للناس على تركهم للخير وحبهم للشر، ثم يبشروهم بغلبة الإله الحكيم الرحيم بعد الهزيمة فتهدأ وساوسهم إلى حين، على أن زرادشت قد

[1] العقاد، الله، ص 91-92

استخلص من إخلاط المجوسية عقيدة وسطا بين العقيدة الوثنية الأولى والعقيدة الإلهية الحديثة سواء في تصحيح الفكرة الإلهية أو في مسائل الأخلاق ومسائل الثواب والعقاب.[1]

5. من المرجح أن إله زرادشت الذي دعا إلى توحيده وهو "أهورامزدا" ليس من ابتداعه، وأنه كان موجودا بهذا الاسم من قبل مع اختلاف يسير في الحروف كما ثبت ذلك بالنقوش الأشورية التي هي أبعد في القدم من زرادشت ومعناه في النقوش، الله الواحد الحكيم[2].

II. الثنوية :

أ. المانوية :

أشهر العقائد وأكثرها إتباعا في بلاد فارس بعد عقيدة زرادشت (المانوية) نسبة إلى (ماني بن فاتك) الفيلسوف الفارسي الذي ولد عام 215م، زمن حكم الملك سابور بن أردشير. وقد درس ماني ديانة قومه القديمة وديانة زرادشت كما درس الدين المسيحي وتأثر به، حتى قال بنبوة عيسى عليه السلام.

أحدث ماني ديانة تقوم على العقائد الفارسية والمسيحية حتى وصفها بعض المؤرخين بأنها "زرادشتية – متنصرة"[3].

و تمتاز ديانته بالقول بأن العالم نشأ عن أصلين : النور والظلمة، وأن هذين الأصلين أزليان قديمان، وبهذا خالف زرادشت الذي كان يقول بقدم النور وحدوث الظلام ولهذا وصفت المانوية بأنها (ثنوية) أي تقول بنشوء العالم عن أصلين مختلفين : النور والظلام، فعن النور نشأ كل خير في العالم، وعن الظلام نشأ كل شر في العالم، وأن الخير قد امتزج بالشر امتزاجا تاما، وأنهما في صراع وامتزاج حتى قيام الساعة، ومن هنا زهد "ماني" في الوجود، وكان يود الفِرار منه، ويتعجل الفناء لنفسه وللناس، فحرم الزواج حتى ينقرض النوع البشري، وشرع الصيام سبعة أيام من كل شهر ليضعف الجسم، وفرض الصلوات كثيرة، ونهي عن ذبح الحيوان.

---

[1] المصدر نفسه، ص 94، 95، وانظر : عبد النعيم حسنين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص 448

[2] انظر : الحيني، في العقائد والأديان، ص 166

[3] انظر : المنوفي*، الدين المقارن، ص 122

*المنوفي: السيد محمود أبو الفيض، بحث في سائر الديانات العالمية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط1، القاهرة 1970، ص 122.

يقول الشهرستاني في ماني والمانوية : " أنه أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام".

روى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق، وكان في الأصل مجوسيا :

أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : " أحدهما نور. والآخر ظلمة. وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم فزعم أنهما لم يزالا قويين حسّاسيْن، بصيرين وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان، وفي الحيز متحاذيان، تحاذِي الشخص والظل ...".

ثم ذكر أمثلة من الاختلاف بين جوهر النور وجوهر الظلمة فقال : " أن جوهر النور حسن فاضل، كريم، صافي، نقي، طيب الريح، حسن المنظر، وأن جوهر الظلمة قبيح ناقص، لئيم، كدر، خبيث، منتن الريح، قبيح المنظر، وأن أجناس النور خمسة، أربعة منها أبدان والخامس روحه. فالأبدان والخامس روحها .. فالأبدان هي : الحريق والظلمة والسموم والضباب، وروحها الدخان[1].

و بعد أن يبين أوجه الاختلاف بين كل من النور والظلمة في الجوهر والنفس والفعل والحيز والجنس والصفات .. أخذ يبين آراء المانوية في امتزاج الخير بالشر وسببه وكيفيته .. وبعدها أخذ يشرح عقيدتهم في تخليص وتمييز كل منهما عن الآخر، وأخيرا، ذكر أهم تعاليم ماني وتشريعاته وعقائده فقال : " وقد فرض ماني على أصحابه العشر في الأموال كلها والصلوات الأربع في اليوم والليلة والدعاء إلى الحق، وترك الكذب، والقتل، والسرقة والزنا، والبخل والسحر، وعبادة الأوثان، وأن يأتي على ذي روح ما يكره أن يؤتى إليه بمثله.

واعتقاده في الشرائع والأنبياء : أن أول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أبو البشر. ثم بعث شيتا بعده ثم نوحا بعده ثم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم بعث بالبددة[2] إلى أرض الهند وزرادشت إلى أرض فارس. والمسيح –كلمة لله وروحه- إلى أرض الروم والغرب، وبولس بعد المسيح إليهم، ثم يأتي خاتم النبيين إلى أرض العرب"[3].

---

[1] الملل والنحل، ج2، ص 49-53، وانظر : عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 271

[2] اختلف في معنى البددة وهي جمع بد وأصل معنى بد هو صورة الباري أو هو صورة رسوله أو صورة بوذا

[3] الملل والنحل، ج2، ص 49-53، وانظر عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 271

تلك هي أهم عقائد ماني وأصول ديانته، وقد اتُّهِم من أجلها بالزندقة وقتِل عام 274 م، والمانوية انتشرت في منطقة البحر الأبيض المتوسط جميعها[1] على الرغم مما لقى معتنقوها من مذلة واضطهاد وكان لهم وجود حتى نهاية القرن لثالث عشر ميلادي[2].

- **بين زرادشت وماني دراسة مقارنة في الفكر العقدي:**

-قال كل من زرادشت وماني بوجود قوتين في الكون : قوة الخير (أهورامزدا) وقوة الشر (أهرمن) ... إلا أن زرادشت لم يجعل روح الشر (أهرمن) نِدّا وشريكا لله .. فالله، عند زرادشت، واحد حكيم خالق، مبدع، هو الذي مزج النور والظلام وأوجد العالم منها، وهما في صراع ولكن قوة الخير ستنتصر، وقوة الشر ستندرج ويعيش الناس في سلام في ظل (مزدا) الواحد الحكيم الرحيم، القاضي، العادل.

و لهذا كان زرادشت يدعو الناس إلى سبيل الحياة الطيبة ويحثهم على عمل الخير كالحرث والزرع وإصلاح الأرض وتربية الماشية، وغير ذلك ويرغبهم في الزواج والتناسل حتى تستمر الحياة ويدوم الكفاح وينتصر "مزدا" على "أهرمن".

-و أما ماني فقد قال بقِدم وأزلية القوّتين أو الأصلين الذّيْن نشأ منهما العالم، وبذلك قال بالثنوية، وجعل لله نِدّا وشريكا، وأنهما في صراع أبدي لا خلاص منه إلا بفناء العالم.

ولهذا كان ماني زاهدا في الوجود يود الفرار منه، ويتعجل فناء العالم وينفر الناس من العمل والإنتاج، ويرغبهم في الزهد والتقشف، ويحثهم على التبتل (ترك الزواج) حتى لا يجْنُوا على ذراريهم، وحتى يتعجل انقراض النوع البشري.

واختصارا، فقد كان زرادشت متفائلا جدا يبتسم للحياة ويترقب الخلاص بانتصار الخير على الشر، بينما كان ماني متشائما يائسا يرى أنه لا خلاص إلا بالموت والفناء !

ب. المزدكية:

من مذاهب الثنوية أو الثنائية التي شاعت في بلاد فارس (المزدكية) نسبة إلى مزدك الفيلسوف الفارسي النيسابوري الذي ظهر في أيام حكم قباذ والد آنو شروان حوالي عام

[1] انظر، ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص 115

[2] انظر المنوفي، الدين امقارن، ص 113

487م. وقتله آنو شروان لزندقته وفسقه عام 528م.

جاء مزدك بمذهب جديد غايته إصلاح التنظيمات السياسية والاجتماعية للفرس في زمانه، فكان ينهى الناس عن البغض والحسد والقتال، ولكنه تطرف عندما رأى أن سبب ذلك هو النساء والأموال وأن العلاج هو : أن يبيحهما للناس جميعا ... فأحل النساء وأباح الأموال وجعلها شركة شائعة بين الناس جميعا، فكما يشترك الناس في الماء والنار والكلأ والهواء يشتركون كذلك في النساء والأموال. ولعل مذهبه هذا كان أساس فلسفة كارل ماركس الحديثة والتي تبناها الفكر الشيوعي اليوم.

إلا أن مزدك غلف فلسفته تلك بالدين، وقال كما قال ماني بنشوء العالم عن أصلين أزليين متطابقين : النور والظلام، وكان يقول بأن النور يفعل عن قصد واختيار، والظلام يفعل عن تخبط واتفاق (مصادفة).

انتشر مذهب مزدك واعتنقه كثير من الفقراء والمُعْدمين وعشاق اللذة الجنسية و لم يكتفوا بتطبيق مذهبهم على أنفسهم، بل أخذوا يتعرضون لأموال غيرهم ويتحرشون بنسائهم وبناتهم، حتى أن مزدك نفسه طلب من (قباذ) أن يبعث بامرأته ليتمتع بها المزادكة فناظره مناظرة شكلية تهدف إلى التغلب عليه فكريا وبيان فساد مذهبه، فلما أفحمه قتله وأتباعه.[1]

و من استطاع الفرار من أتباعه فقد اعتصم في جبال أذربيجان وأرمينية وغيرها.

-روى الشهرستاني عن المزدكية قوله:

(حكى الوراق أن قول المزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين، إلا أن مزدك كان يقول: أن النور يفعل بالقصد والإختيار، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق. والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى.

و كان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال، أحل النساء وأباح الأموال. وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء

[1] انظر : الهويدي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ص 51، والنشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1، ص185، والخضر حسين، محمد رسول الله، ص 26

والنار والكلأ وحكى عنه أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة)[1].

ج. الديصانية:

ظهرت في بلاد فارس مذاهب كثيرة قامت على الثنائية أيضا كالمانوية والمزدكية منهما (الديصانية) نسبة إلى ابن ديصان الفيلسوف الفارسي وقد أثبتوا أصلين : نورا وظلاما قالوا: أن النور يفعل قصدا واختيارا والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا.

و الفرق بين المانوية والديصانية هو : أن المانوية يقولون : أن النور والظلمة حيان، قادران، حساسان، وأما الديصانية فيقولون : أن النور حي قادر حساس، والظلام ميت، عاجز وجماد.[2]

د. المرقيونية:

و من المذاهب الثنوية "المرقيونية" أصحاب "مرقيون". وقد أثبتوا أصلين قديمين متضادين: أحدهما النور والآخر الظلام، وأثبتوا أصلا ثالثا وهو المعدل الجامع. وهو سبب المزاج فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع. وقالوا : أن الجامع دون النور في الرتبة وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم.[3]

كانت تلك أهم المذاهب التي تندرج تحت الديانات الفارسية وهناك غيرها مما يندرج تحت مذهب الثنوية أو الاثنينية. والحق أن بلاد فارس هي بلاد فلسفة الثنوية.

و قد أصاب الشهرستاني حين قال : أن هذه الثنوية هي ألزم سمات المذاهب المجوسية لأنها تتراءى في كل مذهب بلا استثناء[4].

و أكثر المذاهب المجوسية اعتدالا مذهب زرادشت الذي قال بوجود إله واحد حكيم خالق مبدع لا شريك له ولا ندّ له ولا مثيل له وهو فوق الخير والشر ولا ينسب إليه إلا الخير والصلاح وما الشر والفساد إلا أثر لضرورة امتزاج النور بالظلمة، وما النور والظلمة إلا مبدآن حادثان وضدان مخلوقان.

---

[1] الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص 54، وانظر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 266

[2] انظر : المصدر السابق، ج2، ص 55، والهويدي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ص 51، والنشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج2، ص 173 وص 180

[3] انظر : المصادر السابقة والباقلاني، التمهيد، ص 64

[4] انظر : الملل والنحل، ج2، ص 49، ودي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص 51

فالنور صفة للإله الواحد الحكيم، والظلام صفة للمادة الفانية وبامتزاج النور والظلمة خلقت موجودات هذا العالم وحصلت من تراكيبه المختلفة ... وحدثت الصور والألوان والأنواع من هذا التركيب !

- **و خلاصة القول في اليوم الآخر عند الفرس :**

يعتقد الفرس بوجود حياة أخرى بعد الموت يحاسب فيها الإنسان على أعماله ويجازى عليها خيرا أو شرا بحسب عمله.

و المحورين الأساسيين الذين تدور حولهما هذه الديانة يرتكز إلى أمرين اثنين :

1. بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.
2. بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادا.

و الديانة الزرادشتية –الديانة الفارسية القديمة– تعتقد بنوعين من القيامة : قيامة فردية وقيامة عامة.

فالبعث الفردي يتم بعد الموت وفيه يحاسب المرء على الأعمال الصالحة أو الشريرة التي دونت في كتابة، ووردت في الكتب الزرادشتية، تفاصيل حول يوم الحساب أي المحاكمة الفردية.[1]

و يعتقد الفرس بجملة من الأمور بعد الموت منها :

-الروح : فلابد لجميع الأرواح أن تجتاز قنطرة تصفى فيها حتى تتميز الروح الطيبة من الروح الخبيثة.

-الحساب والميزان : يعتقدون بالحساب والميزان فهناك معْبر للحساب يسمى جسر الانفصال والحكم الأخير وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة وهناك ميزان منصوب توضع في إحدى كفتيه حسنات الميت وفي الأخرى سيئاته وحسب ترجيح كفتي الميزان يكون الثواب أو العقاب للميت.[2]

[1] موسوعة الأديان السماوية والوضعية الديانات الوضعية المنقرضة ص 226

[2] انظر قصة الديانات، ص 293.

-**النعيم والعذاب** : يعتقد الفرس بأن النار عذاب الذين اقترفوا السيئات و لم تثقل موازينهم في الخير، فالروح الخبيثة لا تستطيع أن تجتاز القنطرة، وتسقط في درك من الجحيم .بما عملت من ذنوب، وهذا الجحيم مظلم ظلاما كثيفا.

أما النعيم، فالسماء هي جزاء الذين فعلوا الخيرات "أما أنفس الأبرار الذين حرصوا على أحكام النبي ووصاياه فإنهم يعبرون سالمين إلى السماء"[1].

[1] الملل والنحل، ج2، ص 47.

المبحث الرابع : من الديانات الوضعية الباقية : اليوم الآخر عند البوذيين .

– توطِئة:

لقد تعرضت الديانة الهندوسية شانها شأن الديانات الأخرى إلى انقسامات وهزات فخلقت فيها ديانات فرعية أو طوائف. وكانت الديانة البوذية من تلك الديانات الفرعية.

و في ظل النظام الطبقي الهندي القديم والذي كان يؤكد على قدسية طبقة البراهما فقد استبد هؤلاء وتعسفوا بطغيانهم، وتمنى الناس ظهور زعماء روحانيين ينقذونهم من ويلات البراهمة.

- **الديانة البوذية Buddism:**

كان سبب انتشار البوذية في الهند أولا يعود إلى تحكم وتسلط البراهمة مما أدى إلى نفور الطبقات الأخرى وخاصة الطبقات الحاكمة، ولعل السبب الثاني يكمن في صليب العقيدة الهندوسية، إذ أن وجود آلهة كثيرة تسيطر على الكون وتفرض نوعا من الوصاية البشرية بأن تجزأها إلى طبقات تتحكم واحدة بالأخرى وتفرض أيضا أنواعا من التعبدات والالتزامات الدينية قد أعْيت الناس !

- **العقائد البوذية :**

و تعتقد البوذية بتناسخ الأرواح، وأن الإنسان يستمر في الموت والمولد طالما كان بعيدا عن التعاليم والاعتقادات التي تبعده عن النجاة والنرفانا (Nirvana) ولم تعد النيرفانا في معتقدات بوذا كما هي الهندوسية إذ أن "بوذا" أنكر وجود آلهة فالخلاص لن يتم بالاندماج في الله ولكن بوصول الفرد إلى أعلى مراتب الصفاء الروحي بتطهير نفسه والقضاء على جميع الرغائب وفناء الأغراض الشخصية.

و هناك بعض القيود التي تمنع المرء من الوصول إلى النرفانا وهي :

1. الوهم الخادع في خلود النفس.
2. الشك في بوذا وتعاليمه.
3. الاعتقاد في تأثير الطقوس والتقاليد الدينية.
4. الشهوة.

5. الكراهية.
6. الغرور.
7. الرغبة في البقاء المادي.
8. الكبرياء.
9. الجهل.[1]

و لقد كانت الدعوة البوذية منصبة على إلغاء الطبقات عند الدخول في ديانتها والتنازل عن المال، ورفض الرهينة واحترام الحياة والمحبة الشاملة.

و قد ترك بوذا وصايا عشرا تجسم فلسفته في الحياة وهي :

1. لا تزن ولا تأت أي أمر يتصل بالحياة التناسلية إذا كان محرما.
2. لا تشرب خمرا ولا تتناول مسكرا ما.
3. لا تكذب ولا تقل قولا غير صحيح.
4. لا تقتل أحدا ولا تقضي على حياة حي.
5. لا تأخذ إلا ما يعطى إليك فلا تسرق ولا تغتصب.
6. لا تأكل في الليل طعاما غير ناضج.
7. لا تقتن أثاثا فاخرا.
8. لا ترقص ولا تحضر مرقصا ولا حفل غناء.
9. لا تستعمل العطور.
10. لا تقتن ذهبا ولا فضة.[2]

[1] مقارنة الأديان، ص 164، والهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص 18.

[2] تاريخ الآلهة الكتاب الثاني، ج2، فاروق الدملوجي، ص 45، وأبو زهرة، مقارنات الأديان، ص 76 وشلبي، مقارنة الأديان، ج4، ص 166.

و للبوذيين كتب مقدسة يعتمدون عليها في تعاليمهم الدينية إلا أنهم لا يدّعون أنها منزلة من الله بل يقولون بأنها مجموعة تعاليم "بوذا" التي جُمعت في عصور مختلفة وهي عبارة عن ثلاث مجموعات من الكتب وتسمى السلال الثلاث (pitakas) وتعرف المجموعة الأولى باسم (سلة النظام أو الطريقة) وتشمل القواعد والنظم التي يسير عليها الرهبان في حياتهم والثانية باسم (سلة العظات) وتضم تعاليم بوذا الأصلية مسلسلة وفق نظام خاص. أما الثالثة فتعرف باسم (سلة العقائد) وهي المسائل الفلسفية التي يتداولها البوذيون بوجه عام[1]. ومن الحري بالذكر أن الهندوس اعتبروا بوذا أحد آلهتهم فانحسرت البوذية التي رفضت الديانة الهندوسية، تحت ضغطهم عن الهند و لم يبق فيها إلا عدد ضئيل جدا من أتباعها وتوزعوا في البلدان المجاورة[2].

و كبقية الأديان فقد انقسمت الديانة البوذية إلى طائفتين :

أولهما : الهينايانا (Hinayana) : وهذه الطائفة تمسكت بمذهب بوذا باعتباره المعلم العظيم وليس الإله. وتعتقد هذه الطائفة بأن الوصول إلى النرفانا يتم في هذه الحياة. ويقطن أصحاب هذه العقيدة في جنوب الهند وفي سيلان.

ثانيهما : الماهايانا (Mahayana) : وهي تعتقد بألوهية بوذا، ولا يصل المرء إلى النرفانا إلا بعد المرور بتجارب كثيرة يتكرر فيها مولده وينتقل عبر حيوات كثيرة، وتسود هذه الطائفة في التبت ومنغوليا والصين واليابان[3].

[1] قصة الديانات، سليمان مظهر، ص 122

[2] الحكماء الثلاثة، أحمد الشنتناوي، ص 90-91

[3] The world's religions , P 127-129

و في نهاية بحثنا الموجز للبوذية نخلص إلى أنّ :

1. أن البوذية لم تكن في الواقع ديانة خالصة وإنما هي فلسفة اجتماعية غايتها تخفيف الآلام عن الناس وإسعادهم، وإلغاء الطبقات وتحقيق المساواة بين البشر جميعا لا فرق بين شخص وآخر بنسبة أو وظيفته وإنما بالموهبة والقدرة والعمل ولا فضل لأحد إلا بالمعرفة وسيطرة الإرادة الإنسانية بحيث لا تقوى اللذائذ عليها. ولذلك فإن البوذية لم تُعْن بالبحث فيما وراء الطبيعة، فلم تتجه إلى الدراسات التي تتصل بالجانب الإلهي.

2. و ليس في تعاليم بوذا شيء عن الله أو عن تقديم القرابين.

3. إن البوذية كالبرهمة والجينية تؤمن بتناسخ الأرواح، ومعنى ذلك أن الروح بعد أن يموت الشخص تحل في كائن آخر أعلى إن كان صالحا بارا وأدنى إن كان شريرا شقيا وربما وصل به التناسخ إلى الخروج عن درجة الإنسان إلى درجة الحيوان حيث تتقمص روح الشرير جسد حيوان.

4. لعل فلسفة بوذا تتلخص في كلمتين "السلام والحب" السلام لجميع الكائنات وحب الخير وعمل الخير للجميع، على الإنسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة وأن يزيل الشر بالخير، إن الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية مثلها، إنما تزول الكراهية بالحب: لا تقتل كائنا حيا، لا تسرق أو تأخذ ما لم يُعْط لك، لا تقل كذبا مطلقا، لا تقسم على دنس، لا تسكر أو تخدر نفسك، وهكذا استمر بوذا في نشر تعاليمه الإنسانية بين الناس حتى وافاه أجله المحتوم في عام 470 ق.م .

5. كثر أتباع بوذا وبمضي الزمن أخذوا ينسون أن تعاليمه كانت خُلقية خالصة و لم تكن ديانة مستقلة، وإن كل ما يعنيه هو سلوك الناس، أما الطقوس والشعائر الدينية وما وراء الطبيعة فلم يكن يهتم بها، نسي الأتباع ذلك وراحوا يؤلهون بوذا نفسه

و أخذت كتبهم المقدسة تتحدث عن الإله بوذا، وتصف كيف تقدم له القرابين، وبعد أن كان بوذا ينهى عن عبادة الأصنام أقام له أتباعه التماثيل في كل معبد وجعلوا منه إلها يُعْبد ..

و هكذا صارت البوذية دينا وأصبح لها كهنة .. أخذوا يفسرون تعاليمه بطقوسهم الخاصة مما أدى إلى وقوع الخلاف بين الأتباع وانقسامهم إلى طائفتين : طائفة تقدسه على أنه معلم

عظيم ويتواجد هؤلاء في جنوب الهند وجزيرة سيلان. وطائفة اعتقدت ألوهيته ويوجد هؤلاء في التبت ومنغوليا والصين واليابان إلى جانب من بقي منهم في الأرجاء الشمالية للهند .. ويبلغ مجموع أتباع بوذا الآن أكثر من أربعمائة مليون نسمة.

6. هناك تشابه كبير بين "مهاويرا" و"بوذا" من حيث نشأتهما وفلسفتهما فقد كان كل منهما أميرا هندوسيا .. اتصف بالشجاعة والإقبال على دراسة الهندوسية وتزوج كل منهما وعاش سعيدا ثم هجر بيته ليصبح كاهنا متوسلا ووجد كل منهما عيوبا في الديانة الهندوسية دعته إلى تبني فلسفة جديدة . وأما التشابه في فلسفتهما فقد تبع كل منهما طريق البرهمية في الاعتقاد بالكارما والتناسخ والنرفانا ورفضا فكرة قدسية الطوائف والخلاص بالصلاة وتقديم القرابين. ولكنهما اختلفا بعد ذلك في رسم قواعد السلوك الصحيح للإنسان فاختار "بوذا" الطريق الوسط، طريق الاعتدال وأعتقد أن التطرف شر بينما اختار "مهاويرا" طريق تعذيب النفس وأعتقد أن التجويع وتعذيب النفس يساعدان الإنسان على الوصول إلى الحياة الصالحة[1].

-و على ضوء ما تقدم، نستخلص ما يلي:

البوذية ديانة وثنية هندية تنسب إلى رجل يلقب بـــ (بوذا) أي العارف، واسمه (سذهاتا) نزع إلى العزلة والتنسك لكن على غير هدى من وحي أو دين إلهي، مما جعله يبتدع مبادئ وأخلاقا وسلوكا، ويشكل نظاما اجتماعيا ودينيا يميل إلى الإلحاد والوثنية. وكان ظهوره في القرن السادس قبل الميلاد.

– معتقدات البوذية وتعاليمها :

1. مسألة الألوهية :

كان بوذا في أول دعوته لا يتكلم عن الألوهية ويتحاشى الخوض في أمور الغيب، ثم تحول إلى محاربة الاعتقاد بوجود الله، وصار ينادي بالإلحاد. لكن بعد وفاة بوذا عبده البوذيون، وأقاموا له التماثيل والمعابد.

2. قانون الجزاء :

يعتقد البوذيون (و الهندوس) أنه لا بد من الجزاء على الأعمال خيرا أو شرا، لكنهم يرون

[1] أنظر : مظهر، قصة الديانات، ص 140-143

ذلك إنما يحدث في الحياة الدنيا، لذلك فهم ينكرون البعث والجزاء بعد الموت (يوم القيامة)، وينكرون الجنة والنار بلا دليل ولا برهان .. وأنى لهم ذلك، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن من أنكر البعث والجزاء والجنة والنار فهو كافر قال الله تعالى : " زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ " (التغابن، 7)

3. تناسخ الأرواح :

حين اعتقد البوذيون –و قبلهم الهندوس– بأنه لا بعث ولا جنة ولا نار وأنكروا (اليوم الآخر) اضطروا إلى القول بعقيدة تناسخ الأرواح، فهم يعتقدون أن من مات انتقلت روحه إلى حي جديد، فإذا مات الثاني انتقلت إلى ثالث وهكذا إلى ما لا نهاية، ثم هم يزعمون –بناء على قانون الجزاء– أن هذه الروح تلقى جزاءها على ما تعمله من خير أو شر (بالنعيم والشقاء) أثناء تنقلها من جسم إلى جسم. وهذا اعتقاد باطل ينافي ما ثبت في صحيح السنة من أن روح الإنسان بعد موته تنتقل إلى حياة البرزخ فإن كان صالحا عرجت إلى السماء طيبة طاهرة تتنعم بنعيم الله، وإن كان غير صالح أُنزلت إلى أسفل سافلين معذبة مهينة.

4. إلغاء نظام الطبقات :

البوذيون يحاربون نظام الطبقات الذي تقوم عليه الهندوسية (البرهمية) فهم يقولون بتساوي الناس في الحقوق والواجبات، وهذا ينافي شريعة الله وفطرته التي فطر الناس عليها قال تعالى : " أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ " (النحل، 17).

5. التسول والبطالة :

من تعاليم البوذية أنها توصي أتباعها بالتخلي عن أموالهم وعقاراتهم وحرفهم، ومد اليد للآخرين بالتسول والاستجداء، فهم يعيشون على البطالة والكسل. وهذه تعاليم لا تستقيم معها الحياة ولا ترتقي بها الأمم. على خلاف الإسلام الذي يأمر بالعمل والنشاط والقوة وينهى عن البطالة والكسل ويعاقب عليهما ويستعيذ منهما.

و البوذية من أوسع الديانات الهندية الإلحادية انتشارا –بعد الهندوسية– في الهند وخارجها. فلها أتباع في كوريا والصين واليابان ونيبال وأندونيسيا والتبت وسيلان وجاوه ومنغوليا وسيام وكمبوديا وبورما وتايلاندا وغيرها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الخامس : من الأديان السماوية السابقة للإسلام : الصابئة :

الفرع الأول : الصابئة في القرآن الكريم:

ورد ذكر الصابئين في ثلاث سور من القرآن الكريم :

-" إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ " (البقرة، 63)

-" إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ " (الحج، 17)

-" إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ " (المائدة، 69)

فهل ورد لفظ الصابئين في هذه الآيات للدلالة على أن الصابئة ديانة توحيدية كما يزعم الكاتبون عنها وغيرهم ؟ والجواب بالنفي قطعا، فقد ذكرت آية سورة الحج المجوس والذين أشركوا إضافة إلى الصابئين والنصارى، فهل الذين أشركوا أو المجوس أهل توحيد؟

و للسائل أن يقول : هل في اختلاف هذه الآيات بتقديم (الصابئون) ورفعها في آية المائدة ونصب (الصابئين) وتأخيرها في آيتي البقرة والحج غرض يقتضي ذلك .. ؟ فنقول : نعم هناك أغراض كثيرة ذكرها المفسرون منها :

-أولا : أن ترتيب الطوائف المذكورة في آية البقرة يراد منه : الترتيب الرتبي

أي : أنها ذكرت الأمثل والأسبق إلى أن وصلت لمن ليس له كتاب، ولا مراء في أن هذا السُلـــّم الرّتبي يقف (المؤمنون) بالكتب المنزلة السابقة (كصحف إبراهيم وغيرها) على أعلى درجاته، ثم يليهم (اليهود) لتقدم نبيهم وسبق زمانهم ثم (النصارى) لتأخر نبيهم وزمانهم.

و أما (الصابئون) : فيتفقون على أدنى درجات هذا السلم لكثرة مخالفاتهم ولما أخذوه في مذهبهم من بدع وخرافات، علاوة على أنهم ليسوا أهل كتاب منزل، لذلك تقدم ذكر النصارى على الصابئين لأن النصارى أهل كتاب، فمرتبتهم متقدمة على الصابئين الذين لا كتاب لهم.

و آخر الذين أشركوا في الذكر في هذه الآية : لأنهم وإن تقدمت لهم ازمنة وكانوا في عهد أكثر الأنبياء، إلا أنهم لما كانوا أكثرية في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم- اعتـــُبِروا من أهل زمانه، وبذلك يكون زمنهم متأخر عن زمن من سبقهم فأخر ذكرهم وقدم ذكر الصابئين على النصارى لأن زمنهم أسبق من زمن النصارى.

و الترتيب في آية سورة المائدة : كان لغرض نريد التنبيه عليه، فقد ورد لفظ (الصابئين) منصوبا بالياء في آيتي (البقرة والحج) عطفا على محل اسم إن، بينما ورد اللفظ نفسه مرفوعا (الصابئون) بالقطع عما قبله في آية (المائدة) والتغيير في الحكم الإعرابي عن طريق (القطع) لا يعد فصيحا إلا إذا كان هذا التغيير لهدف يراد التنبيه عليه كما أسلفنا.

فإذا قلنا : (إن محمدا وزيدا وعمرو قادرون على منازلة خالد) فلا يكون هذا القول فصيحا وبليغا إلا إذا كان (عمرو) في مظنة العجز عن منازلة خالد، فأردنا بهذا القطع تنبيه المخاطب إلى خطئه في هذا الظن، كما أردنا أن نؤكد على أن (عمرو) يقدر على ما يقدر عليه زميلاه (محمد وزيد) وما في آية المائدة من هذا القبيل.

فالصابئون وإن لم يكونوا أهل كتاب إلا أن حكمهم كحكم أهل الكتاب (اليهود والنصارى) في ارتباط الجزاء (و هو نفي الخوف عنهم يوم القيامة) بالشرط وهو الدخول في الإسلام عن اعتقاد صحيح وإيمان خالص بالمبدأ والمعاد واقتران ذلك بالعمل الصالح، وبهذا يتساوى الجميع في نظر الإسلام إذا ما دخلوا فيه، فلا فرق بين الجميع في الجزاء الأخروي، فضلا عن محو الإسلام لخطاياهم.

و زاد القطع إلى الرفع في الصابئون الحكم توكيدا، فيكون الصابئون مرفوعا على الابتداء والخبر محذوفا. ويكون تقدير الكلام : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. والصابئون كذلك) قال في تفسير المنار[1] (و لما كان هذا ... أي: إشراك الصابئين مع اليهود والنصارى في الحكم غير معروف عند المخاطبين في هذه الآية، وكان الصابئون غير مظنة لإشراكهم في الحكم مع أهل الكتب السماوية حسن في شرع البلاغة أن ينبه على ذلك بتغيير نسق الإعراب).

-ثانيا : إن سياق كل آية من الآيات الثلاث مختلف عن سياق الأخرى:

فالمخاطب بآية (البقرة) هم اليهود .. لأن أكثر من نصف سورة البقرة يتحدث عنهم وسورة البقرة كما هو معلوم أول ما نزل من القرآن بالمدينة، واهتمامها بهذه الطائفة من الناس يرجع أولا : لسُكْناهم إلى جوار الدولة الإسلامية الوليدة .. وثانيا إلى بروز شوكتهم وحقدهم، فجاءت الآية في ثنايا مقطع قرآني تناول بالذكر ما حل باليهود من ذلة ومسكنة، وما نزل بهم من غضب ونقمة يستحقونها، فقال سبحانه وتعالى في الآية السابقة للآية موضوع البحث (الآية 61) : " وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ

﴿٦١﴾ " (البقرة، 61)، وهذا السياق يوحي باليأس ويغري بالقنوط من رحمة الله، ولربما توهم

[1] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج1 / 477

الخلف ضياع إيمان أسلافهم وأن رب السماوات و الأرض على عداوة مع جنسهم، فجاءت آية البقرة لتدفع عن نفوسهم هذا الظن السيء بالله، ولترفع هذا الوهم الخاطئ، ولتبين رحمة الله بعباده مهما كانت أجناسهم، فهو سبحانه لا يؤاخذهم بسبب الجنس والنسب، وإنما يؤاخذهم على تركهم العقيدة الصحيحة، فالمناسب في هذا المقام ترتيب تلك الطوائف الأربعة ترتيبا رُتـــيبا –كما أسلفنا– يقف على أعلى درجاته المؤمنون ويقف في أدنى درجاته الصابئون، لأنهم لا كتاب لهم منزل كما للطائفتين الموجودتين من اهل الكتاب (اليهود والنصارى) وقت نزول القرآن، الوارد ذكرهما في قوله تعالى : " أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ " (الأنعام، 156) فوجب ان يكونوا متأخرين في الذكر عن أهل الكتاب لأنهم ليسوا أهل كتاب.[1]

و سياق آية المائدة: ينعى على أهل الكتاب من يهود ونصارى عدم حكمهم بما أنزل الله بل يغريهم السياق في آيات عديدة إلى قبول الإسلام فقال سبحانه : " وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ " (المائدة، 65).

ثم جاءت آية المائدة المتحدث عنها لتبين أن (الصابئين) مع ميْلهم عن الأديان يتاب عليهم إذ صح منهم الإيمان والعمل الصالح، فلا شك أن أهل الكتاب أولى بالتوبة منهم إذا صح منهم الإيمان.

أما سورة الحج : فجاءت في سياق سورة يمتاز أسلوبها في مجموعة بالقوة والشدة والإنذار والتحذير وغرس التقوى في القلوب بأسلوب تخشع له القلوب، وتستعرض مشاهد الكون ومشاهد القيامة ومصارع الغابرين، فرتبت الآية الطوائف المذكورة ترتيبا زمنيا، وبينت أن من يؤمن إيمانا صادقا يناله الثواب، ومن يكفر ينزل به العقاب وهناك أغراض وفوائد أخرى يلمسها

1 الليدي داروود: الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، مكتبة خياط، بيروت 1963، ص 9 وما بعدها.

المتدبر للآيات والقارئ لما كتبه أسلافنا من المفسرين.

و من كل ما سلف نستنتج أن الصابئين ليسوا أهل كتاب وتوحيدهم المزعوم إن وجد من قبيل توحيد إخناتون الذي وحد قومه على عبادة الشمس والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وقد اختلفت آراء المفسرين في تفسير كلمة "الصابئين" التي وردت في القرآن الكريم اختلافا كبيرا. وقد أورد ابن كثير في تفسيره[1] جملة آراء من سبقه ومن عاصره من المفسرين وقد جاءت –باعتباره من المفسرين المتأخرين–[2] كثيرة ومختلفة نوجزها فيما يلي :

-قال مجاهد : الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين.

-وقال أبو العالية : والربيع بن أنس، وجابر بن زيد، والضحاك، وإسحاق بن راهوية: الصابئون فرقة من هل الكتاب يقرؤون الزبور[3] ولهذا قال أبو حنيفة وإسحاق لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم.[4]

-و روى عن الحسن البصري أنه قال فيهم : أنهم كالمجوس وفي رواية أخرى عنه أنه قال : هم قوم يعبدون الملائكة.[5]

-و قال أبو جعفر الرازي : بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون للقبلة. واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء أو بمعنى أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها.

-و بعد أن أورد ابن كثير[6] : أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه.

قال : ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل

---

[1] تفسير القرآن العظيم، انظر : ج1، ص 104

[2] أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة 774 هـ

[3] المزامير : عدة أبواب من التوراة ينسب 73 منها إلى داور عليه السلام ولذلك عرفت بمزامير داود وقد وردت في القرآن الكريم بلفظ الزبور والزبر قال تعالى : " وإنه لفي زبر الأولين" (الشعراء 196)، و"آتينا داود زبورا" (النساء 163)

[4] الصابئة المندائيون، ص 13 وما بعدها.

[5] الحسني عبد الرزاق: الصابئون، ط3، مطبعة العرفان صيدا، بيروت 1970، ص 27-28.

[6] تفسير ابن كثير، ج1، ص 104.

الأرض إذ ذاك.

-و قال الطبرسي في تفسيره : والصابئون جمع صابئ وهو من انتقل إلى دين آخر وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره سمي في اللغة صابئا.[1]

-و تأمل أيضا في قوله تعالى : " إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ "

(البقرة، 62)

تجد أن الله قد طمأن من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من الصابئين. وفي هذا إشارة واضحة إلى أن الصابئة ليسوا كفرة وليسوا ملحدين وإنما لمن آمن منهم بالله واليوم الآخر.

فمن هم الصابئة الموحدون الذين عناهم القرآن الكريم؟ وهل لهم وجود الآن وما سبب الاختلاف الكبير في أقوال المفسرين؟ هذا ما سيتضح لنا من ثنايا البحث.

الفرع الثاني : عقائد الصابئة :

أ. أصول الدين الصابئي :

و أما أصول الدين الصابئي : فهي –كما هو مدون في كتبهم الدينية– تتلخص في أنهم يؤمنون بالله ويترهونه غاية التنزيه ويصفونه بأرفع الصفات. ويؤمنون باليوم الآخر والحساب والجزاء والنعيم والعذاب في عالم النور أو عالم الظلام، ويعتقدون بالملائكة وبأنهم مخلوقون لله وأن مقرهم الكواكب ولذا يعظمون تلك الكواكب ويؤمنون بأنه لا بد من متوسط روحاني "ملك" يهدي الناس إلى الحق ويكون شفيعا ووسيطا لهم عند الله –تعالى–

و هم يتطهرون ويصلون ويصومون عن أكل اللحوم حوالي خمسة أسابيع متفرقة أيامها على طول السنة.[2]

[1] أنظر: مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، ج1، ص 126 .

[2] الحسني عبد الرزاقك الصابئون، ص 54 وما بعدها.

و لهم طقوس كثيرة أهمها : احترام النجوم واستقبال نجم القطب وتكريم الكواكب السيارة ولديهم شعائر كثيرة أهمها : الارتماس في الماء الجاري ولأجله التزموا الإقامة على ضفاف الأنهار وبقرب المياه الجارية ولهذا أيضا أسماهم من جاورهم "المغتسلة والسابحة" إشارة إلى تلك الشعيرة المهمة.

و قد بين لهم دينهم الحلال والحرام في القول والفعل والعمل وشرع لهم أحكام الأسرة من زواج وطلاق ميراث.[1]

يقول الشهرستاني تحت عنوان "مذهب أصحاب الروحانيات"[2] ويذهب هؤلاء : أن للعالم صانعا فاطرا، حكيما، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين إليه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا.

أما الجوهر : فهم المقدسون عن المواد الجسمانية المبرؤون عن القوى الجسدانية المترهون عن الحركات المكانية والتغييرات الزمانية. قد جبلوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسبيح : " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ " (التحريم، 6).

ب. عقائد الصابئة :

لا شك في وجود صلة ما وتشابه أو اشتراك في بعض العقائد والشعائر بين من يدعون صابئة حران "الحرانيين" وصابئة بطائح العراق "المندائيين" إذ لم يكن من قبيل المصادفة

أن يشير ذلك الشيخ الحراني على بني قومه أن يقولوا : نحن صابئون، وذلك عندما شدد عليهم المأمون الخناق وخيرهم بين أحد أمرين :

---

[1] انظر : العقاد، أبو الأنبياء، ص 112، وعبد الرزاق الحسني، الصابئون، ص 35 والدكتور يحي الهويدي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية 46، والشيخ محمد الخضر حسين، محمد رسول الله ص 24، وبدوي ورومي، مقدمة الصابئة المندائيين، ص 21، والليدي دراور، الصابئة المندائيون ن ص 27

[2] الملل والنحل، ج2، ص 64-66، وانظر : محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج5، ص 426

إما أن ينتحلوا دين الإسلام أو دينا من الأديان التي ذكرها الله في القرآن أو يتعرضوا للقتل عن آخرهم[1].

و كذلك لم تكن من قبيل المجاملة تلك العبارة التي وردت في كتاب المندائيين المقدس "حران كويثا" وهو يؤرخ خروج المندائيين من فلسطين إلى جبال ميديا .. " وفي حران وجدوا إخوانا لهم في الدين".

و لعل أهم تشابه بينهما هو تعظيم الكواكب .. ولكن مع فارق جوهري فبينما تجد الحرانيين يعبدون الكواكب مباشرة لتشخيص الله فيها –عندهم- ويبنون لها الهياكل ويجعلونها مدبرات هذا العالم .. نجد المندائيين يحترمونها فقط لكونها مقرا للملائكة فالتعظيم والاحترام إذن إنما هو للملائكة لا للكواكب ذاتها.

و الواقع أن هذا التشابه مع عدم تحسس ذلك الفارق الجوهري دفع الكثير من الباحثين قديما وحديثا إلى التسوية بين الفرقتين في الحكم ونعْتِ الصابئة عموما بعبادة الكواكب.

و الحق أن شعائر المندائيين المعاصرين لم تخل من تقديس الكواكب كالاتجاه إلى نجم القطب في العبادة وممارسة بعض رجال الدين منهم التنجيم، وقد دفع ذلك العقاد وهو يتحدث عن عقيدتهم ويصف الصابئة بأنها ملتقى التوحيد القديم والوثنية القديمة : " فإن بقايا التنازع بين المعتقدات ظاهر في العقائد الصابئية يكاد بعضها أن يكون ردا على البعض الآخر فلا وثنية ولا إيمان بالكواكب من جهة ولا خلاص في الوقت نفسه من الوثنية والإيمان بالكواكب على صورة من الصور ..[2]

1. عقيدتهم في الله :

يعتقد المندائيون أن الله واحد أزلي أبدي لا أول لوجوه ولا نهاية له منزه عن عالم المادة والطبيعة لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق وأنه لم يلد ولم يولد وهو علة وجود الأشياء ومكونها.[3]

---

[1] انظر : ابن النديم، الفهرست، ص 32

[2] العقاد: أبو الانبياء، ص 114، وانظر : بدوي ورومي، مقدمة الصابئة المندائيين، ص 21

[3] عبد الرزاق الحسني، الصابئون، ص 43، ومجلة الإعراب العدد 112 عام 1968 م.

و قد أجاب أحد المندائيين المعاصرين على سؤال : من هو الله ؟ بقوله "هو الحي الأزلي خالق السموات والأرضين وكل ما فيها وما عليها ورب الجميع".

و من صفاته : أنه ملك عالم الأنوار السامي رب الحق ذو الحول الشامل، الذي لا شبيه له النور النقي الذي لم ير، و لم يسمع الغفور التواب الرحمن الرحيم العارف بكل شيء العليم الحكيم لا شريك له بسلطانه.[1]

2. عقيدتهم في الروحانيات :

يعتقد المندائيون بأن الملائكة مخلوقون لله وأنهم متزهون من المادة قد فطروا على الطهارة وجبلوا على التقديس والطاعة ويعتقدون أن فريقا من جنسهم قد أوكل إليهم مساعدة الخالق – تعالى- وتدبير الكون وإدارة شؤون العالم.

منهم : "هبيل زيوا" و"أباثر" و"بثاهيل" يعلمون كل شيء ويعرفون الغيب ولكل منهم مملكة في عالم الأنوار "المي دهورا" ولذلك فهم يلون الله في المنزلة والأهمية والإجلال والتعظيم[2].

و يعتقد المندائيون بالأرواح الخبيثة ويسمونها "موخون" ويقولون أنها مختلفة الأديان فمنها صابئة ومنها يهود ومنها نصارى ومسلمون ومن هذه الأرواح ما هو موكل بعذاب النفوس في "المطراثي" ومنها ما هو مغري بتجربة البشر واستدراجهم إلى المعصية ومنها ما دأبه إلحاق الأذى بالناس. فهم بمنزلة الجن عند غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى[3].

3. عقيدتهم في النبوة :

النبوة بمعنى أن يزود الله إنسانا بالدين والمعرفة –اصطفاءا وتشريفا- ويترل عليه صحفا أو كتبا أو يوحى إليه بشرع ويبعثه ليعلم الناس ويهديهم ويرشدهم إلى الشرع والدين مرفوضة عند المندائيين لأن الله لا يكلم أحدا من البشر ولأن المبعوث مشارك للمبعوث إليه في المادة والصورة فمن أين لنا طاعته ؟ وبأي مزية لزمت متابعته، قالوا : ولئن أطعتم بشرا مثلكم أنكم إذا

[1] غضبان رومي، تعاليم دينية لأبناء الصابئة، ص 19.

[2] أنظر : الليدي دراور، الصابئة المندائيون، ص 133، وأساطير وحكايات شعبية،صابئية، ص 15، والحسني، الصابئون، ص 43

[3] الحسني، الصابئون ن ص 44، والليدي دراور، الصابئة المندائيون، ص 27

لـــخـــاسرون.

و هم في لوقت الذي ينفون فيه نبوة أحد من البشر يقولون : لا بد من مخلوق متوسط بين الروحانية والمادية يهدي الناس إلى الحق، يستمد المعرفة من الحضارة القدسية ويفيض الفيض على الموجودات السفلية فكلام الله لا يصل إلى الناس إلا بواسطة مخلوق بين النور والتراب. ويذهبون إلى أن الإنسان الذي يهذب أخلاقه ويروض نفسه على الطاعة والعبادة يحصل لنفسه استعدادا واستمدادا من غير واسطة ويكون حكمه وحكم من يدعي الوحي "النبي" على وتيرة واحدة. ومن هذا القبيل –في نظرهم- آدم وشيت وإدريس ويحيى عليهم السلام فهم ليسوا أنبياء بالمفهوم والمعروف للنبوة عند أهل الأديان المترلة من الكشف إلى المعارف العليا. وتذوقوا تلك المعارف تذوقا مباشرا ولذلك يصفونهم في كتبهم المقدسة بأنهم معلمون معرفيون .. وإذا ما وصفوهم بالأنبياء فإنما يقصدون ذلك أي أنهم معلمون يستمدون معارفهم بطريق الكشف والتذوق المباشر لا بطريق الوحي ولا بواسطة الاستنتاج والاستدلال. والتشريعات والكتب التي ينسبها المندائيون إلى هؤلاء المعرفيين لم يدعوا أنها مترلة عليهم من الله وإنما هي من معارفهم بواسطة الكشف والفيض الإلهي ليس غير.[1]

تقول الليدي دراور في عقيدهم في يحيى عليه السلام : "الصابئون لا يدّعون بأن دينهم أو شعائرهم التعميدية قد جاء بها يوحنا، بل أن كل ما ينسب إليه هو أنه كان معلما عظيما وأنه كان يمارس وظيفة التعميد ككاهن وأن تغييرات دينية معينة تنسب إليه كتقليل أوقات الصلاة، وعددها من خمسة إلى ثلاثة أيام فهو كان بالنسبة لتعاليم الصابئين "ناصورائيا" أي ضليعا في العقيدة، ذا معجزات تعالج بصورة رئيسية شفاء أبدان الناس وأرواحهم فهو يفضل علمه "ناصورثة" لا يقله الحديد ولا تحرقه النار ولا يغرقه الماء".

و عيسى عليه السلام بالنسبة للاّهوتيين الصابئين "ناصورائي" أيضا إلا أنه خرج على الدين وقاد الناس إلى دين آخر وباح بالعقائد الباطنية وجعل الدين أكثر يسرا[2].

و جاء في كتاب "حران كويثا" أن المسيح كان على ملة الناصورائيين المندائيين وأنه بعد أن

---

1 الليدي داروود: أساطير وحكايات شعبية صابئية، مطبعة الأديب البغدادية، دت، ص 17.

2 الصابئة المندائيون، ص 42

تعمد على يد "يوحنا المعمدان" خرج على ملتهم واتخذ له ملة جديدة[1].

ومر بنا أنهم يقولون : أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان على ملة المندائيين (بل قد كان "ناصورائيا") وأنه خرج على ملتهم وأخذ يناصبهم العداء.

و جاء في كتاب "كتره ربه" أنه كان قبل ظهور يحيى ملك يسمى "دارا ملكه" ولما مات تشتت الصابئة وتبعثرت كتبهم بفعل الحروب التي دارت بينهم وبين اليهود، فلما ظهر يحيى جمع ما تبقى من هذه الكتب وصنف كتبا أخرى وزعها على أتباعه كما استعاد الصابئين الفارين من ظلم اليهود وأمرهم بالرجوع إلى كتبهم القديمة فمنهم من لبى الطلب ومنهم من رفضه[2].

إن كتب المندائيين لم تخل من كلمتي النبوة والرسالة وأنها وصفت الناصوارائيين بهما. فقد جاء في كتاب "حران كوثيا" و"دراشه أديهيا" أن يوحنا كان نبيا ورسولا ومثل هذا الوصف ووجود هاتين الكلمتين في كتبهم يساعد المندائيين على مجاراة أهل الأديان المترلة المعايشين لهم على إدعاء أن لهم أنبياء ورسلا كما لغيرهم وأن دينهم ذو جذور سماوية ومما يقوي ادعاؤهم هذا إيمانهم بإله واحد !

4. عقيدتهم في الموت والحياة الأخرى والجنة والنار :

يعتقد المندائيون أن الموت انتقال من العالم المادي (الذي هو بمثابة سجن ومنفى مؤقت للروح التي سرعان ما تتحرر بالموت وتنتقل) إلى العالم الروحي وتخلد هناك، لأن عندهم الجسد فان والروح خالدة ولكن بعد أن تحاسب حسابا عسيرا بأن توزن أعمال صاحبها فإن رجحت حسناته فإن روحه تذهب إلى عالم الأنوار "الجنة" وتتنعم هناك بما يتنعم به القديسون والروحانيون. وإن رجحت سيئاته فإن روحه تـــُقاد إلى المطهر "المطرائه" في عالم الظلام "النار" حيث تتعذب فيه بدرجات متفاوتة إلى أن تتطهر من ذنوبها ثم ترسل إلى عالم الأنوار.[3]

– المحرمات عند المندائيين :

يحرم دين الصابئة كثيرا من الأمور أهمها :

---

[1] بدوي ورومي، هامش أساطير وحكايات شعبية صابئية، ص 30

[2] الحسني، الصابئون، ص 64

[3] غضبان الرومي، تعاليم دينية لأبناء الصابئة، ص 25، وبدوي ورومي، مقدمة كتاب الصابئة المندائيون، ص 19، والحسني، الصابئون ن ص 130 و138

-القتل والقتال إلا في حالة الدفاع عن النفس.

-احتساء الخمر حتى السكر، ولعب الميسر مطلقا.

-الأكل والشرب والاشتغال قبل الاغتسال من الجنابة.

-قطع الطريق وسلب المارة.

-الاشتغال في الأعياد وفي أيام الأحد.

-الفتنة والغيبة والنميمة.

-الحبس عن دين مهما كانت مدته.

-حلق الذقن والشارب والأخذ منها.

-حلف اليمين وإن كان صدقا.

-الزنا واللواط.

-الختان.

-مؤاكلة أصحاب الأديان الأخرى.

-النظر إلى المحصنة بريب.

-شهادة الزور.

-الربا وربح الربا.

-خيانة الأمانة.

-أكل لحم كل ذي ذنب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

الأصول الكتابية[1] لعقيدة البعث في الأديان الإبراهيمية.

[1] الكتابية: باعتبار أن الكتاب من أسماء القرآن الكريم.

مبحث تمهيدي: في ضبط المصطلحات الإسكاتولوجية للعهديْن :

1. الفكر الأخروي :

يشار إليه في الإنجليزية بكلمة **"إسكاتولوجي"** من الكلمة اليونانية **"إسكاتوس"** ومعناها "آخر" أو "بعْد" . ويشير المصطلح إلى المفاهيم والموضوعات والتعاليم الخاصة بما سيحدث في آخر الزمان، وإلى العقائد الخاصة بعودة الماشيح والمحن التي ستحل بالبشرية بسبب شرورها، والصراع النهائي بين قوى الشر وقوى الخير (حرب ياجوج وماجوج)، والخلاص النهائي، وعودة اليهود المنفيين إلى أرض الميعاد، وإلى يوم الحِساب وخلود الروح والبعث، وهي الموضوعات التي تظهر أساسا في كتب الرؤى (**أبوكاليبس**)، والتي تعود جذورها إلى الحضارات البابلية و**المصرية** والكنعانية، وخصوصا **الفارسية الزرادشتية**.

و قبل الخوض في هذا الموضوع **بتعريفاته المختلفة وتناقضاته المتعددة**، لابد أن نميز بين التفكير الأخروي داخل **إطار حلولي** والتفكير الأخروي داخل إطار **توحيدي**، فالفكر الديني التوحيدي يفترض وجود إله خارج الزمان والطبيعة ويتجاوزهما ومن ثم تتحدد الثنائيات الفضفاضة المختلفة (التي يشكل الإله نقطة الوصل بينها دون أن يملأ الثغرة التي تفصل بينها). وينجم عن ذلك أن التفكير الأخروي يتحدد باعتباره حدثا كونيا يقع لا في آخر الزمان وإنما خارجه، ولا يقتصر على مجموعة من البشر دون أخرى بل يشمل كل البشر، ويرتبط تماما بفكرة الثواب والعقاب للفرد لا للجماعة، أي أن التفكير الأخروي (ورؤية الخلاص) يدور في إطار أخلاقي عالمي إنساني.

أما **التفكير الأخروي** في **الإطار الحلولي**، فيقف على النقيض من ذلك تماما وبسبب حلول الإله في التاريخ والإنسان والطبيعة وكمونه فيها، فإن كل الثنائيات تمحي (أو تتحدد بشكل صلب)، وتقع الآخرة في نهاية التاريخ (داخل الزمان لا خارجه)[1]، وهي حدث تاريخي وكوني في آن واحد تدور احداثه حول شعب واحد مختار لا أفراد مسؤولين، كما أنها لا ترتبط بالقيم

[1] ج.أ وليامسون: دراسة في الأخرويات بحسب العهدين، ترجمة بخيت متى. مراجعة د.أسطفانوس، الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط، الفجالة، ص 11.

الأخلاقية أو الثواب أو العقاب.

و يمكننا ان نقول إن **التفكير الأخروي اليهودي** كان يدور في البداية داخل إطار حلـــولي كامل ثم تحرر منه بالتدريج في **كتب الأنبياء**، ثم عاد وبدأت عملية السقوط التدريجي في الحلولية في أسفار الرؤى (أبوكاليبس)، وتزايدت معدلات الحلولية في التلمود، إلى أن نصل إلى القبـــالاه حيث نصل إلى نقطة وحدة الوجود الروحية التي يتبعها حلول بدون إله في العصر الحديث، أي وحدة الوجود المادية. وهناك، في العهد القديم، عبارة ليست مرادفة تماما لكلمة **"إسكاتولوجي"** وهي عبارة **"أحريت هياميم"** التي تحمل تضمينات أخروية وتعني حرفيا **"نهاية الزمان" أو "آخر الأيام"**. وتعني عبارة **"آخر الأيام"** التي سنستخدمها في هذا البحث **ثلاثة مواضيع مختلفة** :

1) ففي أسفار موسى الخمسة، قد تكون العبارة بمعنى "في المستقبل" أو "في الأيام المقبلـــة". وبالتالي، فإن الإشارة في مثل هذا السياق تنصرف إلى مراحل تاريخية زمنية تالية، وقد تأتي بعدها مراحل أخرى.

2) و لكن العبارة قد تـــرِد أيضا بمعنى "الأيام الأخيرة" وهي هنا تعني "آخر المراحل التاريخية" التي لا تأتي بعدها مراحل أخرى، ولكنها تظل مع هذا مرحلة زمنية.

3) ثم اكتسبت العبارة، فيما بعد، دلالة جديدة تماما، بحيث أصبحت تشير إلى ما بعد البعث. وفي القرون الأخيرة قبل الميلاد وبعده، ظهر مصطلح آخر هو "كيتس هياميم"، ويعني حرفيا "نهاية الأيام" (دانيال 13/12)، وهو مفهوم يشير بوضوح إلى ما بعد البعث، قارن ذلـــك بمـــصطلح "وقت المنتهى" (دانيال 17/8).[1]

و قد اجتازت المفاهيم الاخروية عدة تطورات، ولكن على الطريقة الجيولوجية التي يتسم بها النسق الديني اليهودي. فالمفاهيم الحلولية القديمة للآخرة لم تكن تستبعد، بل كان يكتفى بضم المفاهيم الجديدة إليها، فتتعايش معها جنبا إلى جنب أو تكون الواحدة فوق الأخرى[2]، ولذا، لا يتسم الفكر الأخروي اليهودي عبر تاريخه بالوضوح أو التجدد، إذ ظلت هناك أسئلة خلافيـــة

[1] بروس أنيستي: الأحداث النبوية من الاختطاف إلى الحالة الأبدية، عربه: ثروت فؤاد، مكتبة الأخوة، القاهرة، ص 23.

2 المرجع نفسه، ص 13.

تركت دون حسم من بينها ما يلي :

1) هل ستقع آخر الأيام داخل الزمان والتاريخ أو ستقع خارجهما ؟

2) هل تختص آخر الأيام بمصير الشعب اليهودي وحده أو تختص بمصير الشعوب كافة؟ وهل للشعب اليهودي دور خاص أم انه سيكون شعبا واحدا ضمن شعوب أخرى عديدة متساوية في المصير ؟

3) هل المقصود بالشعب اليهودي الشعب ككيان جماعي أو اليهود كأفراد؟

4) ما هي علاقة البعث بالثواب والعقاب في آخر الأيام ؟ وإذا نظرنا إلى أسفار موسى الخمسة وأسفار يوشع والقضاة، وإلى الفكر الديني الإسرائيلي في القرون الأولى من حكم الملوك، لما وجدنا أية إشارة إلى مفاهيم أخروية محددة حقيقية. ومع هذا، يمكن القول بأن ثمة عناصر أخروية تسِم الفكر الديني اليهودي في مرحلة ما قبل السبي. فأعضاء جماعة إسرائيل كانوا يعبدون الإله الذي اختارهم، وعقد عهدا أو ميثاقا معهم، وحل في تاريخهم، ولذا فإنه يتجلى فيه من آونة إلى أخرى مثلما فعل حينما خرج بهم من مصر، ثم هزم أعداءهم ووعدهم بأرض كنعان وساعدهم على غزوها. ولقد أصبح تدخل الإله في التاريخ، ونصره للشعب، من ثوابت الفكر الأخروي اليهودي فيما بعد[1]، وإن كانت الآخرة هنا مجرد نقطة تحول جوهرية في التاريخ نفسه، مثل الخروج من مصر أو الاستيطان في كنعان، ولا تشكل نقطة نهاية إذ تتبعها مرحلة تاريخية أخرى مختلفة نوعيا عن المرحلة السابقة ولكنها تظل مع هذا نقطة في الزمان، وهي في هذا لا تختلف كثيرا عن التغيرات النوعية أو الطفرات التي تؤدي إلى "التقدم" إذا ما أردنا استخدام المصطلحات الحديثة.

والواقع أن هذا المفهوم الأخروي يعني التدخل المستمر من قبل الإله في التاريخ وحلوله فيه، وإن كان ثمة نهاية، فهي تتجلى في الفكرة البدائية الخاصة بيوم الرب[2]، ذلك اليوم الذي ستسُود فيه جماعة إسرائيل على الجميع، أي أنها رؤية أخروية حلولية مادية تتحقق داخل التاريخ. وقد تطور الفكر الأخروي اليهودي على يد الأنبياء، وظهر كل من عاموس وهوشع مع بداية حكم الملوك، فتطور الأول فكرة يوم الرب، بحيث تحولت إلى فكرة يوم الحساب، وهو مفهوم

1 حكيم حبيب: مفهوم إسرائيل في الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة 1991، ص 34-36.

2 عزيز فهيم: ملكوت الله، دار الثقافة، القاهرة، ص 64 وما بعدها.

أكثر عالمية وأخلاقية إذ أنه اليوم الذي سيحاسب فيه الإله اليهود وغير اليهود[1]. وقد تعمق المفهوم الأخروي، إذ يشير عاموس إلى تغيرات ستدخل على الطبيعة مثل كسوف الشمس، وقد استخدمها بشكل مجازي، ولكنها مع هذا فسرت حرفيا ثم أصبحت عنصرا ثابتا في الفكر الأخروي منذ ذلك التاريخ. ورغم أن عاموس يتحدث عن عقاب الآثمين من اليهود وغير اليهود، فإنه يعرف أن الإله وفيّ لشعبه. وهنا ظهرت في سفر عاموس، ثم في سفر هوشع، فكرة البقية الصالحة التي ستنجو من الهلاك، وظهرت أيضا فكرة تجديد الميثاق أو العهد مع الإله واسترجاع جماعة إسرائيل وعودتها، كما ظهرت فكرة السلام الذي سيعم الأرض ويشمل كل الأمم[2].

و رغم أن كثيرا من ثوابت الفكر الأخروي اليهودي قد تحددت على يد الأنبياء، فلم تكن هناك حتى هذه الفترة إشارات إلى "آخرة" تقع خارج التاريخ، إذ تظل الآخرة مجرد مرحلة زمنية لها ملامحها الفريدة ومختلفة عما سبقها من مراحل. ويلاحظ أن الفكر الأخروي يتطور من خلال سياقين : أحدهما محلي، وهو ما يحدث داخل المجتمع العبراني، والآخر دولي، وهو ما يحدث حوله ويؤثر فيه. وقد تأثر فكر عاموس الأخروي بالاستقطاب الاجتماعي الذي شهده عصره، فظهرت فكرة العقاب الذي سيحيق بالآثمين من جماعة إسرائيل. وتعمقت كل هذه الاتجاهات في نبوءات أشعياء الذي تنبأ بخراب كامل لجماعة إسرائيل وللأمم الوثنية (و يلاحظ أن الاضطرابات التي تصاحب آخر الأيام بدأت تأخذ بعدا كونيا).

وقد قام أشعياء بوصف الملك الثاني ليهودا والذي سيكون في المستقبل، وأدخل بذلك فكرة الماشيح، كما وصف السلام الذي سيعم العالم، ويأخذ شكل عودة إلى حديقة عدن، وبذلك بدأت تظهر بذور فكرة الجنة في الفكر الأخروي[3]. أما في سفر ميخا، فتظهر فكرة جبل صهيون كمركز للخلاص النهائي، كما تظهر موضوعات مثل قرب النهاية في سفر صفنيا، والحرب الكونية التي تسبق النهاية في سفر يوئيل. ويلاحظ ان الآخرة، رغم كل التحولات التاريخية والكونية المصاحبة لها، لا تزال زمنية، وما يحدث فيها هو واقعة تاريخية داخل الزمان.[4]

و تشكل واقعة السبي نقطة تحول في تاريخ الافكار الأخروية، إذ تكتسب فكرة العودة

---

[1] المرجع نفسه، ص 51.

2 شارلز باس: خلفيات حول الوعد الإلهي، دار العودة، بيروت 1960، ص 49

[3] المرجع نفسه، ص 53-54.

[4] إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل والتلمود، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت 1991، ص 22 إلى ص 27. بتصرف.

وإعادة بناء الهيكل مركزية حقيقية تظهر في سفر حزقيال، وتصبح الحرب الكونية ن حرب ياجوج وماجوج، من العلامات المهمة على آخر الأيام. ويصبح التاريخ مجرد تعبير عن خطة إلهية مقررة مسبقا[1]. كما ان الأبعاد الكونية أصبحت أكثر وضوحا وبروزا، وأصبحت الأفكار الأخروية لا تتحدث عن بداية مرحلة تاريخية جديدة، وإنما عن تحول كوني كامل نتيجة تدخل إلهي. ثم تظهر، في سفر ملاخي، شخصية إلياهو العجائبية التي ستأتي في يوم الرب. ويدل ظهور كل هذه الموضوعات ضمن الفكر الأخروي، على أن الفكر الرؤياوي (الأبوكاليبسي) أخذ يتغلغل ويحل محل الفكر النبوي، كما يتضح في الإصحاحات الستة الأخيرة في سفر زكريا التي أشارت إلى أن الشعب المختار سيعاني قبل الخلاص.[2] وتبدأ النزعة الرؤيوية في التعمق حتى أن إصحاحات 13/27-1/24 من سفر أشعياء يطلق عليها "أبوكاليبس أشعياء". وقد كان مجال التفكير الأخروي، كما تقدم، هو "هذه الدنيا"، و"المستقبل". ولكن عدة انتكاسات حلت باليهود فقد سمح لهم قورش بالعودة، وبناء الهيكل دون أن يسمح لهم بتأسيس ملك يهودي في ولاية يهودا، أي دون أن يسمح بعودة القوة السياسية اليهودية، وبالتالي لم يسودوا العالمين كما كانت تقول النبوءات الأولى. ثم زال حكم الفرس وظهرت الإمبراطورية اليونانية كقوة عظمى، وبعدها الإمبراطورية الرومانية التي أحكمت قبضتها عليهم تماما وهدمت الهيكل.

بعد هذه الانتكاسات العديدة، اكتسب التفكير الأخروي أبعادا جديدة، وأصبح مجاله "العالم الآخر"، "في المستقبل"، "خارج الزمان". وقد اكتملت ملامح الفكر الأخروي اليهودي ومعظم ثوابته في سفر دانيال، فهو يقدم رؤية لتاريخ العالم، وتاريخ الممالك الأربع التي ستزول وتحل محلها المملكة التي لا تزول (الملكوت الأبدي). كما يظهر مفهوم ابن الإنسان الذي يأتي مع سحب السماء (أي من الإله) مقابل وحوش البحر الأربعة (الإصحاح السابع). ويبدو أن ثمة إرهاصات لفكرة البعث في أشعياء (19/26) وفي المزامير (23/73-26)، ولكنها تظهر في دانيال بشكل لا إبهام فيه (1/12-3)، ويصبح البعث بعثا لأفراد لا لأمم، وبالتالي يصبح الحساب حسابا أخلاقيا فرديا لا قوميا جماعيا. وتظهر في آخر سفر دانيال واحدة من اولى

1 إنجيلوس جرجس: تدبير الخلاص، سيليكون بريس، ص 110-112.

2 المرجع نفسه، ص 119-120.

المحاولات لحساب آخر الأيام[1]. وقد ازدادت الرؤية الأخروية اليهودية تبلورا بعد ذلك، فظهرت في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد كُتُب الرؤى التي تدور حول موضوعات أخروية نُشُورية. ويلاحظ أن فكرة شيول غير المحددة اكتسبت تحددها في آخر هذه الفترة وأصبحت كلمة "جهنم" تدل عليها، ووضعت "جهنم" مقابل "حديقة عدن" التي تحدد مفهومها هي الأخرى فأصبحت "الجنة"، وأصبح الشيئان مرتبطين بفكرة البعث والثواب والعقاب في العالم الآخر.[2]

و مع هذا، فإن عدم التجانس وسمة الجيولوجية ظلا واضحين في الفكر الأخروي اليهودي، فعند هدم الهيكل، أي في تاريخ متأخر نسبيا، كان هناك فريق كبير من اليهود (الصدوقيين) لا يزال ينكر البعث. أما الأسينيون، فمع أنهم اهتموا بالتفكير الأخروي وجعلوه محور رؤاهم، فإن الآخرة بالنسبة إليهم كانت في هذه الدنيا، ولا يوجد أي ذكر للبعث في المخطوطات التي خلفوها، فمخطوطات البحر الميت تتحدث عن النهاية ولا تتحدث قط عن جنة أو جهنم (فقد كان يدور الحديث عن الموت كعقاب أزلي للآثمين، وعن الحياة الأزلية للصالحين). وفي يهودية العصور الوسطى في الغرب، أخذ الحاخامات بالمفاهيم الأخروية بعد تبلورها. ولكن عملية التبلور لم تكن كاملة، فالمضمون الأخلاقي للأفكار الأخروية بدأ يزداد شحوبا مرة أخرى، واكتسبت رؤية الخلاص مضمونا قوميا[3]. كما ميز الحاخامات بين أيام الماشيح، أو العصر المشيحاني، وبين العالم الآتي أو الآخرة، إذ أن الأولى تسبق الثانية، وتشكل مرحلة انتقالية، وهذا يدل على أن عدم التجانس مازال قائما بين الإيمان بالآخرة كمرحلة تاريخية داخل الزمان والإيمان بها كآخرة تقع في آخر الزمان وخارجه[4]. ويلاحظ أن الحاخامات قد نصحوا اليهود بألا يحاولوا أن يحسبوا متى تأتي آخر الأيام ونهاية الزمان، كما أنهم حرّموا أن يحاول اليهودي التعجيل بالنهاية (دحيكات هاكيتس)، وأصبح الإيمان بالآخرة إحدى العقائد اليهودية الأساسية التي تبناها القباليون، ولكنهم أدخلوا في أنساقهم الحلولية فظهرت الدورات الكونية والتناسخ. ولذا نجد أن من هموم القباليين الكبرى الحسابات القبالية الخاصة بالنهاية. وقد انسلخ الفكر الأخروي تماما عن الفكر الأخلاقي

---

[1] دراسة في الأخرويات، ص 33 وما بعدها. Watts John DW, Word Biblical commentary Isaiah, Thomas Nelson Eds, USA 2005, PP 34.

[2] Watts John DW, Word Biblical commentary Isaiah, Thomas Nelson Eds, USA 2005, PP 39.

[3] Lockyer Herbert, All the Messianic prophecies of the Bible, Zondervan Grand Rapids Michigan 1973, PP 64-67.

4 ملكوت الله، ص 56 ص 57.

وأصبح مرتبطا إلى حد كبير بالسحر وبالخلاص القومي للشعب اليهودي وهلاك كل الأغيار[1]. ويلاحظ الفكر الأخروي اليهودي في العصر الحديث يزداد اختلاطا، إذ تتراجع أفكار أخلاقية أساسية مثل البعث والثواب والعقاب والآخرة لتحل محلها أفكار عامة مثل العصر المشيحاني (في اليهودية الإصلاحية) أو فكرة التقدم (في اليهودية التجديدية). وقد تأثر الفكر الصهيوني بالفكر الأخروي اليهودي الحلولي (حلولية بدون إله) بمعنى أن الآخرة هي النهاية داخل الزمان وآخر مرحلة تاريخية، أو هي نهاية التاريخ التي تصل بالجدل والصراع والانحرافات إلى نهايتها، فيكون "الخروج" الكامل من تاريخ الأغيار بكل شذوذه وعنفه، ويكون "الدخول" في كنعان حيث يمكن استئناف التاريخ اليهودي بكل مثاليته، ومثل هذا التفكير الأخروي البدائي عادة ما يأخذ شكلا هندسيا متناسقا تكون فيه النهايات شبيهة بالبدايات[2].

و إذا كانت بداية التاريخ اليهودي من وجهة النظر الصهيونية هي الخروج من أرض العبودية في مصر ودخول أرض الميعاد، فالنهاية الأخروية هي الخروج أيضا من أرض العبودية في مصر أو روسيا أو أي منفى آخر، ودخول أرض الميعاد أيضا، أي أن النهاية لابد أن تشبه البداية حتى يكتمل الاتساق الهندسي. وإذا كان دخول كنعان قد أدى إلى إنشاء الهيكل والعبادة القربانية المركزية (حيث يحل الإله وسط الشعب في قدس الأقداس)، فإن الدخول الحديث إلى فلسطين يؤدي إلى إنشاء الدولة الصهيونية، بحيث يحل الإله فيها بالنسبة للمتدينين اليهود، فتصبح دولة مقدسة. أما بالنسبة إلى الملحدين، فهي دولة مقدسة بذاتها إذ أن حلوليتهم حلولية بدون إله ووحدة وجود مادية.[3]

2. أسفار الرؤى (أبوكاليبس) :

" Apocalypse" "الرؤيا" ترجمة لكلمة "أبوكاليبس" اليونانية الأصل والتي تعني الكشف عن الغيب، وخصوصا عن آخر الأيام (إسكاتولوجي) ويوم الحساب. ويتم الكشف عن طريق الأحلام والرؤى والغيب، وفي الدراسات العربية يطلق على الكتب التي تتناول هذه الأشياء مصطلح "أسفار الرؤى"، وذلك لاعتمادها على الرؤى في سرد الأحداث وفي شرح الأفكار

1 إسرائيل والتلمود: ص 33 وما بعدها، بتصرف.

2 شارلزباس: خلفيات حول الوعد الإلهي، مرجع سابق، ص 71-73.

3 شريف حسين: المفهوم السياسي لليهود عبر التاريخ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1995، ص 49 وما بعدها.

المتضمنة فيها. وتستخدم الكلمة للإشارة إلى الكتب الدينية اليهودية والمسيحية التي تحتوي على مثل هذه الرؤى، مثل سفر أخنوخ وسفر صعود موسى وسفر باروخ وكتاب اليوبيل، وتُعدُّ ضمن الكتب الخارجية أو الخفية (أبوكريفا). وتعد الإصحاحات الأخيرة من سفر دانيال (13/12-17/8) ضمن أسفار الرؤى، ويشار إلى بعض إصحاحات كتاب أشعياء بوصفها أبوكاليبس أشعياء (13/27-1/24). كما أن مخطوطات البحر الميت، هي الأخرى تدخل ضمن كتب الرؤى وتضم الكثير من الأسرار التي تقع خارج نطاق المعرفة الإنسانية كأسرار السماء والأرض والملائكة والشياطين. وتأخذ كتب الرؤى شكل نبوءة على لسان بطل تاريخي قديم (ذائع الصيت مات منذ زمن بعيد) يدعي أنه يرى أحداث ذلك التاريخ كله منذ بدايته حتى نهايته، وأن هذه المعرفة قد أخفيت (باليونانية "أبوكريفون") طيلة هذه السنين حتى الوقت الحاضر، وهو عادة زمن الأزمة (ومن هنا نجد أن معظم كتب الرؤى من الكتب الخفية). ولا تُعْنى كتب الرؤى بالحاضر، كما أنها تورد إشارات سريعة إلى الماضي، أما المستقبل والنهاية فقد وُجِّه إليهما اهتمام بالغ فتمّ وصفهما بالتفصيل. وتنقل هذه الكتب رُؤاها من خلال نسق مركب من الرؤى الرمزية والصور الخيالية الباهرة تلعب فيه الحيوانات والطيور والزواحف والوحوش ذات الرؤوس البشرية دورا أساسيا. والواقع أن أدب الرؤى غامض للغاية، يحتمل العديد من التفسيرات بحيث يمكن توظيفه لأي غرض ولإثبات أي شيء، وهي سمة سيتصف بها الماشيح فيما بعد[1]. ويرى مؤرخو اليهودية أن جذور الصوفية اليهودية والقبالاه[2] ترجع إلى هذه الكتب. ولأن الرؤية الواردة في هذه الكتب لم تكن تساندها شرعية الرؤيا الإلهية، فمؤلفوها كانوا ينسبونها إلى شخصيات توراتية. كما أن الخوف من الاضطهاد السياسي كان سببا أساسيا لإخفاء شخصية المؤلف. وقد استخدم مؤلفو كتب الرؤى موضوعات كتب الأنبياء بعد تطويرها وتغيير معناها بما يتناسب مع ظروف وأشخاص تاريخية معاصرة لهم.[3]

و كتب الرؤى تعبير عن الطبقة الحلولية في اليهودية تنبع من الإيمان بأن أعضاء الشعب المختار الراهن أمة من الأنبياء والقديسين والكهنة يمتلكون إمكانيات نبوية خارقة خاصة، وأن تقاليد النبوة عندهم لا تزال ممكنة ومفتوحة ومتاحة. ومما يزيد من حدة التأملات الرؤياوية

[1] تشارلس ر.هـ: دراسات في الكتابة الرؤيوية، ترجمة: مارتن كيدل، نيويورك سكر يبنرز 1975، ص 36-39.

[2] القبالاه: انظر في الملاحق

[3] تشارلس ر.هـ: دراسات في الكتابة الرؤيوية، ص 41.

(الأبوكاليبسية) عندهم أنهم –و هم الشعب المختار–، كانوا دائما يذوقون صنوف الويل والعذاب الأرضييْن، فتجربتهم التاريخية هزيمة تلو الهزيمة، وانكسار إثر انكسار، على أيدي الأشوريين والبابليين، ثم زادت الأمور سوءا بعد العودة من بابل، وتوقفت سلسلة أنبياء اليهودية، وبعد إعادة بناء الهيكل. وقد عاد اليهود من المنفى تحدوهم تطلعات مشيحانية، وأمل في أن تسود جماعة إسرائيل مرة أخرى. ولكن الماشيح لم يأت بل تدهور حالهم وأصبح الحاضر تحفّه المشاكل، وبدأت نُذُر الشر تظهر في الأفق، فقد ظهرت الإمبراطورية الرومانية بقوتها الضخمة لتهيْمن على الشرق الأدنى القديم، وفلسطين، ثم دمرت الهيكل تماما على يد تيتوس، ثم القدس على يد هادريان.[1]

و في هذه المرحلة الأخيرة الخطيرة (من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الثاني بعد الميلاد) ظهرت أسفار الرؤى، وقد ساعد كل ذلك على انصراف اليهود عن الحاضر إلى التأمل الأخروي في آخر الأيام، إذ كان من غير المنطقي، من وجهة نظرهم، أن يتركهم

الإله في عذابهم الدنيوي دون نهاية سعيدة. وقد ترسخ لديهم الإيمان، تحت تأثير الأفكار الفارسية، بالفكرة الثنوية التي ترى أن الوجود يتكون من عالمين : العالم الحاضر ويحكمه الشيطان ومصيره الزوال، والعالم القادم ويحكمه إله الخير والنور، وهو عالم حرّ تنتشر فيه السعادة الأبدية، يأتي بعد انتصار إله النور على إله الظلام. ولذا، فقد آمنوا بأن الإله سيرسل حتما من يرفع عنهم العذاب. بل إنهم يؤمنون بأنه كلما تأخر يوم الخلاص، زادت شدة العذاب الذي سيحيق بأعدائهم، علما بأن زيادة الآلام علامة اقتراب الخلاص والنصر (و هذا هو النمط الأساسي في كتب الرؤى). وستأخذ النهاية الرؤياوية للبؤس اليهودي صورة عودة الماشيح وانتصار داود وتنصيب سليمان معلِّما للأمم، وعودة اليهود إلى أرض الميعاد. وقد تبنى مؤلفو كتب الرؤى فلسفة للتاريخ ذات أصل فارسي، فقد كان الفرس يقسمون تاريخ العالم إلى ممالك: الآشورية والفارسية، ثم أضافوا إليها فيما بعد المملكة اليونانية. وقد تبنى مؤلفو كتب الرؤى هذا التقسيم، وأحلوا محل آشور بابل التي كانت لا تزال عالقة بذاكرتهم التاريخية، وأضافوا مملكة اليهود الأزلية. وهناك بعض رؤى الأبوكاليبس المسيحية التي ترى أن الخلاص النهائي مرتبط بعودة اليهود إلى فلسطين وتنصرهم، وتسمى "الرؤى الاسترجاعية" نسبة إلى استرجاع اليهود إلى

1 ماري سترونج: سفر الرؤيا والأزمنة الأخيرة، تعريب ماستر ميديا، إدارة مكتبات النيل المسيحية 1994، ص ص 39.

فلسطين، أو "الرؤى الألفية" نسبة إلى الألف عام التي سيحكم فيها الماشيح الأرض.[1]

و تجب التفرقة بين كتب الرؤى (أبوكاليبس) وكتب النبوة، فكلتاهما وسيلة لمعرفة الإرادة الإلهية، ولكن، بينما تدور كتب الأنبياء داخل نطاق رؤية توحيدية، تدور أسفار الرؤى داخل رؤية حلولية، وتمكن التفرقة بينهما على النحو التالي:

أ. من نقاط الاختلاف الأساسية، موقف كتب الأنبياء والرؤى من التاريخ والمجتمع. فالأنبياء توجهوا برسالاتهم مباشرة إلى مجتمعاتهم وركزوا على الحاضر، وأشاروا إلى الخيارات الفلسفية والأخلاقية المطروحة مطالبين جماعة إسرائيل باتخاذ موقف محدد واستجابة مباشرة. وقد كان المستقبل بالنسبة للأنبياء لا يزال عملية مستمرة تستطيع الإرادة الإنسانية أن تلعب فيها دورا.

أما مؤلفو كتب الرؤى، فكانوا يركزون على البدايات والنهايات، وعلى النهايات أكثر من البدايات. فكانوا يرون التاريخ عملية موصدة مغلقة، وما العصر الذي يعيش فيه الكاتب سوى حلقة من سلسلة متكاملة قررها الإله من قبل، وهي عادة الحلقة الأخيرة. ويقال إن هذه الرؤية متأثرة بالرؤية الإغريقية الهيلينية للتاريخ والتي تنظر إليه باعتباره دائرة هندسية مغلقة. ولكن يمكننا أن نقول إن انغلاق كتب الرؤى تعبير عن الحلولية الكامنة فيها.

ب. لا تنشغل كتب الرؤى بالتاريخ انشغال كتب الأنبياء به، فهي قد تتعامل معه ومع أحداثه ولكنها لا تحترم تفاصيله. فالعقلية الرؤياوية تتوقع وتؤيد التغيير في المجتمع، لكنه تغيير غير تاريخي لأنه غير مرتبط بمسار التاريخ، كما انه يأخذ شكل انفجار أو تحول فجائي جوهري في كل شيء، إذ يتم التحول عن طريق التدخل (أو الحلول) المباشر والفجائي للإله في شؤون البشر وفي التاريخ. هذا على عكس رؤية معظم الأنبياء التي كانت تبشر بأن إرادة الإله تتحقق داخل التاريخ من خلال أحداثه لا من خلال تدخل مباشر فتصبح آشور مثلا أداة العقاب الإلهي.

ت. لكل هذا، نجد أن كتب الأنبياء منشغلة بالمضمون الأخلاقي لرسالاتهم وبإبلاغها، وبكيفية تحقيق الخلاص داخل التاريخ أو تعديل مساره عن طريق التوبة والعودة. ويُحْجِم الأنبياء عن ذكر ما رأوْه في لحظة الوحي، أما كُتّاب الرُّؤى فيعطون وصفا تفصيليا لكل شيء، السماء أو البلاط المقدس أو الملائكة. وعيون كُتّاب الرؤى مركزة دائما على النهاية (لحظة

[1] المرجع نفسه، ص 43 و44

التدخل الفجائي) حين ينتهي التاريخ كلية، دائما وشيكة الوقوع، هذا على عكس النهاية الأُخروية عند الأنبياء، فقد كانت هذه النهاية عند معظمهم في المستقبل البعيد. ويلاحظ أن رؤية النهاية عند كُتّاب كتب الرؤى كانت شخصية وتاريخية في آن واحد، إذ يرد في الإصحاح 12 من سفر دانيال أول ذكر واضح لبعث الموتى ولعملية العقاب والثواب (دانيال 13/12). ومن الواضح أن كتب الرؤى تشكل عودة لرؤية الحلولية اليهودية، كما مهدت للقضاء على تأثير رؤى الأنبياء التي وجدت تطورها الحقيقي في المسيحية.[1]

و التفكير الصهيوني تفكير رؤيوي علماني يؤمن بأنه لا حل للمسألة اليهودية عن طريق التدرج التاريخي (الاستنارة أو الاندماج أو الثورة الاجتماعية) أو عن طريق التعامل مع الواقع التاريخي المتعين، وإنما يجب أن يتم "الآن وهنا" على الفور (الدولة الصهيونية – العودة – تكوين جيش من اليهود يغزو فلسطين ويطرد العرب)، أي أن الصهيونية تتعجل من أجل "نهاية التاريخ"، وذلك بطرح رؤى مثالية يتم فرضها على الواقع التاريخي لا عن طريق الحلول الإلهي لصالح الشعب اليهودي وإنما عن طريق العنف والتحالف مع الإمبريالية (مثلا)، ومن هنا فإن الصهيونية تعبير عن الحلولية بدون إله.[2]

3. الآخرة او العالم الآخر (الآتي) :

"World to Come" "الآخرة" أو "العالم الآخر" هي المقابل العربي للمصطلح العبري "عولام هبا"، وهو مصطلح يهودي أخروي يعني "العالم الآتي في آخر الأيام" (مقابل "عولام هازيه"، أي "هذا العالم"). ومفهوم الآخرة او العالم الآخر مفهوم أخروي، أخذ في الظهور التدريجي، واكتسب كثيرا من ملامحه بعد العودة من بابل، ثم صار إحدى الأفكار الدينية الأساسية في التلموذ. وهذا العالم الآتي يشير إلى عدة أشياء متناقضة، فهو قد يشير إلى المستقبل وحسب، وقد يشير إلى العصر المشيحاني (الألفي) قبل أو بعد يوم الحساب وقبل أو بعد البعث، وقد يشير إلى الآخرة بمعنى نقطة خارج الزمان. وقد قرنه بعض الحاخامات بالجنة وحسب. وهو قد يشهد التحرر القومي لليهود من ظلم الأمم الأخرى،–بحسبهم– ولكنه قد يشهد تحرر الكون

[1] دراسات في الكتابة الرؤيوية، ص 49–52 بتصرف

[2] المفهوم السياسي لليهود عبر التاريخ، ص 207 وما بعدها. واتكنز برادالي: هل دولة إسرائيل الحديثة تحقيق لنبوة كتابية؟ ترجمة عزرا مرجان، دار الثقافة، القاهرة 1991، ص 81–82–83.

بأسره، أي أنه يعكس كل تناقضات التفكير الأخروي اليهودي، وتأرجحه ما بين الرؤية الحلولية والرؤية التوحيدية.[1]

4- آخر الأيام (اليوم الآخر) :

"End of Days" "Aharit Ha Yamim" "آخر الأيام" أو "اليوم الآخر" مصطلح عربي يقابل المصطلح العبري "أحريت هياميم" وهو مصطلح أخروي يهودي، ويكون بأحد المعنيين:

1) يكون بمعنى "في المستقبل" أو "في الأيام المقبلة" "Near Future"، أي في فترة زمنية مقبلة تتلوها أيام وفترات أخرى.

2) و يكون بمعنى "في الأيام الأخيرة" "Dooms Days"، ويعني آخر المراحل الزمنية التي لن يأتي بعدها مراحل أخرى، ومع هذا، فإن "هذه المرحلة الأخيرة تقع داخل الزمان" "The Existence of Universe in Space and Time".

و إذا كان المعنيان السابقين مختلفين، فإنهما يتفقان في أنهما يقعان داخل الزمان، ومع هذا، فقد تغير المجال الدلالي للمصطلح قليلا في القرن الأول قبل الميلاد بحيث أصبح يشير إلى آخر الزمان كمرحلة تقع "خارج التاريخ كلية" "Outside Historical Time"، يتم فيها بعث الموتى وحسابهم.[2]

5-يوم الرب :

"Day of the Lord" "يوم الرب" مصطلح يهودي أخروي حلولي، وهو اليوم الذي سيكشف فيه الإله عن نفسه للأمم بكل قوته وعظمته في آخر الأيام ليحطم أعداء جماعة إسرائيل، بسبب ما اقترفوه من آثام في حق شعبه المقدس المختار. وستعلو جماعة إسرائيل في ذلك اليوم، وتسمو على العالمين، بعد أن تتجدد قوتها وتنتقم من أعدائها، وتؤسس مملكة قوية.

---

[1] مكرم نجيب: المجيء الثاني ونهاية التاريخ، ص 13-15-17.

[2] Donald G Uthrie : Old Testament Theology, USA Downers Grove Illinois inter-varsity press, 1981, P 219-221.

و قد حوّل عاموس المفهوم تماما حين أسماه "يوم يهوه"، فلم يعد هذا اليوم يوم انتقام جماعة إسرائيل من أعدائهم، وإنما أصبح "يوم الحساب" أو "يوم الحكم" أو "يوم القضاء العالمي الشامل"، وهو اليوم الذي سيحاسب فيه الإله كل الناس، يهودا كانوا أم أغيارا، دون تمييز أو تفرقة، ويعد هذا أهم التطورات التي دخلت على المفاهيم اليهودية الأخروية.[1]

6-يوم الحساب :

"Day of Judgement" "يوم الحساب" ترجمة لمصطلح "يوم هدين"، وهو مصطلح عبري بمعنى "اليوم الذي سيحاسب فيه الإله كل البشر في آخر الأيام". وهو تطوير لمصطلح "يوم الرب" ذي الطابع الحلولي القومي المتطرف الذي كان يعني حدوث الخلاص (الثواب والعقاب) داخل إطار قومي. وقد تحول هذا المفهوم القومي الأخير (على يد النبي عاموس وغيره من الانبياء) إلى مصطلح "يوم الحساب" أو "يوم الحكم والقضاء" (العالمي والشامل). وهو يوم سيحاسب فيه كل الناس يهودا كانوا أو أغيارا دون تمييز وتفرقة. وقد حذر عاموس شعبه من أن الإله سيحطم جماعة إسرائيل بسبب فسادها (عاموس 18/5)، وأكد كل من إرميا وحزقيال (إرميا 29/31-30، حزقيال 18) المسؤولية الفردية، كما أكد كثير من الأنبياء أن النفي عقوبة تستحقها جماعة إسرائيل. لكن أول إشارة للثواب والعقاب ترِدُ في أشعياء (إصحاح 26)، ودانيال (2/12) : "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار، للإزدراء الأبدي". وتطور المفهوم، فأصبح المصطلح يشمل الموتى الذين سيبعثون يوم الحساب "حتى يشملهم الحساب هم ايضا". ويلاحظ أن مفهوم يوم الحساب، الذي لم يستقر بصورته الجديدة إلا بعد المرحلة البابلية، لم يفقد محتواه القومي تماما، إذ نكتشف أن اليهود سيتطهرون في يوم الحساب من آثامهم ثم تعود البقية الصالحة منهم إلى أرض الميعاد ليحيوا حياة سعيدة هنيئة كما جاء في سفر هوشع (2، 14). كما يجب التنبيه أيضا إلى أن يوم الحساب ليس مثل يوم القيامة أو الآخرة، لأنه (حسب كثير من التفسيرات) سيحل قبل البعث النِّهائي، أي أنه واقعة تاريخية (و في هذه الدنيا)، وهو مثل المرحلة الألفية سيقع قبل الآخرة ولن يحاسب فيه إلا الأحياء

[1] نورمان دودمان: العهد القديم دراسة كتابية تأملية أو ما وراء الأحداث، ترجمة عبد الكريم كيرلس، دار الطباعة القومية الفجالة، دت، ص 29.

الموجودون في الدنيا بالفعل. وكان البعض يرى أن الإله يحاسب العالمين أربع مرات كل عـــام. وكان البعض يؤمن بأن عيد رأس السنة اليهودية هو اليوم الذي يحاسب فيه الإلـــه البـــشر، وأن أحكامه تصبح نهائية في يوم الغفران.

و الواقع ان دولة إسرائيل هي، بمعنى من المعاني، محاولة علمانية لترجمة مفهوم الفـــردوس اليهودي الأرضي إلى واقع حقيقي.[1]

7- البعث :

"Resurrection" "البعث" تقابلها في العبرية كلمة "تحيت همیتیم". وفي الواقع فإن ثمة إطارين لفهم فكرة البعث :

- **الإطار التوحيدي** : وفي نطاقه نجد أنّ الإيمان بالبعث يعني الإيمان بعودة الروح إلى الجسد في المستقبل (في اليوم الآخر) لتثاب أو تعاقب.
- **الإطار الحلولي** : وفي نطاقه أشكال مختلفة لفكرة البعث من بينها الإيمان بتناسخ الأرواح ن أو الإيمان بخلود الروح وحساب دون بعث، أو الإيمان بأن بعض الأرواح وحدها هـــي الـــتي تبعث ولا يبعث البعض الآخر، أو الإيمان بأن الموتى يحيون بعد الموت في عالم خاص بهم.

و لا توجد في كتب العهد القديم الأولى أية إشارات إلى بعث الموتى أو الحياة الأبديـــة، إذ يبدو أن العبرانيين القدامى لم يكونوا من المؤمنين بالبعث، وإنما كانوا يؤمنون بأن الإنسان جسد يفنى بالموت[2].

و حتى بعد ان ظهرت فكرة خلود الروح، فإن هذه الفكرة لم تكن بعد مرتبطـــة بفكـــرة البعث والخير والشر والثواب والعقاب، إذ أن الروح كانت تذهب بعد الموت إلى مكان مظلـــم يسمى "شيول"، حيث تبقى إلى الأبد، بغض النظر عما ارتكبته مـــن أفعـــال في هـــذا العـــالم الدنيوي.[3]

---

[1] نورمان دودمان: العهد القديم دراسة كتابية تأملية أو ما وراء الأحداث،ص 31. .Old Testament Theology P 232

2 المجيء الثاني ونهاية التاريخ، ص 49-51.

3 إيروثيئوس: الحياة بعد الموت، ترجمة الدكتورة نيفين سعد، مطبعة الدلتا سبورتنج، ص 203.

و تتضح هذه الرؤية العدمية في سفر أيوب الذي جاء فيه: "أذكر أن حياتي إنما هي ريح، وعيني لا تعود ترى خيرا ... السحاب يضمحل ويزول، وهكذا الذي ينزل إلى الهاوية (شيول) لا يصعد" (أيوب 7/7-9).

" أما الرجل فيبلي ويموت الإنسان يسلم الروح فأين هو ... الإنسان يضطجع ولا يقوم، لا يستيقظون حتى لا تبقى السماوات ولا ينتبهون من نومهم" (أيوب 14/10-12).

وقد كانت مكونات فكرة البعث موجودة، فإحدى صفات الإله أنه يحيي الموتى، وقد رفع إليه إلياهو بالفعل. ويبدو أن هناك إرهاصات لفكرة البعث في سفر أشعياء (26/19)، ولكنها لا تظهر بشكل واضح لا إبهام فيه إلا في سفر دانيال (و تحت تأثير فارسي) :

" وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار، للازدراء الأبدي" (سفر دانيال 12/1-3). وبعد ظهور المفهوم، حاول مفسرو العهد القديم أن يقوموا بعملية إسقاط لهذه الفكرة على نصوص سابقة لتفسر على أنها تتحدث عن البعث، كما فعل راشي مع مزمور 17/15.[1]

و مع هذا، لم تستقر الفكرة تماما في اليهودية. وعند هدم الهيكل، كان الصدوقيون لايزالون ينكرون البعث. ويبدو أن الأسينيين يضا لم يكونوا يؤمنون به، على عكس الفريسيين. وترى اليهودية الحاخامية* أن الإيمان ببعث الموتى إحدى العقائد الأساسية في اليهودية، وأحد أسس الإيمان، كما ترى أن البعث: بعث للروح والجسد. ولكن، حتى بعد ظهور فكرة البعث بشكلها الكامل، ظهرت عدة إشكاليات من بينها زمن البعث، فالتفكير الأخروي اليهودي يتضمن عنصرين : أحدهما زمني وهو العصر المشيحاني ن والآخر لا زمني وهو صيغة من صِيغ آخر الأيام. كما أن علاقة البعث بيوم الحساب وجهنم والجنة لم تتحدد. كما أن فكرة البعث احتفظت بكثير من العناصر الحلولية، ولذلك نجد أنها تكتسب بُعدا قوميا وتظل مرتبطة بالعودة القومية إلى الأرض. وحتى بين هؤلاء الذين يؤمنون بفكرة البعث، هناك خلاف حول من يبعث من البشر إذ قال موسى بن ميمون إن الأبرار وحدهم هم الذين سيبعثون، وذهب آخرون إلى أن كل أفراد جماعة إسرائيل سيبعثون، وقال فريق ثالث إن الجنس البشري بأسره سيبعث في آخر

[1] Old Testament Theology, P 237-239.

* اليهودية الحاخامية أو التلمودية: الفقهاء الذين فسروا التوراة وابتدعوا الشريعة الشفوية التلمود.

الأيام. وثمة بعض المفكرين من اليهود ينكرون حتى الآن عقيدة البعث. وتنكر اليهودية الإصلاحية* فكرة أن البعث هو عودة الروح إلى الجسد وحسابها، مكتفية بتأكيد عقيدة خلود الروح.[1]

و قد تم تعديل كتاب الصلوات ليتفق مع العقائد الجديدة. والواقع أن في إنكار البعث إنكارا للمسؤولية الشخصية وإنكارا لفكرة الضمير الفردي، فالأخلاقيات اليهودية الحلولية أخلاقيات جماعية قومية لا تميز بين الخير والشر بقدر تمييزها بين اليهود والأغيار. وإنكار البعث تعبير مباشر عن النزعة الحلولية. فإذا كان الإله يحل في الأمة والأرض ولا يتجاوز المادة والتاريخ ويجمع بينهما، فإن البعث الفردي (والمسؤولية الخلقية) تصبح أمورا مستحيلة وغير مرغوب فيها، فالبعث هو التوحد مع الامة المقدسة والبحث عن الاستمرار والخلود من خلالها ن وربما الدفن في الأرض المقدسة. ومن هنا كان الاهتمام المتطرف في إسرائيل بالدفن والمدافن، وباستعادة جثث الموتى من الجنود الإسرائيليين، بل من الشائع لدى بعض الجماعات اليهودية شراء تراب من أرض فلسطين (و من القدس بالذات) لينثر على رأس المتوفي أملا في أن يحوز بتلك البركة الخاصة بالبعث. وفي إطار الحلولية الصهيونية بدون إله ووحدة الوجود المادية التي تقدس الأرض، بدأ بعض الشباب الإسرائيلي يشعر بأن هذه الأرض المقدسة أصبحت تطالب بمزيد من المدافن وصناديق دفن الموتى. ولعل ما يدعم إحساسهم هذا، رفض يهود العالم الهجرة إليها وحرص الكثيرين منهم في الوقت نفسه على أن يدفن فيها.[2]

8-تناسخ الأرواح :

"Transmigration of the souls" "تناسخ الأرواح" مصطلح يقابله في العبرية مصطلح "جلجول هنيفيش"، وهو يعني الإيمان بأن أرواح البشر تعود بعد الموت إن عاجلا أو آجلا وتستقر في جسد إنسان آخر، وهي عقيدة مرتبطة تماما بالفكر الحلولي وتحل محل فكرة البعث التوحيدية وهي عقيدة تستند إلى الإيمان بخلود الروح ولكنها لا تحرر الروح تماما من الزمن. وقد آمن القراءون بشكل من اشكال تناسخ الأرواح. وتظهر الفكرة أيضا وبشكل أوضح

* اليهودية الإصلاحية: أسسها مندلسون 1729-1786، ودعا إلى التخلي عن العقائد اليهودية والطقوس الدينية القديمة وتدعى بحركة الإستنارة اليهودية والتي تؤكد على الجانب الإنساني. المسيري: موسوعة اليهود واليهودية.

1 المرجع السابق، ص 207. نقلا عن دلالة الحائرين لموسى بن ميمون ص 575.

2 المفهوم السياسي لليهود عبر التاريخ ص 241-243 بتصرف.

في القبالاه.

و بحسب ما جاء في التراث القبالي، كانت أرواح كل البشر جزءا من "الآدم"، الإنسان الأول أو الكامل، ولكن خطيئة آدم الأولى أدت إلى اغتراب روح البشر عن الإله. وروح كل إنسان جزء من روح آدم، ومن هنا فإن كل الأرواح تشارك في حالة السقوط والنفي. فإذا اقترف الإنسان آثاما في حياته، فإن روحه تتجسد في أشكال أدنى من الحياة. ولذا، يتعين على الإنسان أن يفعل الخير حتى تحل روحه في أجساد الأبرار لكي تصل الروح إلى حالة الإصلاح (تيقون) وهي استقرارها في مكانها الطبيعي في روح آدم. وقد تستقر روح أحد المذنبين في جسد إنسان آخر، فتمتلكه وتستحوذ عليه، وتشكل أثرا سيئا فيه، ويمكن طرد هذه الروح بطقوس دينية خاصة "Exorcisme".

ومن المفاهِيم المُهمّة الأخرى المرتبطة بتناسخ الأرواح، فكرة "تلقيح الروح" (بالعبرية : عبور)، وذلك حينما تُلْقِي روح شخص ما ظِلالُها على روح شخص آخر (حي) دون أن تسكن جسده بالضرورة. وقد يكون الهدف من عملية التلقيح هذه سلبيا أو إيجابيا. وإذا كانت الروح الهائمة روحا مذنبة، فهي تُلقِي بظِلالها على الشخص لتكفِّر عن سيئاتها. وبالتالي، فهي ستتلبس الشخص الحي، وفي هذه الحالة، يقال لها "ديبوق" ولا بد من طردها. وقد تُلقي الروح الهائمة بظلالها على روح شخص آخر لهدايتها، وإضفاء هيبة عليه[1]. وتذكر القبالاه اللوريانية[2] حالات عديدة لتناسخ الأرواح، منها أن روح هارون حلت في عزرا، كما حلت روح يعقوب في مردخاي، في حين أن روحي موسى وسيمون بن يوحاي كانتا تلقيان بظلالهما على روح إسحق لوريا. ويقال إن روح حاييم فيتال (تلميذ لوريا) لم تتأثر قط بخطيئة آدم.[3]

و فكرة تناسخ الأرواح تعبير عن التيار الحلولي في اليهودية، وقد سادت هذه الفكرة بين اليهود وهيمنتْ على كثير منهم منذ القرن السابع عشر، فقد كان شبتاي تسفي (ومن تبعه) يتحدث عن حلول روح الإله في تسفي أو حلول روح تسفي فيمن أتى بعده. وقد أصبحت هذه الفكرة مركزية بين الحسيديين.

---

[1] الحياة بعد الموت: ص 213-214-215.

2 القبالاه اللوريانية: أنظر الملاحق

3 الحياة بعد الموت: ص 220.

و من مظاهر ذلك ما يفعله الأتباع على القبر –قبور الصالحين– إذ يلقون أجسادهم عليه أملا في أن تحل روحه فيهم وتسمى تلك العملية "شيطوح" أو "التسطح على القبر".[1]

9-خلود الروح :

"Immortality of the Soul" "خلود الروح" لا يوجد في يهودية معظم العهد القديم، إيمان واضح بخلود الروح. ولعل هذا يعود إلى النزعة الحلولية التي تمحو كل الثنائيات وترى أن الروح إن هي إلا جزء من الجسد تفنى بفنائه، وأن الموت إن هو إلا نقصان فيما يسمى "المادة الحيوية". ولذا، فقد أخذت الحياة الآخرة عندهم شكل شيول، وهو مكان محايد لا يعرف الثواب أو العقاب. و لم يُقدِّر لمفهوم خلود الروح ان يتبلور، بسبب تخبط الفكر الديني اليهودي بين الفكر الديني التوحيدي المصري وفكر بلاد الرافدين الحلولي، فقد أخذ بخلود الروح عن المصريين من ناحية وعن بلاد الرافدين من ناحية أخرى.[2]

و في عبادة إسرائيل، أي في يهودية ما قبل التهجير، نجد أن ما يضفي معنى على الأشياء ليس حياة الفرد، وإنما تاريخ الأمة. ولذا، فإن الكتاب المقدس هو تاريخ الأمة، ويصبح هذا التاريخ محط اهتمام الإله واهتمام الشعب، ويصبح الخلود هو خلود الشعب. وقد طرح بعض الأنبياء فكرة خلود روح الفرد، وإن كان بشكل متردد وغير قاطع. ولا نعرف على وجه الدقة متى بدأت الفكرة تضرب بجذور راسخة في العقيدة اليهودية، ولكن يمكن القول بأن الفكرة بدأت تأخذ شكلا محددا في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد.

و اليهودية الهيلينية تفترض هي الأخرى فكرة خلود الروح، وأصبحت فكرة البعث التي تفترض خلود الروح إحدى العقائد الأساسية لليهودية. ومع تزايد هيمنة الحلولية على النسق الديني اليهودي، نجد أن خلود الروح يأخذ عند القباليين شكلا آخر هو إيمانهم بتناسخ الأرواح. وهو مفهوم يفترض خلود الروح ولكنه لا يحررها تماما من الزمان.

وقد يكون مما ساعد على عدم تبلور فكرة موحدة ومحددة عن البعث، تخبط الفكر الأخروي اليهودي بين الأفكار المتناقضة عن العصر المشيحاني والآخرة أو العالم الآخر (الآتي). وكذلك العقائد الألفية قبل وبعد العصر المشيحاني. ويظهر هذا التخبط في فكر موسى بن ميمون

---

1 المرجع نفسه، ص 221.

2 التلمود: البعث والحساب والثواب والعقاب، ص 191.

نفسه الذي أنكر أن كل الناس ستبعث.[1]

و في العصر الحديث، أعيد طرح القضية مرة أخرى، وبعثت من جديد بعض الأفكار الحلولية القديمة. فرفض المفكر الديني موريتس لازاروس فكرة خلود روح الفرد وفكرة الآخرة. أما هرمان كوهن، فيرى أن خلود الروح في اليهودية ينطبق على الشعب ككل، لا على أفراده، فالشعب هو وحده الذي لا يموت (فتاريخه أزلي)، والروح الفردية تكتسب استمرارها من خلال هذا التاريخ، وهذا هو ما ورد في العهد القديم، أما ما عدا ذلك فأساطير، ولذا يجب الا يجري التفكير في مصير الإنسان بعد الموت. أما المفكر الصهيوني آحاد هعام، فيرى أن الإيمان بخلود الروح علامة من علامات الضعف ومرض الروح،

ولذا فهو يسخر من الآخرة ومن الإيمان بها، ويرى أن الالتصاق العضوي بالأمة يحقق مثل هذا الخلود، وبذا تحل فكرة الشعب العضوي (فولك) محل فكرة خلود الروح والبعث واليوم الآخر.[2]

10-الموت :

"Death" "الموت" يقابلها في العبرية كلمة "مافت"، التي كانت تستخدم كذلك للإشارة إلى إله الموت في العبادة الكنعانية القديمة الذي كان دائما يصارع بعل إله المطر والخصب. ويعود بعل في شهر المطر ويموت في نهايته، أما أموت، ثم يعود إلى الحياة حينما يتوقف المطر، ويموت حينما يهطل المطر مرة أخرى. وهذه رؤية ثنوية للإله وجدت طريقها إلى العهد القديم، إذ يُنْظر إلى الموت باعتباره قوة مستقلة عن الإله وله رسله (هوشع 14/13، أمثال 14/16). وتوجد عبارات عديدة في العهد القديم يُفْهم منها أن أعضاء جماعة إسرائيل تصوروا أن الموت ضرب من ضروب العودة إلى الأسلاف والانضمام إليهم (تكوين 33/49، عدد 13/27).

و هو تعبير عن الطبقة الحلولية داخل اليهودية باعتبارها تركيبا جيولوجيا تراكميا، ومن هنا الاهتمام بمكان الدفن في اليهودية إذ أصبح من الضروري أن يدفن اليهودي بجوار أسلافه.

---

[1] الحياة بعد الموت: ص 216.

- خلفيات حول الوعد الإلهي ص 112.

[2] زكريا نصر الله: رؤيا معاصرة حول المجيء الثاني، ص 240.

- العهد القديم: دراسة كتابية أو ما وراء الأحداث، ص 37-41.

وقد تأثر مفهوم الموت بعدم الإيمان بالبعث، فكان الموت ينظر إليه (في سفر أيوب مثلا) باعتباره نهاية مطلقة وعدما كاملا وفناء لا يرجى منه شفاء. وقد ورد في العهد القديم سببان يفسران الموت : الأول أن الإنسان خلق من تراب، ولذا فإنه لابد أن يعود إلى التراب (تكوين 7/2، أيوب 9/10).

أما سفر التكوين، فيعطي سببا آخر وهو أن الموت عقاب على الذنوب التي يرتكبها الإنسان وعلى معصية آدم (الأولى) التي طرد بسببها من الجنة، فلم يعد بمقدوره أن يأكل من شجرة الحياة الأزلية (تكوين 22/3 – 24). والموت، بهذا المعنى، عقوبة سيرفعها الإله عن الناس في الآخرة، أي في العالم الآخر (الآتي).

و كان الموت يعني الذهاب إلى أرض الموتى (شيول) التي لا عودة منها دون ان يكون هناك ثواب أو عقاب. وظهر فيما بعد الإيمان بخلود الروح وبالبعث، وذلك بعد الاحتكاك بالفرس واليونان، وتطورت المفاهيم الأخروية، وتقبل الفكر الحاجامي الموت كحقيقة طبيعية حتمية. وحينما ظهر التفكير القبالي، طرحت قضية الموت الاخرى، فالفكر القبالي يرى أن الموت نتيجة خلل حدث في الكون بعد حادثة تهشم الأوعية. وقد حاول الفكر القبالي أن يهوِّن من نهائية الموت، فطرح فكرة تناسخ الأرواح التي تجعل الزمان الإطار المرجعي الأساسي، إن لم يكن الوحيد، والذي يمكن هزيمته عن طريق دورات التناسخ. وفي العصر الحديث، اتخذ الفكر اليهودي مواقف متفاوتة متضاربة من حقيقة الموت تعكس التناقضات القديمة. وقد عاد الفكر القبالي إلى الظهور من خلال الحاخام إسحق كوك الذي يرى، على طريقة القبالاه اللوريانية، أن الموت ليس حقيقة نهائية يقبلها المؤمن، وإنما هو عيب في الخلق، وعلى الشعب أن يصلح هذا العيب ويزيله وينقذ الطبيعة من الموت بالتوبة والصلاة. ويتفق هذا الموقف تماما مع موقف كوك الحلولي المتطرف. فالحلولية لا يمكن ن تقبل الموت لأن هذا يعني وجود مسافة بين الخالق والمخلوق.[1]

11. الدفن والمدافن :

"Burial and burial places" "الدفن والمدافن" تتسم العقائد الأخروية "قبيراه" عند اليهود بعدم تحددها أو تبلورها، إذ تتعايش داخل إطارها عدة أفكار غير متجانسة بل ومتناقضة على طريقة اليهودية الجيولوجية بعضها حلولي بدرجات متفاوتة من الحلول والبعض

[1] د.سعيد حكيم: قيامة الجسد، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات، القاهرة (دت) الآبائية، ص 31.

الآخر توحيدي. ويلاحظ أن شعائر الدفن والمدافن تكتسب أهمية خاصة داخل الإطار الحلـــولي. وقد دخل على اليهودية بعض المفاهيم البابلية عن أرض الموتى. وحسب هذه المفاهيم، يتوقـــف مصير الموتى لا على ما اقترفوه من آثام، وما أدوه من حسنات، وإنما على الطريقة المادية للدفن، وهل تمت طقوس الدفن حسب القواعد المعلومة أم لا؟

و هل وضع بجوارهم طعام أم لا؟ وتوجد مثل هذه الأفكار في العهد القديم، إذ يجب تقديم طعام للموتى على أن يكون قد دفعت عشوره.[1]

و يؤكد العهد القديم أهمية الدفن، وخصوصا في مقبرة الأسرة (تكـــوين 29/47-30، 29/49). وقد اهتم الآباء بمكان دفنهم وأعدوا العدة لذلك. والسِّيرْ التي وردت في العهد القديم تنتهي دائما بسرد تفاصيل دفن الشخص الذي وردت سيرته. ويعد عدم دفن الجثمـــان عقوبـــة قاسية تلحق بصاحبه ومع هذا لم تكن هناك طريقة عبرانية محددة للدفن لذا استمر العبرانيون في استخدام طرق الدفن السائدة في فلسطين قبل التسلل العبراني. و لم ترِد قواعد محددة للـــدفن في العهد القديم. مما تقدم، تشغل طقوس الدفن جزءا مهما في اليهودية، وتأخذ أشـــكالا متنوعـــة. ويقوم اليهود بغسل موتاهم في أسرع وقت ممكن، ثم يقومون بدفنهم في احتفال يجب أن يتـــسم بالبساطة بعد أن تتلى صلاة القاديش.

و يستخدم الإشكناز توابيت يدفنون فيها الموتى، أما اليهود الشرقيون فيدفنون موتاهم في الأرض مباشرة كما هي عادة المسلمين. وعادة ما يدفن اليهودي الذي يموت ميتة طبيعية في شال الصلاة (طاليت) الذي كان يستخدمه أثناء حياته، أما من يقتل فيؤخذ بملابسه الملطخة، ويلـــف بشاله حتى لا يفقد أي جزء من أعضاء جسمه. ويقوم اليهود بختان الطفل الذي يموت قبـــل أن يختن، ثم يطلق عليه اسم عبري ويدفن.

و تحظى المدافن اليهودية بالاهتمام نفسه الذي تحظى به طقوس الدفن، وهي تسمى "بيت الأحياء"، كما يطلق عليها ايضا اسم "بيت الأزلية". وتقع المدافن اليهودية عادة خارج حـــدود المدينة لأن جثث الموتى أحد مصادر النجاسة[2]. ويزور اليهود المقابر في الأعياد ليقدموا الصلوات

---

[1] د.سعيد حكيم: الحياة والموت، رؤية كتابية، ص 11.

[2] أمل مبروك: فلسفة الموت، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2002، ص 212.

- بوساحة أحمد: حقيقة الموت في نظر الديانات، الانتشار العربي، لبنان 2008، ص 203.

أمام قبور الموتى حتى يتشفعوا لهم عند الإله. ولا بد من دفن جميع اليهود في المكان نفسه بالطريقة نفسها، ويحتفظ بأماكن خاصة في المدافن للعلماء والحاخامات والشخصيات البارزة.[1]

و تشكل القداسة والنجاسة مشكلة أساسية في عملية الدفن كما هو متوقع في الإطار الحلولي، وتعبر القداسة (أو انعدامها) عن درجات الحلول الإلهي.

فالكهنة، أي أولئك اليهود الذين يفترض أنهم من نسل الكهنة، وهم الذين يعبرون عن الحلول الإلهي بدرجة أعلى من بقية اليهود، يدفنون إما في نهاية صف المقابر أو في الصف الأمامي وعلى بعد أربع خطوات من المقبرة، وذلك حتى يتسنى إقامة حاجز يقي أقارب الميت (و هم أيضا من الكهنة) من الدنس الذي قد يلحق بهم لو لمسوا جثث الموتى من اليهود العاديين أو اقتربوا منها.

و عادة لا يجوز دفن اليهود في مقابر غير اليهود. ولكن، إن لم تتوفر مدافن خاصة بهم، فيمكن دفنهم في مقبرة عامة على أن يكون هناك فاصل من أربع خطوات بين مقبرة اليهودي ومقبرة أي من الأغيار (و نلاحظ أن الخطوات الأربع هي أيضا المسافة التي يجب أن تفصل الكاهن عن اليهود العاديين)[2]. ومدافن غير اليهود، على عكس مدافن اليهود، لا تدنس الكهنة نظرا لانعدام قداستها. ولا يمكن إزالة مدافن اليهود لأنها مقدسة، أما مدافن العرب والمسلمين وغير اليهود فيمكن هدمها بكل بساطة، وعلى سبيل المثال، أزيلت مئات المقابر في إسرائيل لإقامة هيلتون تل أبيب.[3] ولكن، عندما هدمت الحكومة الأردنية بعض مقابر اليهود على جبل الزيتون، حدث احتجاج على ذلك بشدة. وقد أثيرت مؤخرا قضية مقابر اليهود في حي البستان في القاهرة، إذ تقرر بناء طريق سريع حول القاهرة، يمر بهذه المقابر، وهو ما سيؤدي إلى نقل بعضها بضعة امتار.

و هناك فتاوى حاخامية تذهب إلى أنه يجوز نقل هذه المقابر، وهناك سوابق لذلك. ومع هذا، قررت المؤسسة الصهيونية تحويل هذه الواقعة إلى مناسبة للصراع، وإلى وسيلة للضغط على

1المرجع السابق، ص 215.

[2] أرمان أدولف: الموت وطقوسه في التلمود، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أونرشكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997، ص 109-110.

[3] ميشيل صباح: واقع المواطنة في إسرائيل، مجلة اللقاء، العدد 4، مركز الدراسات الدينية، القدس 2001، ص 48.

الحكومة المصرية، وتأكيد فكرة الشعب اليهودي على حساب السيادة المصرية، فصرح الحاخام هرتس فرانكيل (من بروكلين) بأن المقبرة، حسب العقيدة اليهودية، أكثر قداسة من المعبد اليهودي، وهو أمر قد يكون صحيحا من منظور حلولي يهودي يساوي بين الإله (المعبد) والإنسان (المقبرة) بل يعلي من شأن الإنسان على الإله ومن ثم يعلي من شأن المقبرة على المعبد. ولكن ذلك ليس صحيحا من منظور حاخامي توحيدي معتدل.

و قد أضاف الحاخام فرانكيل أيضا أن المقابر اليهودية جزء من التراث اليهودي وتاريخ الشعب اليهودي، فأعطى مضمونا أيديولوجيا للمقابر. وقد جندت المؤسسة الصهيونية بعض رجال الكونجرس للضغط على الحكومة المصرية لبناء كوبري يمر فوق المقبرة بدلا من نقل المقابر، وقد طبع مؤخرا في إسرائيل ما يسمى "محذوفات التلمود" جاء فيه أنه إذا مر يهودي على مقبرة فعليه أن يلقى عليها دعاء بالبركة إن كانت المقبرة مقبرة يهودية، وعليه أن يلعن أمهات الموتى إن كانت المقبرة لغير يهودي.

و قد غير اليهود الإصلاحيون كثيرا من طقوس الدفن، فأصبح من الممكن دفن الميت بعد يوم أو يومين في ملابس عادية، كما أنهم يصرحون بإحراق الجثة. وفي الآونة الأخيرة، هناك اتجاه أخذ في التزايد نحو إحراق جثمان الميت وذر رماده أو الاحتفاظ به في وعاء خاص، وذلك بسبب تزايد العلمنة، وهي ممارسة يعترض عليها اليهود الأرثوذكس لأنها تتنافى مع الشريعة اليهودية.[1]

و تطبق قوانين الدفن والمدافن تطبيقا كاملا في إسرائيل. وقد أثيرت، في الكنيست، مسألة التفرقة التي تمارسها الدولة في دفن الجنود الإسرائيليين الذين يسقطون أثناء القتال، إذ يدفنون دون تمييز في بادئ الأمر، ثم تقوم دار الحاخامية (سرا) بغرس شجرة أمام القتلى الذين لم تعترف الحاخامية بيهوديتهم، حتى يتم عزلهم عن بقية المدفونين.[2]

12- الثواب والعقاب :

"Retribution , Reward and Punishment" "الثواب والعقاب"، الإيمان بالثواب والعقاب في الآخرة هو إحدى العقائد الأساسية في الطبقة التوحيدية في اليهودية، وهي طبقة واحدة تتواجد بجوار طبقات أخرى مختلفة عنها من أهمها الطبقة الحلولية، ولذا، لا توجد

[1] ميشيل صباح: واقع المواطنة في إسرائيل، ص 51-53. بتصرف.

2 المرجع نفسه، ص 55.

إشارات واضحة في أسفار موسى الخمسة إلى فكرة الثواب والعقاب، وإن كان ثمة ثواب وعقاب فإنهما يأخذان شكلا قوميا ينصرف إلى الشعب اليهودي ككل، أو إلى الشعوب الأخرى، لا إلى الأفراد. كما ان الثواب والعقاب في العهد القديم عادة ما يتمّان داخل الزمان. ولذا، فقد جاء في الوصايا العشر أن طاعة الوالدين تطيل العمر. كما جاء في سفر التثنية : "فإذا سمعتم لوصاياي ... أعطي مطر أرضكم في حينه" (13/11-14). ويثير سفر أيوب قضية معاناة الأبرار وازدهار الأشرار، ومع هذا فإن السفر يحل هذه الإشكالية بالعودة إلى النمط المادي القديم، أي بمكافأة أيوب في هذا العالم. فبعد طول معاناة، وبعد تأملات عدمية تنكر البعث، يقول السفر : "بارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه، وكان له أربعة عشر ألفا من الغنم وستة آلاف من الإبل وألف فدان من البقر وألف أتان، وكان له سبعة بنين وثلاث بنات ... ولم توجد نساء جميلات كبنات أيوب في كل الأرض وأعطاهن أبوهن ميراثا بين إخوتهن" (13/42-15). ولكن بعد أن أكد الأنبياء فكرة المسؤولية الخلقية، أصبح من الصعب تقبل هذا الرأي الخاص بالمكافأة المادية المباشرة في هذا العالم، وظهرت فكرة يوم الحساب، ثم فكرة البعث وفكرة جهنم حيث يعاقب الفرد المخطئ ويثاب المصيب.

و قد وضع الفقهاء اليهود الثواب والعقاب في إطار أخروي، رغم وجود النصوص التوراتية التي تؤكد ان مسألة الثواب والعقاب الإلهي تتعلق بأمور الدنيا، وقد ساد هذا التفسير بين فقهاء اليهود في العصور الوسطى في الغرب وفي العالم الإسلامي، وإن كان التلمود يضم نصوصا كثيرة هي استمرار للأفكار الحلولية القديمة. ويتعمق التيار الحلولي مع القبالاه التي ترى أن الثواب والعقاب يتمّان من خلال تناسخ الأرواح. فإذا كان الإنسان خيرا، حلت روحه في جسد إنسان آخر، أما إذا كان شريرا، فإنها تحل في جسد إنسان وضيع أو حتى في جماد أو حيوان.[1]

و على كل، فإن فكرة الثواب والعقاب، برغم تحددها وتبلورها في الفكر الديني اليهودي، لم تستبعد الأفكار الأخرى، وبما أنّ اليهودية تركيب جيولوجي تراكمي يضم الأفكار دون صهرها بحيث تتعايش هذه الأفكار بكل تناقضاتها داخل النسق الواحد. فليس من المستغرب أن يطرح الفكر الديني اليهودي فكرة الثواب والعقاب للنقاش مرة أخرى في العصر الحديث. وقد

[1] عزيز فهيم: ملكوت الله، ص 101.
- التلمود: ص 210.

طرحت القضية مرة أخرى بعد الحرب العالمية الثانية، أي بعد الإبادة النازية ليهود أوربا، وظهر ما يسمى "لاهوت ما بعد أوشفيتس"، وهي عبارة تشير إلى تساؤل أساسي يطرحه الفلاسفة الدينيون اليهود، وهو : هل من الممكن، بعد اوشفيتس، الاستمرار في الإيمان بالإله بعد ما حاق باليهود من عذاب وإبادة ؟ وقد تحدثوا بوبر عن "خسوف الإله". وأنه لم يعد بوسعهم أن يقبلوا المفهوم التقليدي لله، إذْ أن مثل هذا الإله عليه ان يتحمل مسؤولية "أوشفيتس"، باعتبار أن الإبادة النازية لليهود كانت حدثا فريدا في تاريخ اليهود، ورفضوا أن يكون النازيون هم أداة عقاب الإله.

و تؤمن الجماعات الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة برغم صهيونيتها الواضحة بأن "أوشفيتس" عقاب إلهي حل باليهود نظرا لرفضهم المسيح عيسى بن مريم إلا أن اليهودية الحاخامية ترى أن الإبادة النازية عقاب لليهود من الله على خطاياهم، وحيث أنهم لا يزالون مستمرين فيما هم فيه، فقد يحل بهم العقاب مرة أخرى.[1]

13- حلقة الأعالي :

"Academy on high" "حلقة الاعالي" هي ترجمة للعبارة العبرية "يشيفا شيل معلاه". وقد وردت في الأدب الاخروي (إسكاتولوجي)، وخصوصا في العصر التلمودي، فكرة حلولية مفادها أنه توجد حلقة تلمودية (يشيفا) في السماء يترأسها الإله حيث يستمر الأتقياء والعلماء في دراسة التوراة، ومناقشاتهم لها وللقضايا الدينية الأخرى. وفي كل يوم، يطرح الإله تفسيره للتوراة، ويذكر آراء العلماء الآخرين، وتذكر "الأجاداه"[2] أن المناقشات الحادة كانت تدور بين الإله وأعضاء حلقة الأعالي، ويدرس في هذه الحلقة التلمودية الأطفال الصغار الذين ماتوا قبل أن تتاح لهم فرصة دراسة الشريعة. ولكن لا يدخل هذه الحلقة، من بين الكبار، إلا من درس في الحلقات التلمودية أو المدارس التلمودية العليا على الأرض، أو أولئك الذين لم يدرسوا ولكنهم عاونوا الآخرين على الدراسة.

و قد طور القباليون هذا المفهوم، بحيث أصبح هناك حلقتان : تسمى إحداهما حلقة السماء، وتسمى الأخرى حلقة الأعالي. ويترأس الأولى ملاك، ويترأس الثانية الإله، ويمكن أن

[1] المفهوم السياسي لليهود عبر التاريخ، ص 270-273.

[2] الأجاداه: مجموعة من الروايات والأخبار والشروح والوعظ الديلي كما تهتم الهالاخاه بالقضايا الفقهية.

ينتقل عضو الحلقة الأولى بعد ان ينجح إلى الحلقة الثانية التي تعد أعلى مرتبة.

و هذه الفكرة الأخروية الطريفة الساذجة هي تعبير حاد عن التيار الحلـــوي اليهـــودي في اليهودية الذي يعادل تماما بين الإله والإنسان، وبين الأرض والسماء، بحيث يُـــسْقِط تناقـــضات العالم الأرضي وصراعاته وسماته على ما يدور في السماء[1].

14- الجنة :

"Paradise" "الجنة" هي الترجمة العربية لكلمة "جن عيدن" العبرية. كما توجد كلمـــة أخرى في العبرية هي "باراديس" وتعني "جنة". والكلمة من اصل فارسي وتعني "بقعة يحيط بهـــا سور"، ولعلها ذات صلة بالكلمة اليونانية "باراديوس" التي أصـــبحت في الإنجليزيـــة "بـــاراديز Paradise". ويشكل مفهوم الجنة أحد المفاهيم الأخروية المتأخرة. وقد ورد في العهد القديم (سفر التكوين) أن الإله غرس جنة عدن ليقطن فيها آدم وحواء. وهذه الجنة بقعة جغرافية في هذا العالم، والواقع أن اليهودية الأولى، أي عبادة إسرائيل الحلولية، لم تعرف الحياة الآخرة والعـــالم الآخر أو البعث. وثمة مشاكل عديدة في قصة جنة عدن هذه تتعلق بـــشجرة الحيـــاة والمعرفـــة ودلالتها الرمزية. ومفهوم "جنة عدن" هو أصل مفهوم الفردوس الأرضي الـــذي يقطـــن فيـــه الصالحون. وقد تطور مفهوم الجنة مع تطور المفاهيم الاخروية الأخرى، وظهرت مفاهيم مثل : العالم الآخر (الآتي)، والمستقبل، والعصر المشيحاني، وكلها مفاهيم تدور حول فكرة الفردوس (و إن كان هذا الفردوس فردوسا أرضيا داخل الزمان). ومع ظهور فكرة البعث وفكـــرة الثـــواب العقاب الفرديين، صارت فكرة الجنة مرتبطة بهذه الأفكار وأصبحت جنة عدن "حديقة في العالم الآخر". بل ذهب بعض الحاخامات، لحل مشكلة الثنائية بين جنة عدن والجنـــة أو الفـــردوس الأرضي السماوي، إلى أن جنة عدن نُقِلت إلى السماء.[2]

ومع هذا، لم يتبلور المفهوم تماما، واختلط بمفهوم العالم الآتي وتـــداخل مـــع المفـــاهيم الفردوسية الاخرى. وهكذا، فإننا نجد أن الفكر القبالي يجعل الجنة (باراديس) في متناول العارفين بالقبالاه الذين يصلون إلى معنى التوراة الخفيّ، ومن هنا ذهب القباليون إلى أن "باردیس" هـــي التفسير المتعمق للتوراة. والحروف المكونة لكلمة "باردیس" هي الحروف الأولى لمستويات التفسير

[1] رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2002، ص 312.

[2] رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص 276-277.

الأربعة:

- ب ← بيشاط (حرفي)
- ر ← ريميز (رمزي)
- د ← ديراش (وعظي)
- س ← سود (باطني أو صوفي حلولي)

و في العصر الحديث، تخلى الفكر الديني اليهودي عن هذه الفكرة تماما، وهي لم تكن في أي وقت من العقائد الأساسية.[1]

15- أرض الموتى (شيول) :

"sheol" "أرض الموتى" ترجمة لكلمة "شيول" العبرية التي تستخدم كاسم علم، وهي مجهولة الأصل وتأتي دائما في صيغة المؤنث وبدون أداة تعريف ولا تظهر في اللغات السامية الأخرى. وتشير الكلمة إلى مكان يسكن فيه الموتى. وقد أشير إليه بأسماء أخرى، مثل "عفر"، أي "تراب"، و"جفر"، أي "قبر"، كما استخدمت عبارات شتى للإشارة إليه مثل "مكان السكني"، و"أماكن الأرض السفلي"، و"أرض الظلمة". وتقع شيول إما تحت الأرض، أو تحت الماء، أو تحت قاعدة الجبال، وأحيانا تصور على هيئة تنين مخيف. وتعتبر شيول مكانا محايدا، أي أنه لم يكن مكانا للثواب والعقاب يتساوى فيه الملوك والعامة والأثرياء والفقراء والسادة والعبيد والأخيار والأشرار، بل هو يكاد يكون مجرد مكان للدفن.

ورغم أن الإله يتحكم (حسب التصور اليهودي) في العالمين العلوي والسفلي فإن الموتى لا يمكنهم التواصل معه أو التسبيح له (مزامير 17/115)، ذلك أنهم قد انحدروا إلى أرض السكون. ومع هذا فيمكن استدعاء الموتى من هناك ليجيبوا عن أسئلة الاحياء. وشيول عالم مظلم لا حساب فيه وينسى من يترل إليه.[2]

و مفهوم كلمة "شيول" مفهوم منطقي في السياق الحلولي الوثني للعهد القديم وعبادة إسرائيل، فالديانة القديمة ترى أن الجسد والروح شيء واحد، وأن الحياة الآتية امتداد للحياة

[1] رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص 277.

[2] المرجع نفسه، ص 322.

الحالية، ولذا، فإن حياة ما بعد الموت، إن وجدت، فليست إلا صورة شاحبة لهذه الحياة تتسم بنوع من نقصان الحيوية. وحين يموت المرء، تذهب روحه وجسده إلى أرض الموتى.[1]

و قد تطور هذا المفهوم فيما بعد، في فترة ما بعد السبي البابلي حين ظهرت فكرة الثواب والعقاب الفرديين، بحيث أصبحت شيول المكان الذي ينتظر فيه الموتى يوم الحساب حين يبعثون ليحاسبوا. ولذا، فقد قسمت شيول إلى أقسام مختلفة، ينتظر الأخيار في مكان خاص بهم، وينتظر الأشرار في أماكن أخرى مختلفة كل حسب درجة شره. ومن هنا، تداخل مفهوم كلمة "شيول" مع مفهوم كلمة "جيهنوم" (جهنم) وهو مكان العذاب الدائم للمذنبين.[2]

16- جهنم :

"Hell" "جهنم" من الكلمة الآرامية "جيهينوم"، ويقابلها في العبرية كلمة "جي بني هنوم"، أي "وادي أبناء هنوم". و"جهنم" أحد المفاهيم الأخروية اليهودية، و لم يظهر إلا متأخرا. فقد ظهرت في بداية الأمر كلمة أرض الموتى (شيول)، وهي كلمة ذات مفهوم محايد غير مرتبط بالثواب والعقاب أو البعث والحساب. ومع تطور الفكر اليهودي من الحلولية إلى التوحيدية، ودخول أفكار خلود الروح الفردي والبعث والحساب، تطور مفهوم أرض الموتى لتعبر عنه كلمة "جهنم"، أي "المكان الذي سيعاقب فيه الأشرار".

و كان المعروف أن عقاب المذنبين سيتم داخل الزمان، ولذا كان يشار إليه باعتباره "الوادي الملعون"، ثم تحول إلى المكان الذي سيعاقب فيه الآثمون بعد البعث.[3]

و مع هذا ظل المفهوم غير محدّد، مثله مثل معظم المفاهيم الأخروية، فليس من المعروف ما إذا كان الآثمون سيدخلون جهنم بعد البعث أو بعد الموت ؟ و لم يحدد الفكر الديني اليهودي مدى العقوبة، فثمة رأي يذهب إلى أن الآثمين من جماعة إسرائيل سيعاقبون مدة عام، ثم تباد أرواحهم بعد ذلك. وذهب الحاخامات إلى أنهم سيذهبون إلى الجنة بعد قضاء فترة العقوبة. وسيستريح كل المذنبين من العذاب، ومن ضمنهم غير اليهود، يوم السبت. وقد أنكر بعض الحاخامات وجود جهنم وقالوا إن أرواح الأشرار ستباد تماما يوم الحساب. وفي العصر الحديث،

---

[1] الحياة بعد الموت: ص 281-283.

[2] الحياة بعد الموت: ص 287.

3 موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص 251.

أسقط كثير من المفكرين الدينيين اليهود فكرة جهنم تماما. وقد كان الأمر بالنسبة إليهم يسيرا لأنها لم تصبح قط ضمن العقائد اليهودية المستقرة.[1]

17- الملائكة :

"Angels" "الملائكة" صيغة جمع عربية لكلمة "ملاك" التي تقابلها "ملاك" العبرية ومعناها "مرسل" لأداء "مل آخاه" أي "مهمة" أو "بعثة". ويمكن القول بأن الملائكة داخل إطار حلولي تختلف تماما عنها داخل إطار توحيدي، فهم داخل الإطار التوحيدي رمز للغيب وتعبير عن قدرة الإله اللاّنهائية التي تتجاوز مقدرات البشر وإدراكهم. اما داخل الإطار الحلولي، فالأمر جد مختلف، فهم ليسوا رسل الإله وحسب وإنما هو جزء منه ووسطاؤه. ولذا، يشار إلى الملائكة في التراث الديني اليهودي باعتبارهم "بنو إلوهيم" أو "بنو إليم"، أي "أبناء الإله" أو "قيدوشيم"، أي "المقدسون"، وأحيانا "إيش"، أي "رجل".

أما أسماء مثل : "أرئيليم" أو "كروبيم" أو "سيرافيم" أو "أفانيم"، فتستخدم للإشارة إلى الملائكة المرتبطين بالعرش أو المركبة الإلهية. وقد عرف الشرق الأدنى القديم آلهة مجنحة لها رؤوس بشر ذكور وإناث، هي التي تظهر أمام القصور الآشورية، كما عرفتها العبادة الكنعانية.[2]

و يظهر الملائكة في الأجزاء الأولى من العهد القديم على هيئة بشر. وهم يضطلعون بوظائف عديدة ن من بينها حماية العبرانيين أثناء خروجهم من مصر وأثناء تجوالهم في البرية، ويفسرون لزكريا ودانيال الرؤى (أبوكاليبس) التي شاهدها. كما أنهم يقومون بعقاب المذنبين، مثلما فعلوا عند تحطيم سدوم وعموراه. وهم يحيطون بالعرش الإلهي[3]، وبعد العودة من بابل ترسخ مفهوم الملائكة في العقيدة اليهودية، وأصبح للملائكة أسماء وطبقات. وقد تزايد عددهم وتزايدت أسماؤهم في كتب الرؤى (أبوكاليبس)، وظهرت فكرة رئيس الملائكة ومع هذا، فقد استمرت فرق مثل الصدوقيين في إنكار الملائكة وهوجزء من إنكارها لفكرة البعث والإله المتجاوز للطبيعة والتاريخ.[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص 259.

2 ملكوت الله، ص 261 وما بعدها.

3 دراسة في الأخرويات، ص 92.

[4] ملكوت الله، ص 268.

- موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص 614.

و الإيمان بالملائكة داخل الإطار الحلولي هو إحدى العقائد الأساسية في التلمود. وقد تعمق الاهتمام بهم مع ظهور التراث القبالي ووصوله إلى ذروته، وهو تعبير عن هيمنة الحلولية. وقد اتُّهم اليهود بأنهم من عبدة الملائكة من فرط اعتمادهم عليها وتضرعهم لها. ولا يزال كتاب الصلوات الأرثوذكسي يتضمن تضرعات موجهة إلى الملائكة، مثل تلك الموجهة إلى ملاك الرحمة (ملاخ هارحيم). أما انشودة "شالوم عليخم مل آخي هاشاريت"، أي "السلام عليكم يا ملائكة العون"، فهي تنشد في المعبد أو في المترل بعد صلاة المساء. وتتضمن الصلاة الإضافية (موساف) التي تتلى في السبت والأعياد في المعابد الأرثوذكسية تضرعا إلى الملائكة.[1]

أ. الكروب (الملائكة) :

"cherub ; Kerub" "كروب" كلمة عبرية تعني "ملاك" وجمعها "كروبيم". وهي مشتقة من الكلمة الأكادية "كاريبو" بمعنى "شفيع". وكانت "الكاريبو" في بلاد الرافدين، خصوصا في آشور، عبارة عن ثيران أو أسُود مجنّحة لها رؤوس بشر. وكانت هذه التماثيل توضع على مداخل المعابد والقصور.

و الكروب آلهة ثانوية تتدخل لدى كبير الآلهة لصالح الإنسان. وقد عُثِر على تماثيل للكروبيم في سوريا أيضا، وكان بعضها على هيئة بشر ذوي جناحين. وتعود فكرة الملائكة (كروبيم) في اليهودية إلى أصول آشورية وسورية وكنعانية وربما مصرية أيضا. وقد استخدمت الكروبيم لإضفاء طابع جمالي على الهيكل. و لم تكن الملائكة آلهة ثانوية في اليهودية، وإنما كائنات خلقها الله، وهي تحمل عرشه وتحرس بوابات جنة عدن وشجرة الحياة والهيكل، وتظهر على هيئات مختلفة، فقد تم تخيلها على أنها ذات وجهين، وجه بشر ووجه حيوان. وفي رواية أخرى صورت على هيئة حيوانات ذات أربعة أوجه، إنسان وأسد وثور ونسر. وقد وجدت تماثيل للملائكة (كروبيم) في الهيكل، كما وجدت صور لها على الحوائط والستائر، وداخل قدس الأقداس، فوق تابوت العهد[2].

---

1 المرجع السابق، ص 274.

2 موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص 532.

ب. ميتاترون :

"Metatron" "ميتاترون" هو اسم أعلى الملائكة بحسب ما جاء في "الأجاداه" والتراث القبالي، ويبدو أن الاسم من اللاتينية "ميتاترو" وتعني "من يخطط الحدود"، أو مِن اليونانية "ميتاثرونون" وتعني "أقرب إلى العرش الإلهي". ولعل هذا الاسم يعود إلى اسم الإله الفارسي "ميثرا". ويقال إن "ميتاترون" تعني "الملاك حامل الاسم الرباعي". وأحيانا يطلق عليه "أمير الحضور". ويقوم ميتاترون بتسجيل حسنات الناس وسيئاتهم، وأحيانا يصبح الوسيط بين الإله والعالم والذي خُلِق العالم من خلاله، وهو إحدى حلقات الفيض الإلهي. وأحيانا كان يقرن بالإله والإنسان في آن واحد، أي أن الحلقة الحلولية تكتمل من خلاله.[1]

18- الجن والشياطين :

"Demons" توجد في العهد القديم إشارات عديدة إلى كائنات خرافية قد تكون خيرة أو شريرة حسب الوظيفة التي تقوم بها. ومن هذه الكائنات الشياطين، وأهمها عزازيل وليل (ليليت) .

- **ليل (ليليت) :**

"lilith" "ليل (ليليت)" شيطانة في التراث الديني اليهودي الشعبي. ويبدو ان كلمة "ليل" صيغة معبرنة للشيطانة البالية ليليتو، ومن خلال ربط اسمها بالكلمة العبرية "ليلاه"، أي "ليل"، فسرت ليل بأنها شيطانة الليل والظلام وقد ذكرت في العهد القديم بشكل عابر (أشعياء 14/34) باعتبارها إحدى الأرواح أو أحد الوحوش المفترسة التي ستدمر الأرض في آخر الأيام.[2]

- **عزازئيل :**

"Azazel" "عزازئيل" اسم عبري معناه "الرب يقوي"، أو "قوة الرب"، وكذلك "القوة المناوئة للرب" كما يقال إن الاسم يعود إلى اسم الإله السوري الكنعاني "عزيز". وعزازئيل روح

---

1 موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص 541.

2 المرجع نفسه، ص 497.

شريرة أو شيطان ورد اسمه في العهد القديم (لاويين 16/8-10-26). وهو أحد قواد الملائكة الذين سقطوا من السماء. ويعيش عزازئيل حسب الرؤية اليهودية القديمة في البرية بالقرب من أورشليم. وكان كبير الكهنة يقدم في يوم الغفران كبشين : أحدهما قربانا ليهوه، والآخر قربانا لعزازئيل. وكان الكبش الثاني لا يذبح، وإنما يطلق سراحه في البرية، حملا لذنوب جماعة يسرائيل، ثم يذبح أو يُدفع به من أعلى حتى لا يعود حاملا هذه الذنوب.

و من الواضح أن عزازئيل هذا هو استمرار لطقوس وثنية وأفكار غنوصية، فهو رمز الشر، بل هو خالق كل الشرور في العالم، وهو نقيض يهوه خالق الخير. ويبدو أن هذا الطقس يفترض أن يهوه وعزازئيل عنصران متكاملان يشبهان في هذا علاقة إله الخير بإله الشر في عبادات الفرس الثنوية. وقد توارى وجوده بعض الشيء أثناء الفترة التلمودية، ولكنه عاد إلى الظهور مرة اخرى في انتشار القبالاه.

و قد صار عزازئيل في القبالاه قوة متسلقة تصارع ضد الإله، ولذلك يقرأ القباليون أدعية لإرضاء الإله وأخرى لإرضاء الشيطان. بل ويؤمن القباليون بأن بعض القرابين في الهيكل كانت تقدم إلى الشيطان، وهم ليسوا مجانبين الصواب تماما في ذلك. ويقال إن كل القرابين في الأيام السبعة الأولى من عيد المظال* كانت تقدم إلى عزازئيل باعتباره حاكم الأغيار، حتى يظل مشغولا عن اليهود، وحتى يمكن تقديم القرابين إلى الإله في اليوم الثامن.[1]

* عيد المظال: ويسمى أيضا عيد الحصار وعيد البهجة وقد ورد ذكره لأهميته في العهد القديم (تثنية 16) وهي ذكرى "لخيمة السعف" التي آوت اليهود أثناء خروجهم من مصر.

[1] المرجع نفسه، ص 327-331.

المبحث الأول: يوم الرب واليوم الآخر في العهد القديم :

المطلب الأول: في ضبط مصطلح "يوم الرب" :

غالبا ما يشير تعبير "يوم الرب" إلى الأحداث المتوقعة في نهاية الأيام (أشعياء 7: 18-25) وغالبا ما ترتبط أحداثه بـــ "اليوم الآخر". ومن المهم إدراك أن هذه التعبيرات تشير إلى فترة زمنية يتدخل خلالها الله شخصيا، بصورة مباشرة أو غير مباشرة في الأحداث التاريخية، لتحقيق أجزاء معينة من خطته للبشرية[1]

و بالبحث في الكتاب المقدس، نجد أن تعبير "يوم الرب" قد تم استخدامه تعسة عشر مرة في العهد القديم (***(أشعياء 12:2 و6:13 و9) و(حزقيـــال 5:13 و3:30) و(يوئيـــل 15:1 و1:2 و11 و31 و14:3) وعاموس 18:5 و20) و(عوبديا 15) و(صـــفنيا 7:1 و14) و(زكريا 1:14) وملاخي 5:4)***). وأربعة مرات في العهد الجديد (***(أعمـــال الرســـا 20:2) و(تسالونيكي الثانية 2:2) و(بطرس الثانية 10:3)***). وأيضا مـــشار لـــه في (***رؤيـــا 17:6 و14:16)***

و فقرات العهد القديم التي تتناول يوم الرب توحي لنا بأن يوم الرب وشيك: ***"و لـــوِلـــُوا لأن يوم الرب قريب، قادم كخراب من القادر على كل شيء" (أشعياء 6:13)، "لأن اليوم قريب، ويوم للرب قريب، يوم غيم، يكون وقتا للأمم" (حزقيال 3:30)، "آه على اليـــوم، لأن يوم الرب قريب، يأتي كخراب من القادر على كل شيء" (يوئيل 15:1)،***

"اضربوا بالبوق في صهيون، صوتوا في جبل قدسي ! ليرتعد جميع ســـكان الأرض لأن يوم الرب قادم، لأنه قريب" (يوئيل 1:2)، "جماهير جماهير في وادي القضاء" (يوئيل 14:3)، "فإنه قريب يوم الرب على كل الأمم، كما فعلت يفعل بك، عملك يرتد علـــى رأســـك" (عوبديا 15)، "قريب يوم الرب العظيم، قريب وسريع جدا، صوت يوم الـــرب. يـــصرخ حينئذ الجبار مرا" (صفنيا 14:1).

[1] "تدبير الله الخلاصي"، ابن كمونة: (سعيد بن منصور): تنقيح الأبحاث في الملل، دار الانصار للنشر، ص24 –ص34.

و يصف العهد الجديد "يوم الرب" بـــ "يوم الغضب" و"الزيارة" (***رؤيا 4:16***)، ويـــشير إلى أنه آت في المستقبل وأنه سيصب جامات غضبه على غير المؤمنين من شعب إسرائيل (***أشعياء وأرميا 1:30–17، يوئيل 2–1 وعاموس 5 وصفنيا 1***) وعلى غير المـــؤمنين مـــن العـــالم (***حزقيال 38–39 وزكريا 14***). والكتاب يشير إلى أن اليوم آت سريعا، مثل اللص في الليـــل (***صفنيا 1:14–15 وتسالونيكي 2:2***).

و سيكون وقتا للخلاص الذي سيقدمه الله لبقية شعب إسرائيل لتتميم وعده بخلاص كـــل أهل إسرائيل (***روميه 26:11***) وسيغفر خطاياهم ويسترد مختاريه (***أشـــعياء 27:10 وأرميـــا 19:30–31 ز 40 وميخا 4 وزكريا 13***). وفي النهاية "***يخفض تشامخ الإنسان، وتوضـــع رفعة الناس، ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم***" (***أشعياء 17:2***). وستتم النبؤات الخاصة بيوم الرب في نهاية العالم حيث تجازي قدرة الله العجيبة الشر والخطيئة[1].

و بالرغم من كل ما يبدو في العالم من دنس، وما يبدو من "شعب الله المختار" من التفريط في عهده مع الرب، فإن الرب أخيرا سيكون له مع الدنيا يوم عظيم، يذْكره النبي عاموس بقوله: " ***ويل للمتمنين يوم الرب، لم ذاك؟ إن يوم الرب لكم ظلمة لا نور. كما إذا هرب إنسان من وجه الأسد فلقيه الدب، أو دخل البيت وأسند يده إلى الحائط فلسعته حية، أليس يوم الرب ظلمة لا نورا؟ بل هو قتام لا ضياء له.***" (***عاموس 5/18–20***)

و يبدو من فحوى هذا الكلام أن عاموس لم يخترع عبارة "يوم الرب" ولا الفكرة الكامنة فيها، بل وجدها عقيدة شائعة بين قومه، وفي عصره، و لم يزِد على أنْ نقلها منسوبة إلى أصحابها، يقول "جينيبير" إنه يبدو أيضا من هذه العبارة أن اليهود على عهد عاموس كانوا قد خلطوا بكثير من الحيلة والدهاء، قضيتهم بقضية الله، فهم ينتظرون يوم الرب ليحمل لهم انتصار شـــعب الله المختار على الأمم الأخرى التي ستكون قد دانت لهم بالخضوع، أما عاموس نفسه فواضح أنـــه يرى أن يوم الرب سوف يمتاز بانتصار العدالة الإلهية التي سيرتعد منها الشعب الإسرائيلي نفـــسه رعبا بسبب ما اقترفه من جرائم وآثام[2].

---

[1] Ch.Guinebert : le monde juif vers le temps de Jésus, Desclée Paris 1950. Chapitre IV, PP 159-161.

[2] Ibid Chap IV, PP 162-163.

وتبقى هذه الإزدواجية حول مفهوم يوم الرب لدى الأنبياء الذين أتوا بعد عاموس:

فالنبي إشعيا يقول مثلا (13/6-9): "ولْوِلُوا فإن يوم الرب قريب، قادم من لدن القدير قدوم اجتياح، لذلك تسترخي كل يد ويذوب كل قلب إنسان، فيرتاعون وتأخذهم أوجاع ومخاض ويتلوّوْن كالتي تلد، ويحملق بعضهم إلى بعض ووجوههم مثل اللهيب، هو ذا يوم الرب قد حضر، يوم قاس فيه سخط وغضب، ليجعل الأرض خرابا، ويبيد منها مذنبيها".

و يرى الباحث الفرنسي (شارل جنيبير)[1] أن "يوم الرب" بالمعنى الذي قصده الأنبياء، يعني التهديد والوعيد والانتقام من العصاة وفي مقدمتهم الشعب الاسرائيلي نفسه، هذا اليوم كان موضع تهكم وسخرية من الكثيرين، وكانوا يرون أنه بعيد جدا، وأطلقوا عليه لتأكيد هذا البعد الاسم العبري "أحريت هياميم" التي معناها "آخر الأيام" أو "الآخرة" أو "اليوم الآخر" وهو يوم لم تذكر التوراة عنه شيئا، لا على عهد موسى ولا عهد القضاة، على الأقل في النص الموجود بين أيدينا. وكأن اليهود بإطلاقهم اسم "آخر الأيام"، أو نحو ذلك، لم يكونوا على أدنى شبه بما استعمله المسيحيون أو المسلمون، الذين يؤمنون بالآخرة، وبأنها قريبة جدا، فاليهود يسخرون كما قلنا منها مما اظطر نبيهم حزقيال (12/21 وما بعدها) إلى مهاجمتهم بسبب ذلك في قوله: "و كان إلي كلام الرب قائلا، يا ابن آدم، ما هذا المثل السائر بينكم على أرض اسرائيل إذ تقولون:

ستطول الأيام، وتخيب كل رؤيا، لذلك قل لهم، هكذا قال السيد الرب: إني مبطل هذا المثل فلا يعودون يتمثلون به في اسرائيل، بل قل لهم قد اقتربت الأيام، وكلام كل رؤيا. لأنه لن تكون من بعد رؤيا باطلة، ولا عِرافة مشتبهة في وسط بني إسرائيل. لأني أنا الرب أتكلم، والكلمة التي أتكلم بها تتم ولا تؤخر من بعد، بل في أيامكم يا أيها البيت المتمرد، أتكلم بالكلمة وأتمها، يقول السيد الرب.[2]

[1] Ibid PP 167-169.

2 حمدي سعد: إشعياء والأزمنة الأخيرة، دار الفكر الإنجيلي للترجمة والنشر 2009، ص 107 إلى 111 بتصرف.

المطلب الثاني: اليوم الآخر في التوراة والتلمود:

إذا أردنا أن نبحث عن الأدلة في **التوراة والتلمود وعن النصوص التي تدعو إلى الإيمان باليوم الآخر، والترغيب في الجنة والترهيب من النار**، فإننا نخرج بنتيجة مغايرة لما ذكره القرآن الكريم على لسان أنبيائهم، وما ورد على لسان علمائهم –كما سنرى– لم يُذكر اليوم الآخر على أنه يوم الحساب والجزاء و لم يُصرّح به، لا في التوراة ولا في التلمود، وهذا ما شهدت به فلاسفتهم، ابن كمونة[1] وغيره. فلقد جاء في كتابه تنقيح الأبحاث: ***"إنه من المعتقد لدى اليهود، أن ثواب الطاعة، هو الخلود في نعيم الجنة، وإن عقاب المعصية، هو العذاب في جهنم، من غير خلود لمعتقد هذه الشريعة، وإن كان عاصيا على أنه لم يبين شيئا على ذلك في التوراة، تبيينا صريحا، لكن نقله أخبار الأمة وعلماؤهم، ونقله شرْعُهم، بالغين إلى درجة الاستقصاء في ذكر الجنة والنار ووصف النعيم والعذاب"***[2].

أما ما ورد في التوراة فهو عبارة عن إشارات بسيطة عن يوم الجزاء وأنه قد يكون في الدنيا وعن الجنة والجحيم يقول اليهود السامريون إن في التوراة نصا يدل على يوم القيامة، وإن العبرانيين حرفوه إلى يوم الجزاء، وقد يكون يوما من أيام هذه الحياة الدنيا، والنص لفظه: ***" أليس ذلك مكنوزا عندي مختوما عليه في خزائني، لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم إن يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة"*** [3]

و جاء في سفر أيوب: ***"أما أنا فقد علمت أن ربي حي والآخر على الأرض يقوم وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله"*** [4] [5]

---

[1] ابن كمونة: سعيد بن منصور بن الحسن بن هبة الله بن كمونة الإسرائيلي، وقد يطلق عليه "عز الدولة" و"ابن كمونة". ارتبطت شهرته بكتابه في الحكمة والذي يتناول النقاش الدائرين أتباع الديانات السماوية الثلاث، وله مؤلفات أخرى منها ما ذكر في الرسالة: تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث والذي ترجم إلى الإنجليزية في 1967.

[2] ابن كمونة البغدادي: أعماله وآراؤه، ص190.

[3] سفر التثنية: 32/34-35

[4] سفر أيوب: 19/25-26

[5] كمال صليبي: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ط4، بيروت 1998، ص 93.

و في التوراة أيضا في أولها عند الكلام على ابتداء الخليقة وقع التصريح باسم الجنة[1] وقد تُشْعِرنا بعض النصوص تارة أن الجنة والنار في هذه الدنيا وتارة أخرى تصرح بأن الجنة والنار في الآخرة كما أشرنا من قبل. فقد ورد في سفر التكوين الإصحاح الثاني من التوراة.

"و غرس الرب الإله جنة في عدن شرقا ووضع هناك آدم الذي جبله وأنبت الرب الإله من الارض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس (...) وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلا: من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، وأما شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت" [2]

و بعد عرض قصة "الأكل من الشجرة" نجد أنه ذكر في هذا السفر طرد الله سبحانه آدم من الجنة. ***"فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أُخِذ منها"*** [3]

و كما وقع التصريح في التوراة باسم الجنة فقد وقع التصريح فيها باسم النار ***"و إن الله خلق خلقا وتفتح الأرض فاها فيزلون إلى الثرى هؤلاء القوم الذين عصوا الله. وقال: أحجب رحمتي عنهم وأُرِيهِم عاقبتهم وكما انهم كادوني بغير إله وأغضبوني بغزواتهم كذلك إني أكيدهم لأن النار تتقدح من غضبي وتتوقد إلى الهاوية السفلى فتأكل الأرض نباتها حتى تستطلع أساسات الجبال، كذلك أزيد عليهم شرورا وسهامي أفرقها فيهم"*** [4] [5].

---

[1] كمال سعفان: اليهود تاريخا وعقيدة، دار الهلال 1981، ص 41.

[2] تكوين (2/8-17)

[3] تكوين (3/24)

[4] تثنية: (32/20-24)

[5] كمال سعفان، مرجع سابق، ص 44.

المطلب الثالث: اليوم الآخر في كتابات الأنبياء:

جاء حزقيال ما لفظه: ***"و احفظوا رسومي وأحكامي فإن جزاء من عمل بها، أن يحيا الحياة الدائمة"***[1]، ولا حياة دائمة في الدنيا، بل في الآخرة. وفي التوراة من النصوص على هذا المعنى كثير.

- **و في الفصل السادس والعشرين من سفر أشعياء** ما لفظه: ***"يقوم الموات ويستيقظ الذين في القبور"***[2]، وفي السفر أيضا ما لفظه: ***"(...) وإن زهدوا في توراة رب الجيوش وقول قدوس العالم به، أن الهاوية موقودة من أمس، وهي أيضا أصلحت للملوك عمقها فأوسعها نارا وحطبا كثيرا، وأمر الله كواد من كبريت مشتعل فيها"3***

و قال: ***"و يخرقون ينظرون إلى أجسام القوم الذين كفروا بي: إن دودهم لا تموت ونارهم لا تطفئ فيصيرون عبرة لباقي البشريين"***[4].

و قال أيضا في حقيقة تلذذ أهل الجنة: ***"لا عين تقدر تراه إلى علم الله تعالى"***[5]

- **و في الفصل الثاني عشر من سفر دانيال** ما لفظه: ***"و كثير من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار والإزدراء الأبدي"***[6].

- **و في زبور النبي داود عليه السلام في المزمور السادس منه** ما لفظه: ***"و أنت يا رب (فحتّى متى عُدْ) يا رب ونجِّ نفسي وخلصني من أجل رحمتك لأنه ليس في الموت ذكرك في الهاوية من يحمدك ولا في الجحيم من يعترف لك"***[7].

- **و عند ذكر البعث ينص الفصل السادس والعشرين من سفر أشعياء** ما لفظه:

---

[1] حزقيال: (9/18)
[2] أشعياء: (19/26)
[3] أشعياء: (33/30)
[4] أشعياء: (24/66)
[5] أشعياء: (4/64)
[6] دانيال: (2/12)
[7] داود: مزمور السادس (3-5)

"تحيا أمواتك وتقوم الجثث استيقظوا ترنموا يا سكان التراب" [1] والنص المذكور أعلاه أيضا يؤكد الفكرة.

هذه الإشارات كلها محدودة جدا ولا تعطي فكرة واضحة عن اليوم الآخر كما يجب أن ترد في كتاب سماوي وصرح أنا هناك جنة ونعيم وهناك نار وجحيم وحياة أبدية.[2]

المطلب الرابع: اليوم الآخر عند الفرق اليهودية

"و لقد ظهر في **أحبار اليهود** من قال بالعذاب المعنوي لا بعذاب الأجسام المادي فكفره رجال الدين اليهود كما فعل ابن ميمون في رسالته التي كتبها في إبطال المعاد الجسماني وأنكر عليه متقدموا اليهود فأخفاها إلا عمن يرى رأيه قال: رأيت جماعة من يهود بلاد الإفرنج بأنطاكية وطرابلس يلعنونه ويسمونه كافرا"

هذه رواية نصراني عن طائفة اليهود وإنهم كفروه ولعنوه بسبب هذه المقالة مع انه اعترف في كتاباته بالمعاد الذي ورد في كتابه المشنا في فقه اليهود"[3]

يؤمن اليهود باليوم الآخر ولكنه لم يرد في دينهم شيء عن الخلود وكأن ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا.

يقول الفيلسوف الفرنسي رينان (Ernest Renane) في كتابه "المسيح": إن الفلسفة اليهودية كان من مقتضاها السلطة الفعلية في نفس هذا العالم فإنه يؤخذ من أقوال شيوخهم أن الصالحين يعيشون في ذاكرة الله والناس إلى الأبد وهم يقضون حياتهم قريبين من عين الله ويكونون معروفين عند الله، أما الأشرار فلا، هذا كان جزاء أولئك وعقاب هؤلاء.[4]

- **و إن فرقة الصادوقيين** من اليهود ينكرون قيام الأموات ويعتقدون أن عذاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم الدنيا.

---

[1] أشعيا: (19/26)

[2] إشعياء والأزمنة الأخيرة، ص 119.

[3] خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص 103.

[4] اليهود تاريخا وعقيدة، ص 85.

- **أما فرقة الفريسيين** فتعتقد أنّ الصالحين من الأموات سيُنْشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعا في ديانة موسى أي أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا.

فمهما يكن من خلاف بين الفريقين فإنهما متفقان في إنكار اليوم الآخر على النحو الذي يقرره الإسلام. وقد ورد في بعض فقرات التلمود ذكر الجنة والنار ولكن في صورة مضطربة أدنى إلى الخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة، فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوى إليها الأرواح الزكية وان أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت المملحة فتقرر بعض أسفار التلمود ***(أن الله يقضي الساعات الثلاث الأولى من النهار في مذاكرة الشريعة والثلاث الثانية في شؤون الحكم بين الناس والساعات الثلاث الثالثة في تدبير العيش للخلق وأما الساعات الثلاث الأخيرة فيقضيها في اللعب مع الحوت ملك الأسماك وهو حيوان كبير جدا يتسع حلقه سمكة طولها ثلاثمائة فرسخ بدون أن تضايقه وقد رأى الله أن يحرمه من أنثاه حتى لا يتناسلا فيملأ الدنيا وحوشا تهلك من فيها وتأتي على الحرث والنسل ولهذا حبس الذكر بقوته الإلهية وقتل الأنثى وملحها وحفظها لطعام المؤمنين في الفردوس"***[1].

كما يتناولون لحم طير كبير لذيذ الطعم ولحم أوز سمين وإن شربهم فيها نبيذ عصره الله في اليوم الثاني من الأيام التي خلق فيها العالم[2]. ***(عن سفر سنهدرين ص 8)***

و في اعتقادهم أنه لا يدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم فهو مأوى الكفار، ولا نصيب لهم سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين. والجحيم أوسع من النعيم ستين مرة لأن الذين لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين والذين لا يختنون كالمسيحيين الذين يحركون أصابعهم (يعملون إشارة الصليب) يبقون هكذا خالدين[3].

[1] خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص 113-114.

[2] المرجع نفسه، ص 129. نقلا عن سفر سنهدرين ص 8.

[3] إدي وليم: الكنز المرصود في قواعد التلمود، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت 1973، الجزء1، ص 55.

و القرآن الكريم يشير إلى اعتقادهم هذا ويرد عليهم بقوله سبحانه: " وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ " (البقرة، 111، 112)

المطلب الخامس: فلسفة اليهود في الآخرة والبعث:

أ. أرواح اليهود:

أما نظرة التلمود إلى الأرواح فهي: أن الأرواح كلها خلقت في الستة أيام الاولى للخليقة ووضعها الله في المخزن العمومي في السماء ويخرج منها عند اللزوم، أي كلما حملت امرأة ولدا.

و خلق الله ستمائة الف روح يهودية كما جاء في التلموذ، لأن كل فقرة من التوراة لها ستمائة ألف تأويل وكل تأويل يختص بروح من هذه الأرواح.

و في كل يوم سبت تتجدد عند كل يهودي روح جديدة على روحه الأصلية، وهي التي تعطيه الشهية للأكل والشرب وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده، أما أرواح غيرهم فهي أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات.[1]

ب. التناسخ:

و ذكر في التلمود: وبعد موت اليهودي تخرج روحه وتشغل جسما آخر، فإذا مات أحد الجدود مثلا تخرج روحه وتشغل أجسام نسله الحديثي الولادة.

أما اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهوديا فإن أرواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات أو النباتات ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب عذابا أليما مدة انثي عشر شهرا ثم تعود ثانيا

[1] إدي وليم: الكتر المرصود في قواعد التلمود، ج1، ص 78 وما بعدها بتصرف

وتدخل في الجمادات ثم الحيوانات، ثم الوثنيين ترجع إلى جسد اليهود بعد تطهيرها.

أما هذا التناسخ فقد فعله الله رحمة باليهود لأنه سبحانه وتعالى أراد أن يكون لكل يهودي نصيب في الحياة الأبدية. (الكتر المرصود 66-67).[1]

- **أوجه التشابه بين اليهودية والإسلام:**

بينما نرى نظرة علماء اليهود عن الحياة الآخرة تختلف عما هي في التلمود، بل نجدها أقرب إلى الإسلام ليس فقط في اليوم الآخر بل حتى في كثير من عقائده فهذا مراد فرج* يقول:

"التوحيد والجهاد لله ومقاتلة الإشراك والمشركين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإكرام الوالدين، والصلاة والصوم والطهارة وتوقي النجاسة، والعدوى والنهي عن المحارم، وغير الحلال من المطعومات، كل ذلك في التوراة قبل القرآن واجتناب الطمث ومنع الجنب من المجسد وغسل الميت وتكفينه ومواراته التراب وخلود الروح، والثواب والعقاب، كل ذلك في التوراة قبل القرآن".

و في التلموذ في الفصل الحادي عشر من سفر سنهدريم ***"كل اسرائيل لها نصيب في العالم الآتي أما هؤلاء فلا نصيب لهم فيه".***

أما الفيلسوف اليهودي ابن كمونة فيؤكد ما نقله أحبار اليهود وعلماؤها عن اليوم الآخر فيقول: ***"و قد أوجبوا ذكر الإيمان بأحياء الأموات في كل صلاة حاكمين بعدم صحة أي صلاة أخل فيها بذلك وأيضا فقد اوجبوا ذكره في كل يوم من غير صلاة وكذلك أوجبوه أيضا عند رؤية مقابر هذه الأمة كما لقنوا من وجب قتله عندهم قبل قتله أن يسأل أن تكون قتلته هذه كفارة لما سلف من ذنبه"[2].***

---

[1] المرجع نفسه، ص 80-81.

* مراد فرج: شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية، مطبعة دار الرغائب. نقلا عن حميد مرعيد رحيم الكبيسي، ابن كمونة البغدادي أعماله وآراؤه، ص 191.

[2] تنقيح الأبحاث: ص 26.

و تعتقد فرق من اليهود أن بعث الأموات يحصل مرتين:

-الأولى: في زمن المسيح المنتظر عندهم وذلك البعث مختص بالصالحين من الأمة على وجه الكرامة لأولئك الصالحين كما ذكرنا ذلك سابقا.

-و الأخرى: ببعث الموتى في القيامة العامة لكافة الناس صالحين أو طالحين للجزاء بالثواب الأبدي على الطاعة وبالعقاب على المعصية.

و في معتقدات اليهود، بقاء الأنفس بعد فساد الأجساد.

و قد نبغ من اليهود فريق يزعم أن العالم الآتي هو ما بعد الموت فقط ويتعلق الثواب والعقاب بالأنفس المجردة بعد خراب أجسادها وليسوا بجسمانيين بل هم روحانيين لا غير وهذا ما سبق أن ذكرناه عن موسى ابن ميمون. وتنطق نقول علمائهم بالمجازاة ثوابا وعقابا بغير عودة الأنفس إلى الأبدان وهي لا تحتمل التأويل عند كل عاقل يُمْعِن الفكر فيها[1].

يقول أحمد شلبي في كتابه مقارنة الأديان (ص -194) ما يلي:

تهتم اليهودية بالأعمال ولا تعتن بالإيمان وهي في جوهرها أسلوب حياة لا عقيدة تُعْتقد. وهي في هذا تختلف عن المسيحية التي تعْنى بالإيمان وتجعله يفوق العمل الصالح. فالاتجاه الخلقي عند اليهود في التصرفات اليومية أهم من الاعتقاد السليم وأن مجالها هو هذا العالم الحاضر ! ومن دائرة المعارف العبرية يقرر كوهلر أن اليهودية ليست عقيدة أو نظاما في العقائد يتوقف على قبولها الفداء والخلاص في المستقبل ولكنها نظام للسلوك البشري وناموس البر الذي يتحتم على الإنسان اتباعه ويقرر الفكر اليهودي بناء على ذلك أن الجزاء يكون حسب الأعمال لا حسب الاعتقاد ***"و أشهد السموات والأرض على انه سواء كان المرء يهوديا أو وثنيا، رجلا او امرأة، حرا او مقيدا، فإنه سينعم بالجزاء حسب أعماله دون سواها"***.

من هذا النص يتضح أن اليهودية دين أعمال لا دين عقائد فمن الواضح تبعا لذلك أن لا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب وقد ورد في قصة الحضارة ما يلي:

[1] تنقيح الأبحاث: ص(27)

جنتهم في فلسطين والبعث بعثها والنشر نشرها ويوم الحساب هو اليوم الذي يحاسبون فيه كل الأمم يوم يعود المسيح ويباركهم ويختارهم نوابا في حكم العالم وإقامة ملكوت الله. والعجيب أنهم كفروا بالمسيح حينما جاء ثم أعلنوا إيمانهم بعودته وشرطوا هذه العودة بأنها رجعة من المسيح ليختار رؤساء وحكاما إلى الأبد [1]!

مما تقدم يمكننا أن نستنتج أن عقيدة الإيمان باليوم الآخر عند اليهود لم تكن بالعقيدة الواضحة البينة، بل هي فكرة مضْطرِبة نراها في التوراة لا تعدو إشارات بسيطة غامضة ولهذا لم يتضح ما إذا كانت الجنة وثوابها والنار وجحيمها في الدنيا أم في الآخرة، وهي في التلمود فكرة غريبة جدا أقرب إلى الخرافة والأساطير، وهي عند علمائهم وأحبارهم تقترب في بعض الجوانب من عقيدة الإسلام، ولقد لاقت هذه الفكرة رواجا عند الفريسيين واستنكارا عند الصدوقيين.[2]

كل ذلك بسبب التحريف والتزييف الدائم في كتبهم بالإزاحة والإضافة عليها مما أوصلهم إلى هذا الاضطراب ولا يستغرب هذا عنهم فهم قتلة الأنبياء والمفترون على الله الذين استحقوا غضبه وخسفه ومسخه.

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه[3] المحاور الخمسة ما يلي:

لقد تكرر ذكر البعث والجزاء في كتاب الله بحيث لا تكاد تخلو منه سورة وعلى عكس ذلك التذكير المتصل في القرآن نجد أسفار موسى الخمسة التي تتصدر العهد القديم وتسمى التوراة: خالية من أي تعرض لليوم الآخر كأن مؤلف كتاب رأس المال كارل ماركس الشيوعي المادي هو الذي وضع هذه التوراة !

و يؤكد هذا المعنى الدكتور محمود بن الشريف في كتابه الأديان في القرآن فيقول بأن من مظاهر التحريف ودلائله في التوراة هو إغفالها لذكر اليوم الآخر. والكتب السماوية من ركائزها الدعوة إلى التوحيد وإلى الإيمان باليوم الآخر فإذا خلت التوراة من هذه الركائز فهي ليست توراة

[1] ول ديورانت: قصة الحضارة، ج2، ص 345.

2 قاسم الشواف: ديوان الأساطير في التلمود. الكتاب الرابع الموت والبعث والحياة الأبدية، تعريب وتقديم أدونيس، دار الساقي لبنان 2001، ص 44-45-46، بتصرف.

[3] محمد الغزالي: المحاور الخمسة، ص 15.

الله بل ألعوبة المحرفين [1]!

تعقيـــب ونقـــد

يبين ابن كمونة أن سبب خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء هو معرفة بني اسرائيل بهذه العقيدة، ولذلك لا تحتاج إلى تكرار.

و يذكر ابن كمونة تأكيدا لعقيدة البعث عند اليهود أنهم ***"قد أوجبوا ذكر الإيمان بإحياء الموتى في الصلاة وغير الصلاة وعند اجتيازهم بمقابر أمتهم"*** [2].

- **الأمر الأول:**

أن التوراة خالية من البعث والثواب والعقاب، وذلك راجع إلى أن بني اسرائيل كانوا على علم بالبعث والجزاء قبل موسى عليه السلام، فلم يحتاجوا إلى تكرار الحديث عنه، وإنمـــا جـــاء موسى ليذكرهم بعبادة الله وحده، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام.

- **الأمر الثاني:**

أن التوراة وإن خلت من الحديث عن البعث والجزاء فإن ذلك لا يعني أن اليهود ينكـــرون البعث، فهم يعتقدون ويقرون بالبعث والنشور للأموات، وبقاء النفس بعـــد مـــوت الأجـــساد وتناقلوا ذلك خلفا عن سلف، كما يقول ابن كمونة، وإن خُلوّ التـــوراة "أي أســـفار موســـى الخمسة" من الحديث عن البعث والجزاء جعل كثيرا من الباحثين [3] يـــذهبون إلى أن اليهـــود لا يعتقدون بالبعث والعقاب في الآخرة، وهذا يغاير الواقع الذي يصرح به اليهود، ويكون كـــلام الباحثين موافقا للحقيقة وإذا قصدوا أن توراة موسى الحالية خالية من البعث والجزاء، لأن اليهود يقرون بذلك ويقدمون أسبابا لخُلوّ التوراة من الحديث عن الآخرة، كما ورد في نص ابن كمونة

---

1 محمود الشريف: الأديان في القرآن، ص 103.

2 تنقيح الأبحاث: ص42

3 انظر على سبيل المثال قصة الحضارة ج2، ص345 وانظر الفكر الاسرائيلي أطواره ومذاهبه ص 111،112، لحسن ظاظا. انظر أديان العالم: حبيب سعيد ص 194-195، الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج2، ص86، وقصة الأديان للدكتور رفقي زاهر ص 309-310، واليهود تاريخا وعقيدة ص 161، اليهودية للدكتور أحمد شلبي ص 195.

وهم يعترفون *"بأن التوراة لم تفصح عن المعاد إفصاح التلموديين"* [1]

و لأن التوراة ليست هي المصدر الوحيد الذي يستقي اليهود عقائدهم منها، وقبل أن نُبيِّن السبب الحقيقي في خلو التوراة الحالية من البعث والجزاء، ونرُدّ على ابن كمونة في زعمه بأن سبب خلو التوراة من البعث، هو الإيمان السابق به، فلا حاجة للتكرار، بأن نقول: إن المسائل الغيبية –بخاصة فيما يتعلق بالبعث والجزاء والجنة والنار– لا سبيل لمعرفتها إلا من خلال الوحي المترل، والمتمثل في النصوص المكتوبة التي يُرْجع إليها، خاصة وأنّ الناس دائما عُرضة للسّهو والنِّسيان، **ثم إن التكرار في المسائل السمعية مهم جدا وضروري لاستمرار الإيمان، خاصة في تلك العقائد التي تتحدث عن أمور لا يشاهدها الناس ولا يخبرون عنها ممن سبقوهم، وتكرار أمر من الأمور يدل على أهميته، وعدم استغناء البشر عنه**، خاصة في أمور عقيدة **الآخرة التي توجه حياة الناس**، ولما كانت الآخرة بهذه المترلة فإنه من غير المعقول ألا تشتمل التوراة عليها، والحديث عنها، ويتبين لنا أن خلو التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، والقرآن الكريم يقرر ذلك في قوله تعالى: "كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ " (آل عمران، 93).

دليل على التحريف الذي لحق بالتوراة من بعد موسى – أن هناك توراة عبرية وتوراة سامرية وبينهما اختلافات جوهرية، تتعلق بالأصل الذي نبحثه، وهو البعث والجزاء، يقول الدكتور السقا: *"(...) غيّر علماء بني إسرائيل نصوصا من التوراة التي أنزلها الله على موسى، ومن هذه النصوص التي غيّروها، النص على يوم القيامة"* [2]

يقول الدكتور السقا: *"قد وجدنا التوراة التي بأيدي السامريين تختلف في بعض الآيات*

---

[1] التلموذ أصله وتسلسله وآدابه ص9، 91 ترجمة عن العبرانية وشرحه د/شمعون يوسف مويال، مطبعة العرب 1909، دار الكتب المصرية تحت رقم (1) – لاهوت.

[2] مقدمة يقظة أولي الاعتبار بما ورد في ذكر النار وأصحاب النار للشيخ صديق حسن خان ص6، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا – الناشر دار التراث الإسلامي بالأزهر.

عن التوراة التي بأيدي العبرانيين، ومن الآيات المختلف فيها النص على يوم القيامة، فهو في التوراة السامرية صريح للغاية، وهو في التوراة العبرانية يحتمل معنيين إما الجزاء في الدنيا، وإما الجزاء في الآخرة" [1]، والنص المختلف حوله في التوراة العبرانية هو ***"أليس مكنوزا عندي مختوما عليه في خزائني، لي النقمة والجزاء في وقت تزلّ أقدامهم"*** [2]

و قد رجعنا إلى تفسير النص في السنن القويم في تفسير العهد القديم، فوجدنا "النقمة والجزاء" أي أنا المنتقم والمجازي لا سواي !

أما النص في التوراة السامرية التي يقول اليهود السامريون إنه صريح في الإشارة إلى يوم القيامة فهو ***"أليس هو مجموعا عندي مختوما في خزائني إلى يوم الانتقام والمكافأة، وقت تزلّ أقدامهم، إذ قريب يوم تعنُّتهم وتسرع المستعدات إليهم، إذ يدين الله قومه، وعن عبيده يفصح، إذ يرى إن زلت اليد، وانقرض المحاصر والمطلق، ويقول ابن آلهتهم القوية التي استظلوا بها، التي شحوم ذبائحهم يأكلون ويشربون خمر سكبهم تقوم وتعينكم وتكون عليكم سترة، انظروا الآن إنني أنا هو وليس آلهة معي أنا أميت وأحيي، أمرضت وأنا أشفي وليس من يدي مخلص"*** [3]

هذا هو نص التوراة السامرية الذي يقول عنه السامريون: إنه يدل على يوم القيامة. ويعلق اليهود السامريون على النص السابق بقولهم: ***"إن قوله يوم "الانتقام والمكافأة" يدل بصراحة ووضوح على قيام الناس من القبور للقاء الله، فيجزيهم على اعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا"*** [4]

و نحن نعتقد أن التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام كان فيها تفصيل لكل شيء، ومن الأشياء التي أوحى الله بها إلى موسى "اليوم الآخر" وما فيه من بعث وجزاء وجنة ونار، باعتبار أن اليوم الآخر أحد الأصول العقائدية في جميع رسالات الأنبياء قبل موسى عليه السلام

---

[1] مقدمة يقظة أولي الاعتبار، ص 7.

[2] سفر التثنية 32-34-35

[3] التوراة السامرية – سفر تثنية الاشتراع 34-38 . نقلا عن مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم: محمد خليفة حسن، القاهرة 1996.

[4] التوراة السامرية ص 392، 393 تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا.

وبعده.

و الذي ننتهي إليه بعد عرضنا هو:

- **أولا**: أنّ خلو التوراة من الحديث عن اليوم الآخر يدل على التدخل البشري على الوحي الأصلي المترل على موسى عليه السلام.

- **ثانيا**: خلط بعض الباحثين بين خلو التوراة من الحديث عن الآخرة، وعقيدة اليهود في البعث والجزاء. إذ أنّ خلو التوراة الحالية من البعث لا يعني أن اليهود لا يعترفون بالآخرة وثوابها وعقابها، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى لأن التوراة ليست هي المصدر الوحيد التي تؤخذ عقائد اليهود منه، إذ هناك التعاليم الشفوية، كالتلمود وأسفار الأنبياء المتأخرين والتي يرجع إليهما اليهود في عقائدهم وشرائعهم.

- **ثالثا**: إذا تركنا أسفار موسى الخمسة، وتأملنا أسفار الأنبياء بعد موسى نجد أن هناك إشارات عن البعث، وبعض الباحثين يذهب إلى أن هذه الإشارات مقصود بها البعث القومي لليهود، وعودة دولتهم، وانتصارهم على أعدائهم.

و البعض الآخر من الباحثين يرون أن الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء مقصود بها البعث الأخروي، ولكنّهم يُرجِعُون ذلك إلى تأثُّر اليهود بعقيدة اليوم الآخر من الديانة الفارسية والبابلية بعد الأسر البابلي.

و ننتقل بعد ذلك إلى نص أشعياء. ***"تحيا أمواتك، تقوم الجثث، استيقظوا، ترنموا يا سكان التراب، لأن طلك طل أعشاب، والأرض تسقط الأخلية"*** [1]

و يفسر نص أشعياء على أنه إشارة إلى البعث القومي، وعودة اليهود لأرضهم.

يقول صاحب السنن القويم: ***"الرب قال لشعب اليهود (تحيا أمواتك) كانت اليهود في بابل مدة السبي في الذل، فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات، فقال لهم الرب: إنهم سيرجعون إلى بلادهم، فتقوم أمة اليهود ثانية، أي الكلام هنا في موت الأمة السياسي وقيامتهم للحياة كأمة جديدة. وإسكان الأرض"*** إن الرب دعا هنا المذِلّين والحزانى إلى الفرح والتسابيح لأنه سيخلصهم "طل أعشاب" شبه اليهود بعشب قد ييبس من عدم الرطوبة ثم نزل

[1] أشعياء 19:26

عليه المطر أي نعمة الله فانتعش (تسقط الأخلية) معنى هذه الجملة كمعنى الجملة في أول الآية (تحيا أمواتك) أي هي إشارة إلى قيامة أمة اليهود السياسية"[1] –بحسبهم طبعا-.

و النص على ظاهره يتحدث عن البعث "تحيا أمواتك" ولا ندري لماذا حرّفه صاحب السنن القويم، من بعث الأموات، إلى بعث اليهود القومي؟ وعلى فرض أن النص كناية عن العودة القومية لليهود، فإن اليهود يعتقدون أنهم سيبعثون قبل يوم القيامة، وتقوم دولتهم، وينتصرون على أعدائهم، وبعد ذلك الانتصار والعودة القومية يُبْعثون للآخرة، باعتبارهم أبناء الله وأحباؤه، ويعتبرون أن العودة القومية التي تسبق الحياة الأخرى، من المميزات لهم عن بقية الأمم. يقول (سعديا الفيومي): ***" ألسنا نحن معشر الموحدين مقرين بأن الخالق جل جلاله محيي جميع الموتى في دار الآخرة للمجازاة؟ فأي شيء لمنكر أن يكون فضّل هذه الأمة مدة زيادة يحيي فيها موتانا قبل دار الآخرة، حتى يصل حياتهم تلك بحياة الآخرة؟ وأي شيء السبب المانع من ذلك والدافع له؟ أو ليس هو عدلا يعوض كل ممتحن حسب محنته؟ وأمتنا هذه قد امتحنها بالأمور العظيمة"*** [2]

فعلى فرض ان النص كناية عن العودة القومية فتلك العودة يتبعها مباشرة البعث الأخروي.

ونرى أن النّص بظاهره يشير إلى البعث الأخروي، أما إشارته إلى العودة القومية، فبتأويل كما رأينا في تفسير السنن القويم.

و نص **دانيال الذي أورده قاموس الكتاب المقدس** هو: ***" و كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي"*** [3] فيه عبارات واضحة تدل على البعث وتبين قدرة الله على ذلك ***" و تعلمون أني أنا الرب"***.

و هنا اتجاه آخر يذهب إلى أن الإشارات السابقة في أسفار الأنبياء تشير إلى البعث الأخروي، وأن الاعتقاد بالآخرة لم يكن له وجود قبل عصر الأنبياء،

ورد في علم اللاهوت الكتابي ***"أن الاعتقاد بالآخرة مثله مثل التوحيد في العهد القديم،***

---

[1] السنن القويم في تفسير العهد القديم، تأليف مجموعة من اللاهوتيين، صدر عن مجمع كنائس الشرق الأدنى، بيروت 1973 ص 186-187.

[2] سعديا الفيومي: الأمانات والاعتقادات، طبعة لندن 1882، ص 229.

[3] دانيال: (12-2)

كلاهما من اختراع الأنبياء، وهذا معناه أنه لم يكن هناك توحيد أخلاقي قبل عصر الأنبياء، فإنه لم يكن قبل ذلك وجود للاعتقاد بالآخرة" [1]

و لكن هذا الاتجاه يذهب إلى أن اليهود تأثروا بعقيدة اليوم الآخر من الأمم الأخرى كالفارسية والبابلية، ويذهب إلى هذا الرأي أيضا –تأثير اليهود بالبعث من الاتصال بالفرس، وبابل –جرهاردوش فوس بقوله: ***" إن الإيمان العبراني كما أنه تأثر في أمور كثيرة بالمعتقدات السائدة. تأثر أيضا فيما يختص بالآخرة"*** [2]

و يذهب الدكتور كامل سعفان إلى احتمال آخر، وهو التأثر بالفرس في عقيدة البعث والجزاء، يقول عن أسباب التحريف في النصوص: ***"إنه أثر الاتصال بالديانة الزرداشتية زمن الأسر الطويل، وإبان الاتصال بدولة الفرس في عهد قورش، وهو احتمال يؤكده العبث بالأصل السماوي"*** [3]

أما **مفكري اليهود وعلمائهم** فهم يقرون بالبعث والقيامة. يقول سعديا الفيومي: ***"إن إحياء الموتى الذي عرفنا ربنا أنه يكون في دار الآخرة للمجازاة فذلك مما أمتنا مجمعة عليه"*** [4] وبين السبب في ذلك بقوله: ***"لأن المقصود من جميع المخلوقين هو الإنسان، وسبب تشريفه الطاعة، وثمرتها الحياة الدائمة في دار الجزاء"5*** ويواصل حديثه عن البعث قائلا: ***" ورأينا إحياء الموتى، ولا شاهد يدفعه، لأنه ليس نقول يحيون من ذواتهم، وإنما نقول إن خالقهم يحييهم، ثم لا العقل يرده من أجل أن إعادة شيء قد كان فتفرق أقرب من المعقول من إختراع شيء لا من شيء"6***

و موسى بن ميمون اليهودي يقرر أن البعث والقيامة من الأموات من أركان الإيمان عند

---

[1] تأليف جرهاردوش فوس : علم اللاهوت الكتابي، ترجمة الدكتور عزت زكي، الناشر-دار الثقافة 1982، ج2، ص 443.

[2] علم اللاهوت الكتابي، ج2، ص 446.

[3] كامل سعفان: اليهود تاريخا وعقيدة، دار الهلال للنشر، القاهرة 1981، ص 157.

[4] الأمانات والاعتقادات ص 211

[5] نفسه ص 213.

[6] نفسه ص 213.

اليهود. وقد نقلها عن ابن ميمون الدكتور حسن ظاظا، يقول ابن ميمون: " ***أنا أؤمن[1] إيمانا كاملا بقيامة الموتى، في الوقت الذي تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن، وإلى أبد الآبدين***"[2]

و نلاحظ أن عدم إيمان الصدوقيين بالقيامة راجع إلى عدم إيمانهم بالتعاليم الشفوية كالتلمود الذي يعتقده سائر اليهود وغيرهم، ولما كانت التوراة لم تتحدث عن القيامة فقد تمسكوا بها، ورفضوا التلمود وتعاليم الآباء الشفوية، بما فيها من ذكر للبعث والقيامة.

و هناك بعض الفرق اليهودية التي تنكر البعث والقيامة في الآخرة وتؤمن بأن الثواب والعقاب في الدنيا، من هذه الفرق الدوستانية يقول الشهرستاني: ***"الدوستانية تزعم ان الثواب والعقاب في الدنيا"***[3]

على ضوء ما تقدم، يمكن أن نخرج بالنتائج الآتية:

-أولا: أن خلو التوراة الحالية من الحديث عن البعث والآخرة، وما يسبقها من نفخ في الصّور وما يصاحبها، من نسف الجبال، وتبديل للأرض غير الأرض والسماوات، وما يقع فيها من حساب وجزاء، وجنة ونار، يدل على التحريف الذي لحق بالتوراة، بعد موسى عليه السلام. لأن أمور البعث والآخرة أنزلها الله على موسى في التوراة مفصلة.

" ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ " (الأنعام، 154).

و لما كان اليهود قد سيطرت عليهم النزعة المادية التي جعلتهم يتعلقون بالدنيا ومتاعها، كتموا ما أنزل الله في التوراة، من ذكر للآخرة وما فيها، وبقيت صورة مضطربة، ليس لها ما

[1] انظر الفكر اليهودي الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه ص 157 وما بعدها ويذهب الدكتور حسن ظاظا إلى أن موسى ابن ميمون تأثر بالمسلمين في عقيدة الآخرة.

[2] نقلا عن الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص 159. (لم نأخذه مباشرة من دلالة الحائرين).

[3] الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل، ج2، ص 48.

يسندها من نصوص مكتوبة تتعلق بمستقبلهم عند الله بعد الموت ... ومن هنا نفسر كراهية اليهود للموت وما بعده، لئلا يشغلوا بالآخرة عن الدنيا ومتاعها التي سيطرت عليهم سيطرة تامة. يتضح ذلك في التوراة الحالية المحرفة.

و لقد تحداهم القرآن الكريم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في إيمانهم بالله وما أعده لهم.

–**ثانيا**: أن أسفار الأنبياء المتأخرة أشارت إلى البعث إشارات عابرة، ولكن تلك الإشارات لا تعطي تفصيلات مناسبة عن اليوم الآخر، تتناسب مع ذلك الركن العقائدي الهام، خاصة وأن تلك الأسفار مليئة بالحديث عن تفصيلات الحياة الدنيا، من أمور الزراعة والمعاملات ين اليهود وغيرهم من الأمم، وأيضا أمور الحرب والقتال وغير ذلك من الأمور التي تعتبر أقل أهمية من الآخرة التي كان يجب أن تحتل مكانة كبيرة في أسفار اليهود، ولكن التحريف والتبديل سبّب كثيرا من المفارقات عند اليهود.

–**ثالثا**: إن علماء النصارى شاركوا اليهود في التحريف للنصوص، فإن كنا ذهبنا إلى أن اليهود حرّفوا النصوص الواردة في العهد القديم عن الآخرة وما فيها، بكتمانها وعدم إثباتها، فإن النصارى أيضا شاركوا في التحريف بتأويل البقية الباقية من الإشارات عن اليوم الآخر في أسفار الأنبياء بصرفها عن البعث الأخروي إلى البعث القومي السياسي، بالرغم من صراحة بعض النصوص كنص أشعياء وحزقيال. ونحن نتعرض للنصارى ومشاركتهم في التحريف وإن كان التعقيب على البعث عند اليهود، وذلك لأن النصارى تعتقد في قدسية العهد القديم، ويستدلون بنصوصه في تصوير كافة عقائدهم[1]، وهذا ما جعلنا نعلق على مسلك النصارى في تأويل نصوص العهد القديم، مع علمنا بأن تفسيراتهم ليست مُلزِمة لليهود، وإنما نستأنس بما قيل حول النصوص، لا أكثر من ذلك.

–**رابعا**: أن التلمود وتعاليم الآباء الشفوية كانت مصدرا من أهم المصادر لدى اليهود في تصورهم للآخرة، وما فيها من بعث للأموات وثواب وعقاب.

– **خامسا**: أن اليهود باستثناء بعض الفرق –كالصدوقيين– يقرون بالبعث على نحو ما ورد في أسفار الأنبياء المتأخرة. والتلموذ والتعاليم الشفوية التي يدعون انتقالها عن الآباء الذين كانوا

[1] لسنا في مجال مناقشة النصارى في ادعائهم قدسية العهد القديم مع أنهم يخالفون كثيرا من الأمور الواردة فيه.

قبل موسى وبعده.

المبحث الثاني: الدينونة في العهد الجديد:

المطلب الأول: في ضبط المصطلحات الإسكاتولوجية للعهد الجديد :

1. الدينونة :

الدينونة، تطلق على حكم الله على الناس بحسب أعمالهم، ... وقد أعطيت الدينونة – عندهم- للرب يسوع المسيح، فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر لكي يعطوا حسابا عن أعمالهم في الجسد خيرا كانت أم شرا[1] : "لأن الأب لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن"[2]. وهذه الدينونة عامة وشاملة، وحكمها نهائي ولا يقبل النقض والاستئناف وبموجب هذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت المسيح وأفراحها، ويذهب الأشرار إلى الظلمة الخارجية واليأس الأبدي.[3]

و هذا الذي ذكرناه هو الدينونة العامة[4]، قالوا سيكشف المسيح عند مجيئه الأخير مصير جميع الناس. وعرفوا الدينونة الخاصة[5] بأنها دينونة الله لكل إنسان عند الموت.

و ساق أصحاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس كلاما عن اليوم الآخر فقالوا: " يوما ما سينطلق غضب الله الكامل على الخطية، سيهزم الشيطان، وكل قواته وتنتهي الديانة الكاذبة وسيكافئ الله المؤمنين الأمناء بالحياة الأبدية، أما كل من رفض الإيمان بالله فسيلقى عقابا أبديا، سيخلق الله يوما ما سماء جديدة وأرضا جديدة وسيحيا كل المؤمنين إلى الأبد في سلام كامل وأمان تام ومن مات بالفعل سيقوم إلى الحياة".[6]

و في رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس كلام طويل عن قيامة الأموات نأخذ فقرة واحدة

---

[1] قاموس الكتاب المقدس، ص382.

[2] يوحنا 22:5 .

[3] قاموس الكتاب المقدس، ص382.

[4] معجم الإيمان المسيحي، ص219.

[5] المرجع نفسه، ص 219.

[6] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2750.

فقط من ذلك: "في لحظة في طرفة عين، عند البوق الأخير فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير"[1]

و يعد سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتي تصورا للقيامة، ومن الصور المرسومة في أوله:

- المسيح سيجيء ثانية.
- الشر سيدان.
- الموتى سيقومون للدينونة للحياة الأبدية، أو للهلاك الأبدي[2].

و عقد أصحاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس مقارنة بين سفر التكوين، وسفر الرؤيا، أي بين بداية الخليقة وآخرة الأمور فذكروا أنه في الرؤيا:

لا احتياج إلى الشمس، والشيطان المهزوم، والخطية تختفي وتبيد، والإنسان مدعو للحياة الأبدية مع الله للأبد، اللعنة تزول عن الإنسان، لا مزيد من الخطايا ولا دموع ولا حزن ولا ندم، مدينة الله ممجدة والأرض ممجدة، شعب الله يأكل من شجرة الحياة، استرداد الفردوس، انهزام الموت والمؤمنون يحيون إلى الأبد مع الله.[3]

2. الملكوت :

ورد ثمة تعريف لملكوت السموات بأنه: " الحياة التي لا يمكن أن تباع أو تُشترى لكنها تعطى كهبة فقط، ويسوع لا يهبها إلا لمن يريدها، لمن يريد أن يحيا على طريقة أبناء الله الذين سيعيشون مستقبلا في ملكوته".[4]

و ملكوت السموات هو نفسه ملكوت الله، وقد ورد في معجم الإيمان المسيحي[5] أن عبارة ملكوت السموات عبارة واردة في إنجيل متى للدلالة على ملكوت الله، والعبارة الأخيرة مستعملة

---

[1] 1 كورنثوس 52:15، وفي In a moment in the twinkling of an eye at the last trump, for the trumpet shall sound, and the dead shall be raised incorruptible, and we shall be changed. Sources Chretiennes Ed du cerf Paris, P 41-43.

[2] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2751.

3 المرجع نفسه، ص 2752.

[4] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 2168.

[5] معجم الإيمان المسيحي، ص481.

في إنجيلي مرقس ولوقا.[1]

و استعمال متى لعبارة ملكوت السموات بدلا من عبارة ملكوت الله عللوه بـــأن اليهـــود بدافع توقيرهم الكبير واحترامهم الشديد لم يكونوا ينطقون اسم الله، فيستبدلون به استعارة.[2]

و كلتا العبارتين تدلان على عدة معان مجموعة في قاموس الكتـــاب المقـــدس وكتـــاب la Clé des évangiles [3] فنذكر من ذلك : أنها تدل على حياة التقوى في القلب " لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم"[4]، وهي النظام الذي أتى المسيح لينظمـــه : "من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات"[5]. ويذكرون أنه اقترب ملكوت الله عندما أدخل الله نفسه إلى تاريخ الجنس البشري كإنسان، فالمسيح يسوع يملك الآن في قلوب المؤمنين، لكن ملكوت السماوات لن يتحقق تماما إلا بعد إدانة كل الـــشرّ. الذي في العالم وإزالته، فقد جاء المسيح إلى الأرض أولا كالعبد المتألم، ولكنه سيأتي ثانية كالملك والديان ليملك ظافرا على كل الأرض[6].

و تفضيل شعب الله حسب اختيار الرب: " لذلك قول لكم إن ملكوت الله ينزع مـــنكم ويعطي لأمة تعمل أثماره"[7]، ومجد المسيح وتسلطه : "الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قومـــا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته"[8].

---

[1] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 1879.

[2] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 1879، وانظر معجم الإيمان المسيحي ص269.

[3] قاموس الكتاب المقدس ص 919 . Louis Bouyer : la clé des évangiles librairie plon 1958. PP 158-159.

4 متى 6: 33 وفي SC : but seek ye first the kingdom of God, and his righteousness, and all these things shall be added unto you. Op Cit P 38.

[5] متى 17:4 وفي SC : from that time Jesus began to preach and to say repent for the Kingdom of heaven is at hand. Ibid P 29.

[6] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص 1871.

[7] متى : 43:21 وفي SC : therefore say i unto you, the Kingdom of God shall be taken from you, and given to a nation bringen forth the fruits there of . P 57.

[8] متى 28:16 وفي Verily i say unto you, there be some standing here, which shall not taste of death, till they see the son of men comming in his Kingdom.

*Collin Brown : New testament theology, USA :Michigan Zondervan 1981, Volume 2, P 1300.

و ثمة إشكال في هذه الفقرة، يطرحه أصحاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[1]، ويجيبون عنه: " حيث إن جميع التلاميذ ماتوا قبل مجيء المسيح ثانية فإن الكثيرين يعتقدون أن كلمات المسيح هذه قد تمت في التجلي*، حينما شاهد بطرس ويعقوب ويوحنا مجده، ويقول آخرون إنها تشير إلى يوم الخمسين، وبداية كنيسة المسيح، وفي كلتا الحالتين، كان بعض التلاميذ شهود عيان لقوة ملكوت المسيح ومجده". والحق أن هذا الجواب مضطرب فالنصارى الأولون كانوا ينتظرون عودة المسيح الثانية التي كانوا يظنونها وشيكة، قبل موت الحواريين، ثم لما ماتوا لجأوا إلى تأويل هذه الفقرة تأويلا آخر، فهموا كما ذكرنا أن ملكوت الله لن يتحقق تماما إلا بعد المجيء الثاني للمسيح كما ذكر ذلك أصحاب نفس كتاب التفسير[2].

وسلطان الله على الكل: "ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض"[3]

والحالة السماوية (لعلهم يقصدون بذلك مكان التنعيم الأبدي بهذه العبارة) :[4] " واقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات".

وملكوت السماوات أهله الفقراء، والمساكين والمضطهدون، والذين ينكرون ذواتهم وأهل الطاعة والخاشعون والزاهدون في ملذات هذا العالم، والذين يحققون مشيئة الأب.[5]

و قال الأب متى المسكين[6] : " الكنيسة في التقليد الأرثوذكسي كيان روحي بشري إلهي واحد، (...) وهي ملكوت لله على الأرض لأن المسيح يحكمها ويديرها بروحه الأزلي".

و وقع نفس الكلام في كتاب la clé des évangiles حيث يقول مؤلفه : "في

---

[1] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص 1927.

* التجلي: Epiphanie أو الظهور المجيد (1 تي 14:6)

[2] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص 1871.

[3] متى 10:6 وفي SC : the kingdom come, there will be done in earth, as it is in heaven. P 61

[4] متى 11:8 وفي SC : and i say unto you, that many shall come from east and west, and shall sit down with abraham, and isaac, and jacob in the kingdom of heaven. P63.

[5] La clé des évangiles P 161.

[6] الأب متى المسكين : التقليد ص 15، نقلا عن عبد المجيد الجندي : ملكوت الله في النصرانية واليهودية والإسلام، دار النهار للنشر، بيروت 1995، ص 100.

حقيقة الأمر ليس ملكوت السماوات شيئا غير كنيسة المسيح ذاتها"[1].

3-القيامة والجزاء :

من خلال تتبع بعض الترجمات نجد أن المعنى واحد، وهو قيامة الموتى من القبور، وجزاؤهم ومحاسبتهم –بحسب الإيمان المسيحي–، وهو ما يتوافق مع ما سنسوقه من المعنى الديني لهاتين اللفظتين: فمن ذلك أنهم[2] عرّفوا الآخرة، بأنها ما يقع وراء حدود هذه الدنيا، أي بعد الموت ولا سيما مختلف الأحوال التي تُقبل فيها الكائنات البشرية بعد الموت.

فالدنيا هي الأولى وما بعد الدنيا هو الآخرة، بحسب ما يتبادر إلى الذهن من المعنى اللغوي، وكذلك ذكروا أن لفظة : "راقدون" وردت في الكتاب المقدس للكناية عن الأموات، فهم كالراقدين، سيستيقظون من رقادهم يوم القيامة، ثم ذكروا عن عبارة : " قائمون من الموت" أنها تطلق أولا على الذين سيقومون مع المسيح في اليوم الأخير. فهذا ما يجعلني أقول أن معناها اللغوي لا يختلف عن المعنى الذي ذكرناه في الفرع الأول والله أعلم.

4-الجحيم :

أما لفظة الجحيم فهي من اللفظ اللاتيني[3] "inferi" وتعني لغة المكان الأسفل، أو الهاوية "lieu inférieur"، وهي ترجمة للكلمة العبرية[4] شيول "scheol" والكلمة اليونانية "هاديس".

و أما لفظة جهنم (في اليونانية Gehenne) فذكروا أنها كلمة عبرية[5] الأصل تعني "وادي هنم" وهو واد بالقرب من أورشليم، أحرق فيه مدة من الزمن الأولاد إكراما للإله الفينيقي"مولك". ويبدو أنه من معنى الإحراق هذا أخذ اللفظ ليصير علما على مكان التعذيب

---

[1] La clé des évangiles P 163.

[2] معجم الإيمان المسيحي ص63.

[3] Chanoine Osty et P.Claudel : Le dictionnaire pratique des connaissances religieuses, Eds du cerf, aris 1996, V2. (2/1189)

[4] قاموس الكتاب المقدس ص250.

[5] صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي ص180، وانظر le dictionnaire pratique des connaissances religieuses (2/1190)

الأخيري. واما لفظة الجنة فأطلقت على كل بستان في قصور الملوك.[1]

كما رأينا في بقية المفردات، فإننا نجد للمفردة الدينية النصرانية تاريخا في تطور دلالتها على المعنى الديني عند اليهود، ثم عند النصارى، ولفظة "الجحيم" في أول أمرها كانت تعني مكان إقامة الموتى أجمعين، وهذا ما نجده[2] في الكتاب المقدس من معنى لفظة scheol التي تترجم عادة بالجحيم (ليس بالإفراد، لكن بالجمع les enfers).

و قد فهم العبرانيون هذه الكلمة، تارة بأنها قبر أو موت، وقد صور كتاب الأسفار المقدسة الجحيم كأنه مكان تحت[3] الأرض" ... لأنها قد أسلمت جميعا إلى الموت، إلى الأرض السفلى في وسط بني آدم مع الهابطين في الجب"[4].

و له أبواب: " أنا قلت في عز أيامي أذهب إلى أبواب الهاوية قد أعْدِمتْ بقية سني"[5].

و هو مكان مظلم مخيف، سكانه يشعرون ولكنهم في شعور بليد جامد : " حبال الهاوية أحاطت بي، شرُكُ الموت أصابتني"[6].

تذهب إليه جميع النفوس : " فقام جميع بنيه ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال إني أنزل إلى ابني نائحا إلى الهاوية، وبكى عليه أبوه"[7].

فيه القصاص وفيه الثواب ولا يمكن العودة منه إلى الأرض : "و التي عملها بداثان وأبيرام ابني ألياب ابن راوبين الذين فتحت الأرض فاها وابتلعتهما مع بيوتهما وخيامهما وكل

---

[1] قاموس الكتاب المقدس ص 275.

[2] Le dictionnaire pratique des connaissances religieuses (2/1190)

[3] أنظر هذا المعنى وما بعده في قاموس الكتاب المقدس ص 250.

[4] حزقيال 14:31 وفي OT TH : old testament theology, Op Cit P1113. for they are all delivered unto death to the nether parts of the earth in the midst of the children of men with them that go down to the pit. P 1113.

[5] أشعياء 10:38 وفي OT TH : Ibid P 1271. i said in the cutting off of my days i shall do to the gates od the grave i am deprived of the residue of my years.

[6] 2 صموئيل 6:22 وفي OT. TH : Ibid P 995. the sorrows of hell compassed me about the snares of death prevented me.

[7] تكوين 35:37 وفي OT.TH : Ibid P 77. and all his sons and all his daughters rose up to comfort him but the refused to be comforted and he said for will go down into the grave unto my son mourning thus his father wept for him.

الموجودات التابعة لهما في وسط كل إسرائيل"[1].

و في الحقيقة أن استدلال أصحاب قاموس الكتاب المقدس بهذه الفقرة لا يبدو في محلّـــه ن فأين بيان أن الذاهب إلى الهاوية لا يعود، وأين بيان أن الهاوية فيها الثواب والعقاب !

بل الأعجب أنهم استدلوا بفقرات أخرى من 1 صموئيل 06-19:28 وفيها نقيض ما ذهبوا يستدلون عليه. ونفس الملاحظة على النص السابق من سفر التكوين، فليس فيه ما يـــدل على أن جميع النفوس تذهب إلى الهاوية، ولقد تتبعت طرفا من استدلالات النصارى في غير هذه المواضع فوجدت كثيرا منها على هذه الشاكلة، وفي أكثر كتبهم التي استعنت بها بـــل كلـــها وجدها تعتمد على الإحالة دون ذكر نص الفقرة بما يترجح لدينا أن في الأمر هدفا مقصودا، والله أعلم.

و أما معنى الجحيم في العهد الجديد فهو مكان العقاب الأخيري[2]، المكان الذي يعذب فيه[3] الملائكة الأشرار والخطاة الذين يموتون متلبسين بذنوبهم عذابا بحسب خطايـــاهم، وقـــد ورد في إنجيل متى[4] : "و أما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم".

و ذكروا[5] أن المجمع العام لليون le concil lyon وهو المجمع[6] المسكوني الرابع عشر قد

---

[1] تثنية 6:11 وفي OT.TH : Ibid P 278. and what he did unto dathan and abiram the sons of eliab the son of reuben how the earth opened her mouth and swallowed them up and their households and their tents and all the sibstance that was in their possession in the midst of all osrael.

[2] صبحي حموي اليسوعي : معجم الإيمان المسيحي ص180.

[3] Le dictionnaire apologétique des connaissances religieuses (1/1377).

[4] متى 22:5 وفي SC : but i say unto you that whosoever is angry with his brother without a cause shall be in danger of the judgment and whosoever shall say to his brother raca shall be in danger of the council but whosoever shall say thou fool shall be in danger of hell fire.

[5] Le dictionnaire apologétique des connaissances religieuses (2/1191).

[6] عقد ابتداء من 7 ماي 1274، وهو أكبر تجمع عرفته الكنيسة بحيث اجتمع فيه نحو 1570 منهم 500 أسقف أو أكثر دون حساب الكرادلة، وبطريركان لاتينيان والملك Jaques d'aragon و2 docteur de l'église وهما توما الإكويني Thomas d Aquin وبونافنتير Bonaventure وهذا الأخير رافق البابا Gregoire 10 في سفره.

أوضح هذا المعنى الذي يعتقده النصارى.

وأما الجنة فعرفوها بأنها الفردوس الأصلي[1] الذي رتبه الله للإنسان قبل سقوطه، ووضع في وسطه شجرة الحياة، وأغلب المفسرين[2] المعاصرين على أنها كانت في آسيا، والجنات[3] بساتين معدة للانشراح، واللذات ومنها جنات الملك سليمان. وهكذا نلاحظ أن الجنة فيما بدا لنا لا تمثل مكان الخلود للأبرار، ولكن تجد النصارى يوظفون عبارة أخرى لتأدية ذلك المعنى وهي عبارة ملكوت الله أو ملكوت السماوات اللتان مرتا معنا، أو يقولون الحياة الأبدية، قالوا : هي[4] مكان مُعدّ –القائلون هم النصارى–، غير محدود بالخصائص المادية، سنكون كيسوع، سنأخذ أجسادا جديدة، ستكون خبرتنا عجيبة، وسط جديد، وبيئة جديدة، خبرة جديدة عن حضرة الله، عواطف جديدة، ومشاعر جديدة، لن يكون هناك مزيدا من الموت، لا يزوجون[5] ولا يتزوجون.

و لذلك قالوا أنه بعد الدينونة، يدخل[6] الأبرار إلى أمجاد ملكوت المسيح وأفراحها.

5-الأخيرية :

كلمة عربية منحوتة للدلالة على معرفة الحقائق الأخيرة، ومرادفها كلمة "إسكاتولوجيا" اليونانية الأصل. بالمعنى الحصري، تعني هذه الكلمة نهاية الأزمنة (الدينونة الإلهية وعودة المسيح). ولكن، بما أن الأبدية هي حاضرة منذ الآن* بفضل قيامة المسيح، فغالبا ما تعني الأخيرية حضور المسيح القائم من الموت في عالمنا، وكل ما ينتج عنه، ولا سيما حضور "القُدّاس"** على وجه

و كانت محاور المجمع ثلاثة: 1-توحيد الكنيسة اليونانية مع الرومانية، 2- إرسال مساعدات وتعزيزات إلى النصارى في الأرض المقدسة، 3- مراجعة الأخلاق والشعائر وتحديد الأجل لانتخاب البابا. وخرج المجمع ب 31 قرارا نشرت في 01 نوفمبر 1274 (1194/1) le dictionnaire des conciles

[1] قاموس الكتاب المقدس ص 275.

[2] Le dictionnaire pratique des connaissances religieuses (5/302).

[3] قاموس الكتاب المقدس ص 275.

[4] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص2797.

[5] قاموس الكتاب المقدس ص750.

[6] المرجع نفسه ص382.

* حاضرة منذ الآن: فهي آنية.

** القدّاس: التناول الأفخارستي

فعال، بصفته يحول الإنسان منذ الآن بالنعمة، ويحول غير الإنسان، الكون كله. وبهذا المعنى، فإن الأخيرية هي حاضرة منذ الآن في العالم، أو أن عالمنا هو منذ الآن في الأخيرية. لكن هذه الأخيرية الحاضرة تُنزع إلى أن تتم ..

و بهذا المعنى، فإن الأخيرية ليست حقيقة وحاضرة حتى الآن. فال "منذ الآن" يدل على باكورة ما يجب أن يكون، كما في حبة القمح والسنبل، أو كالشروع في ما سيكون الاكتمال.

أو كما أن العهد الجديد يضفي على العهد القديم، الذي كان صورة سابقة أو تمهيدا له، كل معناه، فإن الأخيرية، التي لم تصبح حقيقة حتى الآن ولكنها ستصبح، تضفي على ما سبق –و هو مجرد صورة سابقة أو تمهيد– كل معناه.

و بذلك نزداد فهما لأهمية هذه الدراسة ولصعوبتها أيضا.

فانطلاقا من هذه النقطة يتخذ السر المسيحي كله معناه النهائي. يلخص السر المسيحي بالتدبير الخلاصي في يسوع المسيح، أو أيضا بتدبير الله الخلاصي، وعليه تقوم "البشرى". والحال أننا لا نستطيع أن نفهم سير تلك البشرى إلا انطلاقا من اكتمال التدبير الخلاصي.

و الاختبار الجديد، اختبار الخلاص، الذي يقوم به المؤمنون المبررون، هو اختبار الروح القدس الذي سبق لهم أن نالوا باكورته[1]، والحال أن هذا الاختبار لا يزال في بداية ستبلغ ازدهارها في المجد، وهو بذرة سيخرج منها "الإنسان الجديد" إلى أن يتم الخلاص النهائي[2].

و نحن نعقب –مستعينين بقراءات أشرنا إليها في الهامش– على أن المحور الأساسي الذي يدور حوله الموضوع هو "رقاد الموت" في العهد القديم، أو على "أورشليم السماوية" في سفر الرؤيا، أو على "نزول المسيح" إلى الأماكن السفلى في رسالة القديس بطرس الأولى ... فهناك لغة معينة، تقوم على "حدث" خاص هو من طبيعة الأخيرية، وهذا "الحدث" هو قيامة المسيح. فإن المسيح القائم من الموت ينتمي منذ الآن إلى ذلك الـ "ما وراء"، بمروره بذلك الانقطاع عن عالمنا أي الموت. إنه دخول الأخيرية في عالمنا. ولذلك، فإننا لا نستطيع أن نستعمل، ولو بشيء من الغموض ال "ما وراء" إلا انطلاقا من صور ورموز العهد القديم التي يستعملها العهد الجديد للتعبير عن أفكاره[3].

---

[1] روم 23/8

[2] أف 14/1. أنجيلوس جرجس: تدبير الخلاص، سيليكون بريس 1996، ص 83 وما بعدها.

[3] Wolfhart pannenberg, Esquisse d'une christologie, coll. Cogitatio Fidei, N°62, Paris, Le cerf, 1971. نقلا عن: . Aubier Montaigne : la vie de la liturgie, Eds du cerf 1997, P 123.

المطلب الثاني: الدينونة بحسب الأناجيل:

توطئة : ماذا في الإنجيل عن الحياة بعد الموت؟

ماذا عن القيامة، الدينونة، المكافأة الأبدية، النعيم والجحيم، والخلود ؟

سوف ندرس أساسا الفصل الخامس عشر من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنيثوس، وبعض المقاطع الأخرى ذات الصلة. يوجه بولس كلامه إلى الناس الذين، مثل الصدوقيين، ينكرون أن الإنسان سوف يقوم من الموت.

أ. تثبت قيامة يسوع أن الحياة بعد الموت ممكنة:

رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 12:15، 13، إذا لم تكن هناك حياة بعد الموت، لما كان بإمكان يسوع إذن أن يقوم من الموت.

لكن إذا كان يسوع قد أقيم –إذا كانت الحياة بعد الموت قد حدثت في حالته– فإن أولئك الذين ينكرون إمكانية الحياة بعد الموت لابد وأن يكونوا على خطأ.

لكن هل قام يسوع من الموت ؟

ليست هذه سوى مسألة تاريخية صرفة. إنها ليست مسألة فلسفة أو رأي شخصي. إما أن قيامته هي حقيقة تاريخية أو أنه لم يقم.

ما الذي يؤكد صحة الحقيقة التاريخية؟ شهادة الشهود (إنجيل يوحنا 417:8 إنجيل متى 16:18). –بحسب الإيمان المسيحي–

زودنا بولس بقائمة كاملة من شهود العيان الذين رأوا يسوع حيا بعد موته (آية 1–8). ومن ثمّ، فإن قيامة يسوع هي حقيقة تاريخية مؤكدة. ليس إنكار إمكانية الحياة بعد الموت الآن سوى حماقة. إنكارها ليس ببساطة سوى إنكار لحقيقة تاريخية.[1]

ب. تثبت قيامة يسوع أن جميع الناس سوف يقومون :

رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنيثوس 20:15–23

[1] عزيز فهيم: الفكر اللاهوتي في كتابات بولس، ط3، دار الثقافة 2001، ص 119.

1. يسوع هو "بكر" الذين ماتوا :

- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنيثوس 14:6 : " إن الله الذي أقام الرب سيقيمنا نحن أيضا بقدرته"
- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنيثوس 14:4 : " عالمين أن الذي أقام الرب يسوع سيقيمنا نحن أيضا مع يسوع".

إنها تثبت شيئا واحدا وهو أننا نحن أيضا سنقوم من الموت.

2. يؤكد لنا الإنجيل أن هناك حياة بعد الموت:

- رسالة بولس الروسل الأولى إلى أهل كورنيثوس 15:13-15 : " إذا لم تكن هناك قيامة، فإن كتبة الإنجيل ليسوا جديرين بالثقة".

أ. يشهد الإنجيل على أن يسوع قد قام وأننا نحن أيضا سنقوم.

يحتوي الإنجيل على العديد من الشهادات التي تفيد بأن يسوع قد قام، بما في ذلك الرسالة الأولى إلى أهل كورنيثوس 15. وهذه بعض شهادات الأناجيل.

-إنجيل يوحنا 40:6،44،45 : " سيقيم يسوع في اليوم الآخر أولئك الذين يسمعون البشارة ويؤمنون به".

-سفر أعمال الرسل 15:24 : " بشر بولس أنه ستكون هناك قيامة بعد الموت، لكل من الأبرار والفجار".

-إنجيل لوقا 27:20-39 : " أنكر الصدوقيين القيامة لأنهم، مثل الماديين العصريين، ينكرون وجود الأرواح" و(سفر أعمال الرسل 8:23).[1]

ب. تأمل العواقب الناجمة عن إنكار تعاليم الإنجيل عن القيامة :

أكد بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنيثوس 15 على العواقب التالية الناجمة عن إنكار قيامة يسوع، لكن الشيء نفسه ينطبق على إنكار قيامة الإنسان: " فتبشيرنا باطل ... بل نكون

1 عزيز فهيم: الفكر اللاهوتي في كتابات بولس، ص 127 وما بعدها.
- الكتر الجليل في تفسير الإنجيل، ص 69-149-191.

شهود زور على الله " (فقرة 15:14).[1]

3. تقتضي عدالة الله ونعمته وجود حياة بعد الموت :

أ. تتطلب عدالة الله ونعمته أن يكافئ أو يعاقب الإنسان على حياته :

-الرسالة إلى العبرانيين 27:9 : " كتب على الناس أن يموتوا مرة واحدة، وبعدها الدينونة".

لا تأتي المكافآت أو العقوبات الرئيسية على حياتنا خلال هذه الحياة ولكن فيما بعد ونلا حظ أن الشيء الذي يأتي بعد الموت، ليس حياة أخرى (التناسخ)، وإنما الدينونة.

-رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنيثوس 10:5 : " لا بد لنا جميعا من أن نظهر أمام محكمة المسيح، لينال كل واحد جزاء ما عمل وهو في الجسد، أخيرا كان أم شرا".

-إنجيل متى 31:25-46 : " سوف يحشر جميع الناس أمام يسوع لتلقي المكافأة الأبدية أو العقوبة الأبدية".[2]

بسبب كرم الله وبسبب عدالته، لابد له من أن يعاقب أولئك الذين لا يتوبون ويعيشون له !

ب. لكن القيامة هي أمر ضروري لحصول الإنسان على المكافأة بعد الموت.

إذا لم يقم الأموات الأبرار من الموت، فلن ينالوا المكافأة[3]:

-رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنيثوس 15:

- الفقرتان 18و 19 : " بدون القيامة، فإن الأموات في المسيح قد هلكوا، إذا كان رجاؤنا في المكافأة مقصورا على هذه الحياة، فنحن أحق جميع الناس بأن يرثى لهم".

إذا لم تكن هناك مكافأة بعد الموت، فهل هناك ما يحفز المرء على تقديم التضحيات التي يتطلبها الله ؟

---

1 عزيز فهيم: الفكر اللاهوتي في كتابات بولس، ص 136.

2 الكتر الجليل في تفسير الإنجيل: ص 53.

3 الفكر اللاهوتي في كتابات بولس، ص 148.

- الفقرة 58: " حقيقة أننا سنقوم هي ما يؤكد لنا أن جهدنا في عمل الرب لا يذهب سدى. إذا لم تكن هناك قيامة، فما الداعي لكثرة الاجتهاد في عمل الرب؟

(قارن إنجيل لوقا 14:14)

و نستخلص بأنه إذا لم تكن هناك مكافأة بعد الموت، فليست هناك إذن نعمة حقيقية، يعاني الكثير من الأخيار في هذه الحياة بنفس القدر أو أكثر ما يعانيه الأشرار. تتطلب النعمة وجود القيامة لكي يتمكن الأخيار من نيل مكافأتهم.

-بطريقة مماثلة، يجب أن تكون هناك قيامة لكي ينال الأشرار عقوبتهم:

إذا لم تكن هناك قيامة وعقوبة بعد الموت[1]، فليست هناك عدالة حقيقية.

- إنجيل يوحنا 28:5-29 : " سوف تأتي ساعة فيها يسمع صوته جميع الذين في القبور فيخرجون منها، أما الذين عملوا الصالحات، فيقومون للحياة، وأما الذين عملوا السيئات، فيقومون للقضاء".

- سفر أعمال الرسل 15:24 : " بشر بولس أنه ستكون هناك قيامة من الموت، لكل من الأبرار والفجار".

و هكذا –بحسب الإيمان المسيحي- إذا لم تكن هناك قيامة، فإن الله ليس كريما أو عادلا. تقول كلمته أن جور هذه الحياة سوف يصحح بعد هذه الحياة. إذا كنت تؤمن أن الله عادل وبار، فيجب عليك أن تؤمن بأن هناك حياة بعد الموت.

4. يتطلب انتصار الله على الشيطان وجود حياة بعد الموت

أ. الموت هو أحد عواقب انتصار الشيطان:

-سفر التكوين 16:3،19 والتعليق على الفقرة: " أغوى الشيطان آدم وحواء لارتكاب الخطيئة. كان الموت هو عقوبة الخطيئة وشمل ذلك الموت جميع الناس. يخضع الجميع لحكم الموت. سبب وجود الموت هو أن الشيطان نجح في حمل الإنسان على اقتراف الإثم. طالما أن الموت ليس له علاج، فإن انتصار الشيطان لا يزال يثقل كاهل الإنسان".

1 إيروثيئوس: الحياة بعد الموت، ص 128.

-الرسالة إلى العبرانيين 14:2،15 : " أتى يسوع ليكسر شوكة ذاك الذي له القدرة على الموت (إبليس)، ويحرر الذين ظلوا طوال حياتهم في العبودية مخافة الموت".

ب. **تعطي القيامة الانتصار ليسوع وتلحق الهزيمة بالشيطان :**

أظهرت معجزات يسوع في كثير من الأحيان تفوق قدرته على الشيطان. أظهر يسوع بطرده للشياطين تسلطه عليهم (إنجيل لوقا 14:11-22).

والمرض، مثله مثل الموت، هو نتيجة وجود الخطيئة في العالم، وهو بالتالي أحد عواقب انتصار الشيطان. بشفائه الناس من الأمراض، أظهر يسوع أيضا تفوق قدرته على الشيطان[1] (إنجيل لوقا 10:13-16).

و بحسب الإيمان المسيحي، أظهر يسوع قدرته المتفوقة على الشيطان، عندما أقام الناس من الموت (إنجيل يوحنا 23:11-44) (1:12، 9-22) (إنجيل متى 18:9-26) (إنجيل لوقا 11:7-17) (إنجيل يوحنا 21:5).

لكن الشيطان استخدم رجالا أشرارا لقتل يسوع، لو كان يسوع لا يزال ميتا، لكان النصر النهائي من نصيب الشيطان، أثبت يسوع بقيامته أن سلطته هي الأعظم (قارن رسالة بولس إلى أهل رومية 34:8).

ثم سوف يتحقق الانتصار النهائي على الشيطان عندما يقوم جميع الناس[2]:

-رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنيثوس (24:15-26) : " سوف يملك يسوع حتى يبيد آخر عدو، وهو الموت. دخل الموت إلى العالم لأن الشيطان أغوى آدم لكي يخطئ (فقرة 21، 22). سوف يتحقق انتصار المسيح النهائي عندما يهزم آخر ما تبقى من الأعداء.

-الفقرات 53، 54 : " في القيامة، تتحد الروح مع الجسد، ثم نتبدل لكي نستطيع أن نرث ملكوت السماوات. عندئذ يبتلع النصر الموت.

إذا لم تكن هناك قيامة، يكون الله قد هزم ويكون الشيطان هو المنتصر وفي نهاية المطاف :

[1] إيروثيئوس: الحياة بعد الموت، ص 132.

[2] الفكر اللاهوتي في كتابات بولس، ص 150-151.

يتطلب انتصار الله النهائي وجود القيامة.[1]

الفرع الأول: في الأناجيل الإزائية

- **إنجيل متى :**

-" رجال نينوى* سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه، لأنهم تابوا بمناداة يونان" (إنجيل متى 41:12، إنجيل لوقا 32:11)

-" أيها الحيات اولاد الأفاعي ! كيف تهربون من دينونة جهنم؟" (إنجيل متى 33:23)

-كما تتحدث النصوص المقدسة عنهم، أيضا عن وعيد في النار لبعض البشر، فدلّ ذلك على أنهم عير ناجين، "متى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة والقديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده (...) ثو يقول أيضا للذين عن اليسار : اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته .." (إنجيل متى 31/25-42)

-و مثل قوله : " يرسل ابن الإنسان ملائكته، فيجمعون في ملكوته جميع المعاثر، وفاعلي الإثم، ويطرحونهم في أتون النار" (إنجيل متى 41/13-42)

-و مثله ايضا قول متى : " وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له، لا في هذا العالم ولا في الآتي" (متى 32/12)

-و مثله تهديد يوحنا المعمدان لبني إسرائيل من الاتكال على النسب من غير توبة وعمل صالح، إذ يقول : " يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم : لنا إبراهيم أبا" (إنجيل متى 3/7-9)

-و يقول المسيح لهم: "أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم" (إنجيل متى 33/23)، فلم يحدثهم عن الفداء البروتستني الذي سيخلصون به من الدينونة.

-بل توعدهم بجهنم فقال: "خير لك أن يهلك احد أعضائك، ولا يقلى جسدك كله في جهنم" (إنجيل متى 29/5) .

---

[1] سعيد حكيم: الحياة والموت رؤية آبائية، ص 28.

* نينوى: مدينة في بلاد ما بين النهرين على ضفة نهر دجلة، كثيرا ما ورد ذكرها في الكتاب المقدس.

-و قد خاطب المسيح تلاميذه: "فإني أقول لكم: إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات، قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب على أخيه باطلا، يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه : رقا، يكون مستوجب المجمع، ومن قال : يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنم" (إنجيل متى 5/20-23).[1]

- **إنجيل مرقس :**

-" من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد ن بل هو مستوجب دينونة أبدية" (إنجيل مرقص 29:3)

-"تحرزوا من الكتبة، الذين يرغبون المشي بالطيالسة، والتحيات في الأسواق والمجالس الأولى في المجامع، والمتكآت الأولى في الولائم، الذين يأكلون بيوت الأرامل، ولِعِلّة يطيلون الصلوات. هؤلاء يأخذون دينونة أعظم" (إنجيل مرقس 12:38-40 إنجيل لوقا : 20:46-47).[2]

- **إنجيل لوقا :**

-" رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه، لأنهم تابوا بمناداة يونان" (إنجيل متى 12:41، إنجيل لوقا 11:32)

-تحرزوا من الكتبة، الذين يرغبون المشي بالطيالسة، والتحيات في الأسواق والمجالس الأولى في المجامع، والمتكآت الأولى في الولائم، الذين يأكلون بيوت الأرامل، ولعلة يطيلون الصلوات. هؤلاء يأخذون دينونة أعظم" (إنجيل لوقا : 20:46-47).[3]

الفرع الثاني : في إنجيل يوحنا

-" وهذه هي الدينونة : إن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (إنجيل يوحنا : 3:19)

---

[1] ماكدويل جوش: تفسير العهد الجديد، دراسة تاريخية لاهوتية، ترجمة لويس كامل، لوجوس، القاهرة 1992، ص 107 وما بعدها.

[2] المرجع نفسه، ص 223.

[3] المرجع نفسه، ص 313.

- الكتر الجليل في تفسير الإنجيل، ص 64.

-" الأب لا يدين أحدا، بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (إنجيل يوحنا 22:5)

-" الحق الحق أقول لكم : إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي ارسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (إنجيل يوحنا 24:5)

-" تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة. أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا. كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة" (إنجيل يوحنا 28:5-30)

-" لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون" (إنجيل يوحنا 39:9).[1]

الفرع الثالث : في رسائل بولس

-"ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم؟" (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 2:6)

-" وكما وُضِع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة " (رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين 27:9)

-" أنت بلا عذر ايها الإنسان، كل من يدين. لأنك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك. لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها ! ونحن نعلم أن دينونة الله هي حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه. أفتظن هذا أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه، وأنت تفعلها، أنك تنجو من دينونة الله؟ أم تستهين بِغِنى لطفه وإمهاله وطول اناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضبا في يوم الغضب".

-" واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله" (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 1:2-6)

-" لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب

1ماري سترونج: سفر الرؤيا والأزمنة الأخيرة، ص 95 وما بعدها.

الجسد بل حسب الروح" (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 1:8)

- " الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه، غير مميز جسد الرب" (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 29:11).[1]

المطلب الثالث: الدينونة بحسب رؤيا يوحنا اللاهوتي :

مقدمة:

طوبى لمن يقرأ ويفهم !

فسفر الرؤيا إذا هو من أصعب كتب العهد الجديد، يصعب على قارئه أن يتابع سلسلة الصور الرمزية المشفرة التي تتوالى فيه منذ إعلان المقدمة: " طوبى لمن يقرؤون ويحفظون"، وحتى الصلاة الختامية : "ماراناتا". فالمشاهد صعبة يمكن تفسيرها على أكثر من نحو، والرؤى السماوية غريبة عما نعرفه ونفهمه، والشخصيات مذهلة لا نعرف لها هوية واضحة ...

أمام نص سفر الرؤيا يشعر القارئ وكأنه أمام فصول متعددة من الصعب ربطها. يقرأ فيظن أنه أمام مشهد نهاية العالم، دون أن يفهم كيف سيكون ذلك. بسبب صعوبته أخذ هذا الكتاب صفة كتاب النهايات، وعرف في العالم بكتاب الكوارث الأخيرة.

-سفر الرؤيا: الأبعاد والأهداف –بحسب الإيمان المسيحي-:

أثار سفر الرؤيا هذا، المنسوب إلى القديس يوحنا، والذي كتب حوالي سنة 90 بعد الميلاد، العديد من التساؤلات. ولا يزال الكثيرون حتى اليوم، يؤمنون ويبشرون بأنه إعلان عن نهاية العالم.

فقد تناقلت البشرية عبر الأجيال، خبرا مخيفا يستند إلى رؤية مروعة، لا يؤمن بها أحد، لكنها تخيف الجميع، تعلن نهاية العالم والدينونة الأخيرة، وفناء كل الخليقة، في كارثة كونية نهائية. شكل هذا الخبر "الإشاعة"، ولا يزال حتى اليوم، مناسبة ذهبية استفاد منها المتشائمون، وفرصة ماسية أمام من يعرف كيف يصطاد خوف الناس، ليحقق مصالح مالية وسياسية واجتماعية ... هكذا شهدنا في أيامنا الحاضرة مثلا، وابتداء من الحرب الباردة وحرب العراق، مرورا بالعام

[1] الفكر اللاهوتي في رسائل بولس، ص 212 وما بعدها.

ألفين، ثم باستهداف برجي نيويورك، والتهديدات النووية الحالية ... إلحاحا على التبشير باقتراب نهاية العالم، وبانتظار كارثة لن تُبْقي معْلما للحياة على أرضنا. ولإسناد مقولتهم على أسس دينية، لجأ هؤلاء إلى خليط من النصوص الرؤيوية، والنبوءات الخيالية، مضافة إلى كل نبوءات العهد القديم المخيفة حيث وجدوها. ويأتي سفر الرؤيا في أصل هذا الهذيان.

يأتي عنوان الكتاب من الفعل اليوناني Apocalyptein ومعناه كشف وأعلن وهو الإنجيل الأخير من بين أناجيل العهد الجديد، يحتوي على سلسلة من النبوءات التي تتناول الماضي والحاضر والمستقبل، وقد وضع له كاتبه هدفا أساسيا، يتمحور حول الملكوت الأبدي وانتصار المسيح على الشرير، مما يعني أنه أبعد من أن يكون نصا حرفيا يتناول نهاية العالم يوما فيوما.

منذ بداية المسيحية، قرأ المفسرون هذا السفر قراءة إسكاتولوجية (من اليونانية إسكاتا Eschata أي الأشياء الأخيرة، والأحداث النهائية)، ارتكازا إلى معطيات النص الزمنية (ما سيكون)، وإلى الإشارات الكثيرة التي تدل على عودة المسيح، وإلى تكرار الوعود المعطاة إلى الكنائس، إضافة إلى وصف المعركة الأخيرة بين المسيح وقوى الشر، لتحضير مجيء عالم جديد تحقيقا للملكوت السماوي.

هكذا أخذت عبارة "ملك الألف سنة" (رؤ 20) معنى الإعلان عن فترة ازدهار كبيرة سيعيشها المسيحيون، قبل عودة المسيح، أو كرمز لمدة حياة الكنيسة كما سنرى فيما يلي:

ليس سفر الرؤيا كتاب رعب، بل كتاب يعبر عن رغبة الكاتب المزدوجة في الاتحاد أكثر فأكثر بالمسيح يسوع، وفي تحقيق عالم مثالي، بعيد عما يحياه من ألم وظلم. ليست "الرؤيا" إلا كتابا يعلن طريقته الخاصة عن إيمان المسيحيين ورجائهم عبر الأزمنة وما وراءها.

فإن كان بعض المؤمنين قد قرأوا سفر الرؤيا بطريقة أصوليه، فرأوا فيها سيناريوا لرزنامة أحداث ستطبع نهايات الأزمنة[1].

[1] ساهمت هذه القراءة بظهور مؤلفات، تختلط فيها رؤيا يوحنا مع تنبؤات نوسترادامس وأسرار فاطيما، ناشرة نظرة تشاؤمية للزمنين الحاضر والآتي، وكأن سفر الرؤيا كتاب خيال علمي مرعب. ولد سفر الرؤيا من لقاء وحيين إلهين، الوحي الأول هو الكتب المقدسة، والوحي الثاني هو شخص المسيح الذي تممها، في هذا الكتاب يمكن للكنيسة أن ترى مصيرها التاريخي، حيث تسهم الاضطهادات في غلبة الله على العالم وعلى الشرير. وهكذا، فإن وحي المسيح يسوع هو "في الأمس واليوم وإلى الأبد" وهو ما ينير كل تاريخ العالم من البدء وإلى النهاية. نقلا عن نورمان دودمان: سفر الرؤيا دراسة كتابية، ص 6-7.

فإن البعض الآخر فهم ن عن حق، أن سفر الرؤيا هو تعبير ليس عن خوف من نهاية العالم بل عن قلق من استمرارية المحنة التي يحياها المؤمنون دون نهاية. من هنا فإن الرؤيا هي كشف "ليسوع المسيح بيسوع المسيح"، هي رؤيا المسيح الممجد الذي به تفتتح الرؤيا وعليه تختتم. إنه كتاب يعرض كل سر المسيح منذ ولادته، إلى موته وقيامته، ومجيئه بالمجد.[1]

و أمام كل الأرقام التي يعج بها الكتاب والغموض الذي يحيط بها[2]، يبدأ القارئ بالتحليل استنادا إلى علوم الحساب، ظنا منه أنه بذلك يصل إلى حل لغز نبوءة تتعلق بنهاية العالم. لكن الرائي صاحب الرؤيا واضح في هدفه : كتاب نبوءته لا يحمل سوى بشرى وحيدة، هي البشرى السارة، والدعوة إلى الخلاص.

وليس سفر الرؤيا سفر نهاية العالم الوشيكة المرعبة، بل هو كتاب الرجاء، كتاب "خلاص الرب"، وعلى هذا المستوى يفترض بالمؤمن قراءة رموز الرؤيا. فالألف والمائتان والستون يوما هي زمن المحنة المؤلّفة من اثنين وأربعين أسبوعا أو ثلاث سنوات (أزمنة) ونصف، هي المحنة عينها

---

1 المرجع نفسه، ص 9.

2 تلعب الأرقام في سفر الرؤيا دورا رمزيا كبيرا، وتأخذ مكانا واسعا فنقرأ عن 144000 شخصا مختارا، وعن رقم وهو 666 علامة الوحش، وعن فترة 1000 سنة أو 1260 يوما أو 42 أسبوعا أو 3 أزمنة ونصف.

يبدو سفر الرؤيا كتابا جيد البناء بالرغم من أن ارتباط أقسامه ببعضها البعض تبقى صعبة الفهم. العنصر الأهم في هذا البناء هو الرقم 7. ففي الرؤيا أربع مجموعات من سبع : الرسائل السبع إلى الكنائس السبع (1:2-22:3)، بمنائرها السبع والكواكب السبع)، ثم سلسلة من ثلاث مجموعات من سباعية مبنية بشكل متواز، هي فتح الأختام السبعة (1:4-6:8)، يليها مقطعان لحدثين يتسبب بهما سبع ملائكة، على وقع أصوات الأبواق السبع (2:8، 7:8-21:8، 14:11-18)، ثم الكؤوس السبع (1:15، 5:15-21:6). ولا ندري إن كان في هذه المجموعات خبر عن أحداث متتالية، أم هو عرض لحدث واحد بوجوهه كافة؟ إلى جانب هذه المجموعات المسبعة، سلسلة سبعيات أخرى كالرؤى السبع (19:10-8:15)، والكلمات السبع ضد بابل (1:17-10:19) والرؤى السبع الأخيرة (11:19-8:21)، وسبعة أمور تحدث امام العرش السماوي (1ك4-14:5 9:7-17، 1:8-4، 15:11-18، 1:14-5، 2:15-8، 1:19-10)، والتطويبات السبع (3:1، 13:14، 15:16، 9:19، 6:20، 7:22، 14) وسبعة تعابير للدلالة على الأمم والشعوب والقبائل واللغات والمرات السبع التي يذكر فيها الله مع الحمل (13:5، 16:6، 10:7، 4:14، 22، 1:22، 3:22)، والعناصر السبعة في تمجيد الحمل ذي القرون السبعة، والعيون السبع (12:5)، وفي عبادة الله (12:7)، إضافة إلى فئات البشر السبع الذين يفرون عند فتح الختم السابع (15:6). ويستعمل الكاتب في كل ذلك رموزا بيبلية، مستعارة من عالم الكتب العبرية، ليعيد إخراجها في سيناريو رؤيوي، فيخلق عالما من المعاني، يبرز في تاريخ الشعب. إن هذا الشعب الذي اختاره الله ليكون أمام الأمم نورا إلهيا، تحول بمجيء مسيحه إلى كنيسة انبثقت منه لتضم كل الأمم. نورمان دودمان: سفر الرؤيا من ص 9 إلى ص 27 بتصرف.

المتمثلة بزمن أنطيوخوس أبيفانوس* الظالم، والتي يتكرر مع كل ظالم في البشرية.

أعد الله العالم للخلاص، وكأنه مكتوب عليه الرجاء[1]: هذا موضوع بشارة سفر الرؤيا، فهو ليس كتاب حساب بل كتاب تبشير للحاضر والمستقبل. فالأفعال في سفر الرؤيا تأتي في صيغ الماضي والحاضر والمستقبل، لتؤكد ما يتعلق بنهاية الأزمنة. يعرف يوحنا أن الزمن نسبي وأن الله يستعمله بحسب إرادته القدوسة.

يقرأ كاتب سفر الرؤيا العهد القديم، ويشرحه على ضوء لاهوت الإنجيل اليوحني، فيستنتج أن الخلاص سيأتي بالرغم من رفض الناس لله، وليعلن للجميع أن من يؤمن يحصل على هذا الخلاص منذ الآن.

نظرة مسيحية بأسلوب رؤيوي يهودي:

علاقة الرؤيا بالعهد القديم واضحة تماما. فالأسلوب الرؤيوي كان معروفا في تاريخ الشعب اليهودي. نرى آثاره في كتابات أخنوخ، وحزقيال، وزكريا، وخاصة في كتاب دانيال. يقوم هذا الأسلوب على عناصر محددة تتكرر في كل الرؤى وترتكز على راء، ورموز كثيرة من ألوان وأعداد وأشخاص، وخلائق أسطورية، إلخ.

كان هذا الأسلوب الرؤيوي ضروريا أثناء سبي شعب إسرائيل إلى بابل، بعد انتصار نبوخذنصر (587 ق.م). فالشعب المهجر والمشتت بعد دمار الهيكل، عرف بأنه مهدد بالذوبان في حضارة غريبة، وقد غابت عنه النبوءات وافتقر إلى الأنبياء. صمتت السماوات، وبدا الله وكأنه لا يبالي ببؤس شعبه. صرخ أشعياء: " آه، لو تمزق السماوات وتنزل" (أش 19:63)، فظهرت النصوص الرؤيوية، التي تتخيل نهاية مفجعة لهذا العالم المر، ومجيء ما هو أفضل وأكمل. انقلبت علاقة إسرائيل بإلهه في هذه النصوص، فلم تعد السماء "المغلقة" هي من ترسل علامات إلى الأرض، بل هناك راء يطير نحو الأعالي، ليتلقى وحيا، ثم يعود لينقله إلى الناس.

---

* أنطيوخوس: إسم مدوني يعني المقاوم، تسمى به 13 ملكا من ملوك الأسرة السلوقية التي حكمت سور بعد الإسكندر المقدوني. وهو أبيفانيس الرابع 163-175 ق.م، وقد حاول أن يصبغ فلسطين بالصبغة الهلينية وأعلن نفسه إلها

[1] الرجاء: في الكتاب المقدس، نرى أن مفردات الرجاء العبرية هي إلى حد ما مفردات الإيمان وهو يشير إلى وجه انتظار الخيرات الموعود بها وهو على الصعيد اللاهوتي من أمهات الفضائل فهو غاية الإنسان الأخيرة وسعادته (...) وهو فضيلة لدنية أي صادرة عن عطلة من الله أو عن النعمة. معجم الإيمان المسيحي، ص 232.

هذا ما حدث بعد موت يسوع. ففي سنة 70 ميلادية، طُرد الشعب اليهودي بعنف من أرضه على يد السلطة الرومانية، وهُدِم الهيكل، فلم يبق أمام الناس من خيار إلى الشتات. وكما في السابق، بدأت المؤلفات الرؤيوية بالظهور تمحورت هذه الكتابات حول موضوعين : الأول هو الاعتقادات اليهودية وإيمانها بعالم أزلي علوي يتخطى العالم الحاضر المنظور، والثاني هو التساؤل عن سبب الشر، وعن مكانة الله السيد في عالم يسود فيه الشر. لكن هذه الرؤى عرفت فوضى وراحت تتكاثر دون أي رادع، فشكلت خطرا على الإيمان الحق، مما أدى بالسلطات اليهودية في الشتات إلى رفضها وتحريمها. هنا تدخل المسيحيون الأوائل، وغالبيتهم من أصول يهودية، ليتبنوا هذا الأسلوب الذي رأوا فيه امتدادا لنبوءات العهد الجديد، فولد سفر الرؤيا، بلغة يونانية ولكن بفكر يهودي أكيد[1].

فمن كتب العهد القديم، تستعيد الرؤيا مواضيع مهمة مثل الدينونة والخلاص في نهاية الأزمنة، أو موضوع يوم الرب، كما تستعيد الشخصيات والأمكنة والأحداث الأساسية في التاريخ المقدس[2]، لتعلن ما كان يختص بإسرائيل وحده في التوراة والأنبياء، بات الآن يشمل الكون بأسره، وأن جماعات المسيح المتأتية من كل جنس ولغة (رؤ 6:1، 10:5) سترِثُ مملكة الكهنة (حز 6:19) الذين يأتون من كل الأمم (رؤ 6:5). في رؤياه، يعمد يوحنا الرائي إلى شرح التقاليد القديمة على طريقة الأنبياء، مستعملا المعطيات الأدبية المستلة من العهد القديم[3].

هدف سفر الوحي توحيد الصفوف وتشجيعها أمام الاضطهادات الآتية. فكان لابد من إعادة الجماعات المسيحية إلى جذرية الإنجيل وإلى الحماسة الأولى، من خلال التذكير بنهاية الأزمنة، والدينونة التي تهدد البشرية في كل لحظة. فكانت فكرة نص يختتم ما بدأه سفر التكوين، بطريقة لا تنسى، من خلال العودة إلى شجرة الحياة، والحية القديمة، والنمرود المتسلط على بابل،

---

[1] يعود سفر الرؤيا بشكل دائم إلى الكتابات اليهودية، دون أن يذكرها بشكل مباشر، فنجد في هذا السفر المؤلف من 405 فقرات 285 مرجعا من العهد القديم، من التوراة، وسفر القضاة، وصموئيل، والملوك، والمزامير، والأمثال، ونشيد الأناشيد، وأيوب، والأنبياء ... لكن نصف المراجع الكتابية ترجع إلى المزامير وحزقيال ودانيال وأشعيا.

[2] في رؤ 6:8-12، 2:16-13 عودة إلى ضربات مصر، وفي حز 7-14 تعود رؤ 18:22-19 إلى تكوين شعب الله الجديد، بحسب تشريع كان قد أعْطِي للشعب القديم (تث 1:4-2، 32:12، 19:29-20)

[3] نبوءة حزقيال (1:9-16:10)، رؤيا أجزاء أورشليم والهيكل الخمسة (رؤ 20-22، حز 37-38)، وخبر ضربات مصر كما يذكره عا 6-8 (رؤ 16:8) ونهاية الأزمنة (رؤ7)، وصورة عرش الله في دا 7 و(رؤ 1:4-5).

والنبي الكذاب المتسلط على بابيلونيا ...[1]

رؤى سفر الرؤيا بين الواقع والمرتجى :

في سفر الرؤيا سلسلة طويلة من الرؤى والأحلام، يشجع فيها الرائي المسيحيين الأوائل، ليثبتوا أمام الاضطهادات التي يتعرضون لها، والتي استمرت حتى القرن الرابع[2].

يمكن للقارئ أن يستنتج من هذه الصور القديمة العنيفة، التي هدفت إلى هز المشاعر والنفوس، ثلاثة أجزاء :

-الجزء الأول (1–11):

يهدف إلى إبراز مصير المسيحية في مقابل اليهودية التي انبثقت منها. فبعد التحذير وبعض التوصيات التي يوجهها إلى كنائس آسيا السبع، يسلم الله إلى الحمل، رمز المسيح، مستقبل الإنسانية المحفوظ في كتاب مغلق بسبعة أختام (كتاب الشريعة). عند فتحه للأختام الأربعة الاولى يظهر فرسان الرؤيا الأربعة، معلنين الحرب والقتل والجوع والموت، ويؤكد الختمان التاليان مجد الشهداء وحماية الأبرار المئة والأربعة والأربعين من كل شر، وظفرهم في السماء، في حين يعلن الختم السابع مجيء اليوم العظيم في ختام كوارث تنتهي بمجيء المسيح.[3]

-الجزء الثاني (12–10:19):

يبدأ برؤيا المرأة والتنين، أي بالكنيسة (المتحدة بالله كأنها عروسه)، والشيطان (الحية في سفر التكوين، والتنين في سفر الرؤيا). هذه المرأة الحبلى التي تصيح من الم المخاض، هي رمز

---

[1] ماري سترونج: سفر الرؤيا والأزمنة الأخيرة، ص39 وما بعدها.

[2] يطرح هذا الكتاب أسئلة لا تعد ولا تحصى. فمن هو أولا يوحنا هذا الذي ارتأى أن ينقل لقرائه في الفصل 22 رؤيا نبوية كهذه؟

أراد التقليد، استنادا إلى يوستينس في حواره مع تريفون وإلى إيريناوس في كتابه ضد الهرطقات، أن يكون كاتب سفر الرؤيا يوحنا الإنجيلي الشاهد على صلب المسيح وقيامته. لكن أوسابيوس القيصري، ودونيسيوس الإسكندري، وغيرهما اعترضوا على هذا الأمر، وهو ما ترجحه الدراسات اليوم. فالسفر كتب في عهد الإمبراطور الروماني دوميسيان (81–96 ب.م)، ولا يمكن أن يكون الإنجيلي يوحنا قد ألفه، فلا التواريخ ولا الأسلوب يدلان على ذلك. فمن الأفضل بالتالي، الكلام عن مدرسة فكرية يوحنية مرتبطة بشخص الإنجيلي يوحنا ولاهوته. نقلا عن: د.إبراهيم سعيد: فتح السفر المختوم، ط2، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى 1969، ص 7 إلى ص 11.

[3] فتح السفر المختوم، ص 31.

للإنسانية. في مواجهتها للتنين رمز الشر والشرير في كل آن ومكان.[1]

ستحصل المرأة على مساعدة السماء، ومع ذلك فإن التنين لم يمت لأنه أعطى سلطانه للوحش الذي "يتكلم بالكبرياء والتجديف"، ثم لوحش آخر، و"من كان ذكيا فليحسب عدد اسمه، إنه عدد اسم إنسان وعدده 666" (18:13). هذان الوحشان هما صورة عدو المسيح ابن الله، الذي لا زال يحكم العالم باسم الشيطان.

لكن العقاب آت، فابن الإنسان يأتي "و بيده منجل مسنون" للحصاد. وإذا بسبع كؤوس مملوءة نكبات يحملها سبعة ملائكة. جف ماء الفرات عند الكأس السادسة، فاستطاع ملوك الشرق أن يعبروا ويتجمعوا لمعركة نهائية "في هرمجدون" (16:16)، ثم تأتي الكأس السابعة والنكبة السابعة لتدمر بابل، رمز الإمبراطورية الرومانية مضطهدة المسيحيين.

-الجزء الثالث (20-22):

و هو الجزء الأكثر غموضا، نرى فيه كلمة الله على رأس الجنود السماوي (13:19)، يسحق الوحشين ويرميهما في مستنقع النار (20:19)، ويقيد "التنين الحية لألف سنة"(2:20-3)، بعد ذلك يطلق التنين مرة أخيرة وقصيرة، فيضل "الأمم في زوايا الأرض الأربع، أي ياجوج وماجوج" (8:20) قبل دماره النهائي الأبدي. عندها تلتقي السماوات والأرض، وتشع أورشليم السماوية[2] "مهيأة مثل عروس مزينة لعريسها" (20:21).

وتختم الرؤيا الكتاب المقدس بعرض لكمال ما بعد هذه الأرض وتنتهي بهذه الكلمات : "يقول الذي يشهد بهذه الأشياء: جل إني آت على عجل، آمين ! تعال أيها الرب يسوع"[3].

---

[1] المرجع نفسه، ص 96.

2 فتح السفر المختوم، ص 161.

[3] اعتبر القديس أغوسطينس، في برهانه على أن الملك الألفي ليس نهاية العالم، وأن فترة الألف سنة بدأت مع ولادة المسيح، لذلك كان الخوف والهلع عارما على مشارف السنة 1000م.

و في زمن الإصلاح البروتستانتي، اعتبر الإصلاحيون أنفسهم أنهم مؤسسو المسيحية الأصلية الجدد، واستندوا إلى سفر الرؤيا لتبرير مقاومتهم ضد البابوية. فرأى لوثر في بابل صورة الكنيسة الرومانية، وفي البابا ملامح الوحش، وفد عبر مرارا عن إيمانه بعودة المسيح القريبة.

لكن تبين عبر الزمن أنه لا يجدر قراءة سفر الرؤيا قراءة حرفية. فقد ظهرت صعوبات شرحه الحرفي منذ القرن السادس عشر، فبدأ اليسوعيون محاولة وضعه في إطاره التاريخي. منذ ذلك الوقت بدأ المفسرون يرون في الرؤيا شهادة المسيحيين الأوائل عن زمنهم وخبرتهم، وأكدوا أن الرؤيا ليست خبرا عما سيكون في المستقبل، بل هي نقل لخبرة الانتقال من اليهودية إلى المسيحية.

على ضوء قيامة المسيح الذي غلب الألم والموت. ينطلق من زمن حاضر البشر المفتوح على مستقبل قريب، ليعطي مفتاحا لكل الأحداث الصعبة وغير المفهومة التي يعانون منها.

يستوحي يوحنا من خبرة الشعب اليهودي ومن لغته وصلواته، ليجعل من الكنيسة صورة شعب الله المكتملة، باكورة العالم الجديد والبشرية الجديدة، التي تستسلم لقيادة المسيح موسى الجديد، فتجتاز به كل المحن نحو الفصح الجديد. يتم الاحتفال بهذا النصر الفصحي يوم الأحد "يوم الرب"، كتذكار حي للقيامة، من خلال المشاركة بالإفخارستية بشكل خاص، لأنها الرابط بين الزمن الحاضر، أي زمن صعوبات الجماعة والدعوة إلى التوبة من جهة، وبين الزمن الإسكاتولوجي الذي يتخطى الزمن، للمشاركة في ملك المسيح القائم من الموت من جهة ثانية.

تشكل الليتورجية اليهودية، إطارا لسفر الرؤيا، بعد أن أعطاها الرائي طابعا مسيحيا. في رؤ 4:4 نحن أمام شيوخ في ثياب بيضاء، هم رمز إلى الشخصيات الكبيرة في العهد القديم، آباء العهد الأول، وأجداد المسيحيين. على رؤوسهم أكاليل هي من صفات الأبرار (أش 12:9)، يعد بها الرب كل من كان أمينا في نهاية الرسائل السبع.[1]

و في الرسائل إلى الكنائس، يصل الرائي إلى البعد الإسكاتولوجي في ختام كل رسالة، بالإشارة إلى العماد والإفخارستيا. وهذا الجمع بين الاثنين هو من ميزات الأعياد الفصحية في الكنيسة الأولى.

نعم إن هم الرائي هو الشهادة لفصح المسيح. يعلن في رؤياه لإخوته وللمسيحيين أن

لم يقبل سفر الرؤيا في القانون، في مجمع اللاذقية الأول سنة 360، لكنه ادخل في لائحة الكتب القانونية نهائيا سنة 397، خاصة بسبب الفصل العشرين، الذي يتكلم عن ملك المسيح لألف سنة على الأرض. فقد رأى آباء الكنيسة في عدم نهاية العالم، وفي انتصار الإيمان المسيحي على الإمبراطورية الرومانية، دلالة على أن الملك الألفي ليس للزمن الآتي، بل هو زمن ملك الكنيسة الذي تحقق. نقلا عن: فتح السفر المختوم، ص213 وما بعدها.

[1] كتب سفر الرؤيا ليكون رسالة (1:4-5، 11، 10:22 ي) يقرأها المؤمنون أثناء اجتماع الكنيسة للعبادة يوم الرب (1:10) في الكنائس السبع في آسيا الرومانية (22:1-3:22)، على مثال رسالة بطرس الأولى، أو رسالة بولس إلى أفسس، تقرأ للتأمل والاتعاظ، فالحكم الذي يهدد إزمير، أو سرديس موجه إلى كل الكنائس، لأن الروح هو من يتكلم إليها جميعا (6:3)، والعدد الرمزي المتمثل بالرقم سبعة، كما غياب الرسائل إلى كولوسي أو هيرابوليس، الموجودتين في المنطقة عينها، يشير إلى أن هذه الكنائس السبع تمثل كنيسة العالم كله. تعكس هذه الشمولية وجها أساسيا لرسالة سفر الرؤيا، يتمثل بالإعلان أن الرجاء المسيحي يتطلع إلى تحقيق مشروع الله الهادف إلى خلق شعب واحد مؤمن، ينبثق من الشعوب والأمم كافة. بحسب الإيمان المسيحي والرؤية الكتابية طبعا.

لعبادهم، وليتورجيتهم، وأسرارهم قيمة كبيرة في تحضير مجيء الرب، وأنها مشاركة فعالة، منذ الآن، في هذا الزمن الأخير. وفي هذا الإطار تجمع الرؤيا في "إفخارستيا" واحدة، وفي فعل شكر واحد، كل مؤمني العهد القديم مع مؤمني الكنيسة، ما رآه الرائي هو ما نستنتجه من الاحتفال الإفخارستي. لقد فهم يوحنا أن الإفخارستية هي أبعد من أن تكون مجرد لقاء روحي، لأنها فعليا حدث كوني، فيه يصبح الله حاضرا: إنها حدث رؤيوي.[1]

سفر الرؤيا هو سفر الرجاء الذي يحتفل به "المؤمنون" في الإفخارستيا، حيث ينشدون عاليا "ماراناتا"، تعال يا رب، يا من أتى ! إنه الرجاء المأمول في عالم تخترقه المواجهات.

ما أراد الرائي أن ينادي به هو إذا التالي : "قداسنا هو الرؤيا الآن". ولكن إن كان ذلك صحيحا فما معنى "ملك الألف سنة" الذي يحضر نهاية العالم إذا؟

- **الرجاء في سفر يوحنا وعلاقته بالدينونة:**

ترد فكرة ملك الألف سنة في سفريْن من الكتب المقدسة هما سفر دانيال في العهد القديم، وسفر رؤيا يوحنا في العهد الجديد. يتكلم الأول عن مملكة أرضية، في حين يقدم الثاني الوجه السماوي للحدث الأكثر المتمثل بـ "مجيء ملكوت الله". في الأول تبدو كل نبوءات العهد القديم، المرتبطة بالمرحلة الزمنية الأرضية التي يتم فيها حكم الله، كأنها تتلخص في نبوءة دا 35:12-44، 13:7-27، كما يبدو نص رؤ 1:20-6، كملخص لكل ما يعلنه العهد الجديد عن الموضوع.

قبل التوقف بالعمق عند ما يعنيه مصطلح "ملك الرب على الأرض الذي سيدوم ألف سنة" على ما تؤكده الرؤيا، يجدر بنا أولا التذكير بالقراءة الزمنية التي تحكم نص هذا الكتاب. فالعدد ألف هو 10X10X10، وهو التالي لعدد الكمال الأرضي (10) مضروب بالعدد ثلاثة رمز الكمال الإلهي. فالمقصود إذا، هو فترة مقدسة تكون فيها الأرض مسرحا لكل الفضائل الإلهية، ويكون فيها الشيطان مقيدا في الهاوية (1:20-3)، بعد انهزامه والحكم عليه وعلى كل الأنبياء

1 William R.Kimball : Eucharist, tribulation and eschaton, Grand Rapids. Baker Book House 1985 P 179.

- نقلا عن الاختطاف السري والحقيقة الكتابية، إدوارد وودرو. ترجمة حمدي سعيد، الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط MERF 2000، ص 301.

الكذبة (رؤ 19).[1]

أما نحن فنرى بأنّ الكلام عن اللاهوت وكأننا في معرض الدفاع عن المعتقدات المسيحية التي درجت الكنيسة على إعلانها منذ القدم، أو عن العقائد التي تعلنها الكنيسة اليوم، في حين أن حقيقة اللاهوت تكمن في كونه رحلة لاكتشاف الحق والحياة. هذا ما فهمه يوحنا الرائي كاتب سفر الرؤيا، ولذلك استطاع أن يغامر في دخول عالم الإسكاتولوجيا، لقناعته بأن الإنسان لا يستطيع أن يصدر حكما ما، إلا إنطلاقا من الوحي.

وفي سفر الرؤيا أسئلة عديدة وأجوبة أكيدة.

نهاية العالم؟ تحديد الزمان والكيفية؟ أهذا ما تريده الرؤيا؟ لا بل تهدف إلى تأكيد ما نقرأه في مت 13:25 من أن "أحدا لا يعرف اليوم ولا الساعة".

و هي موافقة لقوله تعالى: "يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾" (الأعراف 187/ الأحزاب، 63).

فعن أية إسكاتولوجيا نتكلم؟ هل هي الإسكاتولوجيا الفردية، أو الإسكاتولوجيا الكونية، أو إسكاتولوجيا التاريخ، أو إسكاتولوجيا الطبيعة؟

هنا يأتي سفر الرؤيا ليرى عن الهوة بين كل هذه الانتظارات، ويعلن إسكاتولوجيا واحدة تتخطاها كلها، وتلخصها كلها برجاء واحد هو رجاء مجيء ملكوت الله، لأن الله وحده هو محور الرجاء. أعاد يوحنا في كتابه سؤال البيبليا الجوهري: متى سيظهر الله بكل مجده في السماء وعلى الأرض؟ وأعاد جوابها الأكيد الدائم: "مجده يملأ الأرض".

[1] بروس أنيستي: الأحداث النبوية مرتبة ترتيبا تاريخيا من الاختطاف إلى الحالة الأبدية. تعريب: ثروت فؤاد، مكتبة الأخوة، ص 131 وما بعدها.

ففي وقت يشاع فيه أن سفر الرؤيا هو رمز للدمار الآتي، وأن الإسكاتولوجيا فيه هي نهاية العالم، على ما في نصوص الضربات التي يتفنن في عرضها، يعلن كاتب السفر أن الإسكاتولوجيا ليست مجرد انتظار لنهاية العالم والأزمنة، فهي أيضا انتظار لمستقبل شخصي، ولمصير فردي بعد هذه الحياة.[1]

أما ملك الألف سنة، الذي أخذ أهمية كبيرة في الغرب حتى احتل مكانة أكيدة في الفكر اللاهوتي والاجتماعي، فما زال يطرح أسئلة متعددة فهل هو حكم المختارين الذي سيمتد على مدى ألف سنة ؟ ومن هم هؤلاء المختارون ؟ وهل الألف سنة هي مدة تاريخية محددة تستطيع فيها "الأمة المختارة" تحقيق ما تصبو إليه، وما تعتقده حقيقة مطلقة؟ وجواب سفر الرؤيا هنا أيضا أكيد: إنها ألفية إسكاتولوجية وليست تاريخية بالتأكيد. فمنطلق سفر الرؤيا واضح، يقوم على أن محور اهتمام المسيحي ليس سلطة المسيح على هذه الأرض وحسب بل هي المشاركة في "معركة المسيح" ضد الشر في كل مظاهره. وزمن الرؤيا ليس الزمن الذي يمر، بل الزمن الذي يأتي ليدوم، فلا يمكن بالتالي أن نضع زمن الألفية المنتظرة في زمن تاريخي، تبرمجه رزنامة بشرية لوقت يمر ويزول، بل يجدر فهم هذا الزمن الألفي، على مستوى الشراكة مع المسيح. إن اللاهوت المسيحي ليس لاهوت التاريخ الكوني بل هو لا هوت تاريخ الجهاد والرجاء.

لم يكتب الرائي نبوءته في سفر الرؤيا، على ما يفعل الأنبياء، الذين يعلنون الدمار والخراب الآتي. إنه الذي يعلن المستقبل الإلهي، والعدل الرباني والملكوت السماوي، من قلب الدمار، ومن قلب المآسي التاريخية والكونية. فلاهوت سفر الرؤيا الإسكاتولوجي يرتكز على تعالي الله، الذي يتدخل في التاريخ ليحكم ويخلص، جاعلا من الرجاء أساس الإسكاتولوجيا. [2]

أما نحن فنقول وبعد عرض الأحداث النبوية في رؤيا يوحنا بحسب الرؤية الكتابية بأن الخطورة في إنجيل يوحنا تكمن في كونه انفرد ببيان ألوهية المسيح بصريح اللفظ والعبارة وفرق بين نبوة المسيح والنبوة بمعناها العام .. كيف ذلك؟ في إطلاقه على المسيح ابن الله الوحيد: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى أنه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك من يؤمن به بل تكن له الحياة

[1] الأحداث النبوية، ص 209.
- فتح السفر المختوم، ص 315.
[2] فتح السفر المختوم، ص 368.

الأبدية".[1]

و هذه اللفظة "ابنه الوحيد" كانت هي القاعدة التي اعتمد عليها مجمع نيقيا، فأطلق على المسيح الابن الوحيد المولود من الأب كما تكمن خطورته في كونه أول إنجيل صرح بالتثليث والقول بألوهية المسيح لذلك كان البحث عن شخصية يوحنا مهما جدا للوصول إلى الحق في قضايا عدة: هل هو يوحنا الحواري الذي كان يحبه المسيح ويدعوه التلميذ الحبيب؟ أم هو يوحنا الآخر؟

ز الجديد بالذكر أن أرينيون تلميذ بوليكارب –التلميذ المباشر ليوحنا الحواري- نكر نسبة الإنجيل إلى يوحنا الحواري !

و تذكر دائرة المعارف البريطانية أنه من تأليف طالب من طلاب مدرسة الإسكندرية .. لذا فمن زاوية تاريخية علمية: فإن هذا الإنجيل مزيج من الفلسفة البوذية والهندية والأفلاطونية الحديثة التي ولّدتْ ذلك الثالوث .. !

المطلب الرابع: الدينونة في الفكر البولسي وأنواعها:

يختلف البعض في فكر الدينونة في الرسائل البولسية فالبعض يقول أن المؤمنين لا يدانون والبعض الآخر يقول الكل سيدان أمام كرسي المسيح.

-رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين 2:6 :

" قيامة الأموات، والدينونة الأبدية"، فالكلمة مقصود بها محاكمة وإصدار حكم وقرار ولو نركز فقط على الناحية الإلهية تعني "حكم" سواء لأمور زمنية أو أبدية، فردية أو جماعية. هي أتت من فعل "كرينو" أي يقرر أو يحكم وهي تعني قرار وحكم على جريمة وإدانة ودينونة والذهاب إلى القضاء والمحاكمة.[2]

- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي 21:5 :

" امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن"

---

1 يوحنا: 3-16.

2 ساندي ديفيد: دراسة في الرسائل التعليمية، مؤسسة الدراسات الكتابية، الإسكندرية 1996، ص 357.

-رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كرنثوس 5:13 :

" جربوا أنفسكم، هل أنتم في الإيمان ؟ امتحنوا أنفسكم، أم لستم تعرفون أنفسكم، أن يسوع المسيح هو فيكم، إن لم تكونوا مرفوضين؟"

-رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 1:14 :

" ومن هو ضعيف في الإيمان فاقبلوه، لا لمحاكمة الأفكار. ولكن حكم البشر ليس موضوعي"

و سأركز فقط على الدينونة الإلهية وليست أحكام البشر[1]، عبرت عنها الرسائل بدينونة "كرسي المسيح" أو يوم الدين.

من هو الديان العام ؟ الإجابة بالطبع، هو الله.

-رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس 8:4:

" وأخيرا قد وضع لي إكليل البر، الذي يهبه لي في ذلك اليوم، الرب الديان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا".

: الرب هو الديان وهو الأب وهو الابن.

-رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين 23:12 :

" وكنيسة أبكار مكتوبين في السماوات، وإلى الله ديان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكملين: الله هو الديان رغم إعطاء الدينونة للابن لأن الأب غير منفصل عن الابن".

-رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 5:4 :

" إذا لا تحكموا في شيء قبل الوقت، حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب. وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله".

حيث عرفنا معنى الدينونة ومن هو الديان أبدا في المفهوم العام للرسائل عن يوم الدين الذي يكون فيه الديان هو المسيح.[2]

---

[1] ساندي ديفيد: دراسة في الرسائل التعليمية، 363.

2 الفكر اللاهوتي في كتابات بولس، ص 256-257-259.

-رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس 10:5 :

" لأنه لا بد أننا جميعا نظهر أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع، خيرا كان أم شرا. ويقف الكل بعمله ليأخذ المكافئة أو مقدار العقاب والجزاء حسب الأعمال".

-رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل رومية:

- 6:2 الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله.
- 7:2 أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء، فبالحياة الأبدية وأنواع العمل.

-رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس :

- 11:3 فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساسا آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح
- 12:3 ولكن إن كان أحد يبني على هذا الأساس ذهبا فضة حجارة كريمة خشبا عشبا قشا. كل واحد سيصير ظاهرا لأن اليوم سيبينه (..) وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو.
- 13:3 فعمل كل واحد سيصير ظاهرا لأن اليوم سيبينه بنار يستعلن وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو.
- 14:3 إن بقي عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة، فمن عمل كثيرا يكافئ كثيرا.

-رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس :

- 6:9 هذا وإن من يزرع بالشح فبالشح أيضا يحصد ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضا يحصد.
- 7:9 كل واحد كما ينوي يقلبه ليس عن حزن أو اضطرار لأن المعطي المسرور يحبه الله.
- 8:9 والله قادر أن يزيدكم كل نعمة لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء تزدادون في كل عمل صالح.
- 9:9 كما هو مكتوب فَرّقَ أعطى المساكين بره يبقى إلى الأبد.

-رسالة الرسول بولس إلى أهل أفسس:

- 6:6 لا بخدمة العين كمن يرضى الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب
- 7:6 خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس
- 8:6 عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدا كان أم حرا

-رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية :

- 7:6 لا تضلوا الله لا يشمخ عليه فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضا
- 8:6 لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادا ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية.

مما تقدم يتضح أن يوم الدينونة هو بداية الأبدية واستمرارها بعد الحكم، ولكن تُوضح الرسائل أن يوم الدينونة فيه راحة لأولاده وفيه تعب للأشرار، ولكن حتى من دخل الأبدية في درجات مختلفة فالعذاب الأبدي فيه درجات، والحياة الأبدية فيها درجات مختلفة.

-رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 41:15 :

" مجد الشمس شيء، ومجد القمر آخر، ومجد النجوم آخر، لأن نجما يمتاز عن نجم في المجد. والمكافئة مضاعفة، ودينونة الله عادلة ولا يشوبها شبهة".

-رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 2:

- 2:2 ونحن نعلم أن دينونة الله هي حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه
- 3:2 أفتظن هذا أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه، وأنت تفعلها، أنك تنجو من دينونة الله؟
- 4:2 أم تستهين بِغِنَى لُطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ؟
- 5:2 ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضبا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة .

ونستخلص بأن دينونة الله عادلة ولكن في نفس الوقت رحومة فرحمته بحق وعدله برحمه،

فمن يدان فهو بلا عذر.-بحسب التعبير الكتابي-.

-رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 20:1 :

" لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات، قدرته السرمدية ولاهوته، حتى إنهم بلا عذر".

و لكن الوصول إلى كرسي المسيح من ناحية اليمين فقط يكون بالإيمان !

-رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 16:2 :

" إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان بيسوع لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما."

فبدون الإيمان بالمسيح الأعمال باطلة ولكن بالإيمان نتبرر وهو الذي نصل به إلى كرسي المسيح ولا يدان على أعمال –بحسب الفكر اللاهوتي البولسي-.

-رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 1:8 :

" إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح".

فيكون في الجانب اليمين وعند كرسي المسيح نأخذ المكافئة على قدر الإيمان الحي بالأعمال ! [1]

-ملخص ما سبق –بحسب الإيمان المسيحي البولسي- :

و فهمنا حتى الآن، أن الدينونة هي حكم وقرار يقوم به الله وهو أقنوم الابن الذي يجلس على كرسي مجده ويقف أمامه كل البشر ولكن البعض يأتي مستبشر لأنه آمن به وإيمانهم بفدائه فقط خلصهم وليس بالأعمال، فقط بالنعمة فبالأعمال ليأخذ المكافئة حسب جهاده ولا يأتوا إلى أي دينونة أو عقاب ! والبعض يأتي مرتعب يأخذ العقاب حسب شروره ! وهذه هي الدينونة العامة أو دينونة يوم الدين ولكن هذه ليست الدينونة الوحيدة التي تكلم تطرقت إليها الرسائل [2]..

[1] دراسة في الرسائل التعليمية، ص 249.

2 المرجع نفسه، ص 290 (بتصرف)

-أنواع الدينونة الأخرى :

أ. دينونة الصليب أو دينونة الخطية :

من أهم أنواع الدينونة في الرسائل التعليمية البولسية:

-رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 3:8 :

" لأنه ما كان الناموس عاجزا عنه، في ما كان ضعيفا بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد".

وهذا التعبير يوضح عمل المسيح كديان ظهر من تجسده إلى فدائه على الصليب ويكمل الدينونة وهو جالس على كرسي مجده ! ودينونة الصليب أنه حمل الخطيئة ليبرر البشر[1]!

-رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس:

- 21:5 لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطيّة لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيه".

: والخطية تصاحبها لعنة الدينونة بالعقاب ولكن المسيح الذي افتدى البشرية حمل اللعنة أيضا عنها.

-رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 13:3 :

" المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب : "ملعون كل من علق على خشبة".

: ودينونته للخطية في جسده تعطي لكل من يقبل بالإيمان أن يكون في جسده بلا دينونة.

-رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 1:8 :

" إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح".

-رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 22:15 :

" لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيحيا الجميع".

[1] دراسة في الرسائل التعليمية، ص 307 وما بعدها.

-رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 20:2 :

"مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في، فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي".

و يشرحها تفصيلا .

-رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 5 :

- 17:5 لأنه كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيرا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح.
- 18:5 فإذا كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة.
- 19:5 لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضا بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبرارا.
- 20:5 وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطية ولكن بحيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدا.
- 21:5 حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا.
- 3:6 أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته.
- 4:6 فدفنّا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الأب هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة.
- 5:6 لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضا بقيامته.
- 6:6 عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضا للخطية.
- 7:6 لأن الذي مات قد تبرا من الخطية.
- 8:6 فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضا معه.

فمن يؤمن بالمسيح ربا ومخلصا وفاديا، قد دينت خطيته في المسيح ولذلك ليس عليه شيء من الدينونة بل تبرر بالإيمان فقط ويقف أمام كرسي المسيح ليأخذ مكافئة إيمانه العامل حسب قدر عمل إيمانه ولكن الذي يؤمن فقط ولا يعمل فإيمانه ميت ولا يخلص ! ومن يخطئ بعد إيمانه عليه أن يعترف بخطيته ويقدم توبة سريعة !

هذا ملخص الفكر البولسي في موضوع الدينونة بحسب الرسائل التعليمية.

ب. دينونة المؤمن في حياته :

كما علمنا أنه لا دينونة على المؤمن وإن أخطأ يتوب والرب يغفر له ولكن إن ظهر شيء شرير في قلبه فيعطيه دينونة أو حكم في الأرض.[1]

" هو ذا طوبى لرجل يؤدبه الله. فلا ترفض تأديب القدير"

: وهدفه ألاّ يسلم الإنسان إلى الموت !

-رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين 5:12 :

" وقد نسِيتُم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين : " يا ابني لا تحتقر تأديب الرب، ولا تخر إذا وبخك" "

فهي نار للخلاص ..

-رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 15:3 :

" إن احترق عمل أحد فسيخسر، وأما هو فسيخلص، ولكن كما بنار"

فهو لخلاص البشر !

-رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين 12:

- 5:12 وقد نسيتم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبخك.
- 6:12 لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله.

[1] الفكر اللاهوتي في رسائل بولس، ص 410-411.

- 7:12 إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين فأي ابن لا يؤدبه أبوه.

: وقد تبدو بعض التجارب قاسية ولكن الهدف خلاص الروح.

-رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 5:

- 5:5 أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم يسوع.

ج. دينونة إسرائيل على الأرض:

-رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 11 :

- 1 فأقول : ألعل الله رفض شعبه ؟ حاشا ! لأني أنا أيضا إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين.
- 2 لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه، أم لستم تعلمون ماذا يقول الكتاب في إيليا؟ كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل قائلا:
- 3 " يا رب، قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك، وبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي !"
- 4 لكن ماذا يقول له الوحي؟ " أبقيت لنفسي سبعة آلاف رجل لم يُحْنُوا ركبةَ لبعل"
- 15 لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم، فماذا يكون إقتبالهم إلا حياة من الأموات؟
- 25 فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر، لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء: أن القساوة قد حصلت جزئيا لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم،
- 26 وهكذا سيخلص جميع إسرائيل، كما هو مكتوب : " سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب.
- 27 وهذا هو العهد من قبلي لهم متى نزعت خطاياهم".[1]
- 28 من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم، وأما من جهة الاختيار فهم أحباء من اجل الآباء.
- 30 فإنه كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله، ولكن الآن رُحِمتم بعصيان هؤلاء.

[1] دراسة في الرسائل التعليمية، ص 516 وما بعدها.

- 32 لأن الله أغلق على الجميع معا في العصيان، لكي يرحم الجميع.

و هذا ما تنبأ به حزقيال :

-سفر حزقيال 20:

- 33:20 حي أنا يقول السيد الرب إني بيد قوية وبذراع ممدودة وبسخط مسكوب أملك عليكم
- 34:20 وأخرجكم من بين الشعوب وأجمعكم من الأراضي التي تفرقتم فيها بيد قوية وبذراع ممدودة وبسخط مسكوب
- 35:20 وآتي بكم إلى برية الشعوب وأحكامكم هناك وجها لوجه
- 36:20 كما حاكمت آباءكم في برية أرض مصر كذلك أحاكمكم يقول السيد الرب
- 38:20 وأعزل منكم المتمردين والعصاة عليّ أخرجهم من أرض غربتهم ولا يدخلون أرض إسرائيل فتعلمون أني أنا الرب.
- 39:20 أما أنتم يا بيت إسرائيل ... فلا تنجسوا اسمي القدوس بعد بعطاياكم وبأصنامكم.
- 43:20 وهناك تذكرون طرقكم وكل أعمالكم التي تنجستم بها وتمقتون أنفسكم لجميع الشرور التي فعلتم.

ج. **دينونة الملائكة :**

-رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 6 :

- 3:6 ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة

: دينونة الأشرار الأبدية بعد الوقوف أمام كرسي المسيح .. فيدان الملائكة والأشرار !

-ملخص ما سبق –بحسب الرسائل التعليمية ومصطلحات كتابية–:

- المسيح دان الخطية في جسده بعد أن افتدى البشرية بالموت الكفاري وبهذا أصبح لا

دينونة على المؤمنين فهم نالوا الخلاص بالإيمان بأن الرب يسوع أعطاهم نعمة الفداء "مجانا" رغم أنها لا تقدر بثمن ينالها الإنسان بالإيمان فقط !

- و بعد هذا يجب على الإنسان أن يبرهن إيمانه بأعماله وهذه الأعمال يحفظها له المسيح !
- و لو أخطأ يتوب ولكن لو أكثر الخطأ يدان على الأرض بنار التجارب !
- و اليهود لهم دينونة أرضية.
- و يأتي كل إنسان بأعماله أمام كرسي المسيح فالمؤمنون به لا يدانون ولكن يأخذون مكافئة الأعمال والأشرار يدانوا.

المطلب الخامس: الدينونة في الفكر الآبائي –أوريجانوس أ نموذجا– :

– توطئة :

أوريجانوس (185–253 م) اللاهوتي السكندري، الفيلسوف، وهو واحد من أكبر اللاهوتيين ليس فقط في تاريخ اللاهوتيين الناطقين باليونانية بل في تاريخ البشرية قاطبة، فهو واضع أغلب الأسس للعقيدة المسيحية واللاهوت الكتابي في العصور القديمة.

"قصة حياته تسع أن يمتلئ بها كتابا" كما يقول يوسابيوس القيصري (يوسابيوس 6.2)، والذي يرجع له الفضل في نقل تفاصيل حياة أوريجانوس لنا. يروي يوسابيوس أن والد أوريجانوس أصر ألا يكرس أوريجانوس وقته لدراسة المناهج العادية قبل أن يتقن تماما الدراسات المقدسة كل يوم من خلال الاستظهار والتكرار (يوسابيوس 6.2)، ويضيف أنه عندما بلغ أوريجانوس سن الثامنة عشر أصبح رئيسا لمدرسة الإسكندرية (يوسابيوس 6.3). امتلك أوريجانوس فكرا موسوعيا جريئا، وقدم أفكارا لا تزال جدلا واسعا حتى اليوم. وتجدر الإشارة أن مؤلفات أوريجانوس –حسبما يذكر أبيفانيوس– بلغت ستة آلاف.[1]

أهم هذه الكتابات هو "في المبادئ on principals" وهو يمثل منهج لاهوتي ليس له سابق أو مثيل في العصر الآبائي وقد طوره أوريجانوس على أساس الرمز والكنيسة والكتاب المقدس ليؤسس مذهبا متكاملا عن الله، الإنسانية والعالم.

[1] عبد المسيح أسطفانوس: تاريخ الفكر المسيحي في القرون الأولى، ط1، شركة سولي للطباعة والإعلان، مصر الجديدة 2012، ص 144.

يمكن أن نحدد الأمور التي أُخِذَتْ على أوريجانوس في أربعة نقاط :

-أولا : أرواح البشر وجدت في حالة سابقة، وسجنهم في جسد مادي كان عقاب على خطاياهم التي ارتكبوها.

-ثانيا : النفس الإنسانية للمسيح كان لها أيضا وجود سابق، واتحدت مع الطبيعة الإلهية قبل التجسد.

-ثالثا: أجسادنا المادية ستتحول إلى أجساد أثيرية (روحانية) في القيامة.

-رابعا: كل البشر وحتى الشياطين سيعودون في النهاية لحالتهم الأولى وسيخلصون بواسطة المسيح.

- **الآخرويات** :

من الصعب أن نضع كل فكر أوريجانوس الأخروي في هذه الدراسة القصيرة، لذا سنقتصر الأمر فقط على بعض النقاط الأساسية في الفكر الأخروي عند أوريجانوس :

-الاسترداد الكامل :

يمكن اختزال فكر أوريجانوس الأخروي في مفهومه للانبعاث الكوني لجميع الأشياء والعودة مرة أخرى إلى حالتها الأولى : الحالة الروحية وهو الخط الأساسي في أخرويات أوريجانوس.

"الكلمة" جاءت في العهد الجديد مرة واحدة فقط في أع 21:3 " الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله".

في الفلسفات قبل المسيحية الرواقية والشبه أفلاطونية، هذا التعبير يشير إلى رد الكـــون إلى الحالة الأولى التي شُكّل عليها بواسطة العقل الإلهي أو المبدأ الأول. واستخدم أوريجانوس هـــذا التعبير للدلالة على الإعادة النهائية لكل الأرواح إلى الله. وطبقا لأوريجانوس، كل الأرواح كان لها وجود سابق مع الخالق، وجود روحي (غير مادي)، حالة كـــ "عقول"، لكنها سقطت لاحقا لكي يكون لها وجود مستقل عن الله. فكل الأرواح خلقت ولها حرية مطلقة، الله لا يستطيع أن يجبرهم للعودة إليه بسبب حب الله الغير محدود والذي يحترم مخلوقاته. بدلا من ذلك، خلـــق الله الكون المادي، وبدأ التاريخ، لأجل توجيه الأرواح لكي تعود إلى تأمل عقله اللانهائي، وهـــذا،

بحسب أوريجانوس، هو الحالة المثالية، هذا يستثني أي مفهوم الإدانة الأبدية أو جحيم الأبدي كما سنرى.[1]

يمكننا أن نلاحظ أن فكر أوريجانوس الأخروي قد تأثر على وجه العموم بالأفلاطونية المحدثة.

حسب هذه الفكرة تشكلت عقيدة أوريجانوس الأخروية، اعتقد أوريجانوس بأن الله في تدبيره الفدائي لن يترك أبدا الأرواح لتموت في الخطية، وهم أحرار في اختيار طريقهم، لكن في المدى البعيد وحتى بعد الموت يمنح الله هذه الأرواح الحياة الأبدية !: " صبره هو لفائدتهم، لأن الروح خالدة ولذا، حتى إذا لم يعالج حالا، فهو لم يمنع من الإنقاذ إلى الأبد، الإنقاذ يوضع جانبا فقط إلى وقت أكثر مناسبة" (في المبادئ 13:1:3)، لذا أنفس الذين ارتكبوا الخطايا على الأرض ستخضع لنا مطهرة بعد موتها (قبل أن تخلص)، بينما هؤلاء الصالحين سيدخلون الفردوس مباشرة.

" سوف يبلغ العالم غايته ومنتهاه، حينما يخضع كل واحد للعقوبات التي يستحقها من جراء ذنوبه ... لذا فكما أن منتهى الأشياء جميعا وحدتها كذلك ينبغي أن نعلم أن بدء كل شيء الوحدة، وكما أن هذا المنتهى الوحيد هو منتهى العديد من الكائنات كذلك يكون من بدء وحيد كثير من الاختلافات والتنوعات التي ترتد ثانية إلى منتهى مماثل لمنتهى البدء ...

و في رأينا، فإن عطف الله ورحمته سيعيدان، بواسطة المسيح، جميع المخلوقات إلى غايتها الأخيرة، بمن فيهم أعداءه" (في المبادئ 1:6:1).

لكن هذا الاسترداد الكوني ليس نهاية المطاف، بل هو مرحلة انتقالية، ومتأثرا بأفلاطون، علم أوريجانوس بوجود عوالم ستتلاحق بعد هذا العالم بلا نهاية مثل التي سبقته، فالارتداد عن الله والعودة إليه يتبع أحدهما الآخر دون نهاية.[2]

" ولكن ثمة من يحتج علينا قائلا : إن كان العالم قد بدأ في الزمن، فماذا كان الله يصنع قبل

[1] تاريخ الفكر المسيحي في القرون الأولى، ص 151-153.

[2] تاريخ الفكر المسيحي في القرون الأولى، ص 151-153.

بدء العالم؟ إن القول بأن طبيعة الله متكاسلة لا حراك فيها أثيم وسخيف معا ...[1]

أما نحن فنجيب بمنطق فيما نثابر على الأمانة لقاعدة التقوى –بحسب أوريجان–: لم يبدأ الله عمله حينما خلق هذا العالم المرئي، لكن إذ سيكون ثمة عالم آخر بعد انحلال هذا العالم، كذلك نعتقد بقيام عالمين آخرين قبل هذا العالم الحالي ... ها هو أشعياء يعلم بعالم آخر يقوم بعد هـــذا العالم : سيكون عالم جديد، وأرض جديدة، واجعلهما يدومان أمام وجهي، يقول الرب.

و يظهر سفر الجامعة عالمين وجدوا قبل هذا العالم : ماذا صنع ؟ الشيء عينه الذي سوف يصنع. وماذا جُبِل ؟ إنما الذي سوف يجبل، ما من شيء جديد تحت الشمس. إذ قال أحد: انظر، هذا جديد، إلا إن هذا كان في الأحقاب التي سبقتنا 208 ! -- ! > بهذه الشهادات تقيم الدليل على كلا النقطتين، وجود أحقاب قبلنا وأحقاب أخرى بعدنا " (في المبادئ 3:5:3).

يستنتج أوريجانوس من هذه المجموعة من الأفكار، أن الأرواح لها حرية كاملة إما أن تتقرب إلى الله أو تبتعد عنه وقتما تشاء، وهذا يستلزم وجود عالم مادي آخر تنحدر إليه الأرواح لتتعلم الاختيار بين الخير والشر وبالتالي يستلزم عوالم متتابعة ومتتالية.[2]

[1] Arthur Cushman MC Giffert : a history of Christian thoughts, Vol I, NY Charles Scribner's sons 1954, P 188.

[2] Ibid, P 189. المرجع السابق، ص 156-157.

-الموت في الفكر الأوريجيني:

الأرواح التي تموت و لم تتطهر بعد، تذهب إلى حالة من العقاب، نار تأديبية، أي مكان للتطهير لكن مكان مؤقت يتضمن عذاب للضمير. لقد عالج أوريجانوس فكرة العقاب والتطهير كفكرة باطنية Esoteric " يكفي للشخص العادي أن يعرف أن الخاطئ قد تم عقابه".[1]

يُلمِّح أوريجانوس إلى عملية التطهير هذه بعد الموت في موعظته على أرميا 12.3 أن الخطاة " يجب أن يذوقوا شيئا مُرّا جدا، تحت تدبير الله اليقظ، لكي، إذ يتم تصحيحهم، يخلصون ...نشعل نيراننا الخاصة بينما نحترق بالندم على أعمالنا الشريرة"، مثل هذه الأفكار، التي اشترك فيها مع إكليمندس، مهدت القاعدة المناسبة لعقيدة المطهر بعد ذلك. وفي موضع آخر يلمح أوريجانوس بأن فكرة العقاب الأبدي، بينما هي ليست حقيقية، في حين تمثل وسيلة مفيدة لتشجيع المسيحيين المبتدئين، المدفوعين بالخوف، ألا يكونوا راضين عن أنفسهم ! (في المبادئ 2:11:2).[2]

و كما يرى أوريجانوس فحينما يلبس القديسون أجسادهم الروحية الجديدة ويمرون عبر كل المراحل (سبع مراحل أو سبع سموات) سيصلون لأعلى مرحلة. ومن الثابت أنه إذا ما صفا قلب أحدهم، وسلم إدراكه، وتمرس فكره يخطو صاعدا بخطى حثيثة، وينتقل سريعا عبر الفضاء، حتى يبلغ ملكوت السموات من خلال ما يمكن تسميته باسم منازل عابرة، وهي ما أطلق عليه الإغريق اسم الفلك globes، أي الكرة sphère، ولكن الكتاب المقدس يدعوها السموات" (في المبادئ 6:11:2).[3]

---

[1] History of Christian thoughts PP 194-195.

[2] تاريخ الفكر المسيحي في القرون الأولى، ص 159.

[3] Op cit, PP 208-209.

-القيامة في الفكر الأوريجيني :

فهم أوريجانوس من (1 كو 15) أن قيامة الأموات لابد أن تكون قيامة جسدية، " ... ماذا يرقد غير الجسد ؟ وعليه، ثمة قيامة الجسد ... ما من شك البتة أن هذه الأجساد هي ما سوف يقوم حتى نشتمل بها ثانية لدى القيامة " (في المبادئ 1:10:2)، لكنه أدرك أيضا أن بولس قال " لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله" : " وهذا يبدو أشد وضوحا إذا ما أمعن النظر في صنف الجسد الحيواني، الذي يتجدد إلى صنف الجسد الروحاني بعد أن يزرع في الأرض، لأن قوة القيامة ذاتها ونعمتها تستمدان الجسد الروحاني من الجسد الحيواني، حينما تعبران به من الدناءة إلى المجد" (في المبادئ 1:10:2).

لهذا أصر أوريجانوس أن جسد القيامة هو امتداد للجسد المادي من حيث الجوهر (المادة) substance، لكن يكسوها غلاف أثيري سماوي بعد أن تترك غلافها الأرضي يقول أوريجانوس: " في اعتقادنا أن هذا سيحدث على غرار حبة الحنطة ... بالحقيقة.

علينا أن نفكر أن أجسادنا سوف تواري الثرى أيضا، كما أن حبة الحنطة، ولكن فيها ذهنا (أصل germe) يحفظ المادة الجسمية متماسكة. هذا الذهن (الأصل) نفسه، الذي يلبث لا يمسه شيء في مادة الجسد، يُنْهِض هذه الأجساد من التراب بالرغم من كونها ماتت وتبعثرت، ويعيد لها بنيانها ... الذهن الكامن في الجسد يصنع من جسد أرضي حيواني بأمر من الله جسما روحانيا" (في المبادئ 3:10:2).[1]

– من خلال ما سبق نستطيع أن نستخلص الفكر الأوريجيني حول الآخرة :

1. المعاودة (الإعادة الشاملة إلى الوضع السابق) :

يتحدث أوريجانوس عن نوعين من النفوس، فالتي أخطأت على هذه الأرض ستطهر بالنار بعد موتها، أما نفوس الأخيار فستدخل إلى الفردوس، حيث سيأتي الله ويحل جميع المشاكل العالقة في الكون. وسينال جميع الخاطئين الخلاص. وبعد أن يتم ذلك، يكون مجيء المسيح الثاني، ثم قيامة جيمع البشر، في أجساد غير مادية، بل روحية، فيكون الله كل شيء في الجميع. " وستتم نهاية العالم والانقضاء الأخير، حين يكون كل واحد قد تحمل عقاب خطاياه. والوقت الذي يجازي الله

[1] تاريخ الفكر المسيحي في القرون الأولى، ص 200 وما بعدها.

فيه كل واحد بحسب استحقاقاته لا يعرفه إلا الله، ورأينا أن عطف الله سيعيد، بمسيحه، جميع المخلوقات إلى نهاية واحدة، حتى أعدائه، بعد أن يكون قد استمالهم وأخضعهم. " فالإنسان حين يعود إلى المسيح سيعرف أسباب كل أمر يجري على وجه الأرض، بما له شأن بالإنسان وبالطبيعة وعلم الإلهيات.

2. وجود النفوس السابق :

يعتقد أوريجانوس بأن الله قد خلق كل النفوس في البدء، حيث أنها كانت متساوية ومتحدة ثمّ سقطت وابتعدت عن الله وعن بعضها، فالفرق بين هذه النفوس أي بين الملائكة والبشر، لا يعود إلى فرق في الطبيعة، بل إلى اختلاف في التأهب الباطني، فالمادة ليست سبب سقوط الأرواح بل نتيجته. عند هذا السقوط قام الله بخلق طبيعة أخرى، وهي الكون الحسي الذي يتيح للطبائع الناطقة المتجسدة أن تستعيد عن طريق المحنة صفائها الأصلي. ولهذا من الضروري وجود عدة عوالم يختلف بعضها عن بعض، حيث أن تطهر الأرواح لا يمكن أن يتم بإقامة واحدة في العالم الحسي، ذلك بأن بعض الأرواح يزيدون سقوطهم سواء .. لكن الله يستطيع أن ينتصر على الأرواح الشريرة ويستطيع أن يردها إلى نفسه، فتصبح إرادتهم الشريرة إرادة صالحة. فالنهاية الأخيرية ستكون مطابقة للأصل. هذا المبدأ هو من مبادئ أوريجانوس الأساسية: " النهاية ستجدد البداية، ومنتهى الأشياء سيرد إلى بدئها، وبذلك يستعاد الوضع القديم الذي نالته الطبيعة الناطقة، حين لم تكن بحاجة إلى الأكل من شجرة معرفة الخير والشر. وكل شعور بالخبث سيُبْعد ويُغْسَل فيصبح صافيا وطاهرا، والذي هو الله الصالح يصبح وحده كل شيء لتلك الخليقة الناطقة ...، فعلينا إذا أن نعتقد أن جوهرنا الجسدي كله سيرد إلى هذا الوضع، حين تعاد جميع الأشياء إلى الوحدة ويكون الله كل شيء في الجميع وبالتالي فإن جهنم ليست أبدية، إذ أن الله سينتصر في النهاية على جميع أعدائه. فليس هناك عقاب، ما عدا العقاب الذي يداوي والذي من شأنه أن يمكن إصلاح المذنب وندامته".[1]

أدان المجمع القسطنطيني الثاني عام 553 أوريجانوس وشجب المذهب الأوريجيني.

[1] أوريجانوس: "المبادئ Principles". نقلا عن: هنري كريمونا: أوريجانوس عبقري المسيحية الأولى، موسوعة المعرفة المسيحية "آباء الكنيسة"، دار المشرق، بيروت 1991، ص 137.

3. **الألفية في الفكر الأوريجيني** : هي المعتقد القائل بأن الأبرار القائمين من الموت، في نهاية الأزمنة، سيملكون في الأرض مع المسيح مدة ألف سنة. ويكون هذا الملك بين مجيء المسيح الثاني والقيامة من جهة، والقيامة العامة والدينونة الشاملة من جهة أخرى.كور 28:15 .

المطلب السادس: الأخيرية (من المجيء الثاني إلى الدينونة الأبدية La :Parousie "

لقد حاول تلاميذ المسيح معرفة وقت رجوعه فقال لهم : "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الأب في سلطانه"[1] إذن فرجوعه غير معلوم ولكنه أعطى إشارات وهي أشبه ما تكون بعلامات يوم القيامة عند المسلمين (أشراط الساعة).

-أولها : الارتداد الديني قال بولس في رسالته إلى أهل تسالونيكي :

" لا يخدعنكم أحد من جهة رجوع المسيح لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولا"[2].

-ثانيها : الانحطاط الخلقي يقول بولس في رسالته إلى تيموثاوس : " ولكن أعلم هذا: أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم محبين للمال متعظمين مستكبرين مجدفين ..."[3].

-ثالثها : الأزمات الاقتصادية والحروب : سأل التلامذة المسيح عن علامة مجيئه فأجاب : "سوف تسمعون بحروب وأخبار حروب"[4].

-رابعها : الحالة الاجتماعية : يصف المسيح الحالة الاجتماعية التي ستكون سائدة قبل رجوعه قائلا : " وكما كان في أيام نوح كذلك يكون أيضا في أيام ابن الإنسان كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع كذلك أيضا كما كان في أيام لوط كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون ولكن اليوم الذي فيه خرج لوط من سدوم : "أمطر نارا وكبريتا من السماء فهلك الجميع

---

[1] أعمال : (7/1)، (8)

[2] تسالونيكي الثانية : 2:3-4

[3] تيموثاوس الثانية : 3 (1-5)

[4] متى : 24 (6-7)

هكذا يكون في اليوم الذي فيه يظهر ابن الإنسان"[1] [2].

-خامسها : من علامات رجوع المسيح : الحالة السياسية والدولية والكوارث الطبيعية : يقول المسيح في نبوءته عند انقضاء الدهر : " وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب إحرصوا أن لا ترتاعوا لأنه لا بد أن تكون هذه كلها لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن ثم يأتي المنتهى"[3] [4].

و من العلامات الهامة هي ظهور المسيح الدجال : " حينئذ إن قال لكم أحد هو ذا المسيح هنا او هناك فلا تصدقوا لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا ها أنا قد سبقت وأخبرتكم"[5].

و أيضا هناك علامات في الشمس والقمر والنجوم يقول الرب : " وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم وعلى الأرض كرب أمم بحيرة البحر والأمواج تضج"[6].

و يوم القيامة يوم تنتظره البشرية جمعاء إذ فيه ستلبس أرواح الموتى الأجساد ثانية بقدرة الله وتقوم من القبور والأجداث إلى حياة فضلى وأبدية ويرتبط موعد القيامة كما أسلفنا بموعد رجوع المسيح ارتباطا وثيقا لأن المسيح الذي قام أولا من بين الأموات سيكون هو وسيط القيامة ومنجزها (بزعمهم) ولقد كتب بولس بهذا الصدد قائلا : "ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضا معه فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولا ثم نحن الأحياء الباقين سنُخْطف جميعا معهم في السّحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب"[7] [1].

---

[1] لوقا : 17 (27-31)

2 نصر الله زكريا: عودة المسيح ودينونة العالم، ص 330 وما بعدها.

[3] متى : 24 (6-14)

[4] نزول المسيح : راجع ص (22) علامات رجوع المسيح. دار النشر المعمدانية بيروت.

[5] متى : 24 (23-27)

[6] لوقا : (25/21)

[7] تسالونيكي الأولى : 4 (13-18)

و الإيمان بالقيامة من الأموات يتعدى الفكرة القائلة بخلود النفس، فالكتاب المقدس يعلم أن الروح بعد الموت لن تبقى عارية بلا جسد إلى الأبد، بل ستلبس الروح جسدا من جديد وتقوم به لتعيش حياة دائمة مجيدة كما قال الكتاب : " فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضا ننتظر مخلصا هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده"[2].

أمام أساس عقيدة القيامة والدليل الواضح على صحتها فهي قيامة الرب يسوع المسيح نفسه من بين الأموات لأنه إن كان المسيح قد قام فالجميع أيضا سيقومون[3].

و يكتب بولس عن "القيامة وتغيير الأجساد" قائلا : " هو ذا سر أقوله لكم : لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير لأن هذا الجسد الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت عدم موت ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد وهذا المائت عدم موت حينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابْتُلِع الموت إلى غلبة : أين شوكتك يا موت أين غلبتكِ يا هاوية ..."[4]. وفي هذا إشارة إلى استخدام البوق في القيامة أما كيف ستكون صورة جسد القيامة في عقيدتهم ؟ وهل سيشبه الجسد السابق ؟

يقولون إن الجواب في قيامة المسيح : إن الجسد المقام يشابه الجسد المائت تماما فقد قام يسوع بجسده من القبر وأظهر نفسه حيا لتلاميذه وأظهر لهم أثر المسامير في يديه وأثر الطعنة في جنبه أما بالنسبة لمصير الأبرار والأشرار يوم القيامة فإنهم يعتقدون، أن الأبرار يقومون بأجساد ممجدة وهذه القيامة تدعى قيامة الحياة لأن المقامين يملكون مع المسيح ويحيون في سعادة إلى الأبد، ويقوم الأشرار بأجساد غير قابلة للفناء وهذه القيامة تدعى قيامة الدينونة لأن المقامين سيدانون ويطرحون إلى الأبد عن وجه الله في مكان عذاب رهيب.[5]

---

[1] عودة المسيحة ودينونة الع، ص 332.

[2] فيليبي : 3/ 20-21

[3] نزول المسيح : ص (31)

[4] كورنثوس الأولى : 15 (51-56)

5 نزول المسيح، ص 33.

-أما بالنسبة للروح أين ستكون بين ساعة الموت وساعة القيامة ؟

يجيبون على هذا السؤال بأن أرواح المؤمنين تكون في حالة سعادة في الفردوس مع المسيح في انتظار القيامة للمجد والحياة.

أما أرواح الأشرار فتكون في مكان عذاب، بانتظار قيامة الدينونة والهلاك.[1]

و يدعمون قولهم هذا من نصوص في الإنجيل فيقولون : إن المسيح قال صراحة للص التائب: "الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا 23).

و بولس يقول: "لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذلك أفضل جدا" (فيلبي 23/1).

وكاتب سفر الجامعة يقول: "فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها" (جامعة 7/12).

و هذا يدل على أن الروح الصالحة في سعادة دائمة في القبر وبالمقابل تكون الروح الشريرة في عذاب دائم إلى قيام القيامة.[2]

و جاء في إنجيل يوحنا (29-30) ما يلي : " الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون لأنه كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا لأنه ابن الإنسان لا تعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة. أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني".

بعد استعراض أحداث يوم القيامة وعقيدة النصارى فيه، نستعرض فيما يلي يوم الدينونة وهذا اليوم الذي يحاسب فيه البشر ..

في البداية نقول : إن في الكتاب المقدس صور متعددة ليوم الدين تُظهر صفات الديان وطبيعة حكمه ومصير المدانين بعد إصدار الأحكام. ومن أبرز هذه الصور قول المسيح : "ومتى

1 نزول المسيح، ص43.

2 المرجع نفسه، ص 36.

جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار، ثم يقول الملك للخراف تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ثم يقول أيضا للجداء عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته فيمضي الجداء أي الأشرار إلى عذاب أبدي والخراف أي الأبرار إلى الحياة الأبدية"[1].

و يعتقد المسيحيون أن المسيح بعد أن ارتفع إلى السماء جلس بجوار الأب على كرسي، استعدادا لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا وقد جاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس : " لا بد أننا جميعا نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل منا ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أو شرا"[2]

و هناك نصوص أخرى في العهد الجديد تقرر هذا المبدأ نورد بعضها فيما يلي:

1. جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس بقوله : " أقام الله المسيح من الأموات وأجلسه عن يمينه في السموات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وأخضع كل شيء تحت قدميه"[3]

2. و في رسالته لأهل رومية : " إننا جميعا سوف نقف أمام كرسي المسيح"[4].

3. و في إنجيل يوحنا : " الأب لا يدين أحدا بل قد اعطى كل الدينونة للإبن"[5].

4. و جاء في يوحنا قوله : " كما أسمع أدين ودينونتي عادلة"[6] [7]

و كما أسلفنا أن الذي سيدين البشر هو يسوع المسيح ولقد تعين المسيح من الله ديانا بحسب قول بولس أيضا في سفر الأعمال : " الآن الله أقام يوما فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدما للجميع إثباتا لذلك إذ أقامه من الأموات"[8].

---

[1] متى : 25 من (31-36)

[2] كورنثوس الثانية : 5 (10-11)

[3] أفسس : (22/1)

[4] رومية : (10/14)

[5] يوحنا : (22/5)

[6] يوحنا : (30/5)

[7] أحمد شلبي: مقارنة الأديان، دار النهضة العربية، مصر، ص16.

[8] أعمال : (31/17)

أما طبيعة الدينونة فيقولون فيها أنها شخصية أي أن كل إنسان سيقف أمام الله بمفرده وهي "عامة" أي لجميع الأمم وكل البشر، والحساب دقيق فيحاسب الإنسان على اقواله وأعماله وأفكاره.[1]

كما يقول يسوع : " إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين"[2].

و يدّعون أن الذي كشف ليوحنا في الرؤيا صورة عن طبيعة الدينونة ومن هم المدانون فكتب : " ثم رأيت عرشا عظيما أبيضا والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء و لم يوجد لهما موضع ورأيت الأموات صغارا وكبارا واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودِين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم، وسلم البحر الأموات الذين فيه وسلم الموت والقبر الأموات الذين فيهما ودينوا كل واحد بحسب أعماله وكل من لم يوجد مكتوبا في سفر الحياة طرح في بحيرة النار"[3].

من ما تقدم نستنتج :

أن لكل إنسان –في عقيدتهم– سفر يحتوي على سجل كامل بأعماله يواجه الرب به الإنسان الذي ينكر سيئاته وأنه يوجد سفر آخر هو "سفر الحياة" وهو يحتوي على أسماء الذين تابوا عن خطاياهم وآمنوا بالمسيح وأن المدانين الذين لم توجد أسماؤهم مكتوبة في سفر الحياة سيطرحون في بحيرة النار.

" وسيصعد دخان عذابهم إلى أبد الآبدين ولن تكون راحة لا ليل ولا نهار للذين ضاعت منهم فرصة التوبة فلم يرجعوا إلى الله وإلى مسيحه قبل فوات الأوان"[4] [5] .

أما الصالحون فإلى الفردوس مع الرب، ولقد ورد ذكر الفردوس في الإنجيل ثلاث مرات :

- في إنجيل لوقا يقول يسوع إلى اللص التائب : " فقال له يسوع الحق أقول لك أنك اليوم

---

1 نزول المسيح، ص 37.
2 متى : (36/12)
3 رؤيا : 20 (1-15)
4 الرؤيا : (11/14)
5 نزول المسيح : (38)

تكون معي في الفردوس"[1].

- و في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ما لفظه : " وأعرف هذا الإنسان أفي للجسد أم خارج الجسد لست أعلم الله يعلم أنه أختطف إلى الفردوس، وسمع كلمات لا ينطق بهـــا لا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها"[2].

- و في رؤيا يوحنا اللاهوتي ما لفظه : " من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس : من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله"[3]

يقول الرسول : " ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار بـــاكورة الراقـــدين ... المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه (الثاني)"[4] والباكورة تعبير يراد بـــه أوائـــل الحـــصاد والحصاد يشير إلى قيامة الأموات بالمسيح عند (انقضاء العالم)[5].

فثمة إذا قيامة شاملة كاملة، قيامة المسيح كانت أولا، والذين للمسيح في مجيئه الثاني وهذا ما عبر عنه الرسول بولس في سياق دفاعه أمام الملك أغريباس : "أن يؤلم المسيح يكن هـــو أول قيامة الأموات"[6] [7].

و قد أعلن الكتاب المقدس عن وجود قيامتين كبيرتين، وقد دعاهما بالقيامتين " الأولى ...

و الثانية" وكما اتضح بأن الفترة بين الواحدة والأخرى هي ألف سنة.

تقع القيامة الأولى عند رجوع المسيح إلى هذا العالم ليأخذ شعبه إليه، وتقع القيامة الثانية في نهاية الألف سنة –بحسب الإيمان المسيحي طبعا-.

عند مجيء المسيح يكون الأموات من هابيل الصديق إلى نهاية العالم في القبور " فإنه تـــأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة

---

[1] إنجيل لوقا : (43/23)

[2] كورنثوس الثانية : 12 (3)

[3] الرؤيا : (7/2)

[4] كورنثوس الأولى : 15 (20-23)

[5] متى : (13 ي / 39)

[6] أعمال : (23/26)

[7] هلال دوس: رجاء العالم، صدر عن كنيسة الأدفنتيست السبتيين، بيروت، ص 52.

و الذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة"[1] فلسوف يسمع جميع القديسين الراقدين ذلك الصوت المبارك في القيامة الأولى، أما الراقدون من الخطاة فسوف يسمعونه في القيامة الثانية"[2].

و ندرس بإيجاز وقت وكيفية قيامة الأبرار " لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولا"[3] وهذا يشير بالطبع إلى القيامة الأولى وقد عبر عنها يسوع بقوله : " فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها"[4]

و ينادي صوت الرب "استيقظي استيقظي ... انتفضي من التراب ... انحلي من ربط عنقك"[5] وتدفع جيوش الملائكة كالنسور إلى قبور القديسين وإلى بيوتهم لتخطفهم لملاقاة الرب في الهواء.

يقول بولس: " ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب ملاقاة الرب في الهواء"[6] وعندئذ يأخذ المسيح جميع القديسين معه إلى السماء تحقيقا لوعده " آتي أيضا وآخذكم إلي حتى حيث أكون أن تكونون أنتم أيضا"[7].

و نقرأ في الرؤيا " ورأيت عروشا فجلسوا عليها واعطوا حكما ... فعاشوا وملكوا مع المسيح الف سنة ... مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى، هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم بل سيكونون كهنة الله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة"[8].

و الأحداث التي تقع عند المجيء الثاني للمسيح هي قيام الأبرار من الموت، وتغير الأحياء والأبرار وهلاك الأحياء الأشرار[9].

---

[1] يوحنا : (5/28-29)
[2] رجاء العالم : (54)
[3] تسالونيكي الأولى : 4 (16)
[4] متى : (24/31)
[5] أشعيا : (52/1)، (2)
[6] تسالونيكي الأولى : 4 / (17)
[7] يوحنا : (14/3)
[8] رؤيا : (20/4-6)
[9] رجاء العالم : ص (55)

و قالوا في قيامة الأشرار " أما بقية الأشرار فلم تعش حتى الألف السنة هذه هي القيامة الأولى "[1].

إن اختطاف القديسين إلى السماء في بداية الألف سنة وموت الأشرار يخلف الأرض خربة خالية لأن الأشرار جميعا أموات طوال مدة الف سنة وسيظل مقيدا على هذا النحو" حتى تتم الألف سنة وبعد ذلك لا بد أن يحل زمانا يسيرا"[2].

إن قيامة الأشرار تُحَلّ الشيطان من ربطه " ويخرج ليُضِلّ الأمم الذين في أربع زوايا الأرض، ياجوج وماجوج ليجمعهم للحرب عددهم مثل رمل البحر فصعدُوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم، وطرح الموت الهاوية في بحيرة النار، هذا هو الموت الثاني وكل من لم يوجد مكتوبا في سفر الحياة طرح في بحيرة النار "[3].

و نتيجة لتلك القيامة سيكون مصيران للناس هما : السماء والجحيم ... أما صعود إلى السماء وسعادة أبدية أو هبوط إلى الجحيم وعذاب أبدي أليم.[4]

مما تقدم يتبين أن عقيدة اليوم الآخر هي ركن من أركان النصرانية كما هي ركن من أركان الإسلام ويبدو أن الخلاف بينهما يتحدد فيما يلي :

1. إن الذين دوّنوا الاناجيل منحو سيدنا عيسى عليه السلام سلطة محاسبة الناس يوم القيامة بدلا عن الله لأن الله بزعمهم لا يليق به أن يحاسب الناس.

2. أن النصوص التي وردت في الأناجيل عن اليوم الآخر محدودة العدد وغير مفصلة بينما لا تكاد تخلو سورة من سُور القرآن من التذكير باليوم الآخر والتعرض لمشاهده بتفصيل يرغب المؤمنين بالجنة ويرهب العاصين من عذاب النار.

3. أن عقيدة اليوم الآخر لا تختلف عند الأنبياء جميعا وهي عند النصارى قبل تحريف الأناجيل لا تختلف عما ورد في القرآن الكريم وسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى لكأنك

---

[1] رؤيا : (5/20)

[2] رؤيا : (2/20)

[3] رؤيا : (8/20)، (9)، (15)

[4] رجاء العالم : ص (57)

تجد العديد من الآيات يشابه العديد من نصوص الكتاب المقدس. كما أسلفنا في المباحث السابقة.

المبحث الثالث : يوم الدين في الإسلام.

توطئة:

إن المشكلات التي يواجهها الإسلام في هذا العصر، منها ما هو علمي، يوجه إليه بلغة العلم ومصطلحاته، ولذلك كان لزاما أن نضع إجاباتنا في مواجهة هذه الحملات المعمورة بنفس المصطلحات العقلية والعلمية التي يستخدمها المعارضون للدين. وعلينا في هذا المجال، أن نكشف العِلل، ونمحص الأسباب السياسية والاجتماعية التي أدت إلى سوء أحوال الأمة الإسلامية.

لقد أصبح كل شيء موضع شك، وبذلك سقطت القضايا القائمة على المسلمات المنطقية، لأنه لا شيء في العقل الحديث بمسلم منطقيا، إلا وله نقيض منطقي يمكن أن يحتمله العقل. أما التجربة فهي الدليل الذي لا يدفع على قضيتها، وما ينتج عن التجربة ليس مسلما منطقيا، ولكنه حقيقة نسبية موضوعية، وهذا شأن العلم.

و إذا قيل : إن قضايا علم الكلام هي قضايا الغيب المطلق المحجوب بالأسرار، ولا يعقل أن يكون للتجربة دور في معالجتها، تذكرنا في رد هذا الرأي ما قاله أعرابي يعيش على فطرته، وينطق على سجيته، دون أن يكون قد ألمّ بشيء من منطق أرسطو : "البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك كله على الله اللطيف الخبير" ؟؟.

و كلمات هذا الأعرابي ألصق بالمنهج التجريبي، القائم على الملاحظة، وأقرب إلى التأثير في النفس، وأقدر على إقناع العقل، من أية صيغة قياسية –ما في ذلك شك.

و إذا كان أعظم قضايا الدّين، بعد الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، حقيقة غيبية، لا مراء فيها، وكانت أهم دعاوي الإلحاد قائمة على إنكار هذا اللقاء مع الخالق – فإن إثبات إمكان الآخرة، بالأدلة الطبيعية، والعقلية والتاريخية– هو أيضا من الأدلة القاطعة بصحة الدين، وبوجود الله، ومن ثم تتجلى ضرورة الحاجة إلى الآخرة نفسيا وأخلاقيا وسلوكيا، حتى إذا استقر في وعي القارئ ضرورة الآخرة كان ذلك طريقا إلى إقرار ضرورة الإيمان بالله من جانب آخر. " فالآخرة

إذن قضية وبرهان في آن واحد".

إن ما وراء الحس يدخل في عقيدة الإسلام، ويجب الإيمان به، والإيمان نفسه قائم على العيان الذي يُحسّ، وعلى الغيب الذي يدرك بالبصيرة الملهمة وبالعقل، والإيمان عقيدة، لأنهما شيء واحد، فلا يكون المؤمن مؤمنا إلا بالعقيدة، وذو العقيدة مؤمن حق الإيمان بالبداهة ولو لم يقم لديه دليل حسي يثبت له ما يؤمن به.

فمعتنق العقيدة الإسلامية مفروض عليه ليكون مسلما أن يعتقد بوجود الله اعتقادا صحيحا جازما، والاعتقاد بوجوده يحتم الاعتقاد بنفي ما سواه من الآلهة التي اعتقد بوجودها الوثنيون، وأن يعتقد بوجود الملائكة وبصحة ورسالات الرسل والكتب التي أنزلها الله عليهم، لأن الله أخبر بذلك فيما تلقيناه من كتبه على أيدي رسله.

و الإيمان بكلّ ذلك إيمان الغيب، وكذلك الإيمان باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

و قد أوجزت الآيات الأولى من السورة الأولى بعد فاتحة الكتاب ما وجب الإيمان به، وبدأه الإيمان بالغيب لأنه البرهان على الإيمان الحق.

قال الله تعالى : " الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ " (البقرة، 1-5).

فالإيمان بالغيب سمة المؤمن ومن ضرورات إيمانه حتى لا يكون عنصره وقفا على المادة الكثيفة، بل قوام الحياة: المادة والروح، فإذا اهتدى الروح تبعته الجوارح والحواس في الهداية و لم يحتاج إلى البراهين الحسية لإيجاد الإيمان في نفسه وبقائه فيها.

إن الحجاب القائم بين المادة والروح، والظاهر والباطن، وبين ما يحس وما وراء الحس

ويزول عندما يحل الإيمان في قلب المؤمن عن طريق التصديق ولو كان الحس لا يقره أويرى استحالة وقوعه أو وجوده.

و يستوي لدى المؤمن عالم الغيب وعالم الشهادة، لأن الإيمان أزال الفاصل الذهني فأصبح الغيب والشهادة سواء، وقد يرجح الإيمان بالغيب على الإيمان بالشهادة، لأن ما يشهده قد تخدعه الحواس فيه فيراه بعيدا وهو قريب، وأبيض وهو أصفر، أما ما لا يشهده فإيمانه به لا يختلف، وهو قائم على الدوام لأنه مقتنع به، ولا تخدعه حواسه فيه.

فإيمانه باليوم الآخر حقيقة ثابتة أثبت من المشهود الذي يحسه بما لديه من قدرة الحواس الظاهرة، وليس ذلك بغريب على المؤمن، لأن ضميره هو الذي أحس بأن ذلك اليوم حق لامرية فيه، ودليله أنه ما دام مؤمنا بوجود الله ووحدانيته وكتبه ورسله فهو مؤمن بما قال الله، والله قال: "اليوم الآخر" وما دام الله قال ذلك فقوله الحق، واليوم الآخر آت لا محالة.

و مادام المؤمن قد آمن بوجود الله وهو أعظم من اليوم الآخر فما الذي يمنعه عنه؟

و الإيمان بوجود الله يحتم الإيمان بكل ما جاء عنه في كتبه وعلى لسان رسله ولو لم تفهمه العقول أو تدركه الأبصار والحواس، لأن ما وراء الحس موكول في إدراكه إلى الروح، حتى إذا أدركته الروح تبعتها الحواس في الإدراك والتصديق.[1]

و الإيمان بالله مقرون بالإيمان باليوم الآخر، وما أكثر الآيات التي ورد فيها الإيمان بالله مقرونا باليوم الآخر في مجال الوعد الكريم والثناء الطيب وفي مجال الوعيد والتنديد.

-"لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ

[1] أحمد عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد، ط1، مكة المكرمة 1981، ج4.

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ " (البقرة، 177).

-"لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ " (آل عمران، 113-114)

-" لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ " (النساء، 162)

-" إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ " (التوبة، 18)

و الإيمان بالله يقتضي الإيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر يقتضي بالإيمان بكل ما سيكون فيه من أمر الله، من بعث ونشور وحشر واجتماع، ووقوف للحساب، ثم الثواب أو العقاب، حيث يمضي من يستحقون المثوبة إلى الجنة، ومن يستحقون العقوبة إلى النار.

و بعد القيامة والدخول إلى الجنة أو إلى النار لا يكون فناء، بل بقاء سرمدي بلا نهاية، ولن يكون هناك سأم، لأن الإنسان عندما يدخل الجنة لا يدخلها بغرائزه البشرية كلها، بل تزول عنه غرائز الشر والرذيلة، وتزول عنه العادات والنقص، يقول الله تعالى: " إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ "(الحجر، 45-48).

و فكرة البعث في الإسلام فكرة إنسانية يراد منها الخير للإنسان أيّ إنسان وكل إنسان، وليست مثل فكرة البعث في ديانات السماء بعد تحريفها ومسخها أو في ديانات الوثنيين، لأن صورة البعث الإسلامي صورة كاملة إنسانية، تقوم على الحق والعدل والرحمة، ولا مجال في اليوم الآخر الإسلامي ما يضطرب فيما وراء الموت لدى تلك الديانات ما كان يضطرب قبل الممات، بل اليوم الآخر الإسلامي يوم الحق: " يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ " (الشعراء، 88، 89).

و البعث الإسلامي حق، والإيمان به حق الإيمان ضمان للأمن والخير في الحياة، ونكرانه أو ضعف الإيمان به يدفع إلى الشر، ويجلب القلق والخراب، فأحدنا لا يرتكب المخالفة الهينة مثل مخالفة نظام المرور مخافة حساب شرطي المرور ..

و لو فكرنا –على الأقل- تفكير من لا يرتكب مخالفة نظام المرور لواظبنا على العمل الصالح، ولكننا غرقنا في المادية حتى نسينا الروح وأغفلنا الإيمان، وأدت بنا المادية إلى نكران غد هذه الدنيا أو تجاهله ونسيانه.

لكل شيء غد، فلهذا اليوم غد نؤمن به وأنه آت لا محالة وإن كان في ضمير الغيب، وللإنسان غد غير هذا الغد المعروف في الزمن، ذلك هو ذريته التي تعقبه فتكون له بمثابة الغد

الزمني، وهذه الدنيا لها غد وهو اليوم الآخر ! [1]

فلماذا نؤمن بكل غد إلى غد الدنيا فنستعد له بحواسنا وعقولنا وضمائرنا ونحسب حسابه فنعمل له، لأن البعث ليس إلا نعمة من نعم الخالق لئلا يضيع إحسان المحسن والمثوبة عليه، ولئلا تطغى إساءة المسيء وينجو من العقوبة عليها، وإلا لو لم يكن غد للدنيا لتساوى الخير والشر، والحق والباطل، وسادت الرذيلة، وقد سادت، وتساوت الأضرار مما يدل على أن الإيمان بالبعث مفقود أو ضعيف لا أثر له في تهذيب النفوس وتربية الضمائر.

إن الإيمان بالبعث حق الإيمان يدفع بصاحبه إلى التماس رضا الله واتقاء سخطه، وإن من يفقدون هذا الإيمان لا ينتظرون جنة يعملون الصالحات لتكون طريقهم إليها، ولا يخشون نارا فيبتعدون عن المحرمات التي تقودهم إليها، وتبع ذلك التهالك على موبقات الدنيا والاشتغال بالشر والأذى والمنكر، لو آمن المسلمون وغير المسلمين بفكرة البعث كما جاء بها الإسلام لما كان للشر والموبقات والرذائل أن تستأسد فتستعبد الناس إلا من رحم الله.

فالإيمان بالبعث جزء من الإيمان بالله، والكفر بأحدهما كفر بالآخر، فإذا آمن بالله وكفر بالبعث أوْ شكّ فيه فلا قيمة لهذا الإيمان، وكما أن الإيمان بالله حتم فالإيمان بالبعث حتم، وإن البعث واقع حتمي لابد منه.

يقول الله تعالى:

-" وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ " (الحجر، 85)

-" إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ " (غافر، 59)

-" إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ "

[1] عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد، ص 172.

(طه، 15)

-" وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ " (الحج، 7)

-" وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ " (الجاثية، 32)

المطلب الأول: تعريف يوم الدين وأسمائه وصفاته :

الفرع الأول : تعريف كلمة "الدين".

-قد يقول قائل لماذا لم يقل مالك يوم القيامة؟ أو يوم الحساب؟ أو يوم الحشر؟

قلنا إن كلمة "الدين" تضم كل هذه المعاني فالدين الحساب، الدين الجزاء، الدين الملك ومنه سميت المدينة أي المملوكة لأن عموم الأرض عادة غير مملوكة فلما تملك هذه الأرض وتبني ويثير فيها ملك فسميت مدينته أي القطعة المملوكة التي يملكها الناس، ومنه الدين الاعتقاد أو العقيدة.[1]

-لم يقال "يوم الدين" ولم يقال يوم القيامة؟

الدين بمعنى الجزاء وهو يشمل جميع أنواع القيامة من أولها إلى آخرها ويشمل الجزاء والحساب والطاعة والقهر وكلها من معاني الدين، وكلمة الدين أنسب للفظ رب العالمين وأنسب للمكلفين (الذين يكون لهؤلاء المكلفين) فهو أنسب من يوم القيامة، لأن القيامة فيها أشياء لا تتعلق بالجزاء أما الدين فمعناه الجزاء وكل معانيه تتعلق بالمكلفين، لأن الكلام من أوله إلى آخره عن المكلفين لذا ناسب اختيار كلمة الدين عن القيامة أو العقيدة ولو وضع أي كلمة أخرى لا تسد مسد كلمة الدين لأن "الدين" شاملة لكل هذه الأمور فهو يوم الحساب وهو يوم الجزاء وهو يوم الدين نفسه، يوم العقيدة، يوم بروز وظهور وانتصار الاعتقاد وكل هذه المعاني: لذلك

[1] محمد عبد الله دراز: الدين، مطبعة السعادة 1969، ص 13.

نقول ليس هناك شيء يسد مسد لفظة "الدين".[1]

الفرع الثاني : أسماء يوم الدين ومدلولاتها .

فما هي أسماء يوم الدين الذي ذكرت في القرآن الكريم؟ فاليوم الآخر أسماء كثيرة ذكرها الشيخ عمر سليمان الأشقر في أول كتابه المسمى "اليوم الآخر" وهي:

يوم القيامة – اليوم الآخر – الساعة – يوم البعث – يوم الخروج – القارعة – يوم الفصل – يوم الدين – الصاخة – الطامة الكبرى – يوم الحسرة – الغاشية – يوم الخلود– يوم الحساب – يوم الواقعة – يوم الوعيد – يوم الآزفة – يوم الجمع – يوم التلاق – يوم التناد – يوم التغابن – الحاقة.

و قال –بعد سرد هذه الأسماء بأدلتها من القرآن– هذه هي أشهر أسماء يوم القيامة.

و سموه بأسماء الأوصاف التي وصف الله بها ذلك اليوم، فقالوا من أسمائه:

يوم عسير – يوم عظيم – يوم مشهود – يوم عقيم – يوم عبوس قمطرير.

و من الأسماء التي ذكروها غير ما تقدم:

يوم المآب – يوم العرض – يوم الخافضة والرافعة – يوم القصاص – يوم الجزاء – يوم النفخة – يوم الزلزلة – يوم الرجفة – يوم الناقور – يوم التفرق – يوم الصدع – يوم البعثرة.

و منها أيضا:

يوم تبلى السرائر – يوم لا تملك فيه نفس لنفس شيئا – يوم يدعون إلى نار جهنم دعّا – يوم تشخص فيه الأبصار – يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم – يوم لا ينطقون – يوم لا ينفع مال ولا بنون – يوم لا يكتمون الله حديثا – يوم لا مرد له من الله – يوم لا بيع فيه ولا خلال – يوم لا ريب فيه.[2]

و قد يضيف إليها بعض أهل العلم أسماء أخرى، وقد يسمى الاسم بما يقاربه ويماثله. قال

---

1 المرجع نفسه، ص 16.

2 عمر سليمان الأشقر: اليوم الآخر، مكتبة الفلاح، الكويت، ص 26.

القرطبي[1]: ولا يمتنع أن تسمى بأسماء غير ما ذكر بحسب الأحوال الكائنة فيه من: **الازدحام – التضايق – اختلاف الأقدام – الخزي – الهوان – الذل – الاحتقار – الصّغار – الانكسار – يوم الميقات – المرصاد**. إلى غير ذلك من الأسماء. والله أعلم .

-أسماء "اليوم الآخر" في القرآن الكريم بمدلولاتها:

-**يوم البعث**: لأن فيه البعث والحياة بعد الموت.

-**يوم الخروج**: لأن فيه خروج الناس من قبورهم إلى الحياة الأخرى.

-**يوم القيامة**: لأن فيه قيام الناس للحساب.

-**يوم الدين**: لأن فيه إدانة الخلائق ومجازاتهم على أعمالهم.

-**يوم الفصل**: لأن فيه الفصل بين الناس بالعدل.

-**يوم الحشر**: لأن فيه جمع الخلائق وحشرهم في موقف الحساب.

-**يوم الجمع**: لأن الله يجمع فيه الناس للجزاء.

-**يوم الحساب**: لأن فيه محاسبة الناس على أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

-**يوم الوعيد**: لأن فيه تحقيق وعيد الله للكافرين.

-**يوم الحسرة**: لأن فيه حسرة الكافرين.

-**يوم الخلود**: لأن الحياة في هذا اليوم حياة خالدة أبدية.

-**الدار الآخرة**: لأنها بعد دار الدنيا، وهي دار باقية ليس بعدها انتقال إلى دار أخرى.

-**دار القرار**: لأنها الاستقرار الدائم بلا فناء ولا انتقال.

-**دار الخلد**: لأن الإقامة فيها إقامة أبدية.

-**الواقعة**: لتحقق وقوعها.

-**الحاقة**: لأنها تحق كل مجادل ومخاصم بالباطل، بمعنى "تغلبه".

1 شمس الدين القرطبي: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ط3، دار الريان للتراث، القاهرة 1991، ص 170.

-**القارعة**: لأنها تقرع الأسماع والقلوب بأهوالها.

-**الغاشية**: لما يجري فيها من غشيان عام للثقلين.

-**الطامة**: لأنها تغلب وتفوق ما سواها من الدواهي.

-**الآزفة**: أي القريبة، سميت بذلك إشعارا بقربها بالنسبة إلى عمر الدنيا.

– **يوم التغابن**: لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار.

– **يوم التناد**: لأنه يدعى فيه كل أناس بإمامهم، وينادي بعضهم بعضا، وينادي أهل الجنة أهل النار، وأهل النار أهل الجنة، وينادي أصحاب الأعراف.[1]

المطلب الثاني: المنهج العلمي للبعث عند المسلمين أو حقيقة البعث في الإسلام:

الفرع الأول: من القرآن الكريم

جعل سبحانه الإيمان باليوم الآخر ركنا من أركان عقيدة الإسلام، وعلق سبحانه صحة إيمان العبد على الإيمان بذلك اليوم. وقرن الله الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر في تسعة عشر موضعا من القرآن، منها قول القرآن: " لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ

[1] عبد الباقي محمد فؤاد: المعجم المفهرس لأسماء يوم الدين في القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص 782 وما بعدها. نقلا عن كتاب: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لـــ : صالح الفوزان ص 256 ص 257.

﴿١٧٧﴾ " (البقرة، 177) وقوله في حق المطلقات:

" وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ " (البقرة، 228) وقال أيضا مخاطبا أولياء النساء: " وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ " (البقرة، 232). ووصف سبحانه المؤمنين بأنهم الذين آمنوا بالله واليوم الآخر، فقال عز من قائل:

" إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ " (البقرة، 62) وبالمقابل فقد رتب سبحانه على الكفر بذلك اليوم ما رتبه على الكفر به، فذكر القرآن:

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ " (النساء، 136)

و أكد سبحانه أن هذا اليوم واقع لا محالة، وأنه لا مفر منه مهما حاول الإنسان ذلك، فذكر القرآن: " فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ " (آل عمران، 25)[1]

وقال أيضا: " ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ " (النساء، 87) وكان من حكمة الله سبحانه أن جعل ذلك اليوم ليجمع الناس فيه على صعيد واحد، فيحاسب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، ويقتص للمظلوم من الظالم، ذكر القرآن: " ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ " (غافر، 17).

و علاوة على ما ذكرنا من الآيات الدالة على وجوب الإيمان باليوم الآخر، فقد تبث في السنة ما يدل على ذلك ويؤكده، من ذلك حديث جبريل عليه السلام عندما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة رجل، سائلا عن معنى الإيمان والإسلام وغير ذلك من عقائد الإسلام، فأجابه الرسول بقوله: **"الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر" رواه مسلم.**

و لأن الإيمان بالبعث والحساب يعتبر مصدرا رئيسيا من مصادر توجيه السلوك والتربية والحياة اليومية لدى المسلمين.

فقد أشار حجة الإسلام الغزالي إلى هذه الحقيقة في معرض تعليقه على ما ورد في سورة

1 محمد متولي الشعراوي: البعث والميزان والجزاء، دار الندوة، الإسككندرية 1991، ص7.

مـــــريم: " وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ " (مـــــريم، 71، 72)، حين كتب قائلا: " فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك. فاستشعر في قلبك هـــول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه"[1].

و جاء في قولـــه تعـــالى: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ " (المؤمنون، 115، 116).

فالحق سبحانه منزه عن العبث في أفعاله وأحكامه وأوامره وانتهاء الحياة الدنيا دون رجعة إلى الله للحساب قمة العبث، لذا كان الإيمان باليوم الآخر ركن ومُنكِرُهُ كافر، فما اليوم الآخر؟ ولماذا؟ وما حقائقه؟ وما موقف المسلم منه؟

-اليوم الآخر: هو يوم الجزاء، وهو يوم الحساب، وهو الحياة الثانية بعد المـــوت وإقامـــة العدل الرباني بين الخلائق وينبغي أن نعْلم.

أن الإيمان باليوم الآخر لا ينفك عن الإيمان بالله تعالى ومنكره كافر-كما أسلفنا- وهـــو ركن من أركان الإيمان، وأما لماذا اليوم الآخر: الحديث: **"أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره".**[2]

حتى لا يمضي الظالم من غير عقاب والمظلوم من غير عوض، قال تعالى:

-" فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ "(الزلزلة، 7، 8)

1 أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: الأربعين في أصول الدين،ط4، دار الآفاق، بيروت 1982، ص 43 وما بعدها.

2 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان والإيمان بالقدر، ص 39.

-" وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمًا ﴿١١١﴾ " (طه، 111)

-" وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ " (الأنبياء، 47)

و حتى تنفجر ينابيع الخير في النفس الإنسانية استعدادا لذلك اليوم العظيم فيبر الولد بوالده، وتُطيع الزوجة زوجها، ويحترم المسؤول رعيته ويعدل، ويمسك التاجر عن الحرام أو الربح الفاحش، وينفق الغني من ماله على المحتاجين، قال تعالى: " إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ " (الإنسان، 9، 10).

- **و أما الحقائق التي تكون في اليوم الآخر[1]:**

-الحقيقة الأولى "البعث": وذلك يكون بإعادة بناء الأجسام بعد فنائها، وإعادة الحياة إليها بعد سلبها منها، قال تعالى: " وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ " (الحج، 7)، وقال تعالى: " وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ

[1] البعث والميزان، ص 28.

وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ " (الروم، 27).

-**الحقيقة الثانية "الحشر"**: وهو الجمع وذلك بأن تحشر الخلائق لموقف الحساب: الإنس والجن ودواب الأرض وطيورها حيث القصاص لما جاء في نص الحديث: **"لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء تنطحها"**[1]، ويقاد: أي يقتص، والجلحاء: التي لا قرون لها).

و أن الناس يحشرون عراة غرلا (غير مختونين) لما جاء في الحديث: **"إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم"**[2]، ثم نقرأ: " يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ " (الأنبياء، 104)).

[1] رواه أحمد في مسنده 5/172

صحيح مسلم 2582.

2أخرجه النسائي في كتاب الجنائز رقم 2087 والدارمي في الرقاق 2802.

-الحقيقة الثالثة "عرض وسؤال وحساب وميزان وكتب الأعمال":

أ. العرض:

قال تعالى: " وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ " (الكهف، 48)، فمن شاء الله أن يرحمه لم يحاسبه، وفي الحديث: **"عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس أحد يحاسب إلا هلك، قلت: يا رسول الله أليس الله يقول: حسابا يسيرا، قال: ذلك العرض: جعلني الله فداك، أليس الله يقول تعرضون، ومن نوقش الحساب هلك".**[1]

ب. **السؤال والحساب:** فمن شاء الله أن يرحمه ستره عن الخلائق، الحديث: **"يدني الله تعالى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه (أي ستره) فيقرره بذنوبه: فيقول: أتعرف ذنب كذا في يوم كذا؟ فيقول: أعرف، فيقول الله عز وجل: أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكافر والمنافق فينادي عليهم على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين".**[2]

ج. **الميزان:** قال تعالى: " وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ "(الأنبياء، 47)، وفي الحديث: " **يؤتى بالعبد ويوقف بين كفتي الميزان، فإن رجحت حسناته على سيئاته نادى ملك بصوت يقول أنس بن مالك تسمعه الخلائق: سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وإذا رجحت سيئاته على حسناته نادى الملك بصوت تسمعه الخلائق: شقى فلان بن فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا".**[3]

---

1 ابن جرير الطبري: جامع البيان، ج30، ص 146.

2 صحيح البخاري تحت رقم 5638.

3 رواه حمد في مسنده، ص 613.

د. **كتب الأعمال:** حيث يأخذ المؤمنون كتبهم بأيمانهم ويأخذ أهل الشمال كتبهم بشمائلهم للحديث: "**يعرض الناس يوم القيامة ثلاثة عرضات، فأما عرضتان: فجدال ومعاذير، فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ يمينه وآخذ بشماله**".[1]

و قال تعالى: " فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ " (الانشقاق، 7-12).

-**الحقيقة الرابعة "الصراط"**: وهو جسر على ظهر جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم في سرعات تتفاوت بتفاوت أعمالهم الصالحة والآخرون يسقطون حيث تجذبهم كلاليب جهنم –أعاذنا الله ونجانا من ناره– للحديث: "**ثم يؤتى بالجسر ليجعله بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة عليها خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة، لها شوكة عقيفاء تكون بنجد، يقال لها: السعدان يمر المؤمن كالطرف كالبرق والكريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا**".[2]

و دعاء المؤمنين آنذاك رب سلم، للحديث: "**شعار المؤمنين على الصراط يوم القيامة: رب سلم سلم**".[3]

-**الحقيقة الخامسة:** ثم إما إلى الجنة وهي مأوى المؤمنين حيث الثواب الأكبر وإما إلى جهنم وهي مأوى الكافرين حيث العقاب الأكبر أعاذنا الله منها. قال تعالى: " فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ

1 سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، تحت رقم 2425.

2 صحيح البخاري: كتاب التوحيد، ص 2706.

3 صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، ج4، رقم 6204.

فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ "(هود، 106-108).

و العصاة من المؤمنين لا يدخلون الجنة حتى ينالوا العقاب على معاصيهم ويتطهروا من ذنوبهم ثم يأذن لهم بدخول الجنة برحمة من الله سبحانه ثم بشفاعة من يرضى الله شفاعته.[1]

و أما موقف المسلم من اليوم الآخر: التسليم المطلق والتصديق الكامل بكل ما جاء في الكتاب من حقائق اليوم الآخر، بلا توقف ولا شك ولا اغترار، بأماني زائلة ولا استماع للشيطان وتلك هي الآفات، قال تعالى: "يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ " (الحديد، 13، 14).

فلا ننخدع بأوهام الملحدين الضالين الذي توهموا ألا رجعة ولا حساب ولا جنة ولا نار و إنما هي دنيا ولا حياة بعدها أبدا !! ولِندفع هذا التوهم بأمرين:

[1] رجاء بن سلامة: الموت والبعث، ط2، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة 2009، ص 65.

1. إن الذي خلق وقدر وأبدع قادر على الإعادة بل الإعادة أهون، قال الله تعالى: " وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ " (الروم، 27).

2. إن خلق الإنسان ليس بشيء أمام خلق السموات والأرض وما فيهما من عجائب وإعجاز وإبداع عظيم، قال تعالى: " لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ " (غافر، 57).

و لما كان المسلم الحق يوقن بالله وقدرته المطلقة وعدله المطلق فلا يتطرق إلى قلبه شك أبدا عن إمكانية وجود يوم آخر يعود فيه الملك لصاحب الملك، ويجزي كل أحد بما قدمت يداه. وهذا أبي بن خلف وقد أخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول: يا محمد أترى الله يحيي هذا بعدما رم (أي أصبح رميما ترابا)؟ قال: "**نعم ويبعثك ويدخلك جهنم**"[1]، فأنزل الله قوله: "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ " (يس، 78، 79).

ولما كانت الموت ليس هي نهاية المطاف وإنما بعد أهوال وأهوال وأهوال فإما إلى الجنة أبدا وإما إلى نار لذا كان لابد أن يعد لذلك اليوم عدته:

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شيء

سئل الإمام أحمد رحمه الله: متى يجد المؤمن طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها العبد

[1] أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي: أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت 2000، ص57.

في الجنة. فنسأل الله تعالى أن يتولانا برحمته في الدنيا والآخرة وأن يجعلنا ممن يدخلون الجنة من غير حساب وأن يهون علينا سكرات الموت وأهوال القيامة بمنه وكرمه –آمين–.

و ذلك لأن الإيمان باليوم الآخر ينتج منه الاستعداد له، فإن من آمن بالله تعالى عبدهُ حق عبادته، ومن آمن باليوم الآخر عمل لنجاته.

و إذا ضعف الإيمان بالله، ضعف حظ العبد من عبادته، وإذا ضعف الإيمان باليوم الآخر، ضعف الاستعداد له، ولأجل ذلك يرد كثيرا الاقتصار على ركنين من أركان الإيمان –الإيمان بالله واليوم الآخر–، مثل قوله –صلى الله عليه وسلم–: " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت**"، لم يذكر إلا الإيمان بالله واليوم الآخر، لأنهما ركنان جامعان، لأن من آمن بالله آمن برسله وآمن بكتبه، وآمن بقضائه وقدره، وكذلك من آمن باليوم الآخر، آمن بما يكون فيه من الحساب والجزاء على الأعمال، فلأجل ذلك أكثر الله في القرآن من ذكر الإيمان باليوم الآخر، وذلك لأن الكفار المشركين ينكرون اليوم الآخر، ويقولون: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، في نظرهم أنه ليس هناك إلا هذه الدنيا، وليس بعدها دار أخرى، وأنه يموت قوم ويحيا آخرون، وهذا أيضا تعتقده الفلاسفة –الفلاسفة الدهريون والفلاسفة الإلهيون– ويعتقد ذلك في زماننا من يسمون بالشيوعيين، فإنهم لا يؤمنون بالدار الأخرى، يقولون كما يقول الأولون: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت

و نحيا وما يهلكنا إلا الدهر، ويقولون: هيهات هيهات لما توعدون إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين.

أي: يموت الأولون، يموت الآباء ويخلفهم الأبناء، وكذلك يقولون: إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، ولما كانوا كذلك، أكد الله تعالى أمر البعث بعد الموت، وأقام عليه الأدلة، وضرب له الأمثال، مثل قوله تعالى في آخر سورة يس فقال تعالى: " أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ " (يس، 77).[1]

[1] عباس محمود العقاد: الله، مكتبة الأسرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر 1998، ص 145.

يذكره الله تعالى بمبدأ خلقه "**خلقناه من نطفة**" أي: مبدأ خلقه "**فإذا هو خصيم مبين**"، خصيم لمن؟ خصيم لربه، وخصيم لرسول الله، "**و ضرب لنا مثلا ونسي خلقه**" أي: نسي بدأ خلقه، "**و ضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم**"، ذكروا أن أحد المشركين جاء بعظم ويجعل يفته –عظما قد بلي– وجعل يفته حتى صار ترابا، وقال : أتزعم يا محمد أن هذا قد يحيا، أنّ هذا العظم قد يعود كما كان بعد أن صار ترابا، "**من يحي العظام وهي رميم**".

فأجابه الله بهذه الحجج:

-**الحجة الأولى**: "**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة**"، الذي أنشأ خلق الإنسان، بدأ خلقه من سلالة من طين، ثم جعل نسله من نطفة، جعل نسله من سلالة من ماء مهين، أي: من هذا المني الذي يقذف في الرحم، ويتكون منه خلقه، الذي بدأ خلقها، الذي أحياها: "**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة**".

-**الحجة الثانية**: "**و هو بكل خلق عليم**"، الله تعالى عالم برفات خلق الإنسان، وعالم ببقايا جسده، وعالم بحبات عظامه إذا كانت ترابا، "**و هو بكل خلق عليم**" فاحتج عليهم في مبدأ خلقهم وبإعادته، وبأنه –سبحانه وتعالى– بكل خلق عليم.

-**الحجة الثالثة**: "**أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم**"،

-و يقول تعالى أيضا: "**كذلك نخرج الموتى**"، لما ذكر أنه أحيا الأرض بعد موتها،

-و بقوله تعالى: "**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا**"، يعني: كانوا يقطعون غصنين من شجرة خضراء، ويحكون أحدهما بالآخر، وتنقدح منه شرار، ويوقدون منها نارا، "**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**" وقوله أيضا: " **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس**".

فهذه أدلة من هذه الآية، وفي غيرها مثل قوله تعالى: "**و من آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**" يعني: بدأ خلقكم من تراب، وبثكم وانتشرتم "**إذا انتم بشر تنتشرون**" دليل على أنه ابتدأ خلقكم كذلك، جاء في الحديث .. أن رجلا سأل النبي –صلى الله عليه

وسلم- : كيف يحيينا ربنا بعد أن كنا ترابا؟ فقال: ألا أدلك على آية؟ أما مررت بأرض يابسة قاحلة بيضاء؟ قال : بلى. قال: ثم مررت عليها بعد ذلك ونزل عليها المطر وهي تهتز خضراء؟ قال :بلى. قال: فكذلك يحيي الله الموتى. يقول الله تعالى: **"و هو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى"**، يعني: هذه آية من آيات الله، الأرض الميتة إذا نزل عليها الماء نبتت كل هذه النباتات، هذه آية من آيات الله، **"كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون"**.

لاشك أن هذا دليل على أنه أقام البينة على إحياء الموتى، وقطع الشبهات، وقد نسوق لذلك أمثلة كثيرة منها:

- في سورة البقرة قول الله تعالى: **"و إذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم"**، ذكروا أن موسى اختار من قومه سبعين، **" واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي"**، لما أنهم صعقوا وماتوا، لما أنهم سمعوا كلام الله قالوا بعد ذلك: **"لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة"**، فماتوا، قال تعالى: **" ثم بعثناكم بعد موتكم: فهؤلاء قد ماتوا ثم بعثهم الله من بعد موتهم" !**

-ومن **القصص القرآني** قوله تعالى: **"ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت"**، ذكروا أنهم خرجوا حذر الطاعون، ولما خرجوا أماتهم الله، " ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ " (البقرة، 243)[1]

- **ثم قصة ثالثة:** قصة الذي "مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه"، مات وفني مائة سنة ثم بعد ذلك بعثه الله، وبعث حماره

[1] الشعراوي، البعث والميزان، ص 75.

الذي كان معه، فقال الله: "**فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه**"، كان معه طعام لم يتغير، "**و انظر إلى حمارك**" كان قد تفرق وصار أجزاء وأشلاء، "

-أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ " (البقرة، 259)، تجمعت عظام الحمار واحدا بعد واحد، ثم بعد ذلك نبت عليه جلده، ثم بعد ذلك تكاملت أعضاؤه، ثم نفخ الله تعالى فيه الروح ثم قام، "**كيف ننشزها ثم نكسوها لحما**".

-**فقصة رابعة:** قصة إبراهيم لما قال: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ " (البقرة، 260)، لم يكن ذلك شكّا منه، ولكن ليطمئن قلبه، أخذ أربعة من الطير، الله أعلم بأسمائها، وفرقها، فجعل رأس هذا هنا، ورجله هنا، وجناحه هنا، وجسده هنا، قطعه قطعا وفرقها، وجعلها على رؤوس الجبال، ثم جعل على كل جبل منهن جزءا وأمسك رؤوسهن، فدعاهن فجاء كل شلو أو كل

قطعة حتى تلاءمت وصارت طيرا كاملا، وطرح إليه رأسه فالتأم رأسه، فعاد بإذن الله حيا ! [1]

هذه آيات من آيات الله، يعني: أنه أحياهم في الدنيا، فعلى هذا نقول: إن الله سبحانه وتعالى يحيي الموتى، يحيي الأموات بعد أن كانوا ترابا ورفاتا وعظاما وأشلاء، فإنما " **أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**"، فلذلك نقول هاهنا: وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث منْ يموت في القبور كما بدأهم يعودون، يبعث من يموت من أهل القبور، كما بدأهم يعودون أخذا من الآية الكريمة: "**كما بدأكم تعودون**" في سورة الأعراف، ولقوله تعالى: "**كما بدأنا أول خلق نعيده**". وفي يوم القيامة يحاسب الله تعالى العباد، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

الفرع الثاني: سورة "ق"أنموذجا :

-محتوى السورة: ونلخص أهم ما جاء فيها عن البعث والمعاد في النقاط التالية:

إن محور بحوث هذه السورة هو موضوع "**المعاد**" وجميع هذه الآيات –تقريبا- تدور حول هذا المحور وبعض المسائل الأخرى التي لها تعلق به أيضا.

و من المسائل المرتبطة بالمعاد تمت الإشارة في هذه السورة إلى الأمور التالية:

1. إنكار الكافرين مسألة المعاد وتعجبهم منها "**المراد بالمعاد هنا هو المعاد الجسماني**".
2. الاستدلال على مسألة المعاد عن طريق الالتفات إلى مطلق التكوين والخلق وخاصة إحياء الأرض الميتة بنزول الغيث.
3. الاستدلال على مسألة المعاد عن طريق الالتفات إلى الخلق الأول.
4. الإشارة إلى مسألة ثبت الأعمال والأقوال ليوم الحساب.
5. المسائل المتعلقة بالموت والانتقال من هذه الدنيا إلى الدار الأخرى.
6. جانب من حوادث يوم القيامة وأوصاف الجنة والنار.
7. إشارة إلى حوادث نهاية هذا العالم المذهلة والمثيرة التي تعتبر بدورها بداية العالم الآخر !

[1] العقاد: الله، ص 151 وما بعدها.
- الشعراوي: البعث، ص78.

و في الأثناء إشارات (موجزة وذات تأثير بليغ) عن حال الأمم الماضية وعاقبتها الوخيمة أمثال قوم فرعون وعاد وقوم لوط وقوم شعيب وقوم تبع وما ورد من تعليمات للنبي في التوجه إلى الله تعالى .. كما وردت في بداية السورة ونهايتها إشارة موجزة إلى عظمة القرآن الكريم !

و قد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم اهتماما كبيرا بسورة "ق" حتى أنه كان يقرؤها في خطبة صلاة كل يوم جمعة.[1]

كما ورد في حديث آخر أنه يقرؤها في كل عيد وجمعة[2] وإنما كان ذلك فلأن يومي الجمعة والعيد يومان يتيقظ فيها الناس وينتبهون، وفيها تكون العودة إلى الفطرة الأولى، والتوجه إلى الله ويوم الحساب، وحيث أن آيات هذه السورة تتحدث عن مسائل المعاد والموت وحوادث يوم القيامة وأن لأسلوبها تأثيرا بالغا في إيقاظ الناس من الغفلة تربيتهم، لذلك كانت موضع اهتمام النبي (صلى الله عليه وسلم).

و قد ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قوله : **"من قرأ سورة (ق) هون الله عليه تارات الموت وسكراته"**[3].

كما ورد فيحديث آخر أنه قال: **"من أدمن في فرائضه ونوافله سورة (ق) وسع الله في رزقه وأعطاه كتابا بيمينه وحاسبه حسابا يسيرا"**[4]

و لا حاجة للتذكير بأن كل هذه الفضيلة والفخر لا يحصل بقراءة الألفاظ فحسب، بل القراءة هي بداية لتيقظ الأفكار، وهي بدورها مقدمة للعمل الصالح والانسجام مع محتوى هذه السورة.

ثم يشير القرآن إلى **دليل آخر من دلائل إمكان النشور ويوم القيامة** فيقول: **"أفعيينا**

---

[1] تفسير القرطبي، ج9، ص6171.

- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر 2002، الجزء 7، ص 392، 394، 396، 397، 402، 404، 409.

[2] تفسير في ظلال القرآن، ج7، ص547.

[3] تفسير مجمع البيان، ج9، ص140.

[4] تفسير مجمع البيان، ج9، ص 141.

بالخلق الأول"[1]. ثم يضيف القرآن: إنهم لا يشكون ولا يترددون في الخلق الأول لأنهم يعلمون أن خالق الإنسان هو الله ولكنهم يشكون في المعاد مع كل تلك الدلائل الواضحة: **"بل هم في لبس جديد"**، وفي الحقيقة إنهم في تناقض بسبب هوى النفس والتعصب الأعمى، فمن جهة يعتقدون بأن خالق الناس أولا هو الله إذ خلقهم من تراب، إلا أنهم من جهة أخرى حين يقع الكلام على المعاد وخلق الإنسان ثانية من التراب يعدون ذلك أمرا عجيبا ولا يمكن تصوره وقبوله، في حين أن الأمرين متماثلان: **"و حكم الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد"**.

و هكذا فإن القرآن يستدل على المعاد في هذه الآيات والآيات الآنفة بأربعة طرق مختلفة، فتارة عن طريق علم الله، وأخرى عن طريق قدرته، وثالثة عن طريق تكرر صور المعاد ومشاهده في عالم النباتات، وأخيرا عن طريق الالتفات إلى الخلق الأول.

و متى ما عدنا إلى آيات القرآن الأخر في مجال المعاد وجدنا هذه الأدلة بالإضافة إلى أدلة أخر وردت في آيات مختلفة وبصورة مستقلة، وقد أثبت القرآن المعاد بالمنطق القويم والتعبير السليم والأسلوب الرائع (القاطع) للمنكرين وبينه بأحسن وجه .. فلو خضعوا لمنطق العقل وتجنبوا الأحكام المسبقة والتعصب الأعمى والتقليد الساذج فسرعان ما يذعنوا لهذه المسألة وسيعلمون بأن المعاد أو يوم القيامة ليس أمرا ملتويا وعسيرا.

"أفعيينا بالخلق الأول" أفعجزنا عن الإبداء حتى نعجز عن الإعادة، **"بل هم في لبس من خلق جديد"** أي هم لا ينكرون قدرتنا عن الخلق الأول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة الإعادة والتنكير للتعظيم والإشعار بأنه على وجه غير متعارف ولا معتاد في التوحيد عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال تأويل ذلك أن الله تعالى إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عالما غير هذا العالم وجدد خلقا من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلهم لعلك ترى بأن الله إنما خلق هذا العالم الواحد وترى أن الله لم يخلق بشرا غيركم بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين. وفي الخصال والعياشي عنه عليه السلام ما يقرب منه وقد مضى في سورة إبراهيم عليه السلام.

[1] في الجملة الآنفة إيجاز حذف وتقدير الكلام في تماميته أن يقال "أفعيينا بالخلق الأول حتى نعجز عن الثاني"

"و لقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه" ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي، **"و نحن أقرب إليه من حبل الوريد"**، الحبل العرق وإضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان إليه من الرأس وحبل الوريد مثل في القرب.

"أفعيينا بالخلق الأول" الاستفهام للتقريع والتوبيخ، والجملة مستأنفة لتقرير أمر البعث الذي أنكرته الأمم: أي أفعجزنا بالخلق حين خلقناهم أولا و لم يكونوا شيئا، فكيف نعجز عن بعثهم، يقال عيين بالأمر: إذا عجزت عنه و لم أعرف وجهه. قرأ الجمهور بكسر الياء الأول بعدها ياء ساكنة. قرأ ابن أبي عبلة بتشديد الياء من غير إشباع. ثم ذكر أنهم في شك من البعث، فقال: **"بل هم في لبس من خلق جديد"** أي في شك وحيرة واختلاط من خلق مستأنف، وهو بعث الأموات، ومعنى الإضراب أنهم غير منكرين لقدرة الله على الخلق الأول **"بل هم في لبس من خلق جديد"**، وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في قوله: "ق" قال: هو اسم من أسماء الله. وأخرج ابن أبي حاتم عنه قال: خلق الله من وراء هذه الأرض بحرا محيطا، ثم خلق وراء ذلك جبلا يقال له في السماء الدنيا مرفرفة عليه، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها، ثم خلق وراء ذلك جبلا يقال له قاف السماء الثاني مرفرفة عليه، حتى عد سبع أرضين وسبع أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات، قال: وذلك قوله: **" والبحر يمده من بعده سبعة أبحر"** قال ابن كثير: لا يصح سنده عن ابن عباس. وقال أيضا: وفيه انقطاع.

و أخرج ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عنه أيضا قال: هو جبل وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فحرك ذلك العرق الذي يلي تلك القرية فيزلزلها ويحركها، فمن ثم يحرك القرية دون القرية.

و أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عنه أيضا "و القرآن المجيد" قال: الكريم. وأخرج ابن أبي حاتم عنه أيضا قال: القرآن المجيد ليس شيء أحسن منه ولا أفضل. وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عنه أيضا: "قد علمنا ما تنقص الأرض منهم" قال: أجسادهم وما يذهب منها.

و أخرج ابن جرير عنه أيضا في الآية قال: ما تأكل من لحومهم وعظامهم وأشعارهم.

و اخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عنه أيضا قال: المريج الشيء المتغير.

و أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه عن قطبة قال: **"سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصبح ق"**. فلما أتى على هذه الآية "و النخل باسقات" فجعلت أقول: ما بسوقها؟ قال: طولها".

و أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس في قوله: " **والنخل باسقات" قال الطول. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه في قوله: "لها طلع نضيد"** قال: متراكم بعضه على بعض. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه أيضا في قوله: **"أفعيينا بالخلق الأول"** يقول لم يعيينا الخلق الأول، وفي قوله: **"بل هم في لبس من خلق جديد"** في شك من البعث.

المطلب الثالث: طرق الاستدلال في إثبات البعث :

الفرع الأول: عند الأنبياء والفلاسفة والملحدين :

إن الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة في دين الإسلام كما قد جاء ذلك مصرحا في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت، وأن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن أو منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعبدت الأرواح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا.

و تدنوا منهم الشمس ويلجمهم العرق وتنصب الموازين لوزن أعمال العباد وتنشر الصحائف الأعمال فأخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله، وفي عرصة القيامة الحوض المورود لمحمد صلى الله عليه وسلم والصراط وهو الجسر المنصوب على جهنم بين الجنة والنار يمر عليه الناس على قدر أعمالهم.

و أصناف ما تتضمنه الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المترلة من السماء، والآثار من العلم المأثورة عن الأنبياء وفي العلم الموروث عن محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما يشفي ويكفي.

و معاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى، وهو مذهب سائر المسلمين، بل سائر أهل الملل إثبات القيامة الكبرى وقيام الناس من قبورهم والثواب والعقاب هناك.

والرسل جميعا والأنبياء أنذروا بالقيامة الكبرى، وفي هذا تكذيب لمن نفى ذلك من المشركين والملاحدة الكافرين ومن تبعهم من الفلاسفة الذين زعموا أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد صلى الله عليه وسلم، وجعلوا هذه حجة لهم، في أنه باب من التخييل والخطاب للجمهور.

و لهم في المعاد أربعة أقوال[1]:

-القول الأول: القول بمعاد الأبدان والأرواح جميعا، وأن الروح المفارقة للبدن تكون بعد فراق البدن منعمة أو معذبة، ثم إن الله يعيدها عند القيامة الكبرى إلى البدن، وهذا هو قول الأنبياء والصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أمة المسلمين وعليه دل الكتاب والسنة.

-القول الثاني: القول بمعاد البدن فقط، وهذا قول كثير من أهل الكلام.

-القول الثالث: قول من يقول بمعاد الأرواح التي هي النفس الناطقة فقط، كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة.

-القول الرابع: إنكار المعادين الجسماني والروحاني مطلقا كما هو قول المكذبين بالجزاء بعد الموت، وهو ما كان عليه مشركو العرب وغيرهم من الأمم.

و القول الأول هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من كتاب ربنا سبحانه، وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فالله تعالى قد أبان المعاد في كتابه بأنواع متعددة من البيان، وذكر من الأدلة والبراهين ما لا يقدر أحد على أن يأتي بقريب منه، كما ذكر فيه أصناف الحجج ما ينتفع به عامة الخلق، و لم يسلك في ذلك ما يسلكه طوائف من أهل الكلام الذين يثبتون إمكان المعاد بمجرد الإمكان الذهني، وما يحتج به بعضهم على إمكانية المعاد بأنا لا نعلم امتناعه.

بل إنه سبحانه دل على إمكان إحياء الموتى، وقدرته على ذلك بطريق الوجود والعيان، وبطريق الاعتبار والقياس والبرهان، والأول أعظم الطريقين.[2]

-فأما أدلة الطريق الأول: طريق الوجود والعيان.

إخباره تعالى عمن أماتهم ثم أحياهم كما اخبر عن قوم موسى بقوله : " وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ "

[1] محمد شيخانيدى الملحدين، ط1، دار قتيبة، بيروت 2001، ص109.

[2] فلا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده.

(البقرة، الآية 55، 56) .

و كما أخبر عن المضروب بالبقرة بقوله: " فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ " (البقرة، 73).

و كما اخبر عن: " ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ " (البقرة، 243). –كما أسلفنا البيان في المبحث السابق–

و ذكر عز وجل في غير موضع إحياء المسيح عليه السلام للموتى، وذكر قصة أصحاب الكهف وبقائهم ثلاثمائة سنين قياما لا يأكلون ولا يشربون وهم أحياء لم يفسدوا وقال في القصة: " وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ " (الكهف، 21). فهذه القصص فيها من الإخبار بالموجود ما هو من أعظم الدلائل على القدرة والإمكان لإحياء الموتى، وصدق هذه الأخبار يعلم بما به يعلم صدق الرسول، ويعلم بأخبار أخرى من غير طريق الرسول وإخباره بها من أعلام نُبوّته.[1]

-أما الطريق الثاني: وهو طريق إثبات الإمكان والقدرة بالاعتبار والقياس بطريق الأولى:

1 الله يتحدى الملحدين، ص 118.

– الشعراوي: الأدلة المادية على وجود الله، ص 93.

فإنه سبحانه يستدل على ذلك تارة بالنشأة الأولى، وأن الإعادة أهون من الابتداء كما في قوله تعالى: " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ "(الحج،5). وكما في قوله: " وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ "(يس، 78، 79). و قوله:" وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ " (الروم، 27).

وتارة يستدل على إمكان ذلك بخلق السماوات والأرض:

فإن خلقها أعظم من إعادة الإنسان كما في قوله تعالى:" وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ " (الإسراء،49،50). و قوله:" أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ " (الأحقاف، 33).

و تارة يستدل على إمكانه بخلق النبات:

فإنه سبحانه يستدل على ذلك بخلق النبات ويبين أن قدرته على إحياء الموتى كقدرته على

إنبات النبات، كما في قوله تعالى:" وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۤ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالاً سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ " (الأعراف، 57).

مذهب الفلاسفة:

بالرغم من إجماع الأديان والملل وعلى رأسها الإسلام على وجوب الإيمان باليوم الآخر، وإثبات البعث بعد الموت حقيقة واقعة لا ريب فيها، فقد وجد قديما وحديثا من ينكر هذه الحقيقة، وينازع في إمكان وقوعها بعد الموت، وعلى رأس هؤلاء المنكرين الدهريون والطبيعيون من الفلاسفة المتقدمين.

فالدهريون طائفة من الفلاسفة الأقدمين جحدوا الصانع المدبر الخالق لهذا الكون، وأنكروا المبدأ والمعاد، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا بنفسه بلا صانع، و لم يزل الحيوان من النطفة كذلك كان وكذلك يكون أبدا.[1]

أما الطبيعيون، وهم كذلك طائفة من الفلاسفة الأقدمين فهم قوم أكثروا البحث في عالم الطبيعة من حيوان ونبات وعلم وتشريح لهذه المخلوقات، ولكثرة نظرهم في هذا الجانب منقطعين عن معرفة الخالق المدبر ظنوا أن وجود الإنسان وبقاءه مرهون باعتدال مزاجه، كما أن القوة العاقلة منه تابعة أيضا لمزاجه، وأنها تبطل ببطلانه فينعدم، وإذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم بزعمهم، فلذلك أنكروا المعاد والجنة والنار، والثواب والعقاب.

و هناك فئات من المشركين يعترفون بوجود الخالق المدبر للكون، ولكنهم يكذبون بالبعث والنشور بعد الموت، ومن هؤلاء مشركو العرب الذين قال الله عنهم:" وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ

[1] انظر: الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق عبد الحليم محمود، ط5، دار الكتب الحديثة 1965، ص 63.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ "(الزمر، 38).

و حكى استبعادهم للبعث بعد الموت في قوله عنهم:" بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ " (النمل، 66، 67،68).

أما المتأخرون من الفلاسفة وهم المسمون بالإلهيين أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو، وشيعته المشائين ومن تأثر بهم وسلك سبيلهم من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام فالمتقدمون منهم كسقراط وأفلاطون الثابت عنهم أنهم يثبتون معاد الأبدان والجزاء الأخروي على الأعمال عموما، وإن كان لهم في تفاصيل ذلك أمور يخالفون فيها ما هو ثابت في دين الإسلام. أما أرسطو فإنه يقول بفناء النفس البشرية بموت الفرد، وبفناء قواها أيضا، ما عدا العقل النظري فقط، وأنكر أن يكون هناك عذاب أو نعيم حسي بعد الموت، بأي شكل من الأشكال.

و حاصل مذهبه إنكار البعث بعد الموت، والجنة والنار والجزاء الأخروي حيث جعل الغاية من وجود الإنسان هي التعقل والتأمل المطلق للكون، وعند هذا الحد ينتهي دوره في الحياة.

و لقد تأثر بمذهبه من جاء بعده من الفلاسفة على اختلاف بينهم في درجات التأثر، وظهر أثر مذهبه ومذاهب غيره من فلاسفة اليونان كأفلاطون وأفلوطين جليا في مذهب الفلاسفة المنتسبين للإسلام كالفارابي وابن سينا وابن رشد، فهؤلاء وإن لم ينكروا البعث مطلقا لكنهم أنكروا البعث

الجسماني، لأنه لا يمكن البرهنة عليه عقلا بزعمهم.

و من ثم أنكروا النعيم والعذاب الحسي الأخروي المتمثل في وجود الجنة والنار، والحشر والحساب والصراط ووزن الأعمال وجعلوا جميع ذلك أمورا معنوية تحصل للروح فقط بعد مفارقتها البدن حيث تصبح عالما عقليا مطلقا.[1]

و حاصل مذهبهم في هذا الجانب أنهم جعلوا للمعاد صورتين:

-**الأولى:** جسمانية وهي الأدنى في نظرهم وهي التي نطقت بها الشريعة وثبتت بالنص المتلقى من النبوة.

-**و الثانية:** روحانية وهي الأكمل، وقد ثبتت بالعقل والقياس البرهاني بزعمهم.[2]

و انتهوا إلى إنكار المعاد الجسماني والقول بالمعاد الروحاني الذي حقيقته أن الأرواح تعود إلى عالمها الأول الذي صدرت منه، وفارقته مدة مصاحبتها للبدن، وهو عالم العقول المفارقة على اختلاف بينهم في عودها وبقائها.[3]

و قد بنوا إنكارهم للمعاد الجسماني على شبه باطلة، نرجع إلى أصولهم الباطلة التي أصلوها في حق الله عز وجل، وعلاقته بهذا العامل، ومن هذه الشبه زعمهم بأن النفوس الناطقة غير متناهية، بناء على مذهبهم في قدم النوع اللازم عن قولهم بقدم العالم، والأجساد متناهية، لأن المادة التي هي منها متناهية، ما يعني استحالة حشر أجساد لهذه النفوس غير المتناهية.

و شبهة أخرى هي زعمهم أن بدن الإنسان يتحلل، وتنتقل أجزاؤه إلى إنسان آخر أو حيوان أو غيره، كما يستحيل ماء وبخارا، ويمتزج بهواء العالم وبخاره، مما يبعد معه انتزاع أجزائه واستخلاصه.[4]

و لما كانت النصوص الشرعية الدالة على المعاد الجسماني واضحة ومتواترة بحيث لم يمكنهم إنكارها، ادعوا أن هذه النصوص إنما جاءت لخطاب الجمهور من العوام، والدهماء الغليظة عقولهم، وإفهامهم بما يفهمونه مقربا إلى أفهامهم ما لا يفهمونه بالتشبيه والتمثيل الجسماني الحسي لأنه في

---

1 الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 69-71.

[2] انظر: الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص 168.

[3] انظر: تيسير شيخ الارض، المقدمة إلى فلسفة ابن سينا، دار الأنوارن بيروت، ص 296.

[4] انظر: ابن سينا، أضحوية في أمر المعاد، تحقيق سليمان دنيا، ط1، دار الفكر العربي، مصر 1949، ص 55.

زعمهم أشد تفهيما للجمهور، فلو خاطبهم بالمعاد الروحاني فيشبه أن يكون أقل تحريكا لنفوسهم، وأن يكونوا معه أقل رغبة فيه وخوفا منه.[1]

و لتأصيل هذا المفهوم للمعاد الذين زعموا أنه الأكمل والأفضل عمد ابن سينا إلى تأويل الثواب والعقاب والجنة والنار والصراط بتأويلات فلسفية تخرجها عن مفاهيمها الحسية إلى معاني عقلية صرفة.

أ. الرد على الفلاسفة والملحدين:

الذي عليه السلف والفقهاء قاطبة وجمهور العقلاء أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، كما هو الحال في الأجسام التي يشاهد حدوثها، أنه سبحانه يقلبها ويحيلها من جسم إلى جسم.

كما تستحيل العذرة رمادا، والخنزير وغيره ملحا، والمني الذي في الرحم عقلة ثم مضغة، وكذلك الحبة يفلقها وتنقلب المواد التي يخلقها منها سنبلة وشجرة.

و هكذا خلقه لما يخلقه سبحانه وتعالى، كما خلق آدم من الطين فقلب حقيقة الطين فجعلها عظما ولحما، وغير ذلك من أجزاء البدن، وكذلك النار يخلقها بقلب الغاز أو بقلب عود الكبريت نارا، كما قال تعالى: " وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ " (الروم، 27).

فنفس تلك الأجزاء التي خرجت من الشجر الأخضر جعلها الله تعالى نارا، من غير أن يكون في الشجر الأخضر نارا أصلا، كما لم يكن في الشجرة ثمرة أصلا، ولا كان في بطن المرأة جنين أصلا، بل خلق هذا الموجود من مادة غيره بقلبه سبحانه تلك المادة إلى هذا وبما ضمه إلى هذا من مواد أخرى.

و كذلك الإعادة، يعيد الله تعالى الإنسان بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"كل ابن آدم يبلي إلا عجب الذنب منه خلق ابن آدم**

[1] انظر: ابن سينا، أضحوية في أمر المعاد، ص44-51. وابن رشد، مناهج الأدلة، ص 133.

ومنه يركب"[1].

و هو إذا أعاده في النشأة الثانية، لم تكن النشأة مماثلة لهذه، فإن هذه كائنة لا فاسدة، لا باقية دائمة، وقد شبه الله عز وجل إعادة الناس في النشأة الأخرى بإحياء الأرض بعدو موتها في مواضع من كتابه العزيز، وهو سبحانه مع إخباره أنه يعيد الخلق وأنه يحيي العظام وهي رميم، وأنه يخرج النـــاس من الأرض تارة أخرى هو بخير أن المعاد هو المبـــدأ كقولـــه تعـــالى: " ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ " (يس، 80).

و يخبر أن الثاني مثـــل الأول:" وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾" (الإسراء، 49)، " أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٩٩﴾ " (الإسراء، 99) .

و المراد بقدرته على خلق مثلهم هو قدرته على إعادتهم كما أخبر بذلك في قولـــه: " أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡىَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِۧىَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾ " (الأحقاف، 33).

فإن القوم ما كانوا ينازعون في أن الله يخلق في هذه الدار ناسا أمثالهم، فإن هذا هـــو الواقـــع المشاهد، يخلق قرنا بعد قرن، ويخلق الولد من الوالدين، وهذه هي النشأة الأولى، وقد علموها.

و ربما احتج عليهم على قدرته على النشأة الأخرى كما قـــال تعـــالى: " عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ

[1] صحيح البخاري: كتاب التفسير، ج551/8، صحيح مسلم: كتاب الفتن، ج92/18،91.

أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ " (الواقعة، 61، 62).

أي أخلقكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون كيف شئتم، وذلك أنكم علمتم النشأة الأولى، كيف كانت في بطون الأمهات، وليست الأخرى كذلك، ومعلوم أن النشأة الأولى كان الإنسان نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة، ثم ينفخ فيه الروح، وتلك النطفة من مني الرجل والمرأة، وهي يغذيه بدم الطمث الذي يربي الله به الجنين في ظلمات ثلاث، ظلمة المشيمة، ظلمة الرحم وظلمة البطن.

و النشأة الثانية لا يكونون في بطن امرأة ولا يغذون بدم ولا يكون احدهم نطفة رجل وامرأة، ثم يصير علقة.

بل ينشؤون نشأة أخرى، وتكون المادة من التراب، كما قال تعالى: " مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ " (طه، 55).

و قال تعالى: " وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ " (نوح، 17، 18).

و في الحديث: **"ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل" أخرجه البخاري.**

فعلم أن النشأتين نوعان تحت جنس، يتفقان ويتشابهان من وجه ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر.

و لهذا جعل المعاد هو المبدأ، وجعل مثله أيضا فباعتبار اتفاق المبدأ والمعاد فهو هو، وباعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله.[1]

و المعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البدأة فرق، فذلك الفرق لا يمنع أن

[1] الله يتحدى الملحدين، ص 161 وما بعدها.

يكون قد أعيد الأول، وليس الجسد الثاني مباينا للأول من كل وجه كما زعم بعضهم، ولا أن النشأة الثانية كالأولى من كل وجه كما ظن بعضهم.

و كما انه سبحانه خلق الإنسان و لم يكن شيئا، كذلك يعيده بعد أن لم يكن شيئا. وعلى هذا فالإنسان الذي صار ترابا ونبت من ذلك التراب نبات آخر أكله إنسان آخر وهلم جرا والإنسان الذي أكله إنسان أو حيوان وأكل ذلك الحيوان إنسانا آخر ففي هذا كله قد عدم هذا الإنسان وهذا الإنسان وصر كل منهما ترابا كما كان قبل أن يخلق، ثم يعاد هذا ويعاد هذا من التراب، وإنما يبقى عجب الذنب منه خلق ومنه يركب.

و أما سائره فعدم فيعاد من المادة التي استحال إليها فإذا استحال في القبر الواحد ألف ميت وصاروا كلهم ترابا فإنهم يعادون ويقومون من ذلك القبر وينشئهم الله تعالى بعد أن كانوا عدما محضا كما أنشأهم أولا بعد أن كانوا عدما محضا.

و إذا صار ألف إنسان ترابا في قبر واحد، أنشأ هؤلاء من ذلك القبر من غير أن يحتاج أن يخلقهم كما خلقهم في النشأة الأولى التي خلقهم منها من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وجعل نشأتهم إلى أبدانهم من الطعام والشراب، كما يستحيل إلى بدن أحدهم ما يأكله من نبات وحيوان وكذلك لو أكل إنسانا أو أكل حيوانا إنسانا.

فالنشأة الثانية لا يخلقهم فيها بمثل هذه الاستحالة بل يعيد الأجساد من غير أن ينقلهم من نطفة إلى علقة إلى مضغة ومن غير أن يغذوها بدم الطمث ومن غير أن يغذوها بلبن الأم وبسائرها ما يأكله من الطعام والشراب فمن ظن أن الإعادة تحتاج إلى إعادة الأغذية التي استحالت إلى أبدانهم فقد غلط.

و بهذا يظهر الجواب عن قوله "البدن دائما في التحلل فإن تحلل البدن ليس بأعجب من انقلاب النطفة علقة والعلقة مضغة وحقيقة كل منهما خلاف حقيقة الأخرى.

و أما البدن المتحلل فالأجزاء الثانية تشابه الأولى وتماثلها وإذا كان في الإعادة لا يحتاج إلى انقلابه من حقيقة إلى حقيقة فكيف بانقلابه بسبب التحلل.[1]

و معلوم أن من رأى شخصا وهو شاب ثم رآه وهو شيخ علم أن هذا هو ذاك مع هذه

[1] الرسالة الأضحوية في أمر المعاد، ص57.

الاستحالة وكذلك سائر الحيوان والنبات كما غاب عن شجرة مدة ثم جاء فوجدها علم أن هذه هي الأولى مع أن التحلل والاستحالة ثابت في سائر الحيوان والنبات.

و بهذا يعلم أن الاستحالة الحاصلة للبدن لا تنافي كون البدن الذي يعاد في النشأة الثانية هو البدن في النشأة الأولى، ولهذا يشهد البدن المعاد بما عمل في الدنيا كما في قوله تعالى:" ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ " (يس، 65).

و قال تعالى:" حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ " (فصلت، 20).

و على هذا قول القائل يعيده على صفة ما كان وقت موته أو سمنه أو هزاله أو غير ذلك جهل منه.

فإن صفة تلك النشأة الثانية ليست مماثلة لصفة هذه النشأة حتى يقال: إن الصفات هي المغيرة، إذ ليس هناك استحالة؟ ولا استفراغ ولا امتلاء ولا سمن ولا هزال ولا سيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلوها على صورة أبيهم آدم: طول احدهم ستون ذراعا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما وروي أن عرضه سبعة أذرع وهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتمخطون.

و لما كان متأخروا الفلاسفة لا سيما المنتسبين منهم للإسلام كالفارابي وابن سينا وابن رشد، ينكرون معاد الأبدان، فقد ادعوا أن ما ورد من الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات المعاد الجسماني إنما هو من باب التخييل والتمثيل والخطاب الجمهوري الذي قصد به إظهار الحقائق العقلية في القوالب الحسية لينتفع به عموم الخلق، وإن كانت هذه الظواهر كذبا وباطلا في نفس الأمر، فقصد الرسول إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة إذا كانت دعوتهم ومصلحتهم لا تمكن إلا بهذا الطريق.

و هذا القانون الذي وضعته الفلاسفة في التعامل مع نصوص الوحي المبين، قانون باطل، فإن

الرسل إما أنهم علموا الحقائق الخبرية والطلبية أو لم يعلموها، وإذا علموها فإما أنه كان يمكنهم بيانها بالكلام والكتاب أو لا يمكنهم ذلك، وإذا أمكنهم ذلك البيان فإما أن يمكن للعامة وللخاصة أو للخاصة فقط.[1]

فإن قالوا إن الرسل لم يعلموها وأن الفلاسفة أعلم بها منهم، وأحسن بيانا لها منهم فلا ريب أن هذا قول الزنادقة المنافقين.

و إن قالوا إن الرسل مقصدهم صلاح عموم الخلق وعموم الخلق لا يمكنهم فهم هذه الحقائق الباطنة، فخاطبوهم بضرب الأمثال لينتفعوا بذلك، وأظهروا الحقائق العقلية في القوالب الحسية فتتضمن خطابهم عن الله وعن اليوم الآخر من التخييل والتمثيل للمعقول بصورة المحسوس.

فمعلوم أن هذا قول حذاق الفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا وغيرهما، ومدار كلامهم على أن الرسالة متضمنة لمصلحة العموم علما وعملا، وأما الخاصة فلا.

و من زعم أنه وكبار طائفته أعلم من الرسل بالحقائق وأحسن بيانا لها فهذا زنديق منافق، إذا أظهر الإيمان بهم باتفاق المؤمنين.

و من قال إن الرسل كانوا أعظم علما وبيانا ولكن هذه الحقائق لا يمكن علمها أو لا يمكن بيانها مطلقا أو يمكن الأمران للخاصة، قلنا فحينئذ لا يمكنكم أنتم ما عجزت عنه الرسل من العلم والبيان.

و إن قلتم لا يمكن علمها، قلنا: فأنتم وأكابركم لا يمكنكم علمها بطريق الأولى. وإن قلتم لا يمكن بيانها، قلنا: فأنتم وأكابركم لا يمكنكم بيانها. وإن قلتم يمكن ذلك للخاصة دون العامة، قلنا فيمكن ذلك من الرسل للخاصة دون العامة.

فإن ادعوا أنه لم يكن في خاصة أصحاب الرس من يمكنكم فهم ذلك جعلوا السابقين الأولين دون المتأخرين في العلم والإيمان، وهذا من مقالات الزنادقة، لأنه قد جعل بعض الأمم الأوائل من اليونان والهند ونحوهم أكم عقلا وتحقيقا للأمور الإلهية والعبادية من هذه الأمة.

فهذه مقالات المنافقين الزنادقة، إذ المسلمون متفقون على أن هذه الأمة خير الأمم وأكملها،

---

[1] الرسالة الأضحوية في أمر المعاد، ص 59 .

- ابن رشد: تهافت التهافت، المكتبة العصرية صيدا، بيروت 2003، ص 273.

وإن أكمل هذه الأمة وأفضلها هم سابقوها.[1]

الفرع الثاني: الأدلة العقلية والحسية والشرعية للركن الخامس من أركان الإيمان :

اليوم الآخر هو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء، وسمي بذلك لأنه لا يـــوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم.

و الإيمان باليوم الآخر يتضمن كل ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة مما يكون في يوم القيامة فيشمل (**البعث، الحساب والجزاء، والجنة والنار**) ويلتحق به كل ما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه.

الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

-الأول : الإيمان بالبعث:

و هو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غـــير منتعلين، عراة غير مستترين، غرلا غير مختتنين، قال الله تعالى:" يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ "

(الأنبياء، 104)

و البعث: حق ثابت دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين. قال الله تعـــالى:" ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

"(المؤمنون،15، 16). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **"يحشر الناس يوم القيامة حفـــاة غـــرلا" متفق عليه.**

و أجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة

[1] ابن رشد: تهافت التهافت، المكتبة العصرية صيدا، بيروت 2003، ص 376.

معادا يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله. قال الله تعالى:" أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ "(المؤمنون، 115) وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: "**إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد**".[1]

-الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء:

يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى:" إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ "(الغاشية، 26،25)، وقال:" مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ "(الأنعام،160).

و قال تعالى:" وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ "(الأنبياء، 47).

و عن ابن عمر رضي الله عنهما –أن النبي صلى الله عليه وسلم– قال: "**إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه (ستره) ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى أنه قد هلك، قال: قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطي كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) متفق عليه.**

و صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) : "**أن من هم بحسنة فعملها، كتبها الله عنده عشر**

[1] الشعراوي، البعث، ص109.

حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وأن من هم بسيئة فعملها، كتبها الله سيئة واحدة".[1]

و قد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم، وذرياتهم، ونساءهم، وأموالهم.

-الثالث: الإيمان بالجنة والنار:

و أنهما المال الأبدي للخلق، فالجنة (دار النعيم التي أعدها الله للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله، فيها من أنواع النعيم) **"ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر".**

قال تعالى:

-" إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ " (البينة، 7، 8)

-" فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧ " (السجدة، 17)

و أما النار (فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين الذين كفروا به وعصوا رسوله، فيها من أنواع العذاب، والنكال، ما لا يخطر على البال. قال تعالى:

-" وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٣٢ " (آل عمران،

1 الشعراوي، البعث، ص113.

132)

-" وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ " (الكهف، 29)

-" يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَاْ ﴿٦٦﴾ " (الأحزاب، 63-66)

و يلتحق بالإيمان باليوم الآخر بكل ما يكون بعد الموت، مثل:

أ. **فتنة القبر**: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ودينه ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد (صلى الله عليه وسلم)،

ب. و يضل الله للظالمين فيقول الكافر: هاه هاه لا أدري،و يقول المنافق أو المرتاب: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

ج. **عذاب القبر ونعيمه:** فأما عذاب القبر: فيكون للظالمين من المنافقين والكافرين، قال الله تعالى:" وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ

تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ "(الأنعام،93). و قال تعالى في آل فرعون:" ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ "(غافر،46).

و في صحيح مسلم من حديث زيد ابن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"فلو لا تدافنوا لدعوت الله ن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع عنه، ثم أقبل بوجهه قال: تعوذوا بالله إن عذاب النار قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال".**

و أما نعيم القبر فللمؤمنين قال الله تعالى:" إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ "(فصلت، 30).

و قال تعالى:" فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾

فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ "(الواقعة،83،96).

و عن البراء –رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: **"ينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال : فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره. (رواه أحمد وأبو داود في حديث طويل).**[1]

و للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

-**الأولى:** الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

-**الثانية:** الرهبة من فعل المعصية والمرضى بها خوفا من عقاب ذلك اليوم.

-**الثالثة:** تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن. وهذا الزعم باطل دل على بطلانه: الشرع، الحس والعقل.

1. الدليل الشرعي:

أما من الشرع فقد قال الله تعالى: "زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن، ثم لتنبؤن بما عملتم، وذلك على الله يسير". وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

2. الدليل الحسي:

أما الحس، فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة خمسة أمثلة على ذلك وهي:

-**المثال الأول:** قوم موسى حين قالوا له : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأماتهم الله تعالى،

[1] الشعراوي: البعث والحساب والجزاء، ص 136 وما بعدها.

ثم أحياهم، وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطبا بني إسرائيل:" وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ "(البقرة،55،56).

-المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا ببقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى:" وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّ�ٰرَ‌ْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ "(البقرة،72،73).[1]

-المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الموت وهو ألوف فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى:" ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

"(البقرة،243).

-المثال الرابع: في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى فأماته الله تعالى مائة سنة، ثم أحياه وفي ذلك يقول الله تعالى:" أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ

[1] محمد شيخاني، الله يتحدى الملحدين، ص 171

- البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، ص 306 وما بعدها.

بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ "(البقرة،259).

-المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم بناديهن، فلتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم سعيا، وفي ذلك قوله تعالى:" وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ "(البقرة،260).

فهذه أمثلة حسية واقعة تدل على إمكان إحياء الموتى. وقد سبق الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى بن مريم في إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم بإذن الله.

3. الدليل العقلي:

أما دلالة العقل فمن وجهين:

-أحدهما: أن الله تعالى فاطر السموات والأرض وما فيهما خالقهما ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجزه عن إعادته، قال الله تعالى:" وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ

أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ "(الروم،27).

-**الثاني:** أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فيتزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الأموات. قال الله تعالى:" وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ "(فصلت،39). وقال تعالى:" وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ " (ق،9، 11).

و قد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا: فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق.[1]

و هذا الزعم باطل بالشرع والحس والعقل:

-**أما الشرع:** فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه في فقرة (ب) مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر.

و في صحيح البخاري من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "**خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما**" وذكر الحديث، وفيه "**أن أحدهما كان لا يستتر من الول**" وفي رواية "**من بوله**" وأن "**الآخر كان يمشي بالنميمة**".

[1] الله يتحدى الملحدين: ص 186-187.

-**و أما الحس:** فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موحش يتألم منه وربما يستيقظ أحيانا مما رأى ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه. والنوم آخر الموت ولهذا سماه الله تعالى (وفاة) قال الله تعالى:" ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ "(الزمر،44).

-**و أما العقل:** فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) على صفته، ومن رآه على صفته فقد رءه حقا، ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيد عما رأى، فإذا كان هذا ممكنا في أحوال الدنيا، أفلا يكون ممكنا في أحوال الآخرة (البرزخ)؟

و أما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:

-**الأول:** أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء بع الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

و كم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

-**الثاني:** أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

-**الثالث:** أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقة إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوحى ليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة، وربما يتمثل له الملك رجلا فيكلمه، والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

-**الرابع**: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسموات السبع والأرض ومن فيهن وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحا حقيقيا يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحيانا. ومع ذلك هو محجوب عنا،[1] وفي ذلك يقول الله تعالى:" تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ "(الإسراء،44).

وهكذا الشياطين والجن. يسعون في الأرض ذهابا وإيابا، وقد حضرت الجن إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين. ومع هذا فهم محجوبون عنا وفي ذلك يقول الله تعالى:" يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ "(الأعراف،27). وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه.

الفرع الثالث: مسالك الإيمان باليوم الآخر:

كأن الله سبحانه وتعالى وضح في هذه الآية أركان الإيمان، وكيف أن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الأساسية، فعقيدة الإيمان بالله لا تنفك عن الإيمان باليوم الآخر، لأن من مقتضى الإيمان بالله –دققوا– تصديقه في جميع ما يخبرنا به، فلو سألك سائل: ما الدليل على إيمانك باليوم الآخر؟ تقول: هذا الكون كله دليل على وجود الله، فالإيمان بوجود الله إيمان تحقيقي، بعد أن عرفت الله، وعرفت أن لهذا الكون خالقا عظيما، وأن هذا الخالق العظيم لا يعقل أن يترك عباده من دون إرشاد،

[1] الله يتحدى الملحدين، ص 203-205-206.
- البعث، ص 156.
- كبرى اليقينيات الكونية، ص 253-272. بتصرف.

وأنه أنزل على رسلك كتبا، ليعرفهم بحقيقة وجودهم، وحقيقة المهمة التي خلقوا من أجلها، وأن الله عز وجل، أخبرنا في هذه الكتب أن هناك يوما آخر.

فمما يقتضي، ومما يلزم من الإيمان بالله عز وجل الإيمان باليوم الآخر، لأن الله عز وجل أخبرنا في كتبه بأن هناك يوما آخر، القضية سلسلة بعضها بعضا، الإيمان بالله إيمان تحقيقي، عن طريق النظر في الكون، وعن طريق الاستدلال العقلي اليقيني، فمسالك اليقين ثلاثة:

-المسلك اليقيني الحسي:

أنت تشعر، أنت تحس، وترى بعينك أن هذا الصباح متألق، وأن هذا كتاب، وأن هذا كأس، وأن هذه يد، فهناك مسلك اليقين الحسي.

-مسلك اليقين الاستدلالي:

الأثر يدل على المؤثر، والنظام على المنظم، والخلق يدل على الخالق، والوجود يدل على الموجد، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج .. ألا تدلان على العليم الخبير ... هذا مسلك اليقين الاستدلالي.

و هناك الشيء الذي غابت عنه، وبقيت آثاره، فمسلك اليقين به اليقين الاستدلالي، والشيء الذي ظهرت عينه حسه، مسلك اليقين الحسي، الشيء الذي غابت عينه، وغابت آثاره:

-مسلك اليقين به اليقين الإخباري:

كعالم الأزل، وعالم الأبد، والملائكة، والجن، واليوم الآخر، والجنة، والنار، والبرزخ، ويوم البعث، والنشور ... هذه الأشياء المغيبة عنا مسلك اليقين بها اليقين الإخباري ...

إن الله عز وجل أخبرنا أن هناك يوما آخرا، فإيمانك بالله إيمان حقيقي، ويقينك بوجوده يقين استدلالي، لكن يقينك باليوم الآخر يقين إخباري، لأن الله عز وجل أخبرنا عن طريق الوحي، وفي الكتب المترلة، أن هناك يوما آخر.[1]

و قد أخبرنا عن اليوم الآخر في وعده ووعيده، وما أعد الله في هذا اليوم من نعيم المؤمنين المتقين، ومن الوعيد في هذا اليوم من عذاب للمجرمين.

[1] محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، مكتبة الأسد، دار الفكر، دمشق 1997، ص 104 ص 106.

فلو لم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي يتره الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقولـــه: " فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ " (الأعراف، 6، 7).

الباب الثاني:

اليوم الآخر: الارتدادات الأبعاد الروحية والعقدية.

Répercussions Idéologiques et Portées Dogmatiques.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

تطور مفهوم

عقيدة البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: في الفكر اليهودي:

المطلب الأول: المشيحانية والحلولية الكمونية :

الفرع الأول: الآخرة أو العالم الآخر (الآتي) "Word to come" :

"الآخرة" أو "العالم الآخر" هي المقابل العربي للمصطلح العبري "عولام هبا"، وهو مصطلح يهودي أخروي يعني "العالم الآتي في آخر الأيام" (مقابل "عولام هازيه"، أي "هذا العالم"). ومفهوم الآخرة أو العالم الآخر مفهوم أخروي، أخذ في الظهور التدريجي، واكتسب كثيرا من ملامحه بعد العودة من بابل، ثم صار إحدى الأفكار الدينية الأساسية في التلمود. وهذا العالم الآتي يشير إلى عدة أشياء متناقضة، فهو قد يشير إلى المستقبل وحسب، وقد يشير إلى العصر المشيحاني (الألفي) قبل أو بعد يوم الحساب وقبل أو بعد البعث، وقد يشير إلى الآخرة بمعنى نقطة خارج الزمان. وقد قرنه بعض الحاخامات بالجنة وحسب. وهو قد يشهد التحرر القومي لليهود من ظلم الأمم الأخرى، ولكنه قد يشهد تحرر الكون بأسره، أي أنه يعكس كل تناقضات التفكير الأخروي اليهودي، وتأرجحه ما بين الرؤية الحلولية والرؤية التوحيدية.[1]

الفرع الثاني: الماشيح والمشيحانية Messiah and Messianism

"ماشيح" كلمة عبرية تعني "المسيح المخلص"، ومنها "مشيحيوت" أي "المشيحانية" وهي الاعتقاد بمجيء الماشيح، والكلمة مشتقة من الكلمة العبرية "مشح" أي "مسح" بالزيت المقدس، وكان اليهود، على عادة الشعوب القديمة، يمسحون رأس الملك والكاهن بالزيت قبل تنصيبهما، علامة على المكانة الخاصة الجديدة وعلامة على أن الروح الإلهية أصبحت تحل وتسري فيهما، بحيث المجال الدلالي لكلمة "ماشيح" يتسع تدريجيا إلى أن يضم عددا كبيرا من المدلولات تتعايش كلها جنبا إلى جنب داخل التركيب الجيولوجي التراكمي اليهودي. فكلمة "الماشيح" تشير إلى كل ملوك اليهود وأنبيائهم، بل كانت تشير أيضا إلى قورش ملك الفرس، أو إلى أي فرد يقوم بتنفيذ مهمة خاصة يوكلها الإله إليه. كما أن هناك في المزامير إشارات متعددة إلى الشعب اليهودي على أنه شعب من المشحاء.

[1] Karen Armstrong : the messianic idea in judaism, London and prinaton, N.J, 1991, PP 74-91.

و هناك أيضا المعنى المحدد الذي اكتسبته الكلمة في نهاية الأمر إذ أصبحت تشير إلى شخص مرسل من الإله يتمتع بقداسة خاصة، إنسان سماوي وكائن معجز خلقه الإله قبل الدهور يبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله. وهو يسمى "ابن الإنسان" لأنه سيظهر في صورة الإنسان وإن كانت طبيعته تجمع بين الإله والإنسان، فهو تجسد الإله في التاريخ، وهو نقطة الحلول الإلهي المكثف الكامل في إنسان فرد.[1]

و هو ملك من نسل داود، سيأتي بعد ظهور النبي إليا ليعدل مسار التاريخ اليهودي، بل البشري، فينهي عذاب اليهود ويأتيهم بالخلاص ويجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون ويحطم أعداء جماعة إسرائيل، ويتخذ أورشليم (القدس) عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل، ويحكم بالشريعتين المكتوبة والشفوية ويعيد كل مؤسسات اليهود القديمة مثل السنهدرين، ثم يبدأ الفردوس الأرضي الذي سيدوم ألف عام، ومن هنا كانت تسمية "الأحلام الألفية" و"العقيدة الاسترجاعية".[2]

و لأن إله اليهود لا يحل في التاريخ فحسب، وإنما يحل في الطبيعة أيضا، فإننا نجد أن العصر الذهبي (أو العصر المشيحاني) يشمل التاريخ والطبيعة معا !

فعلى مستوى التاريخ، نجد أن السلام، حسب إحدى الروايات، سيعم العالم، وأن الفقر سيزول، وستحول الشعوب أدوات خرابها إلى أدوات بناء، ويصبح الناس كلهم أحباء متمسكين بالفضيلة، ولكن صهيون ستكون بطبيعة الحال مركز هذه العدالة الشاملة، كما ستقوم كل الأمم على خدمة الماشيح. وفي رواية أخرى، ستسود صهيون الجميع وستحطم أعداءها.

أما على مستوى الطبيعة، فإننا نجد أن الأرض ستخصب وتطرح فطيرا، وملابس من الصوف، وقمحا حجم الحبة منه كحجم الثور الكبير، ويصير الخمر موفورا.[3]

و الفكر المشيحاني فكر حلولي متطرف يعبر عن فشل الإنسان في تقبل الحدود، وعن ضيقه بالفكر التوحيدي الخاص بفكرة الإله المتجاوز للطبيعة والمادة والتاريخ، وعن ضيقه بفكرة حدود الإرادة الإنسانية والعقل البشري، وبالتاريخ باعتباره المجال الذي تركه الإله للإنسان ليمارس

---

[1] Karen Armstrong : the messianic idea in judaism, P101-103

- George Eliot : The essene of Messianism , Cambridge U.K, 1975, PP 88-89

[2] Karen Armstrong : the messianic idea in judaism ,P142.

[3] شارلز باس: خلفيات حول الوعد الإلهي، نيويورك 1966، ص 142

حريته (فكأنه ضيق طفولي بالوضع الإنساني).[1] يضيق الإنسان بكل هذا ويتخيل تساقط الحدود ليحل الإله في التاريخ والطبيعة والإنسان وينهي كل المشاكل دفعة واحدة إما بتدخله الفجائي والمباشر في التاريخ أو بإرساله المخلص (كريستوس) في المنظومة الغنوصية لينجز المهمة (و تظهر هذه الفجائية في أسفار الرؤى على عكس كتب الأنبياء الذين يرون التاريخ مجالا للفعل الإنساني الحر والرقي التدريجي). وقد أضعفت عقيدة الماشيح انتماء أعضاء الجماعات (و خصوصا في الغرب) لمجتمعاتهم، وزادت انفصالهم عن الأغيار، ذلك أن انتظار الماشيح يلغي الإحساس بالانتماء الاجتماعي والتاريخي، ويلغي فكرة السعادة الفردية. أما الرغبة في العودة، فتلغي إحساس اليهود بالمكان وبالانتماء الجغرافي، ويبدو أن اضطلاع أعضاء الجماعات اليهودية بدور الجماعة الوظيفية واشتغالهم بالتجارة الدولية في الغرب، كعنصر تجاري غريب لا ينتمي إلى المجتمع، هو الذي عمق أحاسيسهم المشيحانية، فالتاجر لا وطن له، ولا تحد وجدانه أو تصوراته أية قيود أو حدود، على عكس الفلاح الذي لا يجيد التعامل إلا مع قطعة معينة من الأرض.[2]

ومما له دلالته أن الحركات المشيحانية ارتبطت دائما بالتصوف الحلولي وتراث القبالاه الذي ينطلق من رؤية كونية تلغي الفوارق والحدود التاريخية بين الأشياء.

و أصل عقيدة الماشيح المخلص فارسية بابلية، فالديانة الفارسية ديانة حلولية ثنوية تدور حول صراع الخير والشر (إله النور وإله الظلام) صراعا طويلا ينتهي بانتصار الخير والنور.[3]

و قد بدأت هذه العقيدة تظهر أثناء التهجير البابلي، ولكنها تدعمت حينما رفض الفرس إعادة الأسرة الحاكمة اليهودية إلى يهودا. وقد ضربت هذه العقيدة جذورا راسخة في الوجدان اليهودي، حتى أنه حينما اعتلى الحشمونيون العرش، كان ذلك مشروطا بتعهدهم بالتنازل عنه فور وصول الماشيح.

و قد أخذت عقيدة الماشيح في البداية صورة دنيوية تعبر عن درجة خافتة للغاية من الحلول الإلهي ولكنها أصبحت بعد ذلك تعبيرا عن حلول إلهي كامل في المادة والتاريخ. وحسب هذه

---

[1] عبد العال الجلدي: ملكوت الله، دار النهار للنشر، بيروت 1995، ص 74.

[2] K.Armstrong : The messianism Idea in judaism, PP 102-105.

[3] Roth Cecil : A history of jewish people, east and west library, London, 1969, PP 215-217

- حنان كامل متولي: القبالاه المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة 2003، ص 91.

الصورة، فإن الماشيح محارب عظيم (أو هو الرجل الممتطي صهوة جواده) الذي سيعيد ملك اليهود ويهزم أعداءهم (أشعياء 9/9 . 7). وتزايدت درجة الحلول، ومن ثم ازدادت القداسة، فيظهر الماشيح بن داود على أنه ابن الإنسان أو ابن الإله (دانيال 13/7). ولما لم تتحقق الآمال المشيحانية، ظهرت صورة أخرى مكملة للأولى، وهي صورة الماشيح ابن يوسف الذي سيعاني كثيرا، وسيخر صريعا في المعركة، وستحل الظلمة والعذاب في الأرض (و هذه هي الفكرة التي أثرت في فكرة المسيح عند المسيحيين). ولكن، سيصل بعد ذلك الماشيح العجائبي الخارق من نسل داود، والذي سيأتي بالخلاص. ويفسر الحاخامات تأخر وصول الماشيح بأنه ناتج عن الذنوب التي يرتكبها الشعب اليهودي، ولذا فإن عودته مرهونة بتوبتهم.

و صورة المسيح في الفكر الديني المسيحي متأثرة بكل هذه التراكمات، فهو أيضا مرسل من الإله، وهو ابن الإنسان وابن الإله، وهو يتعذب كثيرا بل يصلب ثم يقوم وسيحرز أتباعه النصر.[1]

و لعل الفارق الأساسي بين الرؤية المشيحانية في اليهودية والرؤية المشيحانية في المسيحية هو أن المسيحية جعلت الحلول الإلهي في شخص بعينه (عيسى ابن مريم) وهو حلول مؤقت ونهائي وغير قابل للتكرار، على عكس الفكرة المشيحانية في اليهودية، كما أن الخلاص في الفكر المسيحي غير مرتبط بمصير أمة بعينها وإنما هو ذو أبعاد عالمية، فباب الهداية مفتوح للجميع !

و النزعة المشيحانية يمكن أن تأخذ أشكالا مختلفة، فهي باعتبارها تعبيرا عن الحلولية اليهودية (أي حلول الإله في مخلوقاته وتوحده معهم) تكتسب بعدا ماديا قوميا شوفينيا متطرفا (إذ كانت ثنائية صلبة)، حيث إن وصول الماشيح يعني عودة الشعب المختار إلى صهيون، أو وصوله إلى أورشليم التي سيحكم منها الماشيح، قائد الشعب اليهودي، بل قائد شعوب الأرض قاطبة، فهنا هو خلاص لليهود وحدهم وسينتقم اليهود من أعدائهم شر انتقام، ويشغلون مكانتهم التي يستحقونها كشعب مقدس. ولكن ثمة صورة أخرى عالمية وغير قومية "للعصر المشيحاني" (تعبير عن الحلولية الكونية الشاملة السائلة)، فهو حسب هذه الرؤية عصر يسود فيه السلام والوئام بين الأمم. وإذا كان الشعب اليهودي ذا مكانة خاصة، فإن هذا لا يستبعد الشعوب الأخرى من عملية الخلاص. وإذا كانت الرؤية الأولى تؤكد الفوارق الصلبة الصارمة بين اليهود والأغيار،

---

[1] ويل ديورنت: قصة الحضارة الفارسية، ترجمة أمين الشواربي مطبعة الخازندار، 1948، ص ص 105-110.

- شارلز باس: خلفيات حول الوعد الإلهي، ص 156 وما بعدها.

فالرؤية الثانية تلغي الفوارق تماما بحيث تنتج عن ذلك حالة سيولة كونية محيطية (تشبه حالة الطفل في الرحم قبل الولادة)، ينتج عنها إسقاط الحدود تماما وذوبان اليهود في بقية الشعوب.[1]

و لعل هذا يعود إلى أن "اللحظة المشيحانية" هي لحظة حلول الإله تماما في الإنسان (الماشيح)، فهي لحظة وحدة وجود ومن ثم لحظة شحوب كامل أو حتى موت للإله إذْ يتحول إلى مادة بشرية، وإذا حدث ذلك، فإن شرائعه التي أرسل بها باعتباره الإله تموت وتسقط. وقد ارتبطت المشيحانية بالتعبير الفجائي وبمظاهر العنف الذي قد يأخذ شكل البعث العسكري أحيانا، كما هو الحال مع الصهيونية !

و ثمة محاولة داخل اليهودية الحاخامية لتهدئة التطلعات المشيحانية المتفجرة، فركزت على الجانب الإلهي لعودة الماشيح، وعلى الماشيح من حيث هو أداة الإله في الخلاص. وبناء على ذلك، أصبح من الواجب على اليهود انتظار عودة الماشيح في صبر وأناة. ويصبح من الكفر أن يحاول فرد أو جماعة التعجيل بالنهاية (دحيكات هاكتس).

و قد نجحت المؤسسة الحاخامية في ذلك إلى حد كبير، إلى أن انتشرت القبالاه[2] اللوريانية بين أعضاء الجماعات بما تتضمنه من رؤى مشيحانية، وأصبح اليهودي مركز الكون.[3]

و أصبحت صلاته، وقيامه بأداء الأوامر والنواهي (متسفوت) بمنزلة مساهمة نشيطة فعالة من جانبه للتعجيل بمجيء الماشيح، وقد خلق هذا تربة خصبة لشبتاي تسفي والشبتانية[4].

و من المعروف أن المؤسسة الحاخامية بذلت قصارى جهدها عبر تاريخها للوقوف ضد كل هذه النزعات، ولكن أزمة اليهود واليهودية كانت قد وصلت إلى منتهاها.

و قد ظهر بين أعضاء الجماعة اليهودية عدد من المشحاء الدجالين، نذكر من بينهم كلا من: بركوخبا، وداود الرائي[5]. أما في العصر الحديث في الغرب، فيمكن أن نذكر منهم: شبتاي

---

[1] Karen Armstrong : The messianism Idea in Judaism, PP 205.

- كارين أرمسترونغ: النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، ترجمة محمد الجوار، ط1، 2005، دار الكلمة، سورية دمشق، ص 221 وما بعدها.

[2] القبالاه: انظر الملاحق

[3] Aviezer Ravitsky : Messianism, Zionism and Jewish. Religious Redicalism, Chicago and London, 1993, P 95.

[4] شبتاي تسفي: انظر الملاحق

[5] داود الرائي: انظر الملاحق

تسفي.

ويلاحظ أن النزعة المشيحانية في العصر الحديث، رغم جذورها السفاردية[1]، قد انتشرت في شرق أوربا وفي الأجزاء الأوربية من الدولة العثمانية. وبعد البدايات السفاردية، أصبحت المشيحانية مقصورة على الأقليات الإشكنازية.[2]

فالفرانكية[3]، والحسيدية[4]، وأخيرا الصهيونية[5]، هي حركات إشكنازية بالدرجة الأولى. ولعل هذا يعود إلى وجود الإشكناز في تربة مسيحية، فالمسيحية تركز الحلول الإلهي في شخص واحد هو المسيح عيسى بن مريم، وهو ما تقوم به أيضا الحركات المشيحانية إذ أنها تنقل الحلول الإلهي من الشعب اليهودي إلى شخص الماشيح الذي سيأتي بالخلاص.

و مع ذلك، فيمكن القول بأن الرؤى المشيحانية إمكانية كامنة في جميع الحضارات ولا تفجرها سوى حركة التاريخ نفسه، وأن الإنفجارات المشيحانية اليهودية المتكررة في العصر الحديث تعبير عن أزمة اليهود واليهودية.[6]

ففي أوقات الضيق والبؤس، كانت الجماهير اليهودية التي تتحرك داخل إطار حلولي ساذج وبسيط تتذكر دائما الرسول الذي سيبعثه إله الطبيعة والتاريخ، والذي سيأتي بكل المعجزات اللازمة لإصلاح أحوالهم. كما أن الماشيح الملك يشبع رغبة أعضاء الجماعات في تملك زمام السلطة السياسية التي حرموا منها. ويمكن القول بأن المشيحانية هي الثورة الشعبية اليهودية، ولذا كانت تجتذب الفقراء والعناصر التي تم استبعادها من النخبة.

ولكنها، مع هذا، كانت ثورة حمقاء عاجزة عن إدراك الأسباب الحقيقية للأزمة، وبالتالي فهي عاجزة عن الإتيان بحلول.

و من المهم التأكيد على أن للحركات المشيحانية سياقين: أحدهما محلي، والآخر دولي.

---

[1] السفاردية: انظر الملاحق

[2] الإشكنازية: انظر الملاحق

[3] الفرانكية: انظر الملاحق

[4] الحسيدية: انظر الملاحق

[5] الصهيونية: انظر الملاحق

[6] Aviezer Ravitsky : Messianism, Zionism and Jewish. Religious Redicalism, Chicago and London, 1993, P 109-111.

كما يهمنا أن نؤكد على أن تلاقي السياقين هو عادة ما كان يؤدي إلى الانفجار. أما العنصر المحلي فيتمثل كما أشرنا في تزايد بؤس اليهود، وأما العنصر الدولي فيتمثل في وجود لحظة مفصلية يتصور الماشيح المزعوم أنها الفرصة المواتية له.

فإذا ظهر ماشيح، فإن ظهوره علامة على صدق الرؤية المشيحانية، وإذا لم يظهر فإن الواجب هو الانتظار. أما إذا ظهر الماشيح وانتصر في المراحل الأولى، فهذا علامة على صدقه، وإذا انهزم فهزيمته نفسها تعد علامة صدقه، فهو يتعذب من أجل شعبه. كما أنه، باعتباره الماشيح، عليه أن ينزل إلى عالم الشر ذاته لمواجهته (و من هنا ارتداده عن اليهودية). كما أنه إذا قتل أو مات، فإن أتباعه عادة ما يؤمنون بأنه لم يمت أو يقتل وإنما اختفى وسيعود. وتكون جماعة التابعين المنتظرين، شيعة أو فريقا دينيا مستقلا عن المؤسسة الحاخامية، تدور عقائدها حول أفكار الماشيح، وتدور ممارستها حول انتظاره.

و هذا هو، في الواقع، النمط الكامن في معظم الحركات المشيحانية (اليهودية وغير اليهودية) التي عادة ما تنتهي بالإخفاق، فيدفع المؤمنون بها الثمن غاليا.[1]

و يلاحظ زيادة حدة النزعة المشيحانية في العصر الحديث في الغرب، ابتداء من القرن السابع عشر، وهو بداية المشروع الاستعماري الغربي وتزايد علمنة الحضارة الغربية، بكل ما يطرحه ذلك من إمكانات أمام الإنسان الغربي لحل مشاكله عن طريق تصديرها وعن طريق غزو العالم. كما شهدت هذه الفترة تصاعد التفكير الصهيوني (الألفي) في الأوساط البروتستانتية التجارية.

و قد ظلت هذه النزعة المشيحانية كامنة بعد فشل محاولات شبتاي تسفي وجيكوب فرانك، إلى أن ظهرت الصهيونية، ويمكن القول بأن الحركة الحسيدية هي أيضا حركة مشيحانية دون ماشيح أو حركة مشيحانية مبعثرة بحيث تشتت الحلول الإلهي في عدد كبير من الأولياء الذي يسمون "تساديك" وكان كل واحد منهم يجسد قدرا من الحلول الإلهي ويلتف حوله عدد كبير من التابعين.

و لا يعرف اليهود القراءون عقيدة الماشيح، وربما يرجع ذلك إلى تأثير الإسلام، وقد

[1] Samuel Heilman and Menachem riedman : Religious Fundamentalism and Religious Jews Marty and apple by Editions, ondon 1991, PP 254-256.

حذروا أتباعهم من أولئك الذين يتنبؤون بظهور الماشيح. أما موسى بن ميمون فإنه، برغم إيمانه بأن السلام سيعم المجتمع بمقدم الماشيح، أكد أن الطبيعة لن تغير قوانينها، كما شكك في مدعي المشيحانية في أيامه وحذر منهم. وفي العصر الحديث، يؤمن اليهود الأرثوذكس بالعودة الشخصية للماشيح، على عكس اليهودية الإصلاحية التي ترفض هذه الفكرة وتحل محلها فكرة العصر المشيحاني، أي مشيحانية بدون ماشيح، وهذا تعبير عن الحلولية بدون إله.[1]

والكتابات الصهيونية تزخر بإشارات إلى العودة، والعصر المشيحاني الذهبي، والماشيح. وفي يوميات هرتزل، نجد أن جزءا من أوهامه عن نفسه يأخذ طابعا مشيحانيا.

و إذا كان بعض الصهاينة لا يؤمنون بعودة الماشيح شخصيا، فإنهم جميعا يؤمنون بفكرة العصر المشيحاني أو "سبت التاريخ" على حد قولهم، أو "نهاية التاريخ"، وهي فكرة لا تختلف كثيرا عن التصورات الدينية التقليدية، إلا في استبعاد شخصية الماشيح نفسه، أي أنها مشيحانية بدون ماشيح (نابعة من حلولية بدون إله). وباستبعاد شخصية الماشيح أصبح من الممكن أن يتحالف المؤمنون والملحدون، وأصبح من الممكن أن تظهر مشيحانية لا دينية، أي محاولة استرجاع العصر المشيحاني الذهبي في فلسطين عن طريق التكنولوجيا والعنف والوسائل اللادينية كافة، دونما انتظار مقدم أي مبعوث إلهي، ولكن المشيحانية الملحدة لا تختلف كثيرا عن التصور اليهودي للقضية في صورته الدنيوية الأولى التي وصفناها آنفا.

و تحافظ الصهيونية على المشاعر والتوقعات المشيحانية بين أعضاء الجماعات بتصعيد إحساسهم بالاضطهاد وبعدم الانتماء لبلادهم، حتى يفقدوا صلتهم بالزمان والمكان ويتجهوا إلى إسرائيل. ومن يدرس التجارب التاريخية لأعضاء الجماعات يعرف أنه لم يحدث قط أن تمكنت أية حركة مشيحانية من السيطرة على يهود العالم جميعا، وذلك بسبب عدم ترابطهم.[2]

و لذلك، فإن إخفاق أية حركة مشيحانية وتحول أتباعها عن اليهودية في أية منطقة، لم تكن تنتج عنه هزة شاملة لليهودية في كل البلاد الأخرى. أما في العصر الحديث، فقد حدث لأول مرة أن تمكنت حركة مشيحانية مثل الصهيونية من الوصول إلى يهود العالم تقريبا، وحركة

---

[1] Ibid P 257.

- ستيفن سايرز: الصهيونية المسيحية، دار النشر الأسقفية، ط1، القاهرة 2012، ص 63 وما بعدها.

[2] Aviezer Ravitsky : Messianism, Zionism and Jewish. Religious Redicalism, Chicago and London, 1993, P 117-120.

جوش إمونيم[1] حركة مشيحانية في كثير من جوانبها، في توقعاتها وخطابها ورموزها.

و يمكن القول بأن رفضهم الكامل للحدود التاريخية والبشرية تعبير عن حالة متطرفة من المشيحانية بدون ماشيح، وعن رغبة طفولية في اختزال العالم إلى عنصر أو اثنين والعودة إلى حالة السيولة الكونية (الرحمية) التي تسم الفكر المشيحاني.[2]

-تاريخنية الحلولية الكُمونية اليهودية:

History of Jewish pantheism and immanence

"الحلولية الكُمونية اليهودية" هي القول بأن العالم بأسره (الإنسان والطبيعة) يرد إلى جوهر واحد أو مبدأ واحد كامن في المادة، هو مصدر بقائها وحركتها، هذا المبدأ أو الجوهر يسميه دعاة وحدة الوجود الروحية "الإله"، فيحل الإله في الإنسان ثم يحل في بعض ظواهر الطبيعة، ثم يحل فيها جميعها بغير استثناء حتى يصبح حالا في كل شيء (الإنسان والطبيعة) كامنا فيه ويصبح الله والعالم وكل الوجود وحدة واحدة لا وجود مستقلا للواحد عن الآخر، أي أن الإله يصبح متوحدا مترادفا مع سائر مخلوقاته (الإنسان والطبيعة) لا وجود له خارجها، ومع هذا يظل محتفظا باسمه، وهذا ما نشير إليه بأنه "حلولية شحوب الإله" حيث تمحى الثنائيات في الكون إلى حد كبير ولا يبقى منها سوى الظلال والألفاظ، وتختفي إمكانية التجاوز ولا يبقى سوى وهم التجاوز، وهذه هي وحدة الوجود الروحية.

ثم يفقد الإله اسمه ويطلق على المبدأ الواحد عبارات مثل "قانون الحركة" أو "قوانين المادة" فتمحى الثنائيات تماما، بما في ذلك الثنائية اللفظية، وتسود الواحدية ويزول وهم التجاوز وننتقل من وحدة الوجود الروحية إلى وحدة الوجود المادية وما نسميه "حلولية موت الإله" أو "حلولية بدون إله".[3]

---

[1] جوش إمونيم انظر الملاحق

[2] Samuel Heilman and Menachem riedman : Religious Fundamentalism and Religious Jews Marty and apple by Editions, P 221.

[3] حسن فتحي مجاهد: النبوة والسياسة، مطبعة العمرانية للأوفست، الجيزة، 2001، ص 193.

- Aviezer Ravitsky : Messianism, Zionism and Jewish. Religious Redicalism, Chicago and London, 1993, P 225.

و العقيدة اليهودية، في إحدى طبقاتها، توحيدية تؤمن بإله واحد يتجاوز المادة، متره عن مخلوقاته يقف وراء الطبيعة والتاريخ يحركهما، ولا يرد إليهما. ولكن اليهودية تركيب جيولوجي تراكمت داخله عدة طبقات متناقضة.

و في بعض هذه الطبقات، نجد أن اليهودية تأثرت بالتشكيل الحضاري السامي الوثني، ودخلت عليها عناصر وثنية حلولية عديدة وجدت طريقها إلى العهد القديم عند تسجيله مثل: فكرة الشعب المختار المرتبط بأرض مقدسة والمتمركز حول ذاته، وفكرة الميثاق بين الإله وشعب بعينه، وتزايد الشعائر وخصوصا شعائر الطهارة، وتداخل العناصر الكونية مع العناصر الدينية في الأعياد اليهودية، وتراجع فكرة البعث واهتزاز الأفكار الأخروية.

و على هذا، فإن العهد القديم يعد وثيقة صراع بين اتجاهين: اتجاه توحيدي عالمي أخلاقي متسام يؤمن بإله يسمو على العالمين، ولا يفضل قوما على قوم إلا بالتقوى، وهو الاتجاه الذي حمل لواءه الأنبياء والرسل. أما الاتجاه الآخر فهو اتجاه وثني حلولي قومي تخصيصي يرى إله اليهود إلها يحل فيهم وحدهم، فهو مقصور عليهم يحابيهم ويعطف عليهم بعصف بأعدائهم، ويرى اليهود أنفسهم شعبا مقدسا يشغل مركز التكوين.

و ظل الاتجاه التوحيدي قائما له فعالية ما دامت اليهودية في محيط وثني مشرك، إذ كان التوحيد (أو على الأقل مفرداته) وسيلة الحفاظ على الهوية الدينية اليهودية مقابل الحلولية الوثنية، ولكن، مع تحول المجتمعات التي يعيش فيها أعضاء الجماعات اليهودية إلى ديانات توحيدية (الإسلام في الشرق والمسيحية في الغرب).[1]

لم يعد الاتجاه التوحيدي اتجاها مميزا لليهودية، ولذا بحث الحاخامات (واضعوا الشريعة الشفوية) عن استراتيجيات مختلفة للحفاظ على الهوية، حتى تغلبت النزعة الأسطورية الشعبية وأخذت شكلها الحلولي الكموني الواحدي حيث تم التركيز على بعض مفاهيم العهد القديم ذات الطابع الحلولي وتم تعقيمها. وقد قوي هذا الاتجاه في كتب الرؤى (أبوكاليبس)، وفي التعليقات المدراشية[2]، وبلوره معلمو المشناه[3] (تنائيم)، وأخذ شكلا متكاملا في التلمود حيث توجد آثار

[1] حسن فتحي مجاهد: النبوة والسياسة، ص 195 وما بعدها.

[2] المدراشية: هي سلسلة مجموعة من التعليقات القديمة .... (انظر الملاحق)

[3] المشناه: انظر الملاحق

النزعة التوحيدية، ولكن النزعة الغالبة هي النزعة الحلولية الكمونية.

ويمكننا القول بأن اليهودية التلمودية تتأرجح بين شكل من أشكال التوحيد وشكل من أشكال وحدة الوجود، ولا تقترب إلا نادرا من مرحلة وحدة الوجود التي وصلتها الحلولية اليهودية في القبالاه (و هي المرحلة التي عاد فيها كثير من الأفكار الغنوصية القديمة إلى الظهور).

و قد انعكست هذه النزعة في قول أحد القباليين "إلوهيم تعادل طيفع"، أي أن "الإله يعادل الطبيعة"، باعتبار أن القيمة الرقمية لكل من إلوهيم والطبيعة واحدة.

و قد سيطرت الرؤية الحلولية الواحدية، بدرجاتها المختلفة، على اليهودية، وأصبح من العسير قراءة العهد القديم بشكل مباشر، وخصوصا بعد أن تبنت الكنيسة (عدو اليهود) هذا الكتاب باعتباره كتابا مقدسا، كما أصبح التفسير أهم من النص المقدس.

وعلى كل، تؤمن اليهودية، منذ البداية، بفكرة الشريعة الشفوية التي تجعل تفسيرات الحاخامات تعادل في أهميتها كلام الإله إن لم تكن أكثر أهمية منه.[1]

و يلاحظ أن ثمة تفضيلا للنص المدون على الشفوي في المنظومات التوحيدية، فالنص المقدس المدون يحتوي الرسالة الإلهية ومن ثم يقتصر دور الإنسان إما على حمل الرسالة أو على تفسيرها، ويقف هذا على النقيض من المنظومات الحلولية الكمونية التي تفضل الشفوي على المدون لأنه مباشر، يستطيع الإنسان سماعه مباشرة ولا توجد مسافة بين القائل والقول، فالواحد مرتبط بالآخر. وبالتدريج، تحل الكلمة البشرية الشفوية محل الكلمة الإلهية المكتوبة. ورغم سقوط اليهودية الحاخامية في الحلولية الكمونية، إلا أنها بذلت محاولة مهمة لمحاصرة النزعة المشيحانية الحلولية بأن جعلت العودة منوطة بالأمر الإلهي، فكأنها استعادت شيئا من الثنائية التكاملية التوحيدية بدلا من الواحدية الحلولية.

و لعبت القبالاه دورا حاسما في تحويل اليهودية من نسق توحيدي إلى نسق حلولي كموني.

و تراث القبالاه تراث حلولي كموني واحدي متطرف يساوي بين الإله والطبيعة، بحيث يصبح الإله هو الطبيعة، ويتم إلغاء التاريخ ويتركز الحلول الإلهي في الشعب اليهودي إذ يحل

[1] حسن فتحي مجاهد: النبوة والسياسة، ص 201

- Heilman and Friedman : religious Fundamentalism and religious Jews, P 301.

المطلق أو المركز في الشعب.

و قد بدأ انتشار القبالاه (خصوصا اللوريانية) في القرن الرابع عشر. ومع منتصف القرن السابع عشر، كانت القبالاه مهيمنة شبه كاملة على معظم أعضاء الجماعات اليهودية وتغلغلت بشكل عميق في العقائد اليهودية، بحيث أصبحت المراكز التلمودية منعزلة بغير فعالية، ثم أصبحت التفسيرات التلمودية نفسها ذات طابع قبالي. ويتضح مدى سيطرة الحلولية على العقيدة اليهودية فيما كتبه الحاخام السفاردي ديفيد نايتو (1654. 1728) حاخام لندن الأكبر، حيث نشر كتابا بعنوان "في العناية الإلهية" قرن فيه بين الإله والطبيعة ووحد بينهما، فاتهمه أحد اليهود وبعض المسيحيين بالإلحاد. وحينما عرض الأمر على واحد من أكبر العلماء التلموديين في أمستردام (هولندا) وهو الحاخام تسفي إشكنازي، أفتى هذا الحاخام بأن الحلولية ليست مقبولة وحسب في العقيدة اليهودية، بل هي أمر اعتاده المفكرون الدينيون اليهود.[1]

و رغم أن هرمان كوهين[2] ذهب إلى أن الحلولية ضد الدين، فإن الكثيرين من أعلام الفكر اليهودي من كبار دعاة الحلولية، ويمكن أن نشير إلى ابن عزرا، وإسبينوزا (أبي الحلولية الحديثة). وقد أدت هيمنة القبالاه وتصاعد معدلاتها في اليهودية إلى تراجع اليهودية الحاخامية ومؤسساتها، وتراجع الفكر التوحيدي تماما، الأمر الذي سبب أزمة اليهودية الحاخامية إلى حد سقوط اليهودية، في نهاية الأمر، في قبضة الفكر الحلولي، فاختفى أي أثر للتجاوز. و لم يعد بالإمكان التمييز بين اليهود واليهودية (من منظور اليهودية نفسها) وأصبحت العلاقة بين الشعب والخالق (إن ظل قائما بالاسم) علاقة حوارية.[3]

و قد تصاعدت الحمى المشيحانية بين اليهود وتزايدت قابليتهم للعلمنة التي عادة ما تأخذ شكل تأكيد قداسة الشعب وحقه المطلق في العودة لأرضه المقدسة، أي أن النزعة المشيحانية في اليهودية ذات توجه صهيوني واضح.

و يمكن القول بأن النمط الحلولي الذي ساد العقيدة اليهودية هو النمط الثنائي الصلب (المرتبط بوجودهم كجماعات وظيفية). ومع هذا، كان النمط الشامل السائل (الروحي أو المادي) كامنا من البداية. ففلسفة إسبينوزا (الحلولية المادية) وحركة شبتاي تسفي ثم الحركتين

[1]Heilman and Friedman : religious Fundamentalism and religious Jews, PP 205-207
[2] Herman Cohen : 1842-1918 (voir annexes)
[3] Heilman and Friedman : religious Fundamentalism and religious Jews,P 209-211.

الفرانكية والحسيدية (الحلولية الروحية) تقوم بتفكيك الإنسان ورده إلى كل أكبر منه. ثم أخذت معدلات الحلولية المادية والحلولية الروحية في التصاعد بعد القرن الثامن عشر.[1]

و يبدأ الإله في الشحوب (اليهودية الإصلاحية)، إلى أن يختفي تماما أو يكاد (اليهودية المحافظة بشكل مبهم. اليهودية التجديدية بشكل واضح)و يعلن وت الإله ونهاية المركز (لاهوت موت الإله. يهودية ما بعد الحداثة).

و الصهيونية شكل من أشكال الحلولية الوثنية الصلبة المادية، وهي من ثم تنتمي إلى النمط نفسه الذي تنتمي إليه النازية والقوميات العضوية.

و شيوع الحلولية في النسق الديني الصهيوني لم يكن مجرد امتداد للحلولية الكامنة في التوراة والتلمود، فثمة عنصر ساعد على تعميق هذه الحلولية وعلى تكثيفها ثم تفجرها وشيوعها بين أعضاء الجماعات اليهودية وهو وضع اليهود في الحضارة الغربية كجماعات وظيفية وسيطة. فأعضاء الجماعة الوظيفية الوسيطة يترعون دائما مترعا حلوليا في رؤيتهم للكون، فهم يرون أن الإله يحل فيهم، ولذا فهم، حسب ظنهم، يتمتعون بقداسة خاصة تعزلهم عن المجتمع. ومن ثم، فإن أعضاء الجماعات اليهودية ساهموا في ظهور العلمانية (و هي وحدة وجود مادية) بشكل غير مباشر وغير واع من خلال نشر الرؤية الحلولية.[2]

الفرع الثالث: البعث: Resuscitation

"البعث" تقابلها في العبرية كلمة "تحيت همیتیم". وفي الواقع، فإن ثمة إطارين لفهم فكرة البعث: الإطار التوحيدي، وفي نطاقه نجد أن الإيمان بالبعث يعني الإيمان بعودة الروح إلى الجسد في المستقبل (في اليوم الآخر) لتثاب أو تعاقب. وداخل الإطار الحلولي، وفي نطاقه أشكال مختلفة لفكرة البعث من بينها الإيمان بتناسخ الأرواح، أو الإيمان بخلود الروح وحسب دون بعث، أو الإيمان بأن بعض الأرواح وحدها هي التي تبعث ولا يبعث البعض الآخر، أو الإيمان بأن الموتى يحيون بعد الموت في عالم خاص بهم. ولا توجد في كتب العهد القديم الأولى أية إشارات إلى بعث الموتى أو الحياة الأبدية، قد يبدو أن العبرانيين القدامى لم يكونوا من المؤمنين بالبعث، وإنما كانوا يؤمنون بأن الإنسان جسد يفنى بالموت.

---

[1] Aviezer Ravitsky : Messianism, Zionism and Jewish. Religious Redicalism, Chicago and London, 1993, P 132.

[2] K.armstrong : The messianic Idea in judaism, PP 221-225.

و حتى بعد أن ظهرت فكرة خلود الروح، فإن هذه الفكرة لم تكن بعد مرتبطة بفكرة البعث والخير والشر والثواب والعقاب، إذ أن الروح كانت تذهب بعد الموت إلى مكان مظلم يسمى "شيول"، حيث تبقى إلى الأبد، بغض النظر عما ارتكبته من أفعال في هذا العالم الدنيوي. وتتضح هذه الرؤية العدمية في سفر أيوب الذي جاء فيه: "اذكر أن حياتي إنما هي ريح، وعيني لا تعود ترى خيرا ... السحاب يضمحل ويزول، وهكذا الذي ينزل إلى الهاوية (شيول) لا يصعد" (أيوب 7/7 . 9). "أما الرجل فيبلى ويموت الإنسان يسلم الروح فأين هو ... الإنسان يضطجع ولا يقوم، لا يستيقظون حتى لا تبقى السماوات ولا ينتبهون من نومهم" (أيوب 10/14 . 12).[1]

و قد كانت مكونات فكرة البعث موجودة، فإحدى صفات الإله أن يحيي الموتى، وقد رفع إليه إلياهو بالفعل.

و يبدو أن هناك إرهاصات لفكرة البعث في سفر أشعياء (19/26)، ولكنها لا تظهر بشكل واضح لا إبهام فيه إلا في سفر دانيال: "و كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار، للازدراء الأبدي" (سفر دانيال 1/12. 3)[2].

و بعد ظهور المفهوم، حاول مفسرو العهد القديم أن يقوموا بعملية إسقاط لهذه الفكرة على نصوص سابقة لتفسر على أنها تتحدث عن البعث، كما هو الحال في مزمور 15/17. ومع هذا، لم تستقر الفكرة تماما في اليهودية، وعند هدم الهيكل،

كان الصدوقيون لا يزالون ينكرون البعث. ويبدو أن الأسينيين أيضا لم يكونوا يؤمنون به، على عكس الفريسيين.[3]

و ترى اليهودية الحاخامية أن الإيمان ببعث الموتى إحدى العقائد الأساسية في اليهودية، وأحد أسس الإيمان، كما ترى أن البعث بعث للروح والجسد. ولكن، حتى بعد ظهور فكرة البعث بشكلها الكامل، ظهرت عدة إشكاليات من بينها زمن البعث، فالتفكير الأخروي

[1] علاء تيسير أحمد: التلمود: البعث والحساب والثواب والعقاب، مكتبة مدبولي، القاهرة 2011، ص 107-117 وما بعدها.

[2] أحمد محمود هويدي: القضايا النقدية في سفر دانيال، مج 13، الأعداد 1-4، جامعة القاهرة 2004.

[3] علاء تيسير أحمد: التلمود: البعث والحساب والثواب والعقاب، ص 171.

اليهودي يتضمن عنصرين: أحدهما زمني وهو العصر المشيحاني، والآخر لا زمني هو صيغة من صيغ آخر الأيام. كما أن علاقة البعث بيوم الحساب وجهنم والجنة لم تتحدد. كما أن فكرة البعث احتفظت بكثير من العناصر الحلولية، ولذلك نجد أنها تكتسب بعدا قوميا وتظل مرتبطة بالعودة القومية إلى الأرض، وحتى بين هؤلاء الذين يؤمنون بفكرة البعث، هناك خلاف حول من يبعث من البشر إذ قال موسى بن ميمون إن الأبرار وحدهم هم الذين سيبعثون، وذهب آخرون إلى أن كل أفراد جماعة إسرائيل سيبعثون، وقال فريق ثالث إن الجنس البشري بأسره سيبعث في آخر الأيام. وثمة بعض المفكرين من اليهود ينكرون حتى الآن عقيدة البعث. وتنكر اليهودية الإصلاحية فكرة أن البعث هو عودة الروح إلى الجسد وحسابها، مكتفية بتأكيد عقيدة خلود الروح. وقد تم تعديل كتاب الصلوات ليتفق مع العقائد الجديدة.[1]

و الواقع أن في إنكار البعث إنكارا للمسؤولية الشخصية وإنكارا لفكرة الضمير الفردي، فالأخلاقيات اليهودية الحلولية أخلاقيات جماعية قومية لا تميز بين الخير والشر بقدر تمييزها بين اليهود والأغيار. وإنكار البعث تعبير مباشر عن النزعة الحلولية. فإذا كان الإله يحل في الأمة والأرض ولا يتجاوز المادة والتاريخ ويجمع بينهما، فإن البعث الفردي (والمسؤولية الخلقية) تصبح أمورا مستحيلة وغير مرغوب فيها، فالبعث هو التوحد مع الأمة المقدسة والبحث عن الاستمرار والخلود من خلالها، وربما الدفن في الأرض المقدسة. ومن هنا كان الاهتمام المتطرف في إسرائيل بالدفن والمدافن، وباستعادة جثث الموتى من الجنود الإسرائيليين، بل من الشائع لدى بعض الجماعات اليهودية شراء تراب من أرض فلسطين (و من القدس بالذات) لينثر على رأس المتوفي أملا في أن يحوز بذلك البركة الخاصة بالبعث. وفي إطار الحلولية الصهيونية بدون إله ووحدة الوجود المادية التي تقدس الأرض، بدأ بعض الشباب الإسرائيلي يشعر بان هذه الأرض المقدسة أصبحت تطالب بمزيد من المدافن وصناديق دفن الموتى. ولعل ما يدعم إحساسهم هذا، رفض يهود العالم الهجرة إليها وحرص الكثيرين منهم في الوقت نفسه على أن يدفن فيها.[2]

[1] موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2006، ص 565-570.

[2] K.Armstrong : The messianic Idea in udaism , PP 229-233

المطلب الثاني:التحالف الصهيوني المسيحي : الأبعاد الفكرية والعقدية:

الفرع الأول: تأصيل تاريخي :

-تقول اليهودية في المسيحية:

"يسمح لليهودي أن يكذب ويشهد زورا للإيقاع بالمسيحي. فاسم الرب لا يدنس ولا يحدف به، حين نكذب على المسيحيين".

"يجب على اليهود السعي الدائم لغش المسيحيين".

"من يفعل خيرا للمسيحيين، فلن يقوم من قبره قط"[1].

" .. والآن دعونا نوضح لكم كيف مضينا في سبيل الإسراع بقصم ظهر الكنيسة الكاثوليكية، فاستطعنا التسرب إلى دخائلها الخصوصية، وأغوينا البعض من رعيتها (كهنتها الداخليين) ليكونوا روادا في حركتنا، ويعملون من أجلنا.

أمرنا عددا من أبنائنا بالدخول في جسم الكاثوليكية، مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدقيق والنشاط الكفيل بتخريب الكنيسة من قبلها، عن طريق اختلاق فضائح داخلية، ونكون بذلك قد عملنا بنصيحة "أمير اليهود"[2]، الذي أوصانا بحكمة بالغة: دعوا بعض أبنائكم يكونوا كهنة ورعاة أبرشيات، فيهدموا كنائسهم.

و مع الأسف الشديد، لم يبرهن جميع اليهود من أبناء العهد عن إخلاصهم للمهمة الموكولة إليهم، فخان كثيرون العهد، لكن الآخرين حافظوا على عهدهم، ونفذوا مهماتهم بشرف وأمانة.

---

[1] K. Armstrong : Jerusalem, one City, Three faiths, London 1996, P 110 .

[2⊕] أمير اليهود: هي الترجمة العربية لكلمة "ناسي" العبرية وهو لقب تلمودي يستخدم للإشارة إلى رئيس السنهدرين الذي كان يعد قائدا روحيا لليهود في فلسطين وخارجها، ص 56.

- السنهدرين: صيغة عبرية للكلمة اليونانية "سندريون" وتعني "مجلس"، والسنهدرين يمثلة المحكمة "بيت دين"، وهي محكمة تمارس تطبيق العدالة وإصدار الاحكام طبقا للشريعة اليهودية في ذلك الوقت وقد قبض على مجلس السنهدريم على المسيح وحاكمه: (مرقس 43:14 ومتى 59:26)

و قد توقف عمل السنهدريم بعد عام 70م وذلك بعد خراب أورشليم. (رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات اليهودية، ص 56 والمكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة 2002، ص 213).

نحن آباء جميع الثورات التي قامت في العالم، حتى تلك التي انقلبت علينا أحيانا، ونحن أيضا سادة الحرب والسلام، بدون منازع. ونستطيع التصريح اليوم بأننا نحن الذين خلقنا حركة الإصلاح الديني للمسيحية. فكالفين كان واحدا من أولادنا، يهودي الأصل، أمر بحمل الأمانة، بتشجيع المسؤولين اليهود ودعم المال اليهودي، فنفذ مخطط الإصلاح الديني. كما أذعن مارتن لوثر لإيحاءات أصدقائه اليهود، وهنا أيضا، نجح برنامجه ضد الكنيسة الكاثوليكية، بإرادة المسؤولين اليهود وتمويلهم.

و نحن نشكر البروتستانت على إخلاصهم لرغباتنا، برغم أن معظمهم، وهم يخلصون الإيمان لدينهم، لا يعون مدى إخلاصهم لنا. إننا ممتنون للعون القيم الذي قدموه لنا في حربنا ضد معاقل المدنية المسيحية، استعدادا لبلوغ مواقع السيطرة الكاملة على العالم.

حتى اليوم تمكنا من قلب الأنظمة القائمة في معظم ممالك أوربا، والبقية آتية لا ريب عما قريب. فروسيا شرعت في تمهيد الطريق لمسيرتنا. فرنسا، بحكومتها الماسونية، تحت إصبعنا. إنجلترا، باعتمادها على تمويلنا، تحت قدمنا، ولكونها بروتستانتية فهي معولنا في القضاء على الكنيسة الكاثوليكية. أما إسبانيا والمكسيك فهما دميتان بأيدينا. وثمة دول عديدة، علاوة على الولايات المتحدة الأمريكية، واقعة في شراكنا.

إن معظم صحف العالم تعمل تحت سيطرتنا، فلنغذ عن طريقها –بقوة وفعالية أكثر– الحقد العالمي على الكنيسة الكاثوليكية.

و لنمض، لدعم وتقوية مخططاتنا، بتسميم أخلاق الأغيار، ننشر روح الثورة بين الجماهير، نشجعها على احتقار الوطنية، وازدراء وحدة العائلة والارتباط بمحبتها، واعتبار الدين، أي دين، هراء ومضيعة للوقت وقضية سبقها العصر و لم تعد تتماشى مع متطلباته.

ثم أخيرا، لنتذكر دائما أن ملك اليهود المنتظر لن يرض بحكم هذا العالم، قبل خلع البابا عن كرسيه في روما، والإطاحة بجميع ملوك العالم.[1]

- **و تقول المسيحية في اليهودية:**

[1] من الخطابات التي ألقيت في مؤتمر مجمع بناي بريث في باريس، نقلا عن مجلة كاثوليك جازيت –عدد شباط– فبراير، 1936. نقلا عن مجلة اللقاء العدد 3، القدس 1999، ص 75.

"يعتبر اليهود خطرا على جميع شعوب العالم، وخاصة على الشعوب المسيحية"[1]

"إن القوى ذاتها التي "صلبت المسيح" طيلة 1900 سنة، تسعى اليوم إلى "صلب" كنيسته. لقد فرض على المسيحية، في عصرنا الراهن، نضال عظيم، نهايته ستحدد مصير المسيحية، حياة أو موتا، لكن معظم القادة المسيحيين لم يعوا ذلك بعد. إن الشيوعية –اليهودية العالمية– التي نجحت في إذلال شعوب الأرض، تترقب الفرصة المواتية الآن لسحق المسيحية سحقا كاملا".[2]

"كل ما أتى به المسيح، بوحي من الرب، لا يعني أي شيء عند اليهود ! لقد أضناني البحث الطويل، عبثا، في معظم كتب اليهود عن عبارة تعكس شيئا من شعور إنساني نبيل نحو المسيح .. وأنا أعترف بأنني، قبل أن أفعل ذلك، لم أكن أتوقع إطلاقا أن أجد شيئا عن احترام المسيح بين صفحات هذه الكتب. لكني عرفت أن اليهودي الذي ينتابه مثل هذا الشعور النبيل يفقد يهوديته فورا، ويغدو غير يهودي بالمرة.

ففيما نجد في قرآن محمد أفكارا تعبر عن الاهتمام بالمسيح والاحترام العميق لشخصه.

أما عن فكرة الصليب فيقول عنه: "إن اليهود ليسوا في حاجة إلى مثل هذا الرمز الذي يولد شعورا متشنجا .. من أجل رفع مستوى عقائدهم، الروحية". بل إن هناك ما هو اخطر من ذلك بكثير. ففي كتاب أصدره سنة 1880 يهودي إسباني، وهو موسى دوليون، يصف المسيح بأنه "كلب ميت" وأنه "مدفون في كومة روث" في أواخر القرن التاسع عشر، راح اليهود يصدرون طبعات العبرية يوضحون فيها "الفقرات السرية" من التلمود، كي لا يثيروا حقدنا عليهم، فحذفت من الطبعات غير العبرية الألقاب والنعوت التي اصطلحواعلى تسمية المسيح بها، مثل: المجنون، الساحر، النجس، الكلب، ابن الحرام، الوثني، ابن الشهوة ... الخ، إلى جانب مسمياتهم لأمه العذراء الطاهرة".[3] "يتضمن التلمود كل الكفر والإلحاد والخسة"[4].

-و يقول الإسلام في المسيحية واليهودية:

[1] مجلة سيفيلتا كاثوليكا، الفاتيكان. نقلا عن مجلة اللقاء، العدد 4، القدس 2001، ص 88.

[2] الكاهن جيرالد ب.وينرود، انقضاض اليهودية على المسيحية، دار المشرق بيروت، لبنان 1995، ص6.

[3] هيوستن ستيوارت تشامبرلين، أسس القرن التاسع عشر، المجلد الأول، ص 337.

[4] إعلان البابا جريجوري التاسع في العالم 1242. نقلا عن البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، من 1954 إلى 1992: هشام نشابة وجوليت حداد، دار المشرق، بيروت 1995، ص 63 وما بعدها.

-" وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ " (سورة العنكبوت 46)

-"وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ " (المائدة: 47، 48)

-"وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٦٥ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ٦٦ " (المائدة، 65-66)

-" قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ

وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنًا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ " (المائدة، 68)

-" قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ " (المائدة، 77)

-" يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ " (آل عمران: 70، 71)

-" وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ " (آل عمران: 75)

-" وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ

أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ " (آل عمران: 199)

-" يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ " (النساء، 171)

-" لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ " (المائدة، 17)

عندما لبت الدول الأوروبية نداء البابا أوربان الثاني في العام 1095 وشنت سلسلة الحملات الصليبية على العالم الإسلامي كان اليهود في أوروبا وفي العالم الإسلامي معا من ضحاياها.

و عندما سقطت الأندلس من يد المسلمين في العام 1492 تعرض اليهود مع المسلمين إلى حملات الإبادة وهاجر بعض من نجا منهم مع المسلمين إلى شمال إفريقيا. وهاجر بعضهم الآخر إلى أوروبا.

و عندما تعرض العالم الإسلامي لموجات التتار والمغول لم تميز تلك الموجات بين المسلمين واليهود. بل إن بعض ملوك التتار تحالفوا مع البيزنطيين وحتى مع البابا نفسه ضد المسلمين.

كان اليهود يتعرضون للاضطهاد والتحقير في المجتمعات الأوروبية وهي في مراحلها المختلفة، حاول اليهود معالجة هذه المشاعر بشتى الوسائل، وكان الدين أنجعها. سربوا إلى الكنيسة عبر حركة الإصلاح الديني معتقدات تقول إنهم شعب الله المختار، وأن الله يحب من يحسن إليهم ويعاقب من يتعدى عليهم.

فكرة "الشعب" طرحت فكرة "الوطن"، إذ كيف يكون لله شعب ولا يكون لشعب الله وطن؟

كان لابد من تبرير ديني لفكرة الوطن، فالذين تأثروا بتهويد الكنيسة البروتستنتية (و خاصة من الكلفانيين) آمنوا بتفسير وضعي لنبوءات توراتية تقول: إن المسيح سيظهر للمرة الثانية وأن ظهوره سيتم بين اليهود وفي صهيون، وأنه لابد من أجل ذلك من إقامة صهيون ومن إعادة تجميع اليهود فيها، حتى إذا ظهر المسيح، يخلص المؤمنين من العذاب بعد معركة –هرمجدون– ويتربع على عرش العالم مدة ألف سنة (الألفية) إلى أن تقوم الساعة.

أما الذين لم يتأثروا بالتهويد فقد وجدوا في هذه النظرية فرصة لتشجيع اليهود على الهجرة من مجتمعاتهم إلى فلسطين للتخلص منهم تحت ستار مساعدتهم على إقامة دولة صهيون.

الإستراتيجيون الأوروبيون (من الإنجليز والفرنسيين ثم الأمريكان) ربطوا بين مصالح إمبراطورياتهم في المشرق العربي وبين هذه المعتقدات، انطلقت الصهيونية كحركة سياسية تقول بإقامة وطن يهودي في فلسطين، من الكنيسة المسيحية (البروتستنتية)، واستمرت زهاء ثلاثمائة عام قبل أن يعقد المؤتمر الصهيوني اليهودي الأول في "بال" في سويسرا في العام 1897.

كان العداء للإسلام والرغبة في قهر العرب من العوامل الرئيسية التي شجعت "الصهيونية المسيحية" على تجاهل الحقوق الطبيعية للفلسطينيين، الشعار الذي رفع منذ منتصف القرن التاسع عشر والذي يقول عن فلسطين: إنها "أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض"، ينكر حتى وجود الشعب الفلسطيني بمسلميه وبمسيحييه على حد سواء.

وقفت الكنيسة الكاثوليكية ضد حركة "الإصلاح" الديني. ووقفت ضد مبدأ إقامة وطن يهودي في فلسطين. وتصدت للمشاريع الصهيونية (المسيحية واليهودية) قبل وبعد صدور وعد بلفور، وحتى قبل وبعد اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل، كانت الكنائس المشرقية أكثر تطرفا في رفضها للصهيونية وإن لم تكن بالضرورة أكثر فعالية، غير أن هذه المواقف لم تجد جسرا تعبر عليه

إلى عمل إسلامي مسيحي مشترك حتى الآن.

مهمة هذه الدراسة هي بكل بساطة، محاولة وضع لبنة في صرح هذا الجسر الذي لابد من أن يقوم !

الفرع الثاني: تطور الفكرالصهيوني المسيحي:

إذا كان الفكر اليهودي قد استغل الظلام الذي ساد أوروبا في القرن الخامس عشر وتسلل إلى العقيدة المسيحية، وإذا كان هذا التسلل قد أدى منذ القرن السادس عشر إلى وضع اليهود في إطار من القداسة الدينية المسيحية، وبالتالي إلى تعامل الكنيسة الجديدة (البروتستنتية والتطهيرية[1]) معهم كشعب ميزه الله عن سائر الشعوب الأخرى، وأنه، أي الشعب اليهودي –يملك صكا إلهيا بملكية الأرض المقدسة، وأن عودته إلى فلسطين تحقق نبوءة توراتية تمهد للعودة الثانية للمسيح.

و إذا كان هذا الفكر اليهودي قد تمكن كذلك من ربط العقيدة الدينية المستحدثة بالمصالح الإستراتيجية للدول الأوروبية (بريطانيا وفرنسا)، ثم للولايات المتحدة الأمريكية، فإنه لم يقف عند هذه الحدود. بل حاول التسلل أيضا إلى الإسلام نفسه في مواكبة تكاملية مع ما كانت تتعرض له المسيحية.

لم تلق محاولة التسلل إلى الإسلام اهتماما إسلاميا مبكرا لأسباب عديدة، فالغاية من المحاولة لم تكن موجهة إلى المسلمين والعرب مباشرة، بقدر ما كانت موجهة إلى الأوروبيين، والذين قاموا بتلك المحاولة هم من الفلاسفة واللاهوتيين والمستشرقين اليهود الأوروبيين. لقد كتبوا الأفكار التي اختلقوها باللغات الأوروبية (الإنجليزية والألمانية والفرنسية)، ولذلك بقيت هذه الأفكار بعيدة عن متناول المسلمين العرب حتى أواخر القرن التاسع عشر.

المحاولة والمحاولات اليهودية – الأوروبية، تناولت الإسلام كدين، وتناولت العرب كمجتمع. ثم طرحت موضوع الدور والحضور اليهوديين في كلا الأمرين.

بالنسبة للدين الإسلامي، حاول الفكر اليهودي أن يقدم الإسلام كأنه مجرد اقتباس عن

[1] التطهيرية: أو البيوريتانية Puritanisme وهي مذهب مسيحي بروتستاني يجمع بين الأفكار الاجتماعية، السياسية اللاهوتية ازدهر في القرنين 16 و17 ونادى بإلغاء الرتب الكهنوتية. وتستند تعاليمهم إلى الإيمان بالكتاب المقدس مصدرا وحيدا للعقيدة الدينية دون الأخذ بأقوال القديسين ورجال الكنيسة: Colin Brown ED. Dictionary of New Testament Theology USA : Michigan 1981, V2, P 623.

اليهودية. حاول المستشرق اليهودي الألماني إبراهام غايجر Abraham Geiger في كتابه[1] الذي أصدره في العام 1833 "ماذا أخذ محمد من اليهودية"، وكأن لا عمل له سوى الاقتباس عن اليهودية، بما في ذلك نظرية النبوة وفكرة الكتاب. وحاول غايجر أن يصور يهود الجزيرة العربية على أنهم المصدر الذي استقى منه الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأفكار.[2]

و على هذا الخط نفسه صدر بعد مئة عام لمستشرق يهودي ألماني آخر هو س.توري C.Torrey كتاب آخر بعنوان: "التأسيس اليهودي للإسلام" " The Jewish Foundation of Islam"، قدم من خلاله ترديد مزاعم التأثير اليهودي على عقيدة التوحيد في الإسلام، نظرية حاول من خلالها أن يؤكد أهمية دور وحجم الوجود اليهودي في الجزيرة العربية امتدادا حتى فلسطين.[3]

حتى المؤسسات الإسلامية نسبها س.غوتيان S.Goitein إلى اليهود في كتابه "اليهود والعرب" وحاول أن يبادر من خلال "وثائق الجنيزا"[4] نظرية ينسب فيها التنظيم الإداري والمالي في العصور الإسلامية إلى اليهود، وقد أصدر من أجل ذلك كتابا في خمسة أجزاء ربط فيها بين الدين والاقتصاد والاجتماع في المجتمع الإسلامي على قاعدة الفكر اليهودي.[5]

هذه الدراسات اليهودية حاولت من جهة أولى أن تنكر المقومات الذاتية للحضارة

---

[1] A.Geigerm Jews and Arabs, Their Contacts through the Ages .

* نقلا عن: موسوعة اليهود واليهودية لعبد الوهاب المسيري، مجلد 5 الجزء 3، الباب 5

* أبراهام جايجر (1810-1874): عالم يهودي ألماني، تزعم الحركة اليهودية الإصلاحية في ألمانيا من أفكاره أن اليهودية دين له رسالة عالمية.

[2] انظر: ميشال جحا – الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا (بيروت 1982) ص 192.

[3] صدر هذا الكتاب في العام 1933، أي قبل أكثر من نصف قرن على صدور كتاب: التوراة جاءت من جزيرة العرب، للدكتور كمال الصليبي.

[4] اكتشفت هذه الوثائق في مصر قرب القاهرة وهي تلقي الأضواء على واقع اليهود في العهدين الفاطمي والأيوبي اجتماعيا واقتصاديا.

* الجيتزا: وهي الأوراق والوثائق التي لا يجوز إبادتها بحسب الديانة اليهودية، ويعد كنيس بن عزرا في القاهرة من أهم المصادر لمعرفة تاريخ اليهود.

[5] A.Mediterranean Society : the Jewish Communities of the Arab world as Portayed in the Documents of Cairo Geniza.

نقلا عن Aram : Jewish religious Zionist fundamentalism Marty and Appleby Editions , London 1986, PP 329-330.

الإسلامية العربية، وحاولت من جهة ثانية أن تدعي استمرارية الوجود اليهـــودي في العقيـــدة والمجتمع والاقتصاد والإدارة الإسلامية، وأن تنفي بالتالي الغياب اليهودي عن المنطقة العربية تبريرا لقرار العودة متمثلا في فكر الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية معا.

ذهب بعض المستشرقين اليهود أمثال مارك كوهن M.Cohen إلى حد الادعـــاء بـــأن اليهود أقاموا لأنفسهم دويلات داخل الدولة الإسلامية[1] في مصر. وقد جعل هذا المستشرق من التسامح الإسلامي مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن فتح أبواب الدولة الإسلامية أمام الأكفاء منهم لتقلد المناصب التي يستحقونها، نقطة ضعف في بنية الدولة الإســـلامية، ونقطـــة استقواء لدى اليهود، إلى حد الادعاء بأنهم أنشؤوا كيانات ذات حكم ذاتي، لـــيس في مـــصر وحدها، بل حتى في المغرب العربي أيضا.

ظل المستشرقون الأوروبيون وخاصة اليهود منهم ينظرون للمجتمعات الأوروبيـــة علـــى أساس أنه لا نظام إداريا، ولا نظام ماليا أو مصرفيا أو ضرائبيا، ولا نظام زراعة، ولا حتى عقيدة توحيد في العالم العربي الإسلامي لولا الوجود اليهودي.

هذا التنظير أخذ منحى جديدا في العقد الماضي من خلال الادعاء بأن المجتمـــع العـــربي – الإسلامي يتناقض مع الديمقراطية والمساواة بين الناس، وأن إسرائيل تشكل الجزيرة الديمقراطيـــة والمساواة بين الناس، وأن إسرائيل تمثل الجزيرة الديمقراطية الوحيدة في الشرق.[2]

كانت المساهمات الفكرية اليهودية تصدر بتلازم تام من حيث المضمون ومن حيث التوقيت مع متطلبات تطور الحركة الصهيونية وتقدمها نحو أهدافها، فعندما احتاجت هذه الحركـــة إلى تقديم صورة متخلفة عن المجتمع العربي تنظيميا وإداريا، جاءت مساهمات المستشرقين لتوفر لهـــا ذلك، وعندما احتاجت هذه الحركة إلى تقديم صورة عن الوجود اليهودي في الـــوطن العـــربي للإيحاء بأن هذا الوجود مستمر بشريا وحضاريا، وأنه ليس طارئا ولا دخيلا على المنطقة، تجاوب المستشرقون اليهود في تقديم هذه المادة.

ذلك أن الصورتين، صورة التخلف العربي، وصورة الحضور اليهـــودي، تجـــسدان معـــا

---

[1] M.Cohen, Jewish Self – Government in Medieval Egypt

نقلا عن Ibid 33

[2] B.lewis, Islam and The Arab World. نقلا عن . Op.Cit 337

وجهين لعملة الاستيطان اليهودي التي كانت الحركة الصهيونية بحاجة إلى طرحها للتداول العملي في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، وخاصة في الدوائر التي تصنع القرار وفي تلك التي تؤثر على صناعته.

تلاقت جهود عدد كبير من المستشرقين والفلاسفة واللاهوتيين اليهود في إنجاز هذه العملية، منهم جايجر، وجولدزيهر، وشراينر، وبريلمان، وشلوسنغر، وتوري، ومونك[1] الذي أسس مدارس يهودية في الإسكندرية في عهد محمد علي، وكان في عداد الوفد اليهودي الذي زار حاكم مصر في العام 1840 وفاتحه بشأن تخصيص كيان ما لليهود.

و إذا كان بعض المفكرين العرب المحدثين قد سقط ضحية تضليل هذا الاستشراق اليهودي، فإن الإسلام خلافا لما حدث في المسيحية، استعصى على الاختراق واحتفظ بسلامة العقيدة وبنقاوتها.

غير أن الفكر اليهودي حقق نجاحا محدودا جدا في ميدان، كما حقق نجاحا واسعا جدا في ميدان آخر.

يتمثل النجاح المحدود جدا في ظهور بعض الحركات الارتدادية عن الإسلام كالقاديانية والبهائية وغيرهما[2]. استغل التزاوج بين التطلعات الصهيونية والمصالح الإستراتيجية لبريطانيا (خصوصا في الهند وأفغانستان وإيران) المشاعر الشعوبية أحيانا، ومشاعر الإحباط أحيانا أخرى ليشجع على قيام حركات تفتت الإسلام من الداخل. غير أن حصر هذه الحركات في أطراف العالم الإسلامي وعزلها بعيدا عن القلب في الوطن العربي، أدى إلى انحسارها وتآكلها.

أما النجاح الواسع جدا فيتمثل في القضاء على الخلافة الإسلامية رمز الوحدة وقاعدتها، وفي بعث الكتابات الأولى عن قومية تركية منفصلة عن الإسلام وعن تجاوز المرحلة الإسلامية من التاريخ التركي، هي كتابات يهودية في الدرجة الأولى: دافيد لومبلي (يهودي) وضع كتابا عن قواعد اللغة التركية، المستشرق فامبري (يهودي) وضع كتابا عن التاريخ القومي للأتراك، أصبح

1 راجع د.رضوان السيد: اليهود والصهيونية في الاستشراق –مجلة الفكر الإسلامي، عدد كانون الثاني 1989، ص 31-46.

2 حول المبادئ العنصرية العقدية وأصولها ومدى ارتباطها بالحركة الصهيونية وببريطانيا، راجع: محمد السماك، الأقليات بيت العروبة والإسلام –دار العلم للملايين، بيروت 1990.

أهم مصدر من مصادر الفكر القومي التركي، ليون كوهن (يهودي) وضع كتابا عن الأصول التركية حتى العام 1405، موسى كوهين (يهودي) وضع كتابا عن الفكر التركي وعن الشخصية التركية المميزة، يكن ألب (يهودي ألماني كان يعتقد أنه تركي مسلم) وضع كتابا عن "الأتراك والجامعة التركية".[1]

لعبت فرقة الدونمة دورا رئيسيا في سحب خيوط القومية التركية من النسيج الإسلامي. فالفرقة التي أنشأت أساسا على الإيمان بنظرية "هامشيح"، أي المسيح اليهودي المنتظر أصبحت "العنصر الرئيس لحركة جمعية الاتحاد والترقي"[2]، وتولى أعضاء منها مناصب رسمية (وزير المال جاويد الدونمي) وتوجيهية (رئيس تحرير جريدة الوطن الناطقة بلسان الاتحاد والترقي حسين جاهد).

استطاع الفكر اليهودي المباشر والمتستر تحت العباءة التركية أن يزرع نظريات تقول بانتماء الأتراك إلى الجنس الآري المتقدم على الجنس السامي، وبأن الانحطاط التركي سببه الإسلام، وأنه بالتالي لا خلاص للأتراك إلا بفك ارتباطهم بالإسلام.[3]

أدى الأخذ بهذه النظريات إلى استبدال الإسلام بالقومية الطورانية الأمر الذي فسح المجال أمام جملة من ردود الأفعال القومية في سائر أنحاء الإمبراطورية العثمانية، أدى بالنتيجة إلى تفسخ وحدتها وسهل عملية اقتسامها واستلاب أطرافها.

---

[1] Encyclopédie de l'Islam, Paris, 1934, P.927

[2] د.جعفر هادي حسن: فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام، بيروت، مؤسسة الفجر 1988، ص 77 وما بعدها.

[3] قامت جمعية الوطن السرية التي أسسها مصطفى كمال في العام 1906 على أساس هذه النظريات، واتخذت من مدينة سالونيك –(في اليونان اليوم) التي كان معظم سكانها من اليهود– مقرا لها. أنظر: Jhon Eidsmore : Biblical faith and political actions, westchester 1984, P88.

المطلب الثالث: الترجمة السياسية لنظرية الألفية في الفكر اليهودي:

الفرع الأول : الأسس والمرتكزات :

تأثرت الصهيونية المسيحية بحركات ثلاث تنطلق جميعها من تفسيرات للنبوءات الدينية الواردة في التوراة. تهتم الحركة الأولى بقضية مؤشرات نهاية الزمن، وتهتم الحركة الثانية بقضية التقرب من اليهود من أجل المسيح، أما الحركة الثالثة فإن اهتمامها يتركز على الدفاع عن إسرائيل وعلى مباركتها. ورغم تباين هذه الاهتمامات، بل وحتى تناقضها أحيانا فإنها تلتقي أولا حول التأويل الحرفي للتوراة، وتلتقي ثانيا حول الإيمان بأن المستقبل الكارثي للإنسانية أمر مبرمج ومقرر إليها، وتلتقي ثالثا حول وجوب مساعدة اليهود على التجمع في فلسطين. وفي ضوء هذا الالتقاء، حول هذه القضايا الثلاث، تبرز خلفية ومعالم الارتباط بين الديني والسياسي في أدبيات هذه الحركات.

غير أن التباين الأهم هو حول مفهوم الألفية، وهو تباين يترك بصمات واضحة حول تحديد المراحل التنفيذية للسيناريو السياسي العسكري المبرمج لاهوتيا. لقد برزت في اللاهوت المسيحي ثلاثة اتجاهات لتحديد هذا المفهوم الوارد في الإصحاح 20:1-10من سفر الرؤيا.

يقول المفهوم الأول، بأن فترة الألف سنة التي تنتصر فيها الكنيسة على الشر، تبدأ قبل العودة الثانية للمسيح Postmillennialism، ويقول المفهوم الثاني بل إن المسيح سيعود ثانية لإنقاذ الكنيسة من الشر، ومن ثم لحكم العالم مدة ألف عام Premillennialism، أما المفهوم الثالث فيقول أن الألفية قضية رمزية أو أنها تحققت فعلا Amillennialism.

و يعتبر أصحاب هذا المفهوم الجنة على أنها المكان الذي تخلق فيه الأرواح حول المسيح الحاكم.

قام المفهوم الأول أساسا على أن تحول اليهود إلى المسيحية سيؤدي إلى حلول البركة على العالم قاطبة، كذلك اهتم أصحاب هذا المفهوم للألفية باليهود اهتماما شديدا، ومن أبرزهم توماس برايتمان (1562-1607م) في كتابه الشهير "أبوكاليبسيس أبوكاليبسوس Apocalypsis Apocalypsos" والذي يعتبر الأب المؤسس لهذا المفهوم.

فقد وضع تفسيرا تأويليا لما يعرف بـ "القوارين السبع" بأنها بدأت باعتلاء الملكة إليزابيت

الأولى العرش في عام 1558م، وأن عملية النفخ في الصور، المذكورة في الرؤيا العاشرة،

قد تحققت في عام 1588م بتدمير الأسطول البحري الإسباني (الأرمادا)، وأن الإمبراطورية العثمانية (التي أطلق عليها صفة النبي الكذاب) والتي أقامت حلفا غير مقدس مع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (و التي أطلق عليها صفة المسيح الدجال) سوف تدمر، وأنه بعد ذلك سوف يدعى اليهود لأن يصبحوا أمة مسيحية.[1]

و كان برايتمان يعتقد أيضا أن ولادة أمة مسيحية –إسرائيلية سيجعل من هذه الأمة مركز العالم المسيحي كله.

كان رواد هذا المفهوم للألفية، أمثال ريتشارد سيبس Richard Sibbs وصموئيل روثرفورد Samuel Rutherford وجون أوين John Owen وغيرهم، على ثقة بأن اليهود سوف يعتنقون يوما ما عقيدة السيد المسيح، وسوف يصبحون جزءا من الكنيسة.

و التأويلات التي وضعها جوناثان إدوارد Johnathan Edwards (1703 – 1758م) لسفر الرؤيا 16:1 تقول: "إن الله صب جام غضبه أثناء فترة الإصلاح الديني، وأن البابوية سوف تنتهي في عام 1866م، وأن الإسلام سوف يدمر، وأن اليهود سوف يتحولون إلى المسيحية، وأن الوثنيين في أمريكا وإفريقيا والهند سوف يحملون بسرعة بعد ذلك على اعتناق عقيدة المسيح[2].

و في غمرة هذه الحمى من التنبؤات حول "تمسيح" العالم احتلت فلسطين اهتماما استثنائيا لتكون وطنا لليهود، وذلك على أساس أن تحول اليهود إلى المسيحية سيمكنهم من العودة إلى فلسطين كأمة تعيش، جنبا إلى جنب، مع غيرها من الأمم المسيحية قبيل المجيء الثاني.

أما المفهوم الثاني للألفية فقد برز في أواخر القرن الثامن عشر ومطالع القرن التاسع عشر، في أعقاب الاضطرابات الشديدة التي وقعت على جانبي الأطلسي. فمن جهة أولى، قامت الحرب الأهلية الأميركية وحرب الاستقلال عن بريطانيا (1775 – 1784م) ثم نشبت سلسلة الحروب النابليونية (1809 – 1810م)، وقد تزامنت الاضطرابات داخل بريطانيا في ذلك

[1]Edward E.Hindson, Medieval and Reformation Backgrounds of « Dispensationalism » the Conservative Theological Society (2001), PP 274-276.

[2] Robert G.Clouse, Robert N.Hosack and Richard V.Pierard, the New Millennium Manual (Grand Rapids, Michigan, Baker, 1999) P.P 90-91.

الوقت مع سقوط عدد من الممالك الأوروبية بين عامي 1804 و1830م، فوجد منظرو نهاية الزمن في تصرفات، وفي أقوال نابليون مؤشرا على صحة اعتقادهم، لا سيما في قوله الشهير: "إنني أؤمن دائما بالحظ وبإله الحرب".

في عام 1804م توج نابليون نفسه إمبراطورا بحضور مزر للبابا، وفي عام 1807م تفاهم مع قيصر روسيا على تقاسم أوروبا وفرض حصارا على البضائع البريطانية في أوروبا.

و في عام 1809م اعتقل البابا وضم المقاطعات البابوية إلى إمبراطوريته، وما إن حل عام 1815م حتى كانت الجيوش النابليونية قد اجتاحت وأخضعت معظم أوروبا والشرق الأوسط، بما في ذلك إيطاليا والنمسا وألمانيا وبولندا وروسيا، إضافة إلى مصر وفلسطين، ونصب إخوته ملوكا على هولندا ونابولي وإسبانيا ووستفاليا، وسمى ابنه ملكا على روما بحيث يكون هو "ملك الملوك" ورأس الإمبراطورية الرومانية.[1]

من أجل ذلك أطلق فلاسفة هذا المفهوم للألفية، أمثال جورج فيبر George Faber وروبرت جيمسون Robert Jamieson على نابليون لقب "المسيح الدجال" Antichrist.

و لقد رأى هؤلاء الفلاسفة اللاهوتيين في الإجراءات التي اتخذها نابليون من الكنيسة ومن رموزها ما يعزز المنحى الذي ذهبوا إليه، ذلك أن نابليون عمد إلى ضرب الكنيسة الكاثوليكية وإلى مصادرة ممتلكاتها الواسعة، كما عمد إلى إعدام عدد من رجالات الكنيسة وأحبارها، ونفى البابا نفسه من روما.

أدت هذه التوترات إلى قيام ما يعرف بـ "الصحوة الكبيرة الثانية" التي أنعشت لاهوت الألفية على يد قساوسة لعل من أبرزهم تشارلز فيني charles Finney، وكان من مظاهرها المستمرة حتى الآن قيام حركة شهود يهوه على يد تشارلز تاز راسل Charles Taze Russel.

لقد تنبأ فيني بقرب نهاية العالم، كان ذلك في عام 1835م، وقال في نبوءته: "إذا قامت الكنيسة بكامل واجباتها، فإن هذه البلاد (الولايات المتحدة الأمريكية) سوف تشهد وقوع الألفية

[1] G.H Pember, The Great Prophecies of the Centuries Concerning Israel and The gentiles (London, Hodder, 1902) P.P 236-241.

خلال ثلاث سنوات"[1].

بل إن قسيسا آخر من هذه المدرسة، هو جوزف ميلر Joseph Miller، ذهب إلى أبعد من ذلك، فحدد اليوم والشهر والسنة لبداية العد العكسي للعودة الثانية للمسيح من أجل إقامة مملكته الروحية، وهو الواحد والعشرون من آذار (مارس) 1843م.

أدى ذلك إلى تزايد الاهتمام في أوروبا وأمريكا بالشرق واليهود، فكان من نتيجة ذلك توجيه الصحوة الثانية نحو ما يعرف بـ "التراث العبري".

فبين عامي 1800 و1875م كتب حوالي ألفين من الكتاب الإنكليز والأمريكيين كتبا دارت مواضيعها حول الأرض المقدسة (فلسطين)، وشاعت ظاهرة زيارات الحج إلى هذه الأراضي مما شجع عددا من رجال الدين والأكاديميين الإنكليز على إنشاء مدرسة "صندوق اكتشاف فلسطين" "The Palestine Exploration Fund" في عام 1865م، وكان من أبرز هؤلاء قنصل بريطانيا في القدس جيمس فين James Finn، وكانت مهمة هذه المؤسسة إيجاد آلية لتحقيق عودة اليهود إلى فلسطين، وقد تعاونت من أجل ذلك مع عدد من المستشرقين من أبرزهم:

- ت. لورنس T.E Lawrence
- هوراثيو كتشنر Horatio Kitchner
- كلود كوندور Claude Condor
- الجنرال تشارلز ولسون Sir Charles Wilson
- الجنرال تشارلز وارن Sir Charles Warren

و بالفعل، فإن الدراسة الميدانية التي أعدها كتشنر وكوندور عن الأرض المقدسة بين عامي 1871 و1878م كانت أول دراسة طوبوغرافية شاملة قدمت للحركة الصهيونية معلومات قيمة عن الثورات الطبيعية في فلسطين لإقامة المستوطنات اليهودية الأولى.

و مع افتتاح قناة السويس، عام 1869م، قام الرحالة البريطاني توماس كوك بتنظيم أول

[1] Charles Finney, lectures on Revival (Cambridge, Harvard University press, 1960) P.306.

رحلة حج سياحي من لندن إلى القدس وكانت تلك الرحلة تتألف من 49 شخصا.

ولكن ما إن انتهى القرن التاسع عشر (أي بعد ثلاثة عقود فقط) حتى بلغ عدد الحجاج، الذين زاروا الأراضي المقدسة للحج، 12 ألفا، ولذلك يعتقد أن كوك سهل وعزز الاتصال بين الحركات الإنجيلية والأراضي المقدسة أكثر من أي شخص آخر. فقد استغلت زيارات المواقع التاريخية المرتبطة بأحداث توراتية قديمة لإثارة المشاعر الدينية، ومن ثم لتوظيف هذه المشاعر في تعزيز فكرة الترويج للصهيونية المسيحية، ولقد اعترف كوك نفسه بهذا الأمر عندما تحدث عن ربط الصلة بين الأرض وهذه المعتقدات.[1]

و قد نظم كوك رحلة الأمير إدوارد (الملك إدوارد السابع فيما بعد) وابنه الأمير جورج (الملك جورج الخامس فيما بعد) إلى الأراضي المقدسة أيضا. وساعدت رحلات الحج تلك على إقامة جسور بين الإيمان عن بعد والمواقع المقدسة، الأمر الذي عزز من اهتمام المسيحيين الإنجيليين بوضع تفسيرات للمستقبل، من خلال النبوءات الواردة في العهد القديم، كما عزز من التوجهات لإعادة اكتشاف فلسطين، وبالتالي من قضية "تنصير الشعب اليهودي والمحافظة عليه".[2]

أما المفهوم الثالث للألفية، بمعنى أنها قضية رمزية وأنها تحققت فعلا، فإنه المفهوم الذي تأخذ به أساسا الكنائس الأصلية، وخاصة الكاثوليكية والأرثوذكسية.

الفرع الثاني : من الأمة المنتهية ... إلى شعب الله المختار:

في العقيدة المسيحية، إن الأمة اليهودية انتهت بمجيء المسيح، وإن خروج اليهود من فلسطين كان عقابا لهم على صلب المسيح، وإن الحديث عن عودة اليهود من المنفى يشير إلى العودة من بابل على يد الإمبراطور الفارسي قورش.

و لقد اعتبر القديس أوغسطين أن القدس هي مدينة العهد الجديد، وأن فلسطين هي إرث المسيح للمسيحيين.

غير أن حركة الإصلاح الديني، التي قامت في أوروبا في عام 1523م، تبنت أسسا جديدة

---

[1] J.G Davies, Pilgrimage Yesterday and today, (London, SCM, 1988) P .148
* Clouse Robert G and Richard V.Pierard : he meaning of the Millennium, Albion Ed, London 1977, P 48-49.

[2] المرجع السابق، ص 318.

تقول بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم الأمة المفضلة على كل الأمم، وأن ثمة ميثاقا إلهيا يربط اليهود بفلسطين (الأرض المقدسة)، وأنه ميثاق سرمدي أبدي بين الله والشعب اليهودي، كما تقول بربط الإيمان المسيحي بالعودة الثانية للمسيح بشرط قيام صهيون إسرائيلية في فلسطين.

في القرن التاسع عشر، حدث ما يمكن اعتباره الانشقاق الكبير بين منظري الألفية.

أخذ البريطانيون من لا هوتيي هذه الحركة بالرأي الذي يقول إن اليهود سوف يتحولون إلى المسيحية، وأنهم سوف يندمجون في الكنيسة قبل عودتهم إلى فلسطين، وإن هذه العودة سوف تتم كمسيحيين، وليس كيهود. أما الأمريكيون منهم فأخذوا بالرأي الذي يقول إن اليهود سيعودون إلى فلسطين كيهود وقبل تحولهم إلى المسيحية، وأنهم سيبقون حتى بعد التحول إلى المسيحية، وبعد العودة إلى فلسطين، منفصلين عن الكنيسة.

من أبرز لاهوتيي الفريق البريطاني القس لويس واي Lewis Way، أحد مؤسسي "صندوق اكتشاف فلسطين"، وكان من الرواد الداعين إلى تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين حتى أنه تمكن من إلقاء خطاب بهذا المعنى أمام المؤتمر الدولي، الذي عقد في إيكس لاشابيل Aix la Chapelle في أكتوبر –تشرين الأول من عام 1818م، الذي حضره قادة دول روسيا وبريطانيا وفرنسا والنمسا وبروسيا (ألمانيا).[1]

و منهم أيضا القس تشارلز سايمون Charles Seimon، الذي كان يعتبر تنصير اليهودي المدخل إلى تنصير "الجنتيل"، أي بقية شعوب العالم غير اليهودي، وكان يعتبر أيضا أن "صهيون" تحققت في الكنيسة .. وأن المسيحيين هم "إسرائيل الله"، وأن انتسابهم للمسيح يعني أنهم بذور إبراهيم، وبالتالي فإنهم ورثة الوعد الإلهي الذي أعطي له.

و منهم أيضا القس جوزيف وولف Joseph Woolf، وكان يهوديا تحول إلى الكاثوليكية ثم إلى الأنكليكانية، إلا أن همه الأول كان البحث عن قبائل إسرائيل الضائعة، والتي زعم أنه وجدها في منطقة تقع بين كشمير، من سفوح الهمالايا شمالي الهند وبخارى في آسيا الوسطى.

أما لاهوتيو الفريق الأمريكي فإن أهمهم وأكثرهم تأثيرا كان جون نلسون داربي John

1 Gideon Aran : The father, the son and the holy land –marty and appleby Editions, London 1986, PP 409-411.

Nelson Darby*، و"الذي يعتبر الأب الشرعي للحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة".[1]

انشق داربي عن كنيسة إيرلندا، ثم عن الكنيسة الإنكاليكانية. كان يعتبر الكنيسة في حالة انهيار، وكان يقول "إن مجد المسيح في وحدة الكنيسة لم يعد قائما".[2]

أسس داربي ما يعرف باسم "الأخوية الكنسية" "Brothern Churches"، وكان لها فروع في ألمانيا وسويسرا وفرنسا والولايات المتحدة، وأوفدت هذه الاخوية بعثات إلى أستراليا وإفريقيا وحتى إلى الشرق الأوسط وفلسطين تحديدا. وقبل وفاته، في عام 1885م، كان قد تم إنشاء 1500 فرع في مختلف أنحاء العالم.

استطاع معارضو نظريته من اللاهوتيين الإنكليز إجهاض حركته في بريطانيا، فركز اهتمامه على الولايات المتحدة التي قضى فيها 40بالمائة من سنوات عمره.

استطاع داربي أن يستقطب ولاء قساوسة من قادة الكنائس الإنجيلية الأميركية، ومن خلالهم تبنت المدارس الإنجيلية نظريته، ونظمت مؤتمرات واسعة حول النبوءات الدينية التوراتية التي أصبحت تشكل العمود الفقري للأصولية الإنجيلية في الولايات المتحدة بين عامي 1875 و1920.[3]

قبل نلسون داربي كان مفهوم الألفية متأثرا إلى حد بعيد بالمدرسة اللاهوتية البريطانية، حتى أن مؤسس كنيسة المورمون Mormons جوزف سميث Joseph Smith كان يقول دائما: "إننا نؤمن بالقيام الحرفي لإسرائيل وبإعادة تجميع القبائل العشرة (قبائل بني إسرائيل الضائعة). إن صهيون سوف تقوم في هذه القارة، أي في أمريكا"[4]، ولكن داربي تمكن، في أجواء

---

* جون نلسون داربي: شخصية إنجيلية مؤثرة (1800-1882): Jhon Nelson Derby: ترجم الكتاب المقس من النصوص العبرية واليونانية وأطلق عليها المخطوطات المقدسة، يعتبر الاب الروحي للمنهج التدربيري والمستقبلي.

* Royston pike : Dictionnaire des religions, Presse universitaire de France 1954, P100.

[1] Donald E.Wagner, Anxious for Armageddon, (waterlow, Ontario, Herald press, 1995) P.P 81-88

[2] J.N Darby, Reflections on the Ruined condition of the Church, the coleected Writings of J.N Darby, edited by William Kelly (Kingston on Thames, 1962) P 201.

[3] Clarence Bass, Backgrounds to dispensationalism (Grand Rapids, Eerdmans, 1986) P.176.

[4] J.F.C Harrison, The Second coming popular millenarianism, 1780-1850 (New Brunswick, Rutgers university press, 1979) P.180.

الحرب الأهلية الأميركية، من أن يفرض مدرسته اللاهوتية مما أدى ليس فقط إلى ولادة الحركة التدبيرية Dispensationalism (بمعنى أن كل شيء مدبر ومبرمج، وأن على الإنسان العمل على تحقيق البرنامج الإلهي وفق التفسير الحرفي للنبوءات التوراتية)، إنما أدى كذلك إلى إرساء قواعد الأصولية الدينية الإنجيلية.[1]

و بغياب صهيونية يهودية في ذلك الوقت، انتشرت الصهيونية المسيحية التي دعا إليها داربي، وحمل لواء دعوته تلك مجموعة من القساوسة، منهم:

- جيمس بروكس James brooks
- أرنو غيبالين Arno Gaebelein
- دوايت مودي Dwight Moody
- وليم بلاكستون William Blackstone
- سايروس سكوفيلد Cyrus I.Scofield

روج دوايت مودي* لنظرية "اليهود شعب الله المختار"، وأنهم سوف يتحولون إلى المسيحية لدى عودة المسيح، وأن ذلك سوف يتم بمعزل عن الكنيسة. لم يكن مودي يؤمن بعلامات نهاية الزمن، أو حتى بوجوب عودة اليهود إلى فلسطين، وكان يقول: "إذا أحببنا ذرية إبراهيم – اليهود– فإننا سوف نسعد بأمل عودة المسيح، كان يؤمن بالعودة وبحتميتها.

أما وليم بلاكستون فقد وضع في عام 1887م كتابا بعنوان "المسيح آت"، وقد ترجم هذا الكتاب إلى 36 لغة، وفيه أكد على نظرية حق اليهود التوراتي في فلسطين وبأنهم سوف يزدهرون هناك، وكان الصهيوني المسيحي الأول الذي عمل من أجل القضية الصهيونية اليهودية، وذلك من خلال إيمانه بأن الحركة الصهيونية هي إشارة العودة الحتمية للمسيح.[2]

---

[1] Ernest R.Sandeen, the roots of Fundamentalism, British and American Millenarianism 1800-1930, (chicago, university of chicago press 1970).

* دوايا مودي: أمريكي إنجيلي ولد عام 1837

*Dwight Moody : voir dictionnaire des religions P 217

[2] ستيفين سايرز: الصهيونية المسيحية، 161 وما بعدها.

*Hodges Jesse Wilson : Christs Kindgom and coming with analysis of dispensationalism. OR. Harvest house 1995, PP 37-39.

المبحث الثاني: في الفكر المسيحي :

المطلب الأول: هل سيكون لاهوت المسيح متحدا بناسوته يوم القيامة؟

هل سيكون اللاهوت متحدا بالناسوت يوم القيامة؟

بمعنى هل سيكون الله في الصورة التي كان عليها على الأرض حين تجسد؟

للإجابة على هذا السؤال، لابد أن تحدد طبيعة الناسوت (الجسد)، فهذا الناسوت بعد قيامة المسيح ليس ناسوتا عاديا كأجسادنا التي نعيش بها الآن، بل هو ناسوت أو جسد (ممجد ونوراني) أي جسد روحاني لا يموت ثانية. وقد تكلم عن طبيعة هذا الناسوت أي الجسد الممجد الذي سيقوم به الإنسان عموما في يوم القيامة.[1]

يقول بولس في هذا المقام:

-كورنيثوس الأولى 15:

- 42:15 "هكذا أيضا قيامة الأموات يزرع في فساد ويقام في عدم فساد"
- 43:15 "يزرع في هوان ويقام في مجد يزرع في ضعف ويقام في قوة"
- 44:15 "يزرع جسما حيوانيا ويقام جسما روحانيا يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني"
- 45:15 "هكذا مكتوب أيضا صار آدم الإنسان الأول نفسا حية وآدم الأخير روحا محييا"
- 46:15 "لكن ليس الروحاني أولا بل الحيواني وبعد ذلك الروحاني"
- 47:15 "الإنسان الأول من الأرض ترابي الإنسان الثاني الرب من السماء"
- 48:15 "كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضا وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضا" .

نفهم من هذا أن المسيح قام بجسد نوراني روحاني –بحسبهم- لذلك كمان تقول الفقرات

[1] جورج حبيب بباوي: الموت الكفاري حسب تسليم الآباء، ط1، 2009، ص 182 وص 748 في خلاصة الكتاب.

أنه جسد ممجد (و يقام في مجد)، أي: لا يعود يموت ثانية.

هذا الجسد الروحاني الممجد هو ذات الجسد سيقوم به المؤمنون يوم القيامة.

لأنه إن لم يقم المسيح من الأموات فباطل كرازتنا وباطل إيماننا كما يقول القديس بـــولس في نفس الإصحاح فالمسيح في قيامته صار "باكورة الراقدين"[1].

فآدم الأول أورث البشرية الموت أما آدم الأخير (يسوع) وهب في قيامته الحياة الأبدية من جديد.

- 21:15 "فإنه إذا الموت بإنسان بإنسان أيضا قيامة الأموات"
- 22:15 لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع"

و المسيح هو من قدم فداء عن الإنسان وبالتالي هو من سيأتي ليدين البشرية يوم الدينونة، لأن الأب أعطى الابن أن يدين العالم كما قال المسيح عن ذاته: "لأن الأب لا يدين أحد بل في أعطى كل الدينونة للابن" (يو 22:5).

و لكن على أي هيئة سيأتي المسيح ليدين العالم؟

و بحسب متى يخبر المسيح في مواضع كثيرة من الإنجيل عن مجيئه الثاني على هيئـــة (ابـــن الإنسان)[2]:

- مت 24-27: "لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب، هكذا يكون أيضا مجيء ابن الإنسان"
- مت 24-30: " وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير"
- مت 44:24: "لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين، لأنه في ساعة لا تظنون يـــأتي ابـــن الإنسان"

إذا المسيح سيأتي بجسد قيامته الممجد في صورته الإنسانية كـــ (ابن إنسان)، ومعروف أن

[1] عزيز فهيم: الفكر اللاهوتي في كتابات بولس، دار الثقافة، القاهرة 1981، ص 56-57.

[2] نصر الله زكريا: عودة المسيح ودينونة العالم، ط1، مطبوعات نظرة المستقبل 2010، ص 33-34.

المسيح أطلق على ذاته هذا اللقب (ابن الإنسان) لأنه حمل طبيعتنا الإنسانية في لاهوته، لأنه قدم فداء كفاري عن طبيعتنا البشرية الساقطة، وهذا الجسد الروحاني الممجد هو ذات الجسد الذي أراه لتلاميذه بعد القيامة ليروا آثار المسامير والحربة التي طعن بها في جنبه والتي تنبأت عنه التوراة: "فينظرون إلى، الذي طعنوه" (زكريا 10:12).

و نفس هذه النبوءة التوراتية قالها المسيح بعد صعوده في سفر الرؤيا: "هوذا يأتي مع السحاب، وستنظره كل عين، والذين طعنوه، وينوح عليه جميع قبائل الأرض، نعم امين "أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية"، يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي، القادر على كل شيء" (رؤ 7:1،8).

إذا من سفر الرؤيا نعلم أن الآتي كديان للبشرية هو الله الذي هو الألف والياء، البداية والنهاية والقادر على كل شيء. سيأتي في صورة الابن كـ (ابن الإنسان) والذي أعطاه الأب كل الدينونة أن يدين البشرية التي قدم فداءا عنها وكأن الأب يقول للابن أنت الذي قدمت فداءا عن هذا الإنسان وأنت الذي تدين الإنسان الذي فديته لتسترد ثمن الفداء عن البشرية التي تبررت بدمك على الصليب[1].

هناك دليل آخر على أن الديان هو الله في صورة الابن فادي البشرية كـ (ابن الإنسان)، ولكن هل سيظهر المسيح بجسده الممجد كأقنوم ابن الله كما كان على الأرض في مجيئه الأول حين صلب؟

المسيح أجاب على هذا السؤال في مجيئه الثاني في أكثر من فقرة تؤكد أنه سيأتي في مجده ومجد أبيه الأب –بحسبهم-.

1. " ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده" (مت 31:25)

2. "فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله" (مت 27:16)

3. "لأن من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ، فإن ابن الإنسان يستحي به

[1] نصر الله زكريا: عودة المسيح ودينونة العالم، ص 36-37.

متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين" (مر 38:8)

4. "لأن من استحى بي وبكلامي، فبهذا يستحي ابن الإنسان متى جاء بمجده وجد الأب والملائكة القديسين" (لو 26:9) .

ففي الفقرة رقم (1) قال المسيح أنه سيأتي في مجده فقط، ثم في الفقرات (2،3) قال أنه سيأتي في مجد أبيه، وفي الفقرة رقم (4) قال أنه سيأتي في مجده ومجد أبيه الأب.

من هذه الفقرات يريد المسيح أن يعلن أنه: "الله" الذي سيأتي في صورة أقنوم الابن الذي قدم فداءا، ولكنه سيأتي في كامل بهاء مجده الإلهي وفي كامل أقانيمه الأب والابن وطبعا هو إله حي بروحه القدوس[1].

فمجد الأب هو ذاته مجد الابن لأن المسيح قال: "أن والأب واحد" (يو 30:10)

إذا فالابن هو كالأب تماما لأن كل ما هو للأب من مجد إلهي فهو للابن أيضا نفس المجد الإلهي .. لأن يسوع قبل صلبه قال: "و كل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي" (يو 10:17).

نفهم أيضا: أن كل مجد الأب هو للابن أيضا لأنه مجد إلهي واحد. وكل ملكية الأب وملكوته يخص الابن أيضا. هذا المجد للابن ليس مجدا مكتسبا كما ستكتسبه البشرية في القيامة، بل هو مجد إلهي واحد بين أقانيم الله وقبل تجسد الابن الكلمة: "و الآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو 5:17)

إذا المسيح قبل تجسده وقبل إنشاء العالم كان في ذات المجد الإلهي للأب كأقنوم الابن الكلمة الأزلي. فتعبير "المجد الإلهي" في الكتاب المقدس يعني: "كامل بهاء جوهر اللاهوت الإلهي" أو "مجد جوهر الألوهية" وهذا المجد الإلهي ليس مجرد المجد الذي تعنيه الكلمة في لغتنا البشرية.[2]

فهذا المجد الإلهي أو بهاء جوهر لاهوت أو (مجد ألوهية الله) قال عنه الرب الإله في التوراة: "أن هذا المجد لا يعطيه لأحد غيره .. أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر" (أشعياء 8:42)

---

1 إسحاق إميل ماهر:أحداث المجيء الثاني، دار الثقافة، القاهرة 1996، صص 53-54.

2 المرجع نفسه: ص ص 57-59

فالإنسان كمخلوق لا يستطيع أن يشارك خالقه في مجده الإلهي والرب الإله قالها صراحة بأنه لا يعطي مجده لمخلوق لأنه مجد إلهي يخص الطبيعة الإلهية فقط، هذا المجد الإلهي كما هو واضح يخص مجد (الجوهر والطبيعة الإلهية).

بين أقانيم الله المثلثة والتي تظهر طبيعته الإلهية وهو مجد لا ينقسم على الأقانيم بل هو مجد واحد ..

و الدليل أن المسيح حين كان في الجسد أعلن: أن مجده ومجد أبيه واحد. وهو ذات المجد الذي سيظهر به كديان للعالم يوم القيامة.

كذلك يخبرنا الإنجيل أن المسيح بعدما قدم فداءه وقام بالجسد من الموت صعد إلى السماء. ودخل إلى مجده الأول الذي كان فيه قبل أن يتجسد حسب إعلانه لتلميذي عمواس بعد قيامته قائلا لهم: "أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده" (لو 26:24).

"يدخل إلى مجده" = أي يرجع إلى كامل مجد لاهوته الإلهي .. يرجع لطبيعته وصورته الأزلية الأولى، تلك الصورة الإلهية التي كانت محجوبة حال تجسده حين اتخذ جسدا يتمم به الخلاص.[1]

من هذه الفقرات نفهم: أن المسيح هو الله الذي سيأتي على هيئته الإنسانية كـ "ابن الإنسان" ليدين العالم وسيأتي في كامل بهاء المجد الإلهي للأب والابن معا لأنه مجد إلهي واحد كما إن الأب والابن واحد –بحسبهم طبعا-.

و هذا يحقق نبوءة دانيال النبي حين قال: وقد أعطي هذا الـ (ابن الإنسان) عبادة من كل الأمم وشعوب الأرض ومعروف أن العبادة مخصصة لله وحده.[2]

و لـ (ابن الإنسان) هذا سيكون له سلطان ومجد وملكوت لا ينقرض كما تقول النبوءة: "كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه. فأعطي سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض" (دانيال 7:13-14).

[1] إسحاق إميل ماهر:أحداث المجيء الثاني، ص ص 60-61.

[2] مكرم نجيب: المجيء الثاني ونهاية التاريخ، دار الثقافة، دائرة المعارف الكتابية، القاهرة 1996، ص 151-153.

المطلب الثاني: نظرة نقدية في "الباروزيا[1] " ونهاية العالم:

-قرب مجيء المسيح:

فإن قيل : إذا كانت الأناجيل الحالية مما كتب في القرن الثاني فكيف لم يحذف النصارى منها أقوال المسيح الدالة على قرب مجيئه وعلى أن ذلك يكون عقب خراب أورشليم مباشرة (راجع مثلا مت23:10 و28:16 و3:24 و29-34 ومر 24:13-30) مع أن ذلك لم يتحقق؟

فبحسب الرؤية المسيحية إن هذه الأقوال: إن هذه الأقوال كانت تعزية المسيحيين الكبرى على مصائبهم في هذه الدنيا (1 تس 18:4) من عهد المسيح إلى أوائل القرن الثاني بعد موت يوحنا الذي كانوا يظنون أنه يبقى حيا إلى مجيء المسيح عليه السلام (يو 23:21) فإذا صح أن عيسى قال شيئا منها فلابد أنهم لم يفهموا مراده الحقيقي فنقلوا عباراته محرفة حتى خرجت عن معناها الأصلي وشاعت بينهم على غير حقيقتها، والأرجح أن اليهود الذين دخلوا في المسيحية استنتجوا من كتبهم أن زمن عيسى هو آخر الزمان وأن القيامة قريبة جدا منهم كما يفهم من سفر أشعياء (2:2) وأرمياء (20:23) والتكوين (1:49) ويوئيل (28:2-32) فانتشرت هذه الأقوال بين النصارى الأولين (راجع أيضا أع 16:2-21) وفشت فيهم حتى تنبؤها إلى المسيح نفسه وزعموا أنه قال إن القيامة ستقوم بعد خراب أورشليم مباشرة (مت 3:24 و29-35)

و لذلك جاء في سفر الأعمال أيضا نقلا عن يوئيل ما يفهم منه أن خراب العالم سيكون عقب نزول الروح على التلاميذ يوم الخمسين (1:2-21) فكان النصارى في القرن الأول.

و في أوائل الثاني يظنون قرب مجيء القيامة، فدخلت هذه الأقوال فيما كتب من الأناجيل إذ ذاك (كأصل إنجيلي متى ومرقس القديم) وتداولها الناس بينهم واشتهرت عندهم هذه النبوات وصاروا يرتقبون تحققها يوما بعد يوم فلا يمكن بعد أن كتبت وشاعت أن يتلاعبوا فيها وأعلن الناس كلهم متجههم إليها في ذلك الزمن.

---

[1] الباروزيا: la parousie وهي المجيء الثاني للمسيح .

*أنظر: إميل ماهر: موعد المجيء والعلامات التي تسبقه، الأنبا رويس القاهرة 1996.

أما كاتب الإنجيل الثالث فالظاهر أنه كان في زمن يئس فيه الناس من تحقق هذه النبوات وأمثالها في القرن الثاني أو الجيل الثاني كما يفهم من مقدمة إنجيله فلذا شك في رواية ألفاظها الواردة في أصل الإنجيل الأول والثاني وحور عباراتها تحويرا يجعلها أصلح للتأويل مما في الإنجيلين الأولين، ولم يذكر الأقوال الأخرى الواردة في إنجيل متى التي أشرنا إليها هنا (راجع لو 7:21 و25-32 تجد عبارته مخففة في هذا الموضوع عن سابقيه) ولم يمنعه اشتهار ألفاظها الواردة في الأناجيل التي قبله وشيوعها بين الناس واعتقادهم لها من هذا التحوير لجزمه بأخطاء روايتها وإلا لكان المسيح نفسه هو المخطئ فيها وهو غير جائز طبعا.

و أما الإنجيل الرابع فتركها بالمرة وهو مما يدل على شدة تأخر زمنه وتحقق الناس من عدم صحتها ويأسهم منها يأسا تاما.[1]

و لا يلزم من اشتهار هذه الأفكار والنبوات بين النصارى في القرن الأول كله والثاني أن غيرها مما في الإنجيل المنسوب لمتى ومرقس كان شهيرا شهرتها ومعروفا بينهم مثلها فكاتباهما وإن تحاشيا تحريفها أو تحويرها لشهرتها إلا أن ذلك لا يضمن لنا صحة رواية الأشياء الأخرى التي ليست شهيرة بين الناس شهرة هذه النبوات.

هذا وعدم علم (بابياس[2]) المتوفي بين سنة 164 إلى 167 ميلادية بهذين الإنجيلين (متى ومرقس) بحالتهما الحالية كما بينا يدل على أنهما لم يكونا بهذه الحالة في زمنه أو لم يشتهروا بها إذ ذاك بل كان إنجيل متى عبارة عن مجموعة من أخبار المسيح وأقواله باللغة اليونانية إلا أنها غير مرتبة كما سبق بيانه وربما كان الذي منع التلاميذ من الاعتناء بكتابة الإنجيل هو توهمهم قرب انتهاء العالم فإذا صح أن نبوات القيامة كانت في أصل هذين الإنجيلين فمترجم الأول ومرتب الثاني لم يجسرا على تحويرها أو تحريفها نظرا لشهرتها بين الناس أو لظنهما أنها ربما تحققت عن قريب ولكن هذا السبب لم يكن عند كاتب الإنجيل الثالث كافيا لمنعه من إصلاح ما اعتقد خطأ لتأخر زمنه ويأسه وخصوصا لأنه كان كثير الاجتهاد والتدقيق كما هو صريح في مقدمته ولم يقصد بكتابة إنجيله أن يكون لجميع الناس بل لشخص صديق له يسمى ثاوفيلس فلا يهمه إن قبله

[1] كلفين جون: مسيحية الكتاب المقدس، ترجمة القس عبد الكريم كيلرس، الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط، ط1، القاهرة 2002، ص 82.

[2] بابياس: أسقف هيرابوليس 80-160 م، تلميذ يوحنا اللاهوتي، أشهر أعماله: تفسير أقوال الرب، ولم تصلنا منها إلا مقتطفات في كتابات يوسابيوس وإيريناوس، Dictionnaire des religions, P 243.

الناس منه أو لم يقبلوه ما دام مقتنعا بصحة ما استنتجه وكتبه وصدقه فيه صاحبه.[1]

-الصلب ونهاية العالم:

لما كان النصارى في القرن الأول يعتقدون قرب انتهاء العالم كما بينا أن الساعة قريبة جدا منهم (رؤ 10:22) و(1 يو 18:2) و(1 كر 11:10) وأن بعضهم يبقى حيا إلى مجيء القيامة (1 كو 51:15 و52 وتس 15:4-18)، لما كان هذا اعتقادهم كما يزعمون ولكن الآن وقد مضى على البشر نحو عشرين قرنا (و لا ندري كم بقي من عمر العالم؟) لا نفهم لم حصل الصلب وجاء المسيح في ذلك الزمن و لم يجيء في نهاية العالم أو في أول الأمر بعد عصيان آدم مباشرة؟؟ وحيث قد ظهر أن العالم لم ينته عقب المسيح مباشرة كما توهموا وقد وصل الرقى البشري إلى درجة لم يصل إليها قبل المسيح، ظهر لنا عدم التناسب بين حصول الصلب والزمن الذي حصل فيه فكان الأولى عقلا والأنسب أن يحصل قرب نهاية العالم حتى تختم جميع القرابين والضحايا به ويختم به الزمان أيضا.[2]

فإن قيل: هذا كلام صحيح إذا كان المسيح مجرد ذبيحة فقط ولكنه هو ذبيحة ومثال للبشر في تقديم أنفسهم ضحية لأجل إخوانهم الآخرين فلذا جاء في ذلك الزمن ليقتدي به الناس بعده في أرقى العصور. قلنا: الظاهر من صلوات المسيح ودعائه وحزنه وطلبه النجاة من الله ومحاولته الدفاع عن نفسه وتصببه عرقا وصراخه الخ – الظاهر من هذا كله كما بينا في مقالة الصلب أنه لم يقدم نفسه باختياره بل أكره على ذلك إكراها وبذله الله بدل الناس و لم يشفق عليه كما قال بولس (رومية 32:8) فهو ليس مثالا حسنا لتضحية الذات في سبيل نفع الناس بإرادته رغبة منه واختيارا.[3]

و عليه يكون صلب المسيح مجرد ذبيحة بشرية لإرضاء هذا الإله المحب لسفك الدماء البريئة وليس فيه شيء آخر يستفيد منه الناس فكان الأنسب أن يحصل صلبه في نهاية العالم أو في أوله وأما حصوله في ذلك الزمن فلا نفهم له حكمة ولا نعرف له مناسبة !! فلعل المعجبين بعقيدتهم هذه من النصارى يهدوننا إليها !

---

[1] كلفين جون: مسيحية الكتاب المقدس، ص ص 87-91.

2 مكرم نجيب: المجيء الثاني ونهاية التاريخ، ص ص 201-203.

3 جورج حبيب: الموت الكفاري، ص 194 وما بعدها.

المطلب الثالث: تطور مفهوم الألفية أو سبب التأييد المسيحي لليهود:

ما هي فرضية اليهود لنهاية العالم؟ لم كل هذا التأييد من المسيحيين لليهود؟ وما قصة تعجيل نزول المسيح؟؟؟ الجواب في: هرمجيدون، هرمجيدون هي كلمة عبرية تعني "تل مجيدون" ويوجد بجنوب لبنان (شمال فلسطين) تلة كبيرة اسمها .. تل المجيدية ! هذه المقالة تتكون من شقين: شق يتكلم عن كتاب يبرز هرمجيدون من الرؤية الصهيونية والمسيحية، والثاني يتكلم عن كتاب يبرز هرمجيدون من رؤية كتاب مسلم "هرمجيدون .. آخر بيان يا امة الإسلام"[1].

أما نحن فسنقوم ببحث في الكتب المذكورة والظاهر لي حقيقة ما ذكره الكاتب المسلم عن خوف اليهود من العراق لأنه ذكر في توراتهم أنهم سيتعرضون للسبي مرتين من قبل ملوك بابل.

أما عن الكتاب الأول فهو أهم كتاب ديني أمريكي يكشف خلفيتهم في حربهم المقبلة مع المسلمين وعقيدتهم الشيطانية –ترجمة حسام تمام بجدارة يمكن أن يعد كتاب Forcing of God's Hand أهم ما صدر في الشأن الديني الأمريكي، وربما كان من أهم الكتب التي عالجت باقتدار قضية التوظيف السياسي الذي يصل إلى حد الابتزاز– للنبوءات الدينية في العقد الأخير من القرن العشرين.

و المؤلفة هي الكاتبة الأمريكية المعروفة غريس هالسل التي عملت محررة لخطابات الرئيس الأمريكي السابق ليندون جونسون، وهي صحفية مشهورة ومرموقة صدرت لها عدة كتب، أهمها وأكثرها شهرة (النبوءة والسياسة)[2]. والكتاب عبارة عن إجابات على أسئلة جمعتها المؤلفة من سلسلة مقابلات شخصية مع مسؤولين من فعاليات دينية ومراجع كنسية أمريكية مختلفة. وتتصدى فيه غريس هالسل ربما لأول مرة– لظاهرة المنصرين التوراتيين التلفزيونيين، الذين يمثلون اليمين المسيحي المتطرف في الولايات المتحدة الأمريكية.

و الذي يعرف إعلاميا بـ "الصهيونية المسيحية". وهي الظاهرة التي تجسد أغرب وأسوأ أشكال الدجل السياسي الديني في العقد الأخير ربما على مستوى العالم كله، والتي صنعها عدد من المنصرين التوراتيين الذين احترفوا تقديم برامج تلفزيونية عن النبوءات التوراتية التي تبشر بقرب نزول المسيح المخلص ونهاية العالم فيما يعرف بمعركة (الهرمجدون) واستطاعوا من خلال

[1] أمين محمد جمال الدين: هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام، المكتبة التوفيقية الحسين، القاهرة 2001.

[2] غريس هالس: النبوة والسياسة، ترجمة محمد السماك، ط5، دار النفائس، بيروت 2003.

نشاطهم –الذي يعد أكبر وأهم حركة تنصير في تاريخ المسيحية- إقامة ما يعرف بـ "حزام التوراة"، والذي يتكون من مجموعة ولايات الجنوب والوسط الأمريكي، والتي تكونت فيها قطاعات واسعة من المسيحيين المتشددين دينيا والمؤمنين بنبوءة (الهرمجدون)، أو نهاية العالم الوشيكة والمرتبطة بنزول المسيح المخلص من الشر والخطيئة.[1]

و يعتمد خطاب المنصرين التوراتيين على رؤية سهلة للحياة، مفادها أن العالم أصبح تملؤه الشرور والخطايا. وهو ما سيعجل بظهور (المسيح الدجال) وجيوش الشر، ولن يصبح هناك حل لإنقاذ البشرية والخلاص من الشرور إلا عودة المسيح المخلص لانتزاع المسيحيين المؤمنين من هذا العالم المليء بالخطيئة والشر، وهذا الخلاص –عندهم- رهن بعودة المسيح فقط، أما المطلوب عمله من هؤلاء "المؤمنين" فهو السعي لتحقق هذه النبوءة أو الإسراع بإجبار يد الله (النبوءة) [2]!. وتحقق النبوءة عندهم رهن بقيام إسرائيل الكبرى وتجمع كل يهود العالم بها، ومن ثم فلابد من تقديم وحشد كل التأييد المادي والمعنوي المطلق وغير المحدود أو المشروط للكيان الصهيوني، لأن ذلك هو شرط نزول المسيح المخلص ! والطريف أن هذا التأييد لا يعني الإيمان باليهود أو حتى مبادلتهم مشاعر الحب والتعاطف معهم، لأن هؤلاء التوراتيين يعتقدون أن المسيح المخلص سيقضي على كل اليهود أتباع المسيح الدجال الذين سيرفضون الإيمان به، أي أنهم يدعمون الكيان الصهيوني باعتبارها وسيلة تحقق النبوءة فقط ! هذه العقيدة تلقفها كبار القادة اليهود في أمريكا والكيان الصهيوني، وخاصة من اليمين الديني المتطرف الذي يسيطر على مجريات ومقاليد اللعبة السياسية في الكيان الصهيوني واستغلوها جيدا للحصول على كافة أشكال الدعم والتأييد، وهم لا يعنيهم محبة اليمين المسيحي المتطرف في أمريكا أو إيمانه بهم بقدر ما يعنيهم ما يدره عليهم الإيمان بهذه النبوءة من أموال ودعم سياسي واقتصادي غير محدود، فبفضلها تتدفق الرحلات السياسية الأمريكية على الكيان الصهيوني، وتنظم مظاهرات التأييد وحملات جمع التبرعات، وتسخير الإدارة والسياسة الأمريكية لخدمة المصالح الصهيونية، خاصة مع تزايد إيمان الشعب الأمريكي بهذه النبوءة والاعتقاد بها، حتى أن استطلاعا أجرته مجلة (تايم) الأمريكية سنة 1998 أكد أن 51% من الشعب الأمريكي يؤمن بهذه النبوءة، ومن هؤلاء عدد كبير من أعضاء النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة، بعضهم وزراء وأعضاء في الكونجرس وحكام

[1] غريس هالس: النبوة والسياسة، ص 57 وما بعدها.

2 غريس هالسل: "يد الله"، ترجمة محمد السماك، ط1، دار النفائس، بيروت 2005.

ولايات، بل ويؤكد الكتاب أن جورج بوش، وجيمي كارتر، ورونالد ريجان، كانوا من المؤمنين بهذه النبوءة، بل إن هذا الأخير كان يتخذ معظم قراراته السياسية أثناء توليه الرئاسة الأمريكية على أساس النبوءات التوراتية.[1] وتكشف جريس هالسل في كتابها عن أن هناك اقتصاديات ضخمة تقوم على هذه النبوءة التي تدر مليارات الدولارات سنويا على نجوم التنصير التوراتي، الذين يمتلكون عشرات المحطات التلفزيونية والإذاعية في أمريكا وأنحاء العالم، وأبرزهم بات روبرتسون الذي يطلق عليه لقب (الرجل الأخطر في أمريكا)، فقد أسس وحدة شبكة البث المسيحية CBN، وشبكة المحطة العائلية إحدى أكبر الشبكات الأمريكية، كما أسس التحالف المسيحي الذي يعد الأوسع نفوذا وتأثيرا في السياسة الأمريكية، بما مكنه من الترشيح في الانتخابات الأمريكية بفضل ملايين الدولارات التي يحصل عليها كتبرعات من أتباعه ومشاهدي نبوءاته التلفزيونية.

و تعد برامج هؤلاء المنصرين التوراتيين من أمثال هالويل، وجيري فالويل، وتشارلز تايلور، وروبرتسون، من أكثر البرامج جماهيرية في الولايات المتحدة. كما تشهد أشرطة الفيديو والكاسيت التي تحمل هذه البرامج رواجا رهيبا في أوساط الطبقة المتوسطة الأمريكية (و معظم المؤمنين بهذه النبوءة منها وهم بالملايين).

و ينتشر المنصرون التوراتيون في معظم أنحاء الولايات المتحدة في عدة آلاف من الكنائس التي يعملون في كهانتها، عبر مؤسسة الزمالة الدولية لكنائس الكتاب المقدس ويؤمن أتباع هذه النبوءة بأنهم يعيشون اللحظة التي كتب عليهم فيها تدمير الإنسانية، ويؤكدون قرب نهاية العالم بمعركة الهرمجدون التي بشرت بها التوراة، والتي سيسبقها اندلاع حرب نووية تذهب بأرواح أكثر من 3 مليارات إنسان ! وتبدأ شرارتها من جبل الهرمجدون الذي يبعد مسافة 55 ميلا عن تل أبيب بمسافة 15 ميلا من شاطئ البحر المتوسط، وهو المكان الذي أخذ أكبر حيز من اهتمام المسيحيين بعد الجنة والنار [2]!

و تحلل جريس هالسل كيف أفرزت هذه الحركة المسيحية أكثر من ألف ومائتي حركة دينية متطرفة، يؤمن أعضاؤها بنبوة نهاية العالم الموشكة في الهرمجدون، وترصد سلوك وأفكار هذه

[1] غريس هالسل: "يد الله"، ص 104 وما بعدها

[2] Weber timothy p : Living in the Shadow of the second coming : American premillennialism, New York : Oxford university press, 1979 , P 95-97.

الحركات الغربية التي دفعت ببعضها إلى القيام بانتحارات جماعية من أجل التعجيل بعودة المسيح المخلص وقيام القيامة، ومنها جماعة (كوكلس كلان) العنصرية، والنازيون الجدد، وحليقو الرؤوس، وجماعة (دان كورش) الشهيرة، والتي قاد فيها (كورش) أتباعه لانتحار جماعي قبل عدة سنوات بمدينة (أكوا) بولاية تكساس من أجل الإسراع بنهاية العالم، وكذلك القس (جونز) الذي قاد انتحارا جماعيا لأتباعه أيضا في (جواينا) لنفس السبب، وقد كان (ماك تيموثي) الذي دبر انفجار (أوكلاهوما) الشهير من المنتمين لهذه الجماعات[1]، ويكشف الكتاب عن العلاقة العنصرية الغريبة التي تربط بين اليمين المسيحي المتطرف في أمريكا ونظيره اليهودي في الكيان الصهيوني على الرغم من التناقض العقائدي بينهما، العلاقة التي تقوم على استمرار الدعم والتأييد والمطلق رغم الكراهية المتبادلة ! فتؤكد هالسل أن اللاسامية نوعان: نوع يكره اليهود ويريد التخلص منهم وإبعادهم بكل الوسائل، ونوع آخر يكرههم، ولكن يريد تجميعهم في فلسطين مهبط المسيح في مجيئه الثاني المنتظر[2]. وتشرح هالسل كيف يستفيد الكيان الصهيوني من هذه النبوءة التي تمنع المسيحي الأمريكي "المؤمن" بها من التعامل الراشد مع الواقع، وتجبره على رؤية الواقع والمستقبل في إطار محدد ومعروف سلفا، وهو ما يؤدي إلى الوقوع في انتهاكات أخلاقية فاضحة تأتي من تأييد المشروع الصهيوني العنصري الذي يقوم على الاستيطان، وتهجير الآخرين، وطردهم من أرضهم، والاستيلاء عليها، بل والقيام بمذابح جماعية ضدهم، وهو ما يظهر في التعاطف الذي يبديه المسيحيون التوراتيون مع السفاحين اليهود إلى حد المشاركة في المجازر التي يرتكبونها ضد الفلسطينيين، كما فعل بات روبرتسون الذي شارك في غزو لبنان مع إيريل شارون والمذابح الوحشية التي ارتكبها وشارك معه متطوعون من المسيحيين التوراتيين حاربوا مع الجيش الصهيوني، وهي المعلومات التي حرصت هالسل على ذكرها رغم الحضر المفروض عليها إعلاميا في الولايات المتحدة والكيان الصهيوني.[3]

كما تكشف هالسل عن أن معظم المحاولات التي جرت لحرق المسجد الأقصى أو هدمه وبقية المقدسات الإسلامية في القدس من أجل إقامة الهيكل مولها وخطط لها مسيحيون توراتيون من المؤمنين بنبوءة الهرمجدون إن لم يشاركوا فيها !! وفي فكر المنصرين التوراتيين تغيب كل

1 غريس هالسل: "يد الله"، ص 116 وما بعدها.

2 المرجع نفسه، ص 91.

3 المرجع نفسه، ص 97.

معاني المحبة والتسامح المقترنة بالمسيحية. ويبدو المسيح في أحاديثهم في صورة جنرال بخمسة نجوم يمتطي جوادا، ويقود جيوش العالم كلها، مسلحا برؤوس نووية ليقتل مليارات البشر في معركة الهرمجدون.[1]

أما الكتاب الثاني والذي لا تتجاوز صفحاته الـ 125 صفحة، لكنه أثار جدلا واسعا بل وفزعا عند البعض .. الكتاب اسمه "هرمجدون .. آخر بيان يا أمة الإسلام" للمؤلف أمين محمد جمال الدين. و"هرمجدون" هو اسم جبل بفلسطين يوقن اليهود وبعض الطوائف الإنجيلية بالولايات المتحدة الأمريكية أنه سيشهد الموقعة الفاصلة بين اليهود والمسلمين وأن أنهارا من الدم ينبغي أن تجري لينتصر اليهود بما يمهد الأجواء لنزول السيد المسيح ليحكم الأرض "ألف عام" وهو التفسير الديني لسر التأييد الأمريكي الأعمى لإسرائيل حيث أن غالبية الولايات المتحدة من الإنجيليين البروتستانت. و"هرمجدون" كتبت عنها عشرات الكتب لكنه الكتاب الأول الذي يقدم رؤية إسلامية لحرب "هرمجدون" مستندا لأول مرة إلى أحاديث نبوية شريفة قال المؤلف أنها جاءت في كتاب "الفتن" لأبي عبد الله نعيم بن حماد شيخ الإمام البخاري وأستاذه والذي توفي في عام 229 هجرية ثم يستند إلى كتاب آخر هو (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) لأبي العباس بن حجر المكي الهيثمي المتوفى سنة 974 هجرية ثم كتاب (الإشاعة لأشراط الساعة) للإمام البرزنجي المتوفى عام 1103 هجرية وتحدث عن ضرب العراق ضربة عنيفة[2] –ربما تكون بقنبلة نووية– وبعدها ستنفرط الآيات المنظومات كالعقد عقده عقده، في أسرع من الخيال تكون تتابع الآيات (علامات الساعة الكبرى)، "حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالأمس" (سورة يونس)، لكن ما يعنينا هو ما جاء في الكتاب منسوبا إلى هذه الكتب القديمة خاصة كتاب الفتن الذي توفى صاحبه قبل أكثر من 1200 عام وما يعنينا أيضا بشكل مباشر هو نسب الروايات للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. ولكي نفهم الكتاب المذكور نقول إن فكرته بنيت أساسا على أن كثيرا من الآثار والأحاديث الشريفة المتعلقة بالفتن والملاحم لم يحفظها عن رسول الله إلا أفراد قلائل من صحابته مثل حذيفة بن اليمان وأبي هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص.

1 غريس هالسل، يد الله، مرجع سابق، ص 99.

2 أمين محمد جمال الدين: هرمجدون، مرجع سابق، ص 24.

ثم تبني فكرة الكتاب على حديث: حذيفة بن اليمان مرويا عن البخاري يقول فيه : "لقد خطبنا النبي عليه الصلاة والسلام خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله إن كنت لأرى الشيء قد نسيت فاعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه". وحديث آخر عن حذيفة يقول : "كان الناس يسألون رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"[1] وهو حديث للبخاري، وبسببه كما يقول المؤلف إن حذيفة كان أعلم الناس عن الفتن وعن المنافقين وصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] ! أما عن النصوص المثيرة أو قل المخيفة يقول الكتاب أن هناك في توراتهم مذكور: "يا ابن إسرائيل اسلك طريق آخر غير الطريق الذي يجيء منه الملك مرتين ويكون حجر صدمه وصخرة عسره" يقصد أن صدام وبختنصر هو الاثنين يأتون من بابل وعلى أيديهم سبى اليهود ودوسهم كطين الأزقة.

ثم في نص آخر عن الحصار يقول: "يوشك أهل العراق ألا يجيء إليهم قفيز ولا درهم قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذلك ثم قال: يوشك أهل الشام ألا يجبى إليهم دينار

و لا مدى، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل الروم (الغرب)" وفي الأخيرة إشارة لا نعلم أنها تعني الأراضي المقدسة المحتلة أم لا ! أما عن الطالبان جاء النص (تخرج راية سوداء لبني العباس ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض)[3] وهو وصف لزي طالبان بل وحتى نسب قادة طالبان إلى القرى والبلدان يقول النص (تقبل الرايات السود من المشرق يقودهم رجال كالبخت المجللة أصحاب شعور أنسابهم القرى وأسماؤهم الكنى)[4].

ثم نص آخر يتحدث عن رئيس الأركان الأمريكي الذي كان يمشي على عكازين لإصابة في ساقه يقول (علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة).[5]

---

1 أمين محمد جمال الدين: هرمجدون، ص 12.

2 المرجع نفسه، ص 12.

3 المرجع نفسه، ص25. نقلا عن كتاب الفتن من صحيح مسلم عن جابر ورواه أحمد في مسنده. والقفيز/ مكيال أهل العراق والمدي: مكيال أهل الشام.

4 كتاب الفتن لنعيم بن حماد شيخ البخاري، ص 118.

5 رئيس الأركان (الأعرج): "ريتشارد مايرز": الفتن ص 205. وهذه النصوص في أثر عزيز من مخطوطة نادرة من القرن الثالث الهجري بدار الكتب الإسلامية بكتاب خانة الترك بإسطنبول: مما رواه أبو هريرة وكان يكتمه من قبل كما أورد

و كما نعلم بالعراق اليوم محاصر وقد أعقبه حصار الشام وقد يمتد الحصار إلى سوريا ولبنان –و الله أعلم– إذا فالأمر واضح والهدف قد أعلن فهي حرب صليبية للسيطرة على العالم أجمع !

المطلب الرابع: أورشليم في الفكر النصراني:

احتلت أورشليم مكانة متميزة عند أنبياء العهد القديم، وفقهاء التلمود، سواء بعد العودة من السبي أو في آخر الزمان أما في النصرانية فقد تحدث عنها يسوع المسيح كمكان سوف يخرب ويدمر فقد ورد في (متى 37/23-38): "يا أورشليم، يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها، و لم تريدوا ! هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا". وليست تلك هي المرة الأولى التي يتوعد فيها الأنبياء أورشليم بالخراب والدمار فقد حملت نبوءات ما قبل السبي البابلي الكثير من الوعيد لأورشليم بالخراب والدمار كما جاء على لسان بعض الأنبياء مثل أشعياء وإرمياء وعاموس وغيرهم.

كما ورد في (لوقا 20/21): " ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش، فحينئذ أنه قد اقترب خرابها" فقد أعطى يسوع علامة على موعد خراب أورشليم، ثم وصف المدينة حال خرابها فقال في (لوقا 23/21): " ويقعون بفم السيف، ويسبون إلى جميع الأمم، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم، حتى تكمل أزمنة الأمم". فيقتل أهلها بالسيف ويسبون مرة أخرى، وتكون أورشليم نهبا ومطمعا لكل الأمم، وهذا يخالف ما قاله بعض الآباء عن بناء "الهيكل" في أورشليم في آخر الزمان، فالمدينة ستظل سيطرة الأمم الأخرى حتى آخر الزمان، كما ورد في النص السابق.

و كانت فكرة إعادة بناء أورشليم مقبولة لدى أريناؤس أسقف ليون فقد توقع أن تبني من جديد وقال: " وسوف يستعيد المسيح الأرض مرة أخرى، وتبني أورشليم من جديد". كما فسر نبوءة إشعياء الواردة في الإصحاح الثالث والخمسين: "نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة، لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه. محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن، وكمستر عنه وجوهنا، محتقر فلم نعتد به" وقال إن النبوءة تتحدث عن

صاحب كتاب "المهدي المنتظر على الأبواب" لمحمد عيسى داود، ط1، سنة 1997، المنارة بيروت. نقلا عن كتاب هرمجدون لأمين محمد جمال الدين، ص 39 وما بعدها.

الكنيسة النصرانية.[1]

كما تحدث القديس جيروم عن أورشليم المبنية من الذهب والأحجار الكريمة التي سوف تنزل من السماء إلى الأرض في آخر الزمان، وعن إعادة بناء الهيكل، وإراقة دم القرابين، وحفظ السبت، والسير على نهج الشريعة فيما يخص جميع نواحي الحياة، مثل الزواج وتنشئة الأبناء، والمواسم والأعياد.[2]

كما قال يوستنيوس الشهيد: "نعلم أنه سيكون هناك قيامة من الموت، وألف سنة في أورشليم التي ستبني آنذاك وتتزين وتتسع، حسب نبوءة حزقيال وأشعياء"[3].

و يظهر في أقوال القديس جيروم ويوستنيوس الشهيد تأثرهما الشديد بما ورد على ألسنة فقهاء التلمود عن إعادة بناء أورشليم في آخر الزمان، والحال الذي ستكون عليه من عظمة وفخامة، وإقامة "بيت المقدس"، والعودة إلى العمل بأحكام الشريعة، وتقديم القرابين، وحفظ السبت.[4]

-شرائع "يوم المسيح":

تعد التوراة، أسفار موسى الخمسة، هي مصدر التشريع الأول لليهود على اختلاف طوائفهم، وهي المصدر الذي لم تختلف عليه أي من الطوائف اليهودية، وسوف يترتب على سيادة اليهود للعالم في آخر الزمان سيادة الشريعة الخاصة ببني إسرائيل، ولكن عن أية شريعة يتحدث الفقهاء؟ هل هي الشريعة الموجودة بين يدي اليهود في فترة بلورة التلمود وكتب التفاسير، أم هي شريعة خاصة بأيام المسيح وآخر الزمان، أم هي شريعة خاصة بالعالم الآتي؟

تعددت الآراء حول شريعة بني إسرائيل في آخر الزمان:

أ. هناك رأي يقول إن شريعة بني إسرائيل لن تتغير وتتبدل إلى الأبد كما ورد في "باب

---

[1] K.Armstrong : Jerusalem, one city, Three faiths, P 396.

[2] K.Armstrong : Jerusalem, one city, P 399.

[3] كيرلس سليم بسترس وحنا الفاخوري: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المكتبة البولسية، ط1، بيروت، ص 227.

[4] تثير مسألة حفظ يوم السبت الكثير من الخلافات والجدل بين النصارى والبروتستانت، وبين باقي الطوائف النصرانية الأخرى التي تعتقد بأن فريضة حفظ السبت قد ألغيت بمجيء يسوع المسيح، أما بعض طوائف البروتستانت فيؤكدون على ضرورة حفظ السبت لأنها من شريعة موسى.

السبت" في التلمود البابلي[1]: "يقول الربي شمعون بن يوحاى حاشا للرب أن تنسى شريعة بني إسرائيل" استنادا إلى ما ورد في (تثنية 21/31): "لأنه لا ينسى من أفواه نسله". فالمفسر يؤكد أن شريعة بني إسرائيل باقية إلى الأبد. استنادا إلى نص سفر التثنية[2].

ب. هناك رأي آخر يقول إن الرب سوف يترل شريعة جديدة على يد المسيح المخلص ليحكم بها كما ورد في تفسير سفر الجامعة الكبير[3]: "أن الشريعة التي يدرسها المرء في هذا العالم شيء يسير إذا قورنت بشريعة المسيح"[4]. وهذا يوضح أن هناك شريعة جديدة سوف تترل على المسيح المخلص في آخر الزمان.

ج. و هناك رأي ثالث يقول إن الشريعة التي يعطيها الرب على يد المسيح يمتد العمل بها في العالم الآتي في كيفية خروج الأبرار ممن عبدوا الأوثان من جهنم: "سوف يجلس القدوس تبارك في جنة عدن ليفسر ويجلس كل الصديقين أمامه ويقف كل الملائكة العلويين، والشمس

و النجوم عن يمين القدوس تبارك، والقمر والكواكب عن يساره. ويجلس القدوس تبارك ليفسر شريعة جديدة سوف تترل على المسيح"[5]. لذا فاليهودي غير معفي من دراسة الشريعة وأداء الفرائض سواء في "أيام المسيح" أو في العالم الآتي. فسوف تترل شريعة جديدة على المسيح في آخر الزمان، ثم يفسرها الرب في العالم الآتي.

د. في حين يرى الآخرون أن الرب سوف يترل شريعة خاصة للعالم الآتي كما ورد في تفسير سفر اللاويين الكبير، عند الحديث عن العالم الآتي استنادا إلى ما ورد في (أشعياء 4/51): "لأن شريعة من عندي تخرج". فقد فسر الربيون الفقرة "لأن شريعة من عندي تخرج" على أنها تشير إلى أن الرب سوف يترل شريعة جديدة في العالم الآتي، وهو تفسير يخرج الجملة عن سياقها، فالنص الوارد في سفر إشعياء يتحدث عن إعادة البهجة إلى صهيون بعد الخلاص، الممثل في

---

[1] التلمود البابلي: مؤلف تلخص فيه الأفكار التشريعية والأسطورية الخاصة بحكماء إسرائيل في فترة ما بعد اختتام المشنا (بداية القرن الثالث)

[2] Robertson : Christians and the return to the promised land OR : Harvest house, London 1999, PP 77-78.

[3] الجامعة الكبير: "يعتمد على التلمود البابلي، وبمقارنته بكتب التفاسير الأخرى يتضح انه أحدثها زمنا. راجع: أبو المجد، ليلى إبراهيم، كيف أصبح جبريل عدوا لليهود، دراسة في توالد التفاسير والمرويات اليهودية، ص 22.

[4] Op.cit P 83.

[5] Op.cit P 85.

العودة من السبي[1].

ه. و هناك من يقول بإبطال الشرائع في أيام المسيح في العالم الآتي فقد ورد في باب السبت في التلمود البابلي: "اعمل حتى تنال مبتغاك فمازال أمرك بيدك، فقد قال سليمان في أمثاله "فاذكر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول: "ليس لي فيها سرور" والمقصود بـ "قبل أن تأتي أيام الشر" هي الشيخوخة، أما المقصود بـ "أو تجيء السنون إذ تقول: "ليس لي فيها سرور" هي "أيام المسيح"، التي ليس فيها حقوق أو واجبات"[2].

و هذا يعني أن الفرد في أيام المسيح معفي من أداء الأوامر والنواهي الواردة في التوراة، كما أنه معفي من تقديم القرابين، وأداء الصلوات التي شرعها الفقهاء خلال فترة السبي عوضا عن تقديم القرابين في "بيت المقدس". ومعفي أيضا من أداء طقوس الطهارة.

و. و ورد أيضا في التلمود البابلي: " شرع فقهاؤنا أن الثوب الهجين (أي الثوب المنسوج من صوف وكتان مثلا)[3] لا يباع للغريب، ولا يصنع منه لبدة[4] للحمار، ولكن يصنع منع كفن للميت. وهذا يعني أن الفرائض سوف تبطل في المستقبل الآتي"[5]. ويقصد بذلك أنه مادام أحلت الأشياء المحرمة عند وفاة الإنسان فهذا يعني أن الفرائض سوف تبطل في "المستقبل الآتي"، ويقصد به "أيام المسيح".

و رغم اختلاف الفقهاء حول موعد تطبيق الشريعة الجديدة هل تطبق في "أيام المسيح" أم تطبق في "العالم الآتي" فإنهم ذكروا بعض الأحكام الخاصة التي سوف تطبق عند نزول المسيح منها:

- **عدم قبول الأغيار والمتهودين:**

يشير ما ورد في باب "العبادة الأجنبية" في التلمود البابلي إلى عدم قبول عبدة الكواكب،

---

[1] راجع نبوءات الخلاص عند إشعياء، الفصل الثالث من الباب الأول، ص 75-78. نقلا عن: صبري إبراهيم، قصد الدهور في التدابير السبعة، دار الثقافة، القاهرة 1995، ص 75.

[2] إبراهيم، قصد الدهور في التدابير السبعة: ص 78.

[3] تحرم شريعة اليهودية لبس ثوب مصنوع من خيوط مختلفة فقد ورد في (لاويين 19/19) "فرائضي تحفظون. لا تزاوج بهائمك جنسين، وحقلك لا تزرع صنفين، ولا يكن عليك ثوب مصنف من صنفين".

[4] اللبدة: هي عبارة عن مسند صغير يوضع فوق السرج لجلوس الراكب.

[5] صبري إبراهيم: قصد الدهور في التدابير السبعة، ص 81.

والمتهودين لن يقبل تهودهم في أيام المسيح على الرغم من التزام المتهودين بأحكام الشريعة: فعلى الرغم من التزام المتهودين بأداء الفرائض بأنهم لن يقبلوا في "أيام المسيح".

كما ورد في باب الأرامل دون أبناء: "شرع فقهاؤنا لن نقبل المتهودين في أيام المسيح، مثلما لم يقبلوا في أيام داود ولا في أيام سليمان. استنادا إلى ما ورد في (إشعياء 15/54): "ها أنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندي. من اجتمع عليك فإليك يسقط". على الرغم من أن الأداة "ها" الواردة في (إشعياء 15/54) تستخدم للإشارة إلى القريب، أي الفقرة التي تتحدث عن أمر وشيك الوقوع فقد فسرت الفقرة على أنها تشير إلى أحداث آخر الزمان. وتم ربطها بعدم قبول المتهودين في أيام المسيح على الرغم من أنه لم ترد أي إشارة تدل على ذلك[1].

وعلى خلاف ما ورد في النصين السابقين ورد في تفسير "مقتطف شمعوني" لإشعياء (23/66): " ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت، أن كل ذي جسد يأتي ليسجد أمامي، قال الرب". أن المقصود بـ "كل ذي جسد أنه حتى الأغيار الذين لم يستعبدوا بني إسرائيل سوف يقبلهم الملك المسيح"[2].

فنهاك تضارب في الآراء حول قبول الأغيار في أيام المسيح، لكن التأكيد على النظرة الدونية إلى الآخر مازالت موجودة فالجميع سوف يأتون ليسجدوا لإله بني إسرائيل وللمسيح – بحسبهم طبعا– !

- **تقديم القرابين:**

أشار تفسير العدد الكبير إلى استمرار تقديم القرابين في أيام المسيح، فقد ورد في تفسير الفقرة (عدد 8/8): "ثم يأخذوا ثورا ابن بقر": "هناك ثلاثة قرابين تقابل المرات الثلاث التي سيبنى فيها بيت المقدس، واحد يقرب أيام سليمان، وواحد يقرب أيام السبي، والثالث يقرب في أيام المسيح"[3].

كما ورد في شروحات تفسير اللاويين الكبير أن قرابين الخطيئة التي تقرب عن الفرد سوف

1 نبوات الخلاص عند أشعياء. نقلا عن قصد الدهور في التدابير السبعة، ص 86.

2 المرجع نفسه، ص 89 وما بعدها.

3 المرجع نفسه، ص 101-107 بتصرف.

تبطل في "أيام المسيح" باستثناء "ذبيحة الشكر"[1] فلن تبطل، أما القرابين التي تقرب عن الجماعة فستظل تقدم في أيام المسيح. أي أن بني إسرائيل سيعفون من تقديم بعض القرابين الفردية في "أيام المسيح"، ولكن العبادة القربانية الجماعية ستظل قائمة.

و تقديم القرابين في "أيام المسيح" لا علاقة له ببناء "بيت المقدس (الهيكل)"، فتقديم القرابين كان على أيام موسى، عليه السلام، و لم يكن هناك بيت المقدس أو هيكل، كما أنها توقفت قبل هدم بيت المقدس الثاني كما ذكرنا سابقا، بالإضافة إلى أنه كما ورد في التلمود وكتب التفاسير أن الغرض من بناء بيت المقدس هو حلول الرب فيه ليسكن بين بني إسرائيل، وليس تقديم القرابين أو أداء الشعائر فيه.[2]

و مما سبق يتضح أن هناك خلافا بين الفقهاء حول ما إذا كان المسيح سوف يحكم في آخر الزمان بشريعة جديدة أم سيبقي على الشريعة اليهودية المعمول بها بين اليهود آنذاك. وبالرغم من ذلك فقد اتفق بعض الفقهاء على أن هناك بعض الأحكام والشرائع سوف تطبق في أيام المسيح مثل عدم قبول الأغيار والمتهودين، وتقديم القرابين الجماعية !

1 ذبيحة الشكر: الأفكار ستيا

[2] ماكدويل جوش: ضلالات الأزمنة الأخيرة. ترجمة: لويس كامل – مكتبة الأخوة، القاهرة 2001، ص ص 61-63

المطلب الخامس: تطور مفهوم المجيء من خلال المدارس اللاهوتية:

نستعرض في هذا المبحث بعض المدارس[1] الفكرية واللاهوتية وطرق تناولها لعقيدة "المجـــيء الثاني للمسيح"، وما هي نقاط الخلاف والاختلاف فيما بينها، آخذين بعين الاعتبار أن مرجعية الاختلافات اللاهوتية الخاصة بهذه العقيدة، تعود لكونها تتناول موضوعا إسخاتولوجيا، أخرويـــا مستقبليا بحتا، ولأنه موضوع نبوي إسخاتولوجي، فهذا يضفي متعة الإثارة والتشويق، والرغبة في البحث والدراسة، فإذا كان الله كلم البشر في ابنه "المسيح"، كأسمى وأعلى وأخر درجـــة مـــن درجات الإعلان الإلهي.

فإن الغريب في الأمر أن كل طائفة "فرقة" من الطوائف المسيحية المختلفة، تفسر الأمـــور المتعلقة بالمستقبل وخاصة المجيء الثاني للمسيح بطريقة تختلف عن الأخرى، طبقا للأدوات التي من خلالها تدرس وتفسر نصص الكتاب المقدس، كما أن الفكر اللاهوتي الذي تتبناه تلك الطائفـــة الذي قد يميزها عن الطوائف الأخرى، والخلفية التي تأتي بها ومن خلالها للكتاب المقدس لتفسير هذا الموضوع، تظهر بوضوح في النتائج والاختلافات التي اعتدنا سماعها –و التي سوف نتعرض لدراستها- ومع كل هذا تبقى دراسة هذا الموضوع بحثا نحو معرفة أعمق وتكريسا أفضل للحياة بجملتها –بحسب التعبير المسيحي-.

أما الحقيقة التي يجب ألا تغيب عن أذهاننا هي أن الاختلافات في هذا الموضوع لا تمـــس جوهر حقيقة مجيء المسيح ثانية، وإنما تتعلق بالتفاصيل المصاحبة لهذا الحدث فقط، وموقع مـــا

[1] ونحن بصدد دراسة بعض المدارس اللاهوتية والتفسيرية المسيحية التي تتناول عقيدة المجيء الثاني للمسيح، نؤكد على الاتفاق العام بين الكنيسة المسيحية بمختلف طوائفها على القضايا والعقائد الأساسية مثل: لاهوت المسيح، الثالوث، الفداء، والمجيء الثاني للمسيح وغيرها، أما الاختلافات فتأتي في جزيئات وتفاصيل العقيدة، هذا معناه أن ما تنادي به طائفة ما، من حيث تفاصيل عقيدة ما، لا يعني بالضرورة موافقة أو اتفاق باقي الطوائف المسيحية عليه، أو أن هذا الرأي يعبر عما يؤمن به المسيحية، وعليه يجب على الباحث المدقق، الدراسة الموضوعية للعقيدة موضع الدراسة حتى يعرف ما تعنيه هذه العقيدة بجزيئاتها، وعمن تعبر من الطوائف المسيحية المختلفة والمتعددة.

يسمى بعقيدة "الملك الألفي" من هذا المجيء، لذلك نحن وإذ ندرس النظريات التي تقدمها تلك المدارس اللاهوتية المختلفة، إنما لنتعرف على طريقة تفكير هذه المدارس وما تؤثر به في تشكيل فهم وذهنية تابعيها للأحداث النبوية والتاريخية والأخروية.

و تعود العلاقة بين عقيدة "الملك الألفي" وعقيدة "المجيء الثاني للمسيح"، إلى ما جاء في سفر الرؤيا، حيث يكتب الرائي: "رأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله. والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته، و لم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم، فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة .. مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة" (رؤيا 4:20، 6)[1]:

و المعضلة الحقيقية في هذا الربط للعقيدتين، هو أن سفر الرؤيا سفر يتسم بالطابع الرؤيوي، وهو ما يعني معاملة النص بطريقة خاصة في التفسير للوصول إلى المعنى الذي كان يقصده الكاتب، وما هو التعليم الروحي من وراء هذا النص بعينه، كما يجب أن يؤخذ في الاعتبار الظروف الزمانية التي جعلت الكاتب ينتهج الرمزية في كتاباته، كما يجب أن نعلم إنه عندما يتعلق موضوع البحث، أو النص الرمزي بعقيدة معينة أن تدرس هذه العقيدة على ضوء الفكر العام للكتاب المقدس، وليس استنادا على بعض النصوص منفصلة وتفسيرها بطريقة حرفية بعيدا عن القرائن الكتابية، ناهيك عن كون هذه النصوص رمزية أو رؤيوية، ويجب أن نتذكر القاعدة التي على أساسها ندرك ما قد يؤدي إليه التفسير الحرفي من مخاطر قد تصل إلى الضلال، فبحسب بولس مؤكدا على أهمية القراءة لا انطلاقا من الحرف، بل اعتمادا على الروح: "كفايتنا من الله، الذي جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد، لا الحرف بل الروح. لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيي" (2 كورنيثوس 6:3، 5)[2].

-مدرسة التفسير الحرفي:

ينقسم معتنقو مدرسة التفسير الحرفي إلى فريقين كبيرين: الفريق الأول يطلق عليه "سابقوا

[1] شاكر عزت: الملك الألفي، مجلس العمل الرعوي الكرازي، القاهرة 2000، ص 33.

[2] نجيب مكرم: المجيء الثاني للمسيح، مرجع سابق، ص 127. مع الملاحظة أن التعليق والتعقيب يكون بحسب الروية المسيحية كما هي عليه في كتبهم ومن مصادرهم.

الألف سنة Pre-Millennium"، وهو جماعة الذين ينادون بأن مجيء المسيح ثانية لابد وأن يسبق فترة الملك الألفي التي سيحكم فيها المسيح الأرض لمدة ألف سنة حرفية، والفريق الثاني يطلق عليه تعبير "لاحقوا الألف سنة Post-Millennium" وهذا الفريق يؤمن بأن مجيء المسيح ثانية سيكون بعد فترة انتهاء الملك الألفي، والاتفاق بين هذين الفريقين هو في "حرفية الألف سنة" التي سيكون المسيح ملكا فيه بصورة حرفية أيضا، أما الاختلاف فيأتي في موعد مجيء المسيح فبينما يعتقد سابقوا الألف سنة أن المسيح سيأتي أولا قبل الألف سنة، بينما يرى لاحقوا الألف سنة أن مجيء المسيح سيكون لاحقا لفترة الألف سنة يسود فيها البر وتكون بمثابة التهيئة لمجيء المسيح ثانية، وهذا الرأي "لاحقوا الألف سنة" يكاد يكون قد انتهى فهو غير شائع في أيامنا هذه، لما وجده أتباع هذا الفكر من صعوبة في تحديد بداية الألف سنة التي سيسود فيها البر ويتعظم شأن السلام الذي يميز العهد أو الملك الألفي، فقد اعتقد البعض أن الألف سنة بدأت في القرن الثامن الميلادي، وقال آخرون أنها بدأت مع بداية عصر الإصلاح، وقال البعض إنها لم تبدأ بعد[1].

أما الفكر الشائع والمنتشر[2] هو فكر "سابقوا الألف سنة "Pre-Millennium"، حيث يعتقدون بأن مجيء المسيح سيكون سابقا لما يسمى بالملك الألفي، أي ملك المسيح حرفيا على الأرض لمدة ألف سنة، وبما أن المسيح لم يأت حتى الآن فإنهم مازالوا يتمسكون بنظريتهم وتفسيرهم الحرفي لعقيدة "الملك الألفي"، وقد نشأت هذه المدرسة مع بداية نشأة الكنيسة، وساعد على انتشار مثل هذا الفكر تأثر مؤمني الكنيسة الأولى بجماعات التهوديين الذين جاءوا من خلفية يهودية لكنهم آمنوا بالمسيحية ودخلوا فيها بينما يحملون معهم بعض الأفكار والأحلام اليهودية، وخاصة أحلام السيادة على العالم، والتحرر من الظلم والعبودية تحت مظالم روما التي كان يعيشها مؤمنو تلك العصور، ومن أولئك الذين آمنوا بفكر "سابقوا الألف سنة" بعض آباء الكنيسة الأولى ومنهم إيريناوس، وغير أولئك من الآباء، كما انتشر هذا الفكر بشدة بين بعض الجماعات الهرطوقية مثل: الإبيونيين، والمونتانيين، وبعض الغنوصيين، وبالرغم من وجود بعض

[1] شاكر عزت: الملك الألفي، ص 37 وما بعدها.

[2] يؤمن بهذا الفكر "سابقوا الألف سنة"، بعض الطوائف والفرق المسيحية ومنها كنائس الأخوة، والكنائس الرسولية، والكنائس المعمدانية، وبعض الطوائف التي تعتبر خارجة عن الإيمان المسيحي العام، ومنها فرقة السبتيين، وجماعة شهود يهوه، ويمكن للباحث الاطلاع على كتاباتهم في هذا الشأن.

المنادين بضرورة فهم المعنى الروحي لملك المسيح، أمثال: أرويجانوس، الذي كتب ضد التفسير الحرفي لسفر الرؤيا، وجيروم، الذي فند فكرة الملك الألفي الحرفي، إلا أن فكر "سابقوا الألف سنة" كان له السيادة واليد الطولى أغلب القرون الثلاثة الأولى من تاريخ المسيحية، وهكذا استمر الحال حتى جاء أغسطينوس ورفض هذا مناديا بالملك الروحي للمسيح[1]، ومع ذلك وبعد عدة قرون عادت هذه المدرسة للظهور بقوة، واكتسبت المزيد من الأتباع، وهذه المدرسة تنقسم إلى فريقين كبيرين هما:

1. التاريخيون Historic Pre-Millennium:

اعتمادا على قدم تاريخية معتنقي هذا الفكر، فمنهم أسقف بابياس (60-130م) أسقف هيرا بوليس بآسيا الصغرى، وجاستن مارتر (100-165م)، وترتليان (160-225م) الذي تأثر بتعاليم المونتانية في هذا الأمر الذي كانوا ينادون به، وهو أن الملك الألفي الأرضي بدأ بالفعل في أورشليم السمائية التي نزلت إلى بلدة ببوزا في فريجية، وإيريناوس (130-200م) الذي ربط بين الملك الألفي بفكرة السبعة آلاف سنة التي يرى أنها عمر العالم، حيث جعل الألف السابعة والأخيرة هي ملكوت المسيح الأرضي مع الأبرار[2]، وتتلخص تعاليمهم في:

1) الكرازة بالإنجيل لكل الأمم.
2) الضيقة العظيمة .
3) ظهور ضد المسيح .
4) قيامة الأبرار، وتغيير جسد المؤمنين الأحياء، ومن ثم الاختطاف .
5) تقييد إبليس لمدة ألف سنة.
6) عودة اليهود للإيمان بالمسيح .
7) ملك المسيح على الأرض لمدة ألف سنة .
8) فك إبليس من قيوده، وضلال للأمم .

---

1 شاكر عزت: الملك الألفي، ص 41.

*Weber Timothy p : second coming, premillennialism, PP 117-119.

[2] إسحق. إميل ماهر، موعد المجيء الثاني والعلامات التي تسبقه، ط1، الانبارويس، القاهرة 1996، ص ص39، 38.

9) الحرب بين معسكر الأشرار ومعسكر الأبرار، وتدخل الله لهزيمة الأشرار .

10) قيامة غير المؤمنين ودينونتهم .

11) العرش الأبيض العظيم .

12) سماء جديدة وأرض جديدة [1].

2. التدبيريون Dispensational:

و يأتي على رأس معتنقي هذا الفكر كنائس الإخوة البليموث، وهم يرون بأن زمان المجيء الثاني للمسيح له أحداثه الخاصة التي لا يمكن أن تنطبق على أي زمان آخر، ونستطيع أن نتناول فكر هذه المدرسة بشيء من التفصيل لسرعة انتشاره :

أ. ملامح ومعالم هذا الفكر "حرفي التفسير":

1) أول ما يلفت النظر في هذا الفكر هو تقسيم التاريخ إلى أزمنة وعهود أو بحسب تسميتهم "تدابير"، وقد جاءت تسميتهم باسم "التدبيريين" نتيجة لاعتقادهم بأن التاريخ ينقسم إلى سبعة عهود، أو سبعة تدبيرات[2]، هذه العهود هي:

- التدبير[3] الأول: تدبير البراءة، ويبدأ من خلق آدم وحتى السقوط
- التدبير الثاني: تدبير الضمير، من السقوط وحتى الطوفان
- التدبير الثالث: تدبير الحكومات البشرية، من الطوفان وحتى تدبير الوعد
- التدبير الرابع: تدبير الوعد (الدعوة) من دعوة إبراهيم وحتى العبودية في مصر
- التدبير الخامس: تدبير الناموس، من الخروج من مصر إلى يوم الخمسين
- التدبير السادس: تدبير النعمة، من يوم الخمسين وحتى المجيء الثاني للمسيح. المملكة، الملك الألفي

[1] لمعي، إكرام، الاختراق الصهيوني للمسيحية، دار الشروق، القاهرة 1991، ص 188-190.

[2] صبري، إبراهيم، قصد الدهور في التدابير السبعة، ص 8.

[3] اصطلاح تدبير يقصد به (حسب فكر التدبيريين) يعني نظام إلهي معين يحكم علاقة الإنسان بالله خلال فترة من الزمان قد تطول وقد تقصر، فيها يختبر الله مدى نجاح الإنسان في طاعته وفي خضوعه لتعليماته ووصاياه قصد الدهور. مرجع نفسه، ص4

- التدبير السابع: تدبير الملك، من دينونة الأمم إلى أورشليم الجديدة

2) الملمح الثاني من معالم هذا الفكر هو نظرهم الحرفية في تفسير نبوات الكتاب المقدس، فهم يرون أن النبوة تتجه للإعلان عن حوادث ستقع في المستقبل، أما المعنى في النبوة بحسب رأيهم هو إسرائيل "شعب الله المختار"، وأن ما تحقق من نبوات وما سيتحقق فهو يخص "إسرائيل" وحدها، حيث لا ارتباط بين الكنيسة والنبوات، يكتب الأستاذ رشاد فكري في كتابة "سفر زكريا مفصلا آية آية" فيقول: "لو أدرك دارس النبوات ما تقوله عن إسرائيل، إنما تقصد به إسرائيل بالذات من جهة قضاء الرب عليه، ورجوع بقية منه للرب وللمجد الأرضي مستقبلا مازالت أمامه الصعوبات التي يجدها في دراسته للأسفار النبوية"[1].

3) الملمح الثالث لهذا الفكر هو الفصل بين الكنيسة وإسرائيل، فهم يعتبرون أن الكنيسة ليست امتدادا لإسرائيل، ونبوات العهد القديم لا يمكن أن تطبق على الكنيسة، فالكنيسة لا مكان لها إطلاقا في نبوات العهد القديم، ويعتبرون أن الكنيسة سر لم يعرف به بنو البشر في العهد القديم[2].

4) يؤمن المنادون بالتفسير الحرفي لنبوات الكتاب المقدس بأن التاريخ إنما تدور عجلته في إطار تاريخ الشعب اليهودي فقط[3]، فإن الله لم يختر غير اليهود، ولم يعنه من البشر غير أمة اليهود، ويدللون على هذا الفكر بما يفسرونه من نبوات جاءت في سفر دانيال (الإصحاحات من 7 وحتى 12)، وما كتبه يوحنا الرائي في سفر الرؤيا (الإصحاح 20)، فهم من خلال تفسير هذه الإصحاحات يعتقدون أن الله كشف لدانيال ما سوف يحدث لشعبه منذ اللحظة التي تنبأ فيها دانيال وحتى ما سيحدث في آخر الأيام، وهو ما يعرف في هذا الفكر بنبوة السبعين أسبوعا التي تكلم عنها دانيال[4]، وملخص هذه النبوة من وجهة نظر معتنقي هذا الفكر، يعتمد على النبوة القائلة: "فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبني سوق وخليج في ضيق الأزمنة. وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى

[1] فكري رشاد، سفر زكريا مفصلا آية آية، ط1، القاهرة 1978، ص 7-12.

[2] المرجع نفسه، ص13.

[3] إدي وليم: الكتر الجليل في تفسير الإنجيل، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت 1973، ص 321 وما بعدها.

[4] المرجع نفسه، ص 371 والتي تليها.

النهاية حرب وخرب قضي بها. ويثبت عهدا مع كثيرين في أسبوع واحد وفي وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضي على المخرب" (دانيال 25:9-27)، وتبعا لتفسيرهم لهذا النص فإنهم يعتبرون أن هذه النبوة تتكلم عن ثلاث مراحل، المرحلة الأولى ويمثلها في النبوة 7 أسابيع، تختص بعودة اليهود من السبي البابلي، يليها المرحلة الثانية وتشمل 62 أسبوعا وتختص بتاريخ إسرائيل إلى الزمان الذي سيدخل فيه المسيح أورشليم، وبعد صلب المسيح يتوقف تاريخ النبوة الخاص بشعب اليهود، ويدخل الأمم في علاقة مع الله، هذه الفترة يسميها أصحاب هذا الفكر، "زمن الكنيسة"، وهي فترة غير محددة المدة، وهي فترة عرضية في التاريخ، وبنهاية هذه الفترة التي ستنتهي باختطاف الكنيسة في مجيء المسيح ثانية، يعود التاريخ مرة أخرى ليحقق الأسبوع الأخير، حيث يعود الله مرة أخرى للتعامل مع شعبه، فيدخله في ضيقة عظيمة مدتها 7 سنوات هي مدة الأسبوع الأخير من نبوة دانيال[1].

5) تبعا لهذه الرؤية التفسيرية فإن القائلين بالتفسير الحرفي يربطون بين هذه النبوات وبين الأحداث العالمية التي يجتازها العالم ويتوقعون أحداثا أخرى ستحدث في المستقبل، منها قيام الإمبراطورية الرومانية القديمة، وانتعاشها من جديد، ويعتقدون أن العالم يتشكل من جديد، ويعتبرون أن العالم مسرحا يعاد تشكيله من خلال الأحداث العالمية لبداية المشهد أو الفصل الأخير، وفي تصوراتهم هذه يؤمنون بأن إسرائيل يجب أن تلعب دورا في الأيام الأخيرة قبل مجيء المسيح ثانية، وأن ما يحدث من تجميع لليهود من أنحاء العالم ما هو إلا تحقيقا لنبوة حزقيال[2]، وأن قيام دولة إسرائيل لهي من أهم العلامات الخاصة بنهاية العالم ودليل قاطع ولازم يسبق ويؤكد قرب المجيء الثاني للمسيح.

و في غرابة شديدة، يربطون بين قيام دولة إسرائيل بمفهومها الحديث وبين قيام الاتحاد الأوروبي، حيث يعتقدون أن الأمة اليهودية والإمبراطورية الرومانية اشتركا معا في صلب المسيح، فنفذ الله في إسرائيل القضاء، وتشتت اليهود وخرب الهيكل وأورشليم، ثم بعد ذلك اختفت الإمبراطورية الرومانية من المشهد العالمي، أما الآن ولأن يوم المجيء الثاني للمسيح قرب، فتبعث إسرائيل والإمبراطورية الرومانية "متمثلة في الاتحاد الأوروبي" ليشهدا معا عودة المسيح ظافرا،

[1] حنا. ناشد: سفر دانيال آية آية، كنيسة الأخوة، القاهرة 1995، ص ص 157-162، راجع أيضا، كتاب هل يشاهد جيلنا نهاية العالم؟ صفحة 51-57، دار الشروق، القاهرة 1998.

[2] راجع سفر حزقيال، 37.

ليؤسس ملكوته الألفي[1].

و الخلاصة أن أتباع هذا الفكر يفصلون تماما بين الشعب القديم "إسرائيل" وبين "الكنيسة" حيث يؤمنون بعودة اليهود من الشتات للإقامة في أورشليم كبداية لأحداث مجيء المسيح ثانية، وينادون بأنه عندما يأتي المسيح سينجي إسرائيل أولا من أعدائها الأرضيين، لكنه لن يتوقف عند هذه النجاة، بل يعود فيجمع ثانية كل إسرائيل ويوحد بيت إسرائيل وبيت يهوذا، ثم يخلصهم ويصنع معهم عهدا جديدا، وسيقوم قديسو العهد القديم في هذا الوقت ليدخلوا في ملك الألف سنة[2]، ويؤمنون أيضا بقيام دولة إسرائيل في فلسطين، وتقسم فلسطين بين الأسباط، لتصبح ملكا لإسرائيل إلى الأبد، وبالطبع يعود الهيكل وتعود إليه عبادته، أيضا سيعود نظام الذبائح القديم، وأخيرا تبشر إسرائيل بالإنجيل للأمم[3]: "و اجعل فيهم آية وأرسل منهم ناجين إلى الأمم إلى ترشيش وفول ولود النازعين في القوس، إلى توبال وياوان إلى الجزائر البعيدة التي لم تسمع خبري ولا رأت مجدي فيخبرون بمجدي بين الأمم" (إشعياء 19:66).

ب. أصحاب نظرية التفسير الحرفي ورؤيتهم لأحداث المجيء الثاني للمسيح:

يضع معتنقو التفسير الحرفي رؤية درامية لأحداث المجيء الثاني للمسيح، فبعد قيام دولة إسرائيل، وقيام الإمبراطورية الرومانية، وتجهيز المسرح العالمي لأحداث مجيء المسيح ثانية، وفي كتاب[4] كتبه الدكتور ماهر صموئيل، وهو من معتنقي هذا الفكر، يصور فيه ما يحدث الآن من ظواهر مثل اتحاد أوربا وظهور العملة الموحدة "اليورو"، "العولمة"، "جنون السفر والسياحة"، "الاستنساخ" وغيرها على اعتبار أنها مؤشرات على اقتراب النهاية، إلا أن رؤيتهم العامة للأحداث النهائية يعتقدون أنها ستتخذ ترتيبا متتابعا هو:

---

[1] شريف حسين: المفهوم السياسي لليهود عبر التاريخ، ج1، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1995، ص 105.
- شاكر عزت: الملك الألفي ص 67 وما بعدها.

[2] ثينسن هنري، محاضرات في علم **اللاهوت النظامي***، ترجمة فريد فؤاد عبد المالك، دار الثقافة، القاهرة 1987، ص 6، 7
*اللاهوت النظامي: يسعى إلى تقديم عرض منظم لكل الحقائق العقائدية في المسيحية

[3] شاكر عزت: الملك الألفي، ص 109 وما بعدها.

[4] صموئيل ماهر، دكتور، ثم يأتي المنتهى، ط1، مكتبة الأخوة، القاهرة 2001، ص 79.

1) الاختطاف[1]، في هذه المرحلة سيأتي المسيح مجيئا سريا لا تسبقه أي علامات، وذلك لاختطاف المؤمنين الأتقياء، حيث تتغير أجساد المؤمنين الأحياء، ويقوم الأبرار من الموت، وهذه الفجائية في الاختطاف سيتبعها اضطراب في العالم[2].

2) الضيقة العظيمة، هي مرحلة تالية للاختطاف، ومدتها سبع سنوات، يأتي على الأرض والساكنين غضب الله، والذي يتمثل في أعمال الضلال، قيام حروب واضطرابات، وستعود قوة روما التي سيحطمها المسيح ...الخ[3].

3) أفراح السماء، ومكافأة المؤمنين أمام كرسي المسيح، وهذه المرحلة تتزامن مع ما تمر به الأرض من ضيق، بينما المؤمنون مع المسيح يتمتعون بأمجاد السماء، حيث يقفون أمام كرسي المسيح يتسلمون مكافآتهم لحين الدخول إلى الحالة الأبدية.

4) الظهور، أي مجيء المسيح بصورة معلنة وظاهرة "L'Epiphanie" يراه فيها كل إنسان، وهدف ظهوره هذه المرة تبوؤ عرش ملكه، أي بداية ملك المسيح لمدة ألف سنة على الأرض، في هذه المدة يعود فيها المسيح إلى الأرض مرة أخرى ليسترد كرامته التي أهينت، وفي نفس المكان الذي أهين فيه "أي أورشليم"، وهذه الفترة الألفية التي يملك فيها المسيح، وأتباعه المؤمنون به، سيميزها بعض البركات الخاصة الروحية

و المادية، منها امتلاء الأرض من معرفة الرب، بناء هيكل الرب، رفع اللعنة عن الأرض،

---

[1] في هذه الجزيئة يختلف القائلون بالتفسير الحرفي إلى فريقين: منهم من يؤمن بأن الاختطاف سيشمل جميع المؤمنين بالمسيح، ومنهم من يقول أن الاختطاف سيتم على مرحلتين، المرحلة الأولى قبل الضيقة وتشمل المؤمنين الذين يتمتعون ببعض المواهب الروحية، أما باقي المؤمنين سيخطفون بعد حدوث الضيقة، راجع: صبري إبراهيم، خطوة بخطوة نحو نهاية العالم، ص 16.

كما تشتمل هذه الجزيئة على آراء أخرى نلخصها جميعا في أربعة آراء هي:

1. الاختطاف يسبق الضيقة، بمعنى آخر أن المؤمنين سوف يختطفون قبل أن تحل الضيقة على الأرض.
2. الاختطاف وسط الضيقة، أي أن المؤمنون سيخطفون أثناء سبع سنوات الضيقة، وتحديدا بعد مرور ثلاث سنوات ونصف.
3. الاختطاف لاحقا للضيقة، أي أن المؤمنون سيجتازون الضيقة كاملة.
4. الاختطاف سيتم جزئيا، وذلك يعني أن الاختطاف لا يشمل جميع المؤمنين، لكن من يختطفون هم الذين اختبروا ملء الروح القدس في حياتهم، وعاشوا حسب مسرة الله، ومستعدون لهذا الحدث. (بحسبهم وعلى حد تعبيراتهم (...)).

[2] شاكر عزت: الملك الألفي، ص 99.

[3] رياض يوسف، مختصر شرح سفر الرؤيا، ط3، كنيسة الأخوة، القاهرة 1997، ص 51-127.

تضاعف قوة إنارة الكواكب، إطالة عمر الإنسان، انتشار السلام واختفاء الحروب ...الخ[1].

5) دينونة الوحش والنبي الكذاب وطرحهما في بحيرة النار، ففي خلال الملك الألفي للمسيح على الأرض سيدان الوحش والنبي الكذاب، ويقيد الشيطان، ليسود العالم السلام، أما في نهاية هذه الألف سنة فإن الشيطان سيحل ثانية لمدة قصيرة، فيها سيبذل قصارى جهده في خداع الناس وتحريضهم على عداوة الله، وسرعان ما يجد استجابة من بعض البشر، الذين يكون هم معسكر الأشرار وليحارب هم الأبرار الذين لم يصدقوا أكاذيبه[2].

6) الارتداد ومعركة معسكر الأشرار ضد الأبرار، وتدخل الله لجانب الأبرار، في هذه المرحلة سيشن الشيطان وأتباعه حرب ضد المسيح وقديسيه، ويحاصر الشيطان مدينة أورشليم الأرضية، بمن فيها من قديسين، وهيكل عبادة الله، إلا أن الله يسرع لنجدة قديسيه فتنزل نار من السماء تبيد الشيطان وجنوده، ويطرح الشيطان نهائيا في بحيرة النار، وينتصر في هذه المعركة المسيح وقديسوه.

7) القيامة العامة، بعد الانتهاء من المعركة الأخيرة بين الله والشيطان، سيقوم الأموات الأشرار منذ خليقة الله، وحتى اللحظات الأخيرة، ليدانوا الدينونة الأخيرة وليطرحوا مع إبليس في بحيرة النار، وتحترق الأرض وتنحل السماء، ويخلق الله سماء جديدة وأرضا جديدة[3].

8) الدخول في الحالة الأبدية، هذه الأبدية لا أزمنة فيها ولا أوقات ولا تدبيرات ولا حدود ولا فواصل ولا دوران، بل حالة دائمة مستقرة نهائية، في هذه الأبدية ستحيا الكنيسة (أي الذين آمنوا قبل مجيء المسيح ثانية)، والقديسون (أي الذين آمنوا خلال الملك الألفي)، وستأتي أمور جديدة وسعيدة بحسب نطق الجالس على العرش[4].

ج. خلاصة فكر مدرسة التفسير الحرفي:

1) سيعود المسيح ثانية بمجد وقوة بينما يعيش العالم تيهان عميق.

---

[1] صبري إبراهيم، خطوة بخطوة نحو نهاية العالم، مؤسسة الدراسات الكتابية 1996، ص 79، 107-120، (راجع أيضا رياض، يوسف. مختصر شرح سفر الرؤيا، مرجع سابق، ص 137).

[2] المرجع نفسه، ص 149.

3 رياض يوسف، مختصر في شرح سفر الرؤيا، ص 156.

[4] صبري إبراهيم، خطوة بخطوة نحو نهاية العالم، مرجع سابق، ص 138-141.

2) مجيء المسيح سيكون لإدانة وإخضاع وتجديد الأرض.

3) هناك قيامتان، الأولى تخص الأبرار، والثانية للأشرار وغير المؤمنين.

4) الاختطاف، ويشمل الأبرار الأحياء، والذين أقامهم الله في القيامة الأولى.

5) يحيا المؤمنون حياة سعيدة لمدة سبع سنين، هي المدة الزمنية التي يحياها الأشرار على الأرض فيما يعرف بزمن الضيقة العظيمة.

6) يملك المسيح ملكا حرفيا على الأرض وستطأ قدميه جبل الزيتون، وسيعطي للمؤمنين به أن يملكوا معه، ويقيد الشيطان لمدة ألف سنة.

7) في نهاية الألف سنة سيحل الشيطان، ويقاوم الله مما يجعل الله يطرحه في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت، يعقب ذلك قيامة الأشرار ومحاكمتهم فيما يسمى بدينونة العرش الأبيض العظيم.

8) يأتي الله بسماء جديدة وأرض جديدة لتكون موطنه مع شعبه وقديسيه.

رسومات توضيحية تبين الآراء المختلفة داخل القائلين بالتفسير الحرفي

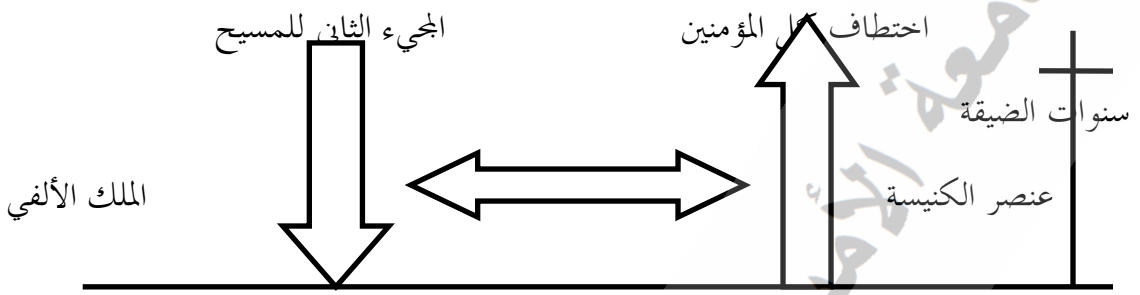

رسم تخطيطي يوضح الرأي القائل باختطاف المؤمنين قبل سنوات الضيقة

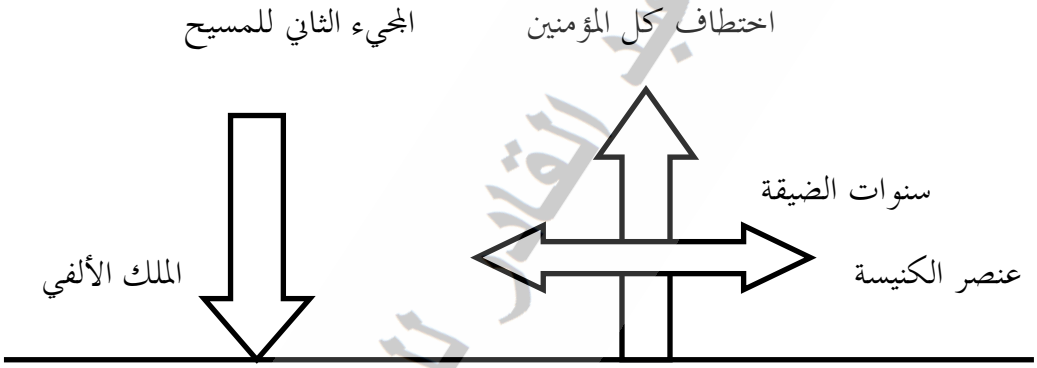

رسم تخطيطي يوضح الرأي القائل باختطاف المؤمنين وسط سنوات الضيقة

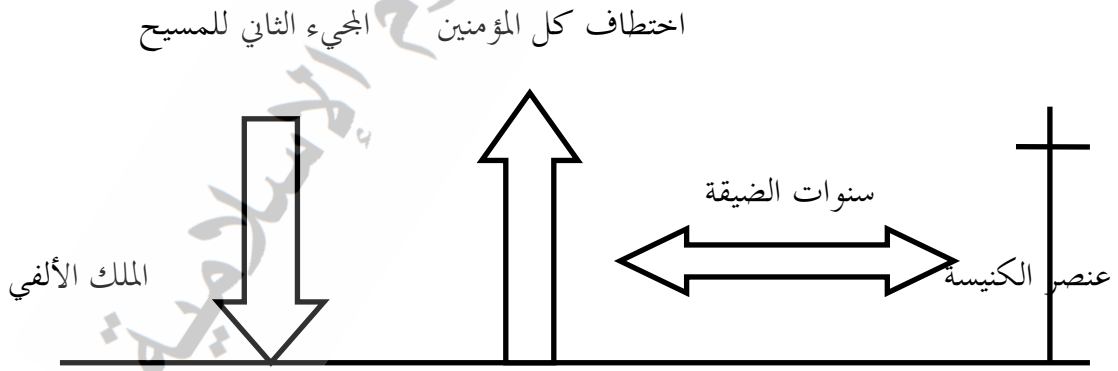

رسم تخطيطي يوضح الرأي القائل باختطاف المؤمنين وسط سنوات الضيقة

-مدرسة التفسير الروحي:

يعتنق فكر هذه المدرسة كلا من الكنيسة الأرثوذكسية[1]، والكنيسة الكاثوليكية[2]، والكنيسة الإنجيلية المشيخية[3]، وبعض المذاهب المسيحية الأخرى التي تمثل غالبية المسيحيين في الشرق العربي، كما أن الكنيسة الكاثوليكية تمثل الأغلبية بين الكنائس المسيحية في العالم.

أ. ملامح ومعالم هذا الفكر "روحي التفسير":

1. الملمح الأول لهذا الفكر هو الإيمان بتدرج الإعلان الإلهي عبر الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، هذا التدرج الذي يوضح ويشرح القصد من كل معاملات الله عبر التاريخ، وهذا يفسر الاختلاف بين نظرتي كل من العهد القديم والعهد الجديد.

2. الملمح الثاني لهذا الفكر هو اعتماد التفسير الروحي للنبوات، ورؤية العهد القديم في ضوء العهد الجديد، وليس العكس، باعتبار أن العهد القديم ونبواته هو "الكتب المقدسة"، والعهد الجديد إنما هو تفسير لهذه الكتب، ويأخذون بعين الاعتبار القواعد التي يجب العمل بها عند تناول النصوص الرؤيوية والرمزية وتفسيرها، حتى لا تأتي بنتائج غير التي قصد بها الكاتب الأصلي، ومثال على ذلك فإنهم يربطون ما جاء في نبوات دانيال بالظروف التاريخية لكتابة السفر وما هي الرسالة التي يريد الله أن يقدمها لشعبه، وعليه فإن سفر دانيال لا يرتبط بنهاية الزمان، ولا علاقة له بسفر الرؤيا، إنما هو يقدم رسالة تعزية وتشجيع للأتقياء من وقت السبي حتى تجسد المسيح في مجيئه الأول، وإن المملكة التي سبت الشعب ستنتهي، وسيأتي بعدها ممالك أخرى وستنتهي أيضا، وفي أثناء ذلك فإن المسيح سيأتي ويقيم مملكته، بمعنى آخر أن مصائر الشعوب بيد الله وليس

---

[1] راجع كتاباتهم ومنها: الحكم الألفي، ملكوت الله، للأب متى المسكين، موعد المجيء الثاني، أحداث المجيء الثاني. للشماس الدكتور إميل ماهر، المجيء الثاني للرب. للأنبا غريغوريوس، وضوح الرؤيا السماوية. للقمص عبد المسيح ثاؤفيلس، وغيرها.

[2] راجع كتاباتهم ومنها: نؤمن لـ تيودل ري – مرميه، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، للأب سليم بسترس.

[3] راجع كتاباتهم ومنها: المجيء الثاني للمسيح ونهاية التاريخ، للقس مكرم نجيب، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي. للقس فايز فارس، ملكوت الله. للقس فهيم عزيز، علم اللاهوت النظامي. لـ جيمس أنس، الملك الألفي. للقس عزت شاكر، عقيدتنا اللاهوتية. ترجمة القس فهيم عزيز، وغيرها.

*المشيخية: الكنيسة الإنجيلية تستمد إسمها من اعتمادها الأساسي والوحيد على الإنجيل ومن نظامها الذي يعتمد على مجلس الشيوخ في إدارة شؤونها.

بيد أحد من البشر، وبذلك يتجلى هدف وقصد النبوة إذ أنها تخاطب بشر يحتاجون لرسالة خاصة من الله، وليس من المعقول أن تكون النبوة تخاطب أناس في زمان ومكان محددين، عما سيحدث لأناس آخرون في مكان وزمان بعيدين جدا عن زمن النبوة[1].

3. التأكيد على أن الكنيسة هي الامتداد الطبيعي لإسرائيل القديم، الذي انتهى دوره بالمجيء الأول للمسيح، وعليه فإن الكنيسة هي نفسها إسرائيل الجديد، إذ أن أتباع هذا الفكر يفرقون بين إسرائيل بحسب الجسد، وإسرائيل الروحي، بين نسل إبراهيم بحسب الجسد، ونسل إبراهيم الروحي، الذي هو المسيح كل من يؤمن به من كل أمة وشعب ولسان، وبالتالي فإنه لا مكان في خطة الله لعودة قومية لليهود، أو قيام وطن لهم، وأن جميع النبوات التي تكلم بها الله عن عودة إسرائيل، تمت بحرفيتها في عودة البقية التقية من الأمناء من شعب إسرائيل القديم من سبي بابل، تمهيدا للمجيء الأول للمسيح وميلاده تحقيقا للنبوات في بيت لحم اليهودية، وأنه لم تأت نبوة واحدة عن عودة أخرى لليهود من الشتات، فحيث أن النبوات الخاصة بإسرائيل جاءت في العهد القديم، تحققت أيضا قبل المجيء الأول للمسيح، و لم يشهد العهد الجديد عن أي نبوات عن عودة إسرائيل، بل كل المواعيد والوعود تخص نسل إبراهيم الروحي، إسرائيل الجديد الذي هو الكنيسة ورأسها المسيح[2].

4. يؤمن أصحاب هذا الفكر بشمولية محبة الله للعالم أجمع وأن اختياره لإسرائيل القديم لم يكن لامتياز خاص بإسرائيل، وإنما القصد من هذا الاختيار كان لإبلاغ رسالة محبته للعالم أجمع، هذا معناه أن التاريخ يهدف لتحقيق خطة الله في خلاص العالم، وليس مقصورا فقط على جماعة خاصة دون بقية الشعوب.

و الخلاصة أن المؤمنين بهذه المدرسة التفسيرية يعتمدون على رؤية نبوات الكتاب المقدس، وخاصة تلك التي تتناول مجيء المسيح ثانية، رؤية روحية، في إطار تفسيرها تفسيرا روحيا بعيدا عن التأثر بالفلسفات العالمية، أو الآراء المختلفة، وهم لا يرون التاريخ من منظور درامي، لذلك فهم لا يفسرون الأحداث المصاحبة لمجيء المسيح ثانية بصورة دراماتيكية، مثلما يفعل أصحاب التفسير الحرفي، كما أنهم، لا يعلمون بعودة إسرائيل إلى فلسطين، وعندما جاء المسيح متجسدا

[1] شاكر عزت: الملك الألفي، ص 146.

2 صبري إبراهيم: خطوة بخطوة، مرجع سابق، ص 154.

لم يقبلوه، لذلك فقد إسرائيل رسالته التي من أجلها اختاره الله وبالتالي انتهت رسالة إسرائيل كأمة، وأصبحوا أمة مشتتة، بيتها ترك لهم خرابا، هذا ما قاله وأكده لهم السيد المسيح، حين قال: "هوذا بيتكم يترك لكم خرابا" (متى 38:23). وكما يذكر الرسول بولس "الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم، واضطهدونا نحن. وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس يمنعوننا عن أن نلكم الأمم لكي يخلصوا حتى يتمموا خطاياهم كل حين. ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية" (1 تسالونيكي 15:2-16). وعلى هذا تكون مواعيد الله قد أصبحت حقا لكل الذين قبلوه، وأعطاهم الحق في أن يصيروا أولاد الله[1]، وبالتاي أصبح المؤمنون بالمسيح هم نسل إبراهيم الذين لهم التمتع بالمواعيد الإلهية، وفي هذا يكتب الرسول بولس: "ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر، ليسس ذكر وأنثى، لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع فإن كنتم للمسيح فأنتم ذا نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة" (غلاطية 28:3-29).

و هكذا نجد أن الأمم أصبحوا: "شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل" (أفسس 6:3). ومن هذا نجد أن إسرائيل قد أبطلت، وأصبح الطريق مفتوحا أمام كل من يقبل المسيح –بالإيمان– أن يصير وارثا لكل المواعيد التي وعد بها الله الآباء[2].

ب. أصحاب نظرية التفسير الروحي ورؤيتهم لأحداث المجيء الثاني للمسيح:

يؤمن أصحاب هذه المدرسة بتاريخية مجيء المسيح ثانية، وكما حدث في المجيء الأول بأن أعد الله وهيأ البشر لميلاده ومجيئه، هذا الإعداد الذي استمر لقرون طويلة، فقبل مجيئه الثاني أيضا سيكون هناك إعداد خاص لمجيئه الثاني، حوادث تحدث قبل مجيئه وأخرى ستحدث أثناء المجيء، هذه الحوادث يسميها الكتاب "سر" أي أن تفاصيلها غير معروفة وستعلن في أوقاتها الخاصة[3].

من هذه الأحداث التي يرى المؤمنون بالتفسير الروحي أنها لابد وأن تسبق مجيء المسيح ثانية، انتشار الإنجيل لكل العالم، انطلاقا من محبة الله للعالم أجمع، الذي يقابل أيضا انتشار الشر

---

[1] إنجيل يوحنا 12:1.

2 الأنباغريغوريوس: المجيء الثاني والحكم الألفي، ط2 منقحة، معدلة ومزيدة، دار الشروق، القاهرة 1999، ص 615 وما بعدها.

3 الأنباغريغوريوس: المجيء الثاني والحكم الألفي، ص 627-629.

وظهور "إنسان الخطية"، وأضداد كثيرين للمسيح[1]، وظهور ضد المسيح[2].

أما من جهة ملك المسيح، فإن أصحاب هذه المدرسة يؤمنون أن ملك المسيح، ملك روحي صرف[3]، لأنه "لأن ليس ملكوت الله أكلا وشربا بل هو بر وسلام وفرح في الـــروح القـــدس" (رومية 17:14). وهو يكمن بداخل قلوبنا، كما قال السيد المسيح "و لا يقولون، هوذا ههنا أو: هوذا هناك لأن ها ملكوت الله داخلكم" (لوقا 21:17). وقد رفض المسيح فكرة الملكوت الأرضي بمعناه الحرفي قائلا: "مملكتي ليست من هذا العالم" (يوحنا 36:18). فهو الملك الروحي الذي يسود على القلوب، وله تخضع القوات والسلاطين، والرياسات في هذا الدهر والدهر الآتي، لأن الله "الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيـــضا، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأسا فوق كل شيء للكنيسة" (أفسس1:20-22).

أما ملك المسيح فقد بدأ منذ صعوده إلى السماء، ولا يزال هذا الملك ثابتا ويمتد في العالم[4]، معنى ذلك أن ملكوت المسيح يتحقق الآن في قلوب الذين آمنوا به، ويملك روحيا على أورشليم التي هي كنيسته، فأورشليم الأولى فقدت ريادتها بالمجيء الأول للمسيح، وأضحت الكنيسة هي جسد المسيح التي تخضع له كما تخضع له كل قوة ورياسة وسلطان، ولا ينتظر أن تأتي الألـــف سنة ليكون ملكا أرضيا، فأي ملك يعادل ملكه الروحي، الذي فيه يملك ويقود شعبه، وأي سلام أفضل من الذي يتمتع به أولئك الذين قبلوا الابن، فتبرروا وصار لهم سلام الله الذي يحفظ القلب والعقل والفكر[5].

---

[1] يقصد بـــ "أضداد المسيح" المعلمون الكذبة والهراطقة، "الذين يدسون بدع هلاك، وإذ هم ينكرون الرب الذي اشتراهم، يجلبون على أنفسهم هلاكا سريعا، وسيتبع كثيرون تهلكاتهم، الذين بسببهم يجدف على طريق الحق" (2 بطرس 2:1-2) أما المقصود بـــ "إنسان الخطية وضد المسيح"، فإن عمله هو مقاومة الله ومقاومة القانون، ويرى البعض أن هذا المقاوم قد يكون شخص يخرج من اليهود، وقد ظن بعض المسيحيين أن هذا الأثيم سيخرج من سبط يهودي، وقال آخرون أنه أممي، وهو يقصدون الدولة الرومانية، والبعض الآخر يرى أنه مسيحي مرتد عن الإيمان. راجع: ماهر إميل، موعد المجيء الثاني، مرجع سابق، ص 33، وأيضا: فهيم عزيز، الفكر اللاهوتي، مرجع سابق، ص 416-417.

[2] نجيب مكرم، المجيء الثاني للمسيح، مرجع سابق، ص 174-180، راجع أيضا: ماهر إميل، موعد المجيء الثاني، مرجع سابق، ص 30-31.

[3] عزيز فهيم، ملكوت الله، دار الثقافة، القاهرة 1988، ص 249.

[4] شاكر، عزت. القس، الملك الألفي، ط1، مجلس العمل الرعوي الكرازي، القاهرة 2000، ص 129.

[5] رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي 7:4 . كما جاء في معنى الفقرة من الإصحاح المذكور

و تؤمن هذه المدرسة التفسيرية أنه لا يوجد ما يسمى بوجود قيامتين، بل قيامة واحـــدة، عامة[1] تحدث في نهاية الأيام، حيث يؤكد ذلك الكتاب المقدس بالقول: "سوف تكـــون قيامـــة للأموات الأبرار والأثمة" (أعمال الرسل 15:74).

"و كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهـــؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدي" (دانيال 2:12)، ويؤكد المسيح على هذا المعنى –بحسبهم-

"لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يوحنا 28:5-29).

-أما عن القيامة الأولى[2] التي جاء ذكرها في سفر (رؤيا يوحنا 5:20). فإنهم يؤمنـــون أن المقصود بهذه القيامة، هو ما يعرف بالقيامة الروحية من بين موت الخطية، لأن جميعنا يعلـــم أن "أجرة الخطية هي موت" (رومية 23:6). وعندما أخطأ آدم الأول بحسب أمر الله، "من أجـــل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رومية 12:5).

و عندما يذكر سفر الرؤيا قيامة أولى إنما يشير بذلك إلى القيامة من موت الخطية وقبـــور خطايانا والذي يقيمنا هو الله من خلال المسيح، فبحسب بولس: " ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مخلصون، وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (أفسس 5:2-6). ويقول في موضع آخر "استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيـــضيء لـــك المسيح" (أفسس 14:5). أنظر (يوحنا 25:5، كولوسي 1:3).

و عندما يقوم الموتى من قبور خطاياهم فإنهم ينتقلون من سلطان الظلمة إلى ملكوت ابـــن محبته (كولوسي 13:1). حينئذ لا يسود عليهم الموت الثاني (رؤيا 6:20). الذي هو الطرح في البحيرة المتقدة بنار وكبريت (رؤيا 8:21). أما القيامة الثانية –كما يسميها الحرفيون- فهي قيامة عامة للأبرار والأشرار معا وتتم في نهاية الزمان.

و هكذا الحال مع الدينونة، فلا توجد أكثر من دينونة واحدة بعد القيامة، حيث دينونـــة

[1] مجيء المسيح وسوابقه التاريخية، (القاهرة: الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، 1993)، ص 37. (دون مؤلف)

[2] فارس فايز: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ط2، دار الثقافة، القاهرة 1979، ص 200

العرش الأبيض العظيم، ومن هذا لا نرى أكثر من مرحلة لمجيء المسيح، كما يؤمن أصحاب نظرية التفسير الحرفي، بل هو مجيء مرة واحدة، ونهائية ولا تصاحبه الأحداث الدراماتيكية التي يرسمها الآخذون بالتفسير الحرفي[1].

و يعتقد أصحاب هذا الفكر أنه في نهاية الأيام، سيحل الشيطان ويحدث ارتداد عظيم وضيقة على كل الأرض قبلما يأتي المسيح في مجده ليقيم جميع الأموات، ثم الدينونة، فالدخول في الحالة النهائية حيث السماء الجديدة والأرض الجديدة.

فقط يختلف أصحاب مدرسة التفسير الروحي فيما بينهم في تحديد مرة الملك الألفي للمسيح، وهل هي ألف سنة حرفية أم مدة طويلة فحسب؟

منهم من يقول: أن رقم ألف سنة يشير إلى عدد كبير لا حصر له (راجع تثنية 10:1، 9:7، أخبار الأيام 15:16، مزمور 8:105، جامعة 6:6). لذلك فهم يؤمنون أن الألف سنة الواردة في سفر الرؤيا ليست ألف سنة حرفية، إنما تشير إلى فترة طويلة لا يعلم مداها[2].

و منهم من يقول: أن فترة الألف سنة لا بد وأن تكون فترة محددة، لكن اختلفوا في بدايتها ونهايتها، فمنهم من اعتقد أن بداية هذه الألف سنة، كانت مع قسطنطين أول إمبراطور مسيحي في التاريخ، ومنهم من نادى بأن الألف سنة هي الفترة التي تسبق المجيء الثاني للمسيح مباشرة، بينما يرى البعض أن الألف سنة هي مدة فيها يملك المسيح روحيا على القلوب، من وقت مجيئه بالجسد، وحتى مجيئه الثاني، في هذه الفترة يعمل المسيح، ويقيم الكنيسة، وتنهض فيها المبادئ المسيحية، وينتشر فيها الإنجيل إلى كل مكان، ويقيد الشيطان ويسقط مهزوما[3].

---

[1] شاكر عزت، الملك الألفي، مرجع سابق، ص 151.

[2] المرجع نفسه، ص 153-155.

[3] نجيب مكرم، المجيء الثاني، مرجع سابق، ص 195-196.

و يوجد من يعتقد أن الألف سنة مرتبطة بفكرة "اليوم السابع" في عمر البشرية بالمعنى المشار إليه في نظرية سابقوا الألف سنة، مع فارق هام هو أن المجيء روحي، وليس منظورا كالذي ينادى به في النظرية الأخرى[1].

ج. خلاصة فكرة مدرسة التفسير الروحي:

1. أن الله يحب جميع البشر من كل الأمم، بلا تمييز بين أمة وأخرى .
2. ملك المسيح، ملك روحي .
3. مجيء المسيح ثانية سيكون في نهاية الزمان .
4. ليست هناك إلا قيامة واحدة عامة، وما القيامة الأولى سوى قيامة روحية من موت "الخطية".
5. الألف سنة تعبير مجازي يشير لفترة ملك المسيح روحيا على قلوب أتباعه .
6. في نهاية الألف سنة سيحل الشيطان ويحدث شر وارتداد عظيم.
7. الدخول في الحالة الأبدية، حيث السماء والأرض الجديدة .

-نظريات ومدارس تفسيرية أخرى:

1. الرأي التوفيقي:

قادة هذا الفكر يتخذون مسلكا يحاول الجمع بين التفسير الحرفي والتفسير الروحي معا، على أنهم يميلون أكثر نحو التفسير الروحي، وملخص فكرهم:

أ. يعتقدون بفترة ضيقة عظيمة، وهي فترة سوف يعاني فيها العالم عامة واليهود خاصة، مهما ظن اليهود أنهم بمأمن من الضيق حتى ولو كانوا يعيشون في حالة استقرار سياسي أو اقتصادي.

ب. الملك الألفي حقيقة سوف تأتي سريعا وهذا الملك إنما هو تحقيق ملكوت الله بقوة لأنه

[1] الأنباغريغوريوس: المجيء الثاني والحكم الألفي، ص 643 وما بعدها.

إن كان ملكوت المسيح قد بدأ فعلا وهو الآن يملك على القلوب والقوات، إلا أن هـــذا كلـــه مقدمة لمجيء ملكوته بقوة، فهذه حقيقة إسخاتولوجية تنتظر كمال تحقيقها.

ج. يتفق قادة هذا الفكر في أن الشيطان سيحل زمانا يسيرا ليحاول جمع الأمم ضد قديـــسي الله، لكن الله سيتدخل بقوة ويزل بهم هزيمة نكراء، يعقبها طرح إبليس وأعوانه في بحيرة النـــار، يأتي بعد ذلك القيامة العامة، الدينونة، ثم الحالة النهائية حيث مسكن الله مع المؤمنين[1].

2. الرافضون للملك الألفي A Millennium:

من الكنائس التي ترفض عقيدة "الملك الألفي" كنائس الله[2]، بل يعتبرون أن هذه العقيدة من العقائد الزائفة، بينما يتفق أصحاب هذا الرأي مع معتنقي مبدأ التفسير الروحي، في كل تفاصيل عقيدة "المجيء الثاني للمسيح"، أما عن نقاط الخلاف فهي تنحصر فقط في رفضهم لفكرة وجود الألف سنة، ويعتقدون أن هذه الفكرة ما هي إلا بدعة[3] اخترعها عقل الإنسان،

و هي عقيدة زائفة، ظهرت وشاعت ووجدت صدى في الأوساط المسيحية، ويـــرون أن الأسس التي تقوم عليها هذه العقيدة واهية ولا يمكن التمسك بها من حيث:

1) النص الذي تعتمد عليه هذه العقيدة جاء مرة واحدة في الكتاب المقدس في الإصحاح 20 من سفر الرؤيا، وهو سفر رؤيوي غامض ممتلئ بالمجاز والتشبيهات[4].

2) التفسير الحرفي للنصوص الرمزية بما يتنافى وقواعد الفن الأدبي الذي كتب فيه سفر الرؤيا.

3) رغبة الإنسان في العودة إلى أفراح وسعادة جنة عدن، هو الأساس الذي يأتي به للتفكير في هذه العقيدة .

و عن الأسباب التي يعتقدون لأجلها أن فكرة الألف سنة فكرة زائفة[5]، فمفادها أنّه:

1. لن يكون هناك زمن للألف سنة لأن الزمن سينتهي بمجرد مجيء المسيح ثانية،

---

1 فايز فارس: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ص 207-209.

2 عزيز فهيم: ملكوت الله، مرجع سابق، ص 259-261.

3 بسترس سليم، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ج3، منشورات المكتبة البولسية، بيروت 1988، ص 331.

4 نجيب مكرم، المجيء الثاني، مرجع سابق، ص 161.

5 وليمز الكبير، كارل سي، الأمور المتيقنة عندنا، مرجع سابق، ص 188-190.

"و أقسم بالحي إلى أبد الآبدين الذي خلق السماء وما فيها والأرض وما فيها والبحر وما فيه أن لا يكون زمان بعد" (رؤيا 6:10). وحينما لا يكون هناك زمن لا تكون هناك حدود الزمن !

2. لن يكون هناك مكان للألف سنة، لأن الأرض ستتلاشى، وتحترق، وتذوب عندما يأتي المسيح ثانية، "و لكن سيأتي كلص في الليل، يوم الرب، الذي فيه تزول السماوات بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها" (2 بطرس 10:3)

3. لن تكون هناك حاجة للألف سنة، لأن الخلاص الكامل متاح منذ فداء المسيح وهو متاح الآن أيضا لجميع البشر. فلا حاجة لألف سنة أخرى لكي يخلص بضعة نفر من اليهود أو غيرهم[1].

المطلب السادس: التوظيف الصهيوني لعقيدة العودة الثانية للمسيح*:

انطلاقا من أهمية عقيدة مجيء المسيح ثانية في الفكر المسيحي، وما تمثله هذه العقيدة من أمور إسخاتولوجية ترتبط بأحداث نهاية التاريخ، وجدت الحركة الصهيونية العالمية في عقيدة "مجيء المسيح ثانية"، الفرصة المواتية لاختراق المفهوم المسيحي من خلال هذه العقيدة بمحاولة ربط عقيدة المجيء الثاني للمسيح، بعقيدة مجيء "المسيا المنتظر"، في المفهوم اليهودي، حيث وجدت من اعتماد المسيحيين على العهد القديم بنصوصه ونبواته فيما يخص السيد المسيح في مجيئه الأول والثاني، ونشأة المسيحية في أحضان الديانة اليهودية، طريقا سهلا لتوظيف عقيدة "مجيء المسيح ثانية"، كتابيا وتاريخيا لخدمة أغراض الصهيونية الاستعمارية في اغتصاب واحتلال أرض فلسطين مدعية أنها في ذلك إنما تحقق مواعيد الله في الكتاب المقدس التي وعد بها إبراهيم، وشعبه القديم "بني إسرائيل[2]"، وإعدادا وتمهيدا لمجيء المسيح ثانية، حيث تعتبر أن قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين علامة على اقتراب موعد المجيء الثاني للمسيح[3].

---

1 عزيز فهيم: ملكوت الله، ص 273.

* لمزيد من الدراسة في هذا الموضوع، راجع: لمعي، إكرام، الاختراق الصهيوني للمسيحية، دار الشروق، القاهرة 1991.

2 سيأتي الحديث لاحقا عن إسرائيل في الكتاب المقدس، والمفهوم المسيحي.

3 يعتقد بعض المسيحيين بأن قيام دولة إسرائيل هي تحقيق لنبوات الكتاب المقدس، ومرحلة من خطة الله لتاريخ العالم، وضرورة لابد وأن تسبق مجيء المسيح ثانية، وسوف نتناول لاحقا دراسة هذا الرأي والرد عليه.

فمن المعروف أن المسيحية نشأت بين الأجواء اليهودية، وقد كان التلاميذ، وطليعة المؤمنين الأوائل من اليهود الذين آمنوا المسيح ورسالته، وكانت البشارة المسيحية في أول الأمر تتجه لليهود سواء المقيمين في أورشليم، وأرض اليهودية، أو أولئك الذين في الشتات، في بلاد العالم المختلفة، قبل أن تتجه الرسالة المسيحية للأمم، وحتى حين اجتمع أول مجمع للكنيسة في تاريخها، كان في أورشليم، بقيادة تلاميذ المسيح، الذين لم يكونوا قد أطلق عليهم بعد لقب "مسيحيين"، فلأول مرة في تاريخ المسيحية يطلق على التلاميذ والمؤمنين بالمسيح لقب "المسيحيين" كان في أنطاكية (أعمال الرسل 22:11).

و قد عانت الكنيسة في بداية عهدها مما عرف بجماعة "التهوديين[1]"، أولئك اليهود الذين آمنوا بالمسيح، لم يتخلصوا من أفكارهم اليهودية القديمة، وحاولوا أن يجعلوا من المسيحية امتدادا طبيعيا لليهودية، بل وحاولوا أن يدخلوا كل مؤمن بالمسيح من الأمم، إلى اعتناق اليهودية أولا قبل أن يصبح مسيحيا، لكن التلاميذ والرسل، كانت لهم وقفة جادة في وجه هؤلاء وأبطلوا حججهم الداعية لتهويد المسيحيين، وهكذا صارت المسيحية تجمع في جنباتها مؤمنين من الأمم، واليهود الذين بينما احتفظ كثير منهم بجذور عقائدهم اليهودية، كانت عقيدة المسيا المنتظر، (التي تغيرت في المفهوم المسيحي لتصبح عقيدة مجيء المسيح ثانية)، بكل الاختلافات التي تصاحب حوادث عودة المسيح ثانية،

وفكرة الشعب المختار، والأرض الموعود بها، وكل ما يشبه الأحلام المسيانية اليهودية، نقطة اختراق ساعدت الصهيونية العالمية في اختراق المسيحية، في محاولة لجذب التأييد العالمي، ومراكز القوى العالمية، مستغلة في ذلك التنافس بين الدول الكبرى لصالح مخططاتها، وهذا ما يبرر ما قام به زعماء الصهيونية في القديم بالتحالفات السياسية سواء مع الدولة العثمانية، أو القيصرية الروسية، أو بالتحالف مع إنجلترا، أو ألمانيا، وما يجري حديثا يشهد عن هذا المخطط، فليست الأهمية لاسم القوى العالمية، ولا لأيدلوجياتها، أو تعارضها، إنما الهدف هو خدمة الهدف

[1] التهوديون: هم جماعة اليهود الذين آمنوا بالمسيح، ومع ذلك احتفظوا بعادات اليهود القديمة، ونادوا بضرورة تطبيق كل ما جاء في شريعة موسى على الذين يدخلون في المسيحية، فكانوا يعتقدون بضرورة الختان، والتبرير بأعمال الناموس، لكن بولس أثبت خطأ ما كانوا ينادون به.

الصهيوني.

و على الصعيد الديني نجحت الصهيونية في تكوين حركات، وجهات ومؤتمرات تسمى بأسماء مسيحية صهيونية مشتركة، مثل "حركة المسيحية الصهيونية، هيئة السفارة المسيحية، المؤتمرات المسيحية الصهيونية، ... الخ".

و **تتلخص الادعاءات الصهيونية في الحوادث المصاحبة لمجيء السيد المسيح ثانية**، بالقول أن قيام دولة إسرائيل، والتي يشار إليها بشجرة التين في الكتاب المقدس، هو تأكيد لتلك النبوة بأن شجرة التين ستعود وتفرخ من جديد قبيل عودة المسيح، وذلك أيضا هو بداية لانتهاء ما يسمى بأزمنة الأمم، تلك الفترة التي يسمح الله فيها للأمم بقبول رسالته، كما أن عودة يهود الشتات هي إحدى العلامات البارزة التي تسبق مجيء المسيح ثانية، ينادون أيضا بانتهاء عصر الكنيسة لتحل محلها إسرائيل، التي سينضم إليها المسيح بعودته الثانية لنصرتها ضد قوى الشر فيما يسمى بمعركة "هرمجدون"[1]، وهي معركة يؤمنون أنها ستقوم ضد إسرائيل، من جهة، وقوى الشر في العالم من جهة أخرى، وسيعلن ملكوته وستكون أورشليم عاصمته، ونتيجة للدور الإعلامي والآلة الإعلامية الكبرى التي تسيطر عليها الحركة الصهيونية، تغلغلت تلك الأفكار لتجد من يؤمن بها في الأوساط المسيحية، عن غير قصد أو معرفة أن هذه الأفكار ليست من المسيحية، بل هي توظيف صهيوني لحقائق الإيمان ويتطلب مجابهته والتصدي له ! [2]

[1] غريس هالسل: النبوة والسياسة، مرجع سابق، ص 167.

2 محمد السماك: الدين في القرار الأمريكي، ط1، دار النفائس، بيروت 2003، ص 19.

الفصل الثاني :

الأبعاد العملية لليوم الآخر

وأثرها على الأفراد والمجتمعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطـــــئة:

الإيمان باليوم الآخر، يوم الحساب، يوم العدل، يوم ينال فيه الذين استضعفوا حقهم مـــن الذين استكبروا يوم يكافؤ المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على ما اقترفت يداه. وهو يـــوم يخلد فيه المؤمنون في نعيم مقيم، والجاحدون الظالمون في عذاب أليم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذاب جهنم فيستريحوا.

و الحياة في التصور الإسلامي ليست هي الفترة القصيرة من عمر الإنسان، إنها تمتد طولا في الزمان فتشمل الحياة الدنيا والحياة البرزخية والحياة الآخرة، وتمتد في المكان فتشمل السماوات والأرض التي نعيش فيها، وتشمل الدار الآخرة بما فيها من جنة عرضها كعـــرض الـــسماوات والأرض. ونار تضم العصاة والكافرين من كافة الأجيال على مدى هذه الحياة يهوي بها العاصي سبعين خريفا أعاذنا الله منها ونجانا من عذابها.

بينما يتضاءل تصور غير المسلمين في هذه الحياة حتى ينحصر في هذه الدنيا المحدودة الأجل فيقولون:

-" وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤ " (الجاثية 24).

من هذا الاختلاف في التصور: تختلف القيم والمفاهيم ويتحدد السلوك في الحيـــاة الـــدنيا، ولهذا وصف الله سبحانه وتعالى سلوك اليهود والذين أشركوا في هذه الحياة، بقوله :

-" وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٩٦ " (البقرة 96).

أية حياة، لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مميزة على الإطلاق –حياة فقط– ذلـــك أنهم لا يرجون لقاء الله، ولا يحسون أن لهم غير هذه الحياة (ظلال القرآن 122/1).

بينما ينطلق المسلم من مفهومه الواسع في الحياة إلى حب الخير ومقاومة الظلم، والتضحية في سبيل المثل الإنسانية:

-" وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ " (الأنفال 39).

وعلى هذا يكون التباين الواضح في سلوك الأمم والشعوب القديمة والحديثة يرجع إلى عقيدة اليوم الآخر يوم الحساب والجزاء !

المبحث الأول: الأبعاد والآثار على المجتمع الإسلامي :

المطلب الأول: مظاهر الإيمان باليوم الآخر وآثارها في النفس والمجتمع

الإيمان باليوم الآخر ذو أهمية كبيرة في حياة المسلم، إنه يدفعه إلى العمل الجاد المنضبط بروح متفائلة مطمئنة، وهو ذو أثر عميق في التربية النفسية والاجتماعية. وهذه بعض آثار الإيمان باليوم الآخر في النفس والمجتمع:

1. تخفيف وقع المصائب على النفس الإنسانية:

يعيش الإنسان في هذه الحياة يكد ويكدح ليكسب قوته وقوت عياله، ويتطلع لتحقيق آماله يخفف عنه عناء التعب من حوله ممن يرتاح للقائهم: والديه، زوجته، أولاده، أقاربه وأصدقائه. وبينما هو في معترك الحياة يفاجئه ملك الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات وهو لا يملك له ردا ولا لدعوته تأخيرا. فيسلمه أغلى ما لديه روحه التي بين جنبيه. تاركا أحبابه وأصحابه، وأمواله وأملاكه، يذهب فريدا وحيدا لا يؤنسه إلا ما قدم من عمل صالح وما تزود من زاد، فإن خير الزاد التقوى. فلو لم يكن هناك لقاء آخر في العالم الآخر يسعد فيه الأب بلقاء أبنائه والأبناء بلقاء والديهم والزوج بلقاء زوجته والزوجة بلقاء زوجها والأخ في الله بلقاء إخوانه، والمؤمنون بلقاء حبيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الموت صدمة أليمة ووقعها على النفس عظيما. لذا كان اليوم الآخر نعمة من الله ورحمة بالمؤمنين. كما أن اطمئنان المفجوعين إلى حسن خاتمة موتاهم يخفف عنهم ألم الفراق ويمنيهم بأمل اللقاء.[1]

2. و هو ضروري لإقامة الحق والعدل:

لأن الإنسان بفطرته يحب العدل ويكره الظلم والإيمان باليوم الآخر خير ضمان لسيادته وذلك لأن الإنسان اجتماعي بطبعه مضطر للعمل والتعاون مع الآخرين وهو مفطور على حب الجاه والمال:

-" وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ " (العاديات 8)

[1] نقلاعن: عبد الغني عبود: اليوم الآخر والحياة المعاصرة، دار الفكر العربي 1978، ص 78.

فإنه إذا لم يقنع بما قسم الله له: اندفع للاعتداء على الآخرين، ويقع الصراع بين الحق والباطل، وقد يتغلب أهل الباطل على أصحاب الحق فإن لم يكن هنالك أمل في استرداد الحق ولو بعد حين في عالم ينصف فيه المظلومون من الظالمين: عاش الإنسان معذبا مقهورا، حاقدا مهموما، يترع إلى الشر والانتقام دون ضوابط فهو إما أن يلجأ إلى ظالم أشد منه قوة ليأخذ له حقه ممن ظلمه، أو قد يدفعه رد الفعل إلى الظلم والانحراف والاحتيال كرد فعل ليخفف بعض ما وقع عليه من ظلم، لذا كان الإيمان باليوم الآخر رحمة من الله بعباده يعطي المظلومين أملا في استرداد حقهم يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا. وذلك بالأخذ من سيئات المظلومين وطرحها على سيئات الظالمين أو بالأخذ من حسنات الظالمين وطرحها فوق حسنات المظلومين[1].

3. و هو ضروري لضبط السلوك من الانحراف:

نرى ضعفاء الإيمان والذين لا يؤمنون باليوم الآخر يقبلون على الدنيا بنهم شديد.

الحياة عندهم مادة وحسب إنها غايتهم في الحياة.

يعملون لها ليل نهار. يجمعون ما يمكنهم جمعه للاستمتاع في هذه الحياة دون حدود ولا ضوابط. لا مانع لديهم أن يستغلوا الفقراء والضعفاء ولا مانع لدى الفقراء أن يحتالوا على الأغنياء ليأخذوا منهم ما يؤمن لهم الاستمتاع في هذه الحياة. إنهم في سباق مع الزمن قبل أن تنقضي الحياة التي ما بعدها حياة بنظرهم فإذا لم يتمكنوا من تحقيق متعهم عاشوا في ضيق وتشاؤم قد يقعد بعضهم عن العمل. أما المؤمنون باليوم الآخر فالمادة عندهم وسيلة للعيش الكريم يبذلون الجهد، يخلصون في أعمالهم فإن لم يجدوا سعة للاستمتاع بنعم الله التي أحلها لعباده صبروا راضين ومتفائلين بما بشرهم الله به في اليوم الآخر في جنات وهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

لذا كان الإيمان باليوم الآخر مدعاة للعمل بروح متفائلة لا يعتريها ملل ولا فتور[2] ولا جشع ولا طمع. وهو بالتالي يساعد على تحمل العنف وشظف العيش فعندما ضاقت زوجات النبي بعيشة التقشف والفاقة طالبنه بحياة منعمة فجاء تخييرهن من الله تعالى:

---

1 عبد الغني عبود: اليوم الآخر والحياة المعاصرة، ص 101.

2 الشيرازي (صدر الدين): حقائق البعث والنشور، تحقيق عبد القادر غظا، ط1، دار التراث العربي 1984، ص 213.

-" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ " (الأحزاب 28-29).

4. يحض المؤمنين على فعل الخير:

الذين لا يؤمنون باليوم الآخر يحجمون عن فعل الخير. إنهم قاموا بالتزاماتهم اتجاه أسرهم ولا ضرورة مساعدة المحتاجين أو المساهمة في المشاريع الخيرية والإنسانية فهم أولى من غيرهم بهذا المال يستمتعون به كيف يشاؤون إذ لا مبرر عندهم لتقديمه للآخرين إذا لم يعد عليهم بالفائدة الشخصية في هذه الحياة التي ما بعدها حياة بتصورهم.

أما الذين يؤمنون باليوم الآخر فيقبلون على فعل الخير بنفوس متعطشة لإرضاء الله. وما يقدموا من خير يجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا، في حياة أبدية تغمرها السعادة والنعيم المقيم[1].

5. يقوي الوازع الداخلي والرقابة الذاتية:

اشتغل الذهن الإنساني منذ القدم بكيفية إجبار الناس على سلوك طريق الحق. فإذا ارتدعت الرعية خوفا من السلطة فمن الذي يردع السلطة إذا جانبت الحق والصواب؟ إن رهبة عقاب الدنيا لن تنجح في قمع انحرافات الإنسان فالجميع يعرف طرق الكذب والرشوة والمحسوبية واستغلال النفوذ التي تحول دون العقاب، ولن ينفع أسلوب في قمع الجرائم إلا الدافع المنبعث من داخل قلب الإنسان وهذا غير متاح إلا في عقيدة الآخرة.

يقول فولتير: "إن أهمية الإله والحياة الآخرة عظيمة جدا حيث أنهما أساسان لإقامة المبادئ

1 أحمد بن الحسين البيهقي: البعث والنشور. نقلا عن: عامر أحمد حيدر، ط1، نشر مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت 2006، ص 93.

الأخلاقية"[1].

إن الذين يرون أن الآخرة فكرة خيالية ينبغي أن يفكروا: كيف أصبحت فكرة خيالية ذات أهمية قصوى بالنسبة إلى واقع حياتنا؟ لماذا لا نستطيع بدونها إقامة نظام اجتماعي سليم؟

إن الحاجة إلى الآخرة أمر ملح لتنظيم الحياة على أسس عادلة حقيقية !

حيث ينتفي الإيمان باليوم الآخر ينعدم الوازع الداخلي فمادام ليس هناك بنظرهم حياة أخرى ولا جنة ولا نار ولا نعيم ولا جحيم ولا حساب وعذاب فما هو المبرر لكبح جماح النفس ومقاومة الشهوات فلينطلقوا إذا دون حدود أو ضوابط ما دام أحدهم يصل إلى ما يريد في غيبة القانون بعيدا عن رقابة السلطة ورجال الأمن !

أما المؤمنون باليوم الآخر فيحسبون لرقابة الله حسابا قبل حساب القانون ورجال الأمن لأنهم إن نجوا من عقاب القانون فلن ينجوا من عقاب الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وما قصة البنت التي طلبت منها أمها أن تضيف الحليب ماء فكان جوابها الخالد الذي تتندر به ألسنة المؤمنين قالت لها: لئن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا [2]! أليس في ذلك دليل على أثر الوازع الديني الذي تمتاز به الشريعة الدينية عن القوانين الوضعية وما هذا الوازع إلا ثمرة من ثمرات الإيمان باليوم الآخر والخوف من عقاب الله آنذاك.

سئل أعرابي: أتصوم في هذا اليوم الحار قال نعم أصومه ليوم أحر منه ! [3]

6. يبعث في النفس الطمأنينة:

إن شعور المسلم النفسي بأنه في دار ابتلاء:

-" قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى

[1] اليوم الآخر والحياة المعاصرة، ص 98-99.

[2] أخرجه النسائي في السنن الكبرى (1203)

- و الطبراني في المعجم الكبير (16304)

[3] اليوم الآخر والحياة المعاصرة، ص 113.

لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ " (النمل 40)

و أن مرده إلى الله في دار البقاء دار ينال فيها الناس نتيجة عملهم في الحياة الفانية كما ينال الطالب نتيجة دراسته في آخر العام فيأخذ المقصرون كتابهم بشمالهم منكسي الرؤوس يقول الواحد منهم: "يا ليتني لم أوت كتابيه و لم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانية". أما المؤمنون الطائعون فيأخذون كتابهم بيمينهم مرفوعي الرؤوس يقول الواحد منهم مفتخرا: "هاؤم اقرؤوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية". هذا الشعور وهذا التصور هو الذي يبعث الأمل في النفس الإنسانية والتفاؤل والطمأنينة لا يبالي بالمصاعب والعقبات ذلك لأن أجره محفوظ وحقوقه مصانة وحسابه مع الظالمين بين يدي أحكم الحاكمين وأقوى الأقوياء من إذا أخذ الظالم لم يفلته.

وتعليل النفس بالآمال يعينها على الرضا بالمتاعب وبحبسها عما تكره لتنال ما تحب، في الحياة الباقية:

-" وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ " (العنكبوت 64) والحيوان تعني الحياة الحقيقية ! [1]

7. عقيدة اليوم الآخر تحض على العمل والبعد عن الكسل:

يظن البعض أن الإيمان باليوم الآخر يقعد صاحبه عن الجد والعمل منتظرا الطيبات يوم القيامة ويقعده عن العمل لنيل حقه على أمل أن يأخذه يوم القيامة وهكذا، ولكن هذا التصور خاطئ من أساسه، لأن تعاليم الإسلام تحارب الكسل وتدعو إلى الجد والعمل:

[1] أحمد فائز: اليوم الآخر في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 63.

-" وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ " (الزلزلة، 8)

-" وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ " (التوبة، 105)

-" قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ " (الكهف، 110)

فإن لم ينل المسلم بغيته من متع الحياة في الدنيا بعد بذل الجهد عوضه الله خيرا منها في الآخرة إن عف واستقام ! وإن حاول أن ينال حقه من الظالمين و لم يفلح. أخذ الله له حقه يوم القيامة بكل تأكيد فما عليه إلا بذل الجهد وحسن القصد والتوكل على الله والنتائج بعد ذلك بيد الله تعالى ! [1]

8. الإيمان باليوم الآخر يرفع الروح المعنوية للمستضعفين ويبعث العزة في نفوس المؤمنين:

كثيرا ما يرى المؤمنون: المنحرفون والملحدون والظالمون والمفسدون والمنافقين في نعمة ورخاء وعز وسلطان وكثيرا ما يلقون منهم ضروب الظلم والأذى والهزء والسخرية والتطاول والافتراء فيقابل المؤمنون ذلك بترفع واستعلاء دون ضعف أو تخاذل لأن القوي بنظرهم هو الله فلا يهابون طواغيت الأرض ولا يهادنونهم أو يتقربون منهم ويصبر المؤمنون أمام ذلك الابتلاء بنفوس صابرة محتسبة مطمئنة إلى أن الآية ستنعكس في دار العدل والبقاء فتنقلب غطرستهم إلى ذلة وانكسار، وقوتهم إلى ضعف وسخريتهم بالمؤمنين إلى تودد واستعطاف. .

اسمع إن شئت إلى قوله تعالى:

[1] اليوم الآخر والحياة المعاصرة، ص 104 وما بعدها .

-" لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ " (آل عمران، 196)

-" يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ " (الحديد، 13)

و لقد فصل القرآن في مشاهد اليوم الآخر ليكون عبرة للمؤمنين ونذيرا للكافرين يدفع المتعقلين إلى الاستقامة على منهج الخير والإصلاح في الدنيا ليسعدوا في الآخرة ! [1]

9. يضفي السعادة على أفراد المجتمع كافة:

إن المجتمع الذي يحسب فيه لله حسابا ويتزود المرء فيه لآخرته عملا صالحا وسلوكا مستقيما طاعة لله تعالى وخشية من عقابه. يعيش الفرد فيه سعيدا آمنا، حرا كريما. لذا كان الإيمان باليوم الآخر ضرورة اجتماعية إنسانية يجب أن نحرص على سيادتها بين أفراد المجتمع كافة. لأن المجتمع الذي لا يؤمن باليوم الآخر تسوده شريعة الغاب، الحق فيه للأقوى والبذل فيه للكسب الشخصي، الخير فيه معدوم والرحمة مفقودة والإنسان فيه تعيس معذب ! [2]

10. مصلحة الوطن في الإيمان باليوم الآخر:

كما أن الإيمان باليوم الآخر ضرورة وطنية ذلك لأن المجتمع المثالي الذي يعرف كل مواطن فيه واجباته تجاه وطنه فيؤديها ويخشى أن يحاسبه الله يوم القيامة عن التفريط فيها يسهر للدفاع عنه ويعتبر نفسه على ثغرة من ثغوره فلا يسمح لأحد أن ينفذ من قبله. يجعل هذا الوطن منيعا مصانا عزيزا كريما ! [3]

المطلب الثاني: في علاقة المسلمين بأهل الكتاب:

[1] أحمد فايز: اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص 81 وما بعدها.

2 اليوم الآخر والحياة المعاصرة، ص 107.

3 المرجع نفسه، ص 117 وما بعدها (بتصرف).

لا يستقيم لنا الأمر في بحث العلاقة بين الإسلام والأديان، ما لم نحدد بدقة، مفهوم هـــذه العلاقة اصطلاحا، باعتبار أن التعايش هو المحور الرئيس للقضية موضوع الدراسة برمتها.

بالرجوع إلى الدلالة اللغوية للتعايش، التي هي الأصل في اشتقاق الاصطلاح، نجد في المعجم الوسيط، تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي، وعايشه: عاش معه. والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل.[1]

و إذا دققنا في مدلولات مصطلح التعايش (coexistence) الذي شاع في هذا العصر، والذي ابتدأ رواجه مع ظهور الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية اللتين كانتا تقسمان العالم إلى معسكرين متناحرين قبل سقوط سور برلين وانهيار الاتحاد السوفياتي، نجد أن البحث في مـــدلول هذا المصطلح يقودنا إلى جملة من المعاني محملة بمفاهيم تتضارب فيما بينها، ولكن يمكن تصنيفها إلى مستويات ثلاثة:

- **المستوى الأول**: سياسي، إيديولوجي، يحمل معنى الحد من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في المرحلة السابقة، أو العمل على احتوائـــه، أو التحكم في إدارة هذا الصراع بما يفتح قنوات للاتصال، وللتعامل الذي تقتضيه ضرورات الحياة المدنية والعسكرية. وقد عرف التعايش، أول ما عرف، على هذا المستوى الأول.

- **المستوى الثاني**: اقتصادي، يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب فيما لـــه صلة بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية، من قريب أو بعيد.

- **المستوى الثالث**: ديني، ثقافي، حضاري، وهو الأحدث، ويشمل –تحديدا– معنى التعايش الديني، أو التعايش الحضاري، والمراد به أن تلتقي إرادة أهل الأديـــان الـــسماوية والحـــضارات المختلفة في العمل من اجل أن يسود الأمن والسلام في العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جو مـــن الإخاء والتعاون على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا، من دون استثناء.

انطلاقا من هذه المستويات الثلاث، وعلى ضوء المفهوم المحدد الذي نستخلصه منها نتعامل مع مصطلح التعايش، وننظر في أبعاده ومراميه.

[1] المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الثاني، ص 639-640، طبعة دار الفكر.

و لما كان الإسلام قد اوجب الإيمان بجميع الرسل وعدم التفرقة بينهم: " ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ " (البقرة، 285)، وبين أن التفرقة بينهم في الإيمان هي الكفر حق الكفر، وأن الإيمان بالجميع بغير تفرقة هو الإيمان حق الإيمان، فإن ذلك يؤكد تأكيدا قاطعا على عالمية الرسالة الإسلامية، ويثبت إنسانية هذا الدين. وهذا –كما يقول الشيخ محمد رشيد رضا– مبني على الإيمان بأن دين الله تعالى الذي أرسل به جميع رسله، واحد في أصوله ومقاصده من هداية البشر وإصلاحهم وإعدادهم لسعادة الدنيا والآخرة، وإنما كانت تختلف صور العبادات والشرائع باختلاف استعداد الأقوام، ومقتضيات الزمان والمكان، حتى بعث الرسول العام بالأصول الموافقة لكل زمان ومكان، مع الإذن بالاجتهاد في المصالح التي تختلف باختلاف الأطوار والأحوال، وقد انفرد بهذه الحقيقة العادلة، المسلمون من دون أهل الملل والأديان. فقد كرم الإسلام بهذا نوع الإنسان، ومهد به السبيل للألفة والأخوة الإنسانية العامة.[1]

وعالمية الإسلام تجعل الثقافة والحضارة الإسلاميتين منفتحتين على حضارات الأمم، ومتجاوبتين مع ثقافات الشعوب، مؤثرتين ومتأثرتين. إن الإسلام ينكر (المركزية الحضارية) التي تريد العالم حضارة واحدة، وتسلك سبل الصراع –صراع الحضارات– لقسر العالم على نمط حضاري واحد، لأن الإسلام يريد العالم (منتدى الحضارات) متعددة ومتميزة، ولكنه مع ذلك لا يريد للحضارات المتعددة أن تستبدل التعصب بالمركزية الحضارية القسرية، إنما يريد الإسلام لهذه الحضارات المتعددة أن تتفاعل وتتساند في كل ما هو مشترك إنساني عام.[2]

و إذا كان الإسلام دينا عالميا، فإنه في جوهر رسالته وحقيقة مبادئه، لا يعني أيضا (المركزية الدينية)، التي تريد العالم دينا واحدا، فهو ينكر هذه المركزية الدينية، عندما يرى في تعددية الشرائع الدينية سنة من سنن الله في الاجتماع الديني، لا تبديل لها ولا تحويل:

[1] محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ط6، مكتبة القاهرة 1960، ص 153. والعنوان

[2] محمد عمارة، العطاء الحضاري للإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1997، ص 121.

-" وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ " (المائدة، 48)

-" وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ " (هود، 118-119)

فهو سبحانه قد خلقهم للتنوع والاختلاف، لكنه يريد لكل الملل والشرائع والديانات وحدة جامعة لتنوعها، ورابطة ضابطة لاختلافها، وحدة في: توحيد الخالق المعبود، وفي الإيمان بالغيب، وفي العمل الصالح، فهذه هي أصول الدين الإلهي الواحد، التي اتفقت فيها وعليها كل الشرائع والنبوات والرسالات، من آدم، إلى إبراهيم، إلى موسى، إلى عيسى، إلى محمد، عليهم جميعا الصلاة والسلام.[1]

و مبدأ عالمية الرسالة هو من مبادئ الإسلام الراسخة، وهو الأساس الثابت الذي تقوم عليه علاقة المسلم مع أهل الأديان السماوية. ومن هذا المبدأ تنبع رؤية الإسلام إلى التعامل مع غير المسلمين. فلا تكتمل عقيدة المسلم، إلا إذا آمن بالرسل جميعا، لا يفرق بين أحد منهم. وهذا هو البعد الإنساني الذي يعطي للتسامح في الإسلام مساحات واسعة.

[1] العطاء الحضاري للإسلام، ص 119-120.

-" ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ " (آل عمران 2-4)

-" وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٦ " (سورة الصف، 6)

و لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساسا راسخا لعلاقة المسلم مع غير المسلم، على أنه انفلات، أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين، فهذا التسامح لا يلغي الفارق والاختلاف، ولكنه يؤسس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام أن تسود حياة الناس، فالتأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية، لا سبيل إلى إلغائه، ولكن الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التعارف بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينها.

إن الحقيقة التي لا شك فيها هي أن الإسلام يؤكد على إعلاء الرابطة الدينية على كل رابطة سواها، سواء أكانت رابطة نسبية، أم إقليمية، أم عنصرية، أم طبقية، فالمسلم أخو المسلم، والمسلم أقرب إلى المسلم من أي كافر بدينه، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، وهذا ليس في الإسلام وحده، بل هي طبيعة كل دين، وكل عقيدة.[1]

[1] يوسف القرضاوي: فقه الدولة في الإسلام: مكانتها، معالمها، طبيعتها، موقفها من الديمقراطية والتعددية والمرأة وغير المسلمين، ط1، ص197، دار الشروق 1997، ص 197.

و لكن الرابطة الدينية هذه لا تنفى روابط شتى تشكل قاعدة للحياة المشتركة بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان السماوية. يقول الدكتور يوسف القرضاوي، إن هناك ألوانا من الأخوة الدينية، فهناك الأخوة الوطنية، والأخوة القومية، والأخوة الإنسانية.[1]

ليس ثمة ما هو أبلغ في الدلالة وأوفى بالقصد في التأكيد على العلاقة بين الإسلام والأديان من الآية الكريمة:

-" قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ " (آل عمران، 64)، في الدلالة على عمق مبدأ التعايش في مفهوم الإسلام.

ذلك أن المساحة المشتركة بين المسلمين وبين أهل الكتاب مساحة واسعة. وإذا كان الإسلام قد جعل في قلوب المسلمين متسعا للتعايش مع بني الإنسان كافة، ففيه من باب أولى، متسع للتعايش بين المؤمنين بالله، وإن كان هذا التعايش لا يعني أننا متفقون في كل شيء، فإذا اشترطت ألا أبذل الحسنى إلا لمن كان مثلي تماما (مسلما أم غير مسلم)، فمعنى ذلك أنني لا أحب إلا نفسي، وأن الاختلاف معناه العداوة[2].

إن التعايش في الإسلام ينطلق من قاعدة عقائدية، وهو ذو جذور إيمانية، ولذلك فإن مفهوم التعايش من منظور الإسلام، ليس هو من جملة المفاهيم الوضعية الحديثة التي صيغت منها قواعد القانون الدولي، إن المسلم يعتقد أن الهدي الإلهي جاء عبر سلسلة طويلة من الرسالات والنبوات آخر حلقاتها اليهودية، فالمسيحية، فالإسلام، فمن الطبيعي إذن أن تكون هذه الأديان الثلاثة أقرب إلى بعضها بعضا منها إلى سائر الأديان، ويسمي القرآن المسيحيين واليهود (أهل الكتاب)، لأن الله سبحانه وتعالى أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى عليهما السلام،

[1] يوسف القرضاوي: فقه الدولة في الإسلام: مكانتها، معالمها، طبيعتها، موقفها من الديمقراطية والتعددية والمرأة وغير المسلمين، ص195.

[2] حسان حتحوت: رسالة إلى العقل العربي المسلم، ط1، دار المعارف، القاهرة 1998، ص 154.

قبل أن يتلقى محمد عليه الصلاة والسلام، الرسالة في اكتمالها مصدقة لما بين يديها، ومصوبة ومصححة ومفصلة أمور الشريعة والقانون بجانب العبادات والأخلاق، فنزل القرآن الكريم وهو الوحيد الباقي على أصله الذي نزل به في لغته الأصلية، كلمة بكلمة وحرفا بحرف.[1]

و من أبرز مظاهر التعايش الذي ساد الحضارة الإسلامية عبر العصور، أن الإسلام يعتبر اليهود والنصارى أهل ديانة سماوية، حتى وإن لم يكن هذا الاعتبار متبادلا، وعلى الرغم من ان عدم الإيمان بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، هو عندنا أمر عظيم وشأن خطير، بل هو أمر فارق، فإن الإسلام قد استوعب هذا الخلاف، لا بالتهوين من أمره، أو المهادنة العقيدية له، ولكن بما رسمه في باب المعاملات من تعاليم تسمح بالتواصل والتراحم رغم خلاف المعتقد.[2]

و التسامح في المنظور الإسلامي هو ثمرة التصور الإسلامي للإنسان الذي يقوم على أساس معيارين اثنين، أولهما تحديد غاية الوجود الإنساني، التي يتخذ الإنسان الأسباب لتحقيقها، ومن ثم الالتزام بالأسباب التي تتواءم مع هذه الغاية ولا تصادمها، وثانيهما هو مد الوعي بالوجود الإنساني إلى ما وراء الحياة الدنيا القصيرة الفانية، إلى الحياة الخالدة الباقية !

لقد خلق الله الإنسان لأهداف أخرى غير التي خلق الحيوان من أجلها، و لم يكن خلقه مجرد إضافة حيوان جديد إلى قائمة الحيوان، إنما كان إيجاد جنس آخر من الخلق، خلقه الله بقدرته، ليعبد الله على وعي، ويعمر الأرض بمقتضى المنهج الرباني، ومن أجل هذه الغاية وهب له ما وهب من المزايا، وأنزل الكتب لهدايته على أيدي الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، وكان من أهداف إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط.[3]

و من ضروب القسط أن يسود التعايش بين الأمم والشعوب، بالمعنى الراقي للتعايش الذي يقوم على أساس العدل في المعاملة، والمساواة في العلاقة. وبهذا المعنى فهم المسلمون القسط في قوله تعالى:

-" لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ

[1] حسان حتحوت: رسالة إلى العقل العربي المسلم، ص 154.

[2] المصدر نفسه، ص155.

[3] محمد قطب: حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ط1، دار الشروق، القاهرة 1998، ص 81.

لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ " (الحديد، 25)

و قد طبق المسلمون القسط على المستوى اللائق بالإنسان، سواء في معاملة من لا يؤمن بالإسلام ومبادئه، أو في نظافة المجتمع من الفاحشة، أو في الخدمات الإنسانية التي تقدم للناس، أو في التعاون على البر والتقوى، ويشهد التاريخ أن معاملة المسلمين لغير المسلمين في البلاد المفتوحة، كانت مثالا رائعا من التسامح لا مثيل له في التاريخ، ويتضح مدى نبله بالمقارنة مع وضع الأقليات الإسلامية التي تقع تحت سيطرة اليهود والنصارى والمشركين عامة.[1]

و لعل من أكبر الأدلة وأقوى الحجج على قيام الحضارة الإسلامية عبر العصور على أساس متين من التسامح في أسطع معانيه، هو تعايش المسلمين مع أهل الديانات والملل والعقائد في البلدان التي فتحوها خلال هذه القرون المتطاولة.

و لو ذهبنا نستقرئ شواهد التاريخ، لما استطعنا أن نحصر في بحث محدود المجال، الأمثلة الحية على التعايش الإسلامي العديم المثال مع أهل الأديان جميعا، السماوية منها، وغير السماوية، في حين لا نجد أي مظهر من مظاهر التسامح والتعايش في أدنى مستوياته، لدى غير المسلمين.

و لنا أن نقارن بين مشهدين من المشاهد المؤثرة في التاريخ الإنساني، الأول هو دخول الخليفة عمر ابن الخطاب إلى بيت المقدس فاتحا، والثاني هو استيلاء القائدين الصليبيين (جودفري) و(تانكرد) على القدس. وننقل عن المؤرخ (تيلور) ما رواه في كتابه (عقل القرون الوسطى) عن المشهد الثاني على لسان أحد القساوسة الذين شاهدوا المدينة بعد استيلاء الصليبيين عليها، وهو القس (ريموند الأجيلي)، فيقول: " ... وشاهدنا أشياء عجيبة إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقتل غيرهم رميا بالسهام، أو أرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق القلاع، وعذب آخرون أياما عدة ثم ألقوا في النيران، وكانت الطرقات مليئة بأكوام الرؤوس والأيدي والأقدام،

[1] محمد قطب: حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية،ص82.

وكان الإنسان أينما ركب جواده وسار، يسير بين جثث الخيل والآدميين".[1]

أما المؤرخ (ول ديورانت) فيروي في موسوعته (قصة الحضارة) عن بعض المعاصرين لهذه الحملة قولهم: "إن النساء كن يقتلن طعنا بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يختطفون بأرجلهم من أثداء أمهاتهم ويقذف بهم من فوق الأسوار، أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد، وذبح السبعون ألفا من المسلمين الذين بقوا في المدينة".[2]

و نحن لا نسوق هذه الشواهد التاريخية، إلا لنؤكد على أن التسامح في الإسلام أصل أصيل، وأن التعايش بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الكتاب، مبدأ ثابت من المبادئ التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، لا يدفعنا إلى ذلك الرغبة في إنكاء الجراح واستحضار مساوئ التاريخ، إنما يحفزنا إلى الرجوع إلى صحائف التاريخ المشترك بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان والشرائع والملل، حرصنا الأكيد على أن نوضح، وبقدر ما نستطيع إلى ذلك سبيلا، أن التعايش هو قيمة من القيم التي اصطبغت بها الحضارة الإسلامية عبر الأحقاب. أما ما وقع عند دخول الخليفة عمر رضي الله عنه إلى بيت المقدس، فهو صورة مشرقة للتسامح الإسلامي الذي رسخ قاعدة التعايش الديني والحضاري الثقافي، فقد دخل عمر بيت المقدس، فتلقاه البطريرك وطاف معه أرجاء المدينة حتى دخل كنيسة القيامة، فلما حان وقت الصلاة، قال للبطريرك: أريد الصلاة، فقال له: صل في موضعك، وكان في قلب الكنيسة، فأبى خشية أن يقتدي به المسلمون، ويقولون هنا صلى عمر، فصارت الصلاة لنا في داخلها حقا، وقد يؤول بهم الأمر إلى الاستيلاء على الكنيسة مخالفين بذلك ما نص عليه في العهد العمري[3] من احترام كنائسهم وتركها بأيديهم، على مظنة أن ما فعله عمر بموافقة البطريرك، تعديل لما شرط في العهد، بل إن عمر خرج وصلى على درج باب الكنيسة، وبعد أن انتهى من صلاته، كتب أمرا بأن لا تقام في هذا المكان صلاة جماعة، ولا يؤذن فيه مؤذن، ثم أتى عمر الصخرة فبنى عليها مسجد الصخرة.[4]

---

[1] تيلور: عقل القرون الوسطى، ج1، ص 551، نقلا عن "تطور المجتمع الدولي" للدكتور يحيى الجمل، ص27، دار القلم، القاهرة، 1966. ويتكرر هذا المشهد بهذه الرواية في موسوعة "قصة الحضارة"، ج4، مجلد 4، ص 25.

[2] ويل ديورانت: قصة الحضارة، ج4، مجلد4، ص25، الترجمة العربية لمحمد بدران، وهو المجلد الخاص بـ "عصر الإيمان"، ويضم الجزءين 15 و16 من الطبعة العربية التي نشرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سنة 1988.

[3] محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ج1، ص 228-243، دار المعارف، ط8، القاهرة 1986، ص 228-243.

[4] المستشار علي علي منصور: الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، دار القلم، القاهرة، د.ت ص 379.

و على ضوء ما تقدم وكما أسلفنا الإشارة، فإن العبرة من رواية هذا الجانب من تاريخ العلاقات الإسلامية – المسيحية، تكمن في تنوير العقل بحقيقة تاريخية شديدة الوضوح، وهي أن التسامح في الإسلام، هو عقيدة ثابتة وسلوك اجتماعي راق منطلقه وأساسه: الجزاء الأخروي بل هو منهج حياة طبقه المسلمون في حياتهم الخاصة والعامة، فكان تعاملهم مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، مثالا رفيعا عن نظيره للتعايش، وهو الأمر الذي يؤكد بما لا يرقى إليه الشك، أن المسلمين رواد السلام، وأنهم يملكون وفي كل الأحوال استعدادا ذاتيا ليتعايشوا مع من يرغب من أهل الأديان والشرائع والملل والعقائد، في أن يتعايش معهم، من دون أن يكون هذا الاستعداد، تفريطا في خاصية من خصائص هويتهم، أو تخليا عن معتقد من معتقداتهم، أو تنازلا عن حق من حقوقهم. وإنما هو تعايش يخدم أغراضا إنسانية سامية، من خلال التفاهم والتعاون والعمل المشترك في الميادين التي تحقق هذه الأغراض !

-تعقيب حول علاقة المعتقد بالسلوك :

و لقد قرر الله سبحانه وتعالى حقيقة الحياة الثانية بعد الموت. وأنها حياة الحساب والجزاء، وإقامة العدل الرباني في الخلائق، فالحياة الأولى حياة الابتلاء، والحياة الثانية حياة الحساب والجزاء، وإقامة العدل الرباني في الخلائق، وأنها حياة أخرى خالدة، الحياة الدنيا حياة ابتلاء مؤقتة، حياة ابتلاء فانية، والحياة الآخرة، حياة جزاء خالدة، بعد هذه الحياة الأولى الفانية القصيرة المدى، التي هي حياة الامتحان والابتلاء، المحاطة بظروف الامتحان اللازمة على أتم وجه وأدقه.

إن طبيعة هذه الحياة مصممة بشكل دقيق، على أن تكون حياة ابتلاء، حيث التفاوت في المستوى المعاشي، فهل يشكر هذا الغني؟ وهل يصبر هذا الفقير؟ هناك ابتلاء في قوة الجسد، وضعفه، أفيشكر هذا الصحيح؟ وهل يصبر هذا السقيم؟

جعل الله الحياة الدنيا متفاوتة تفاوتا كبيرا من أجل أن يكون الابتلاء صحيحا، ولقد قرر الله سبحانه و تعالى حقيقة هذه الحياة الآخرة في اليوم الآخر والدار الآخرة في جميع الأديان السماوية، وأنزلها على جميع رسله عليهم الصلاة والسلام، وهذه نقطة مهمة جدا، لأن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان العقيدة في كل الديانات السماوية، فما من دين سماوي إلا وأحد أركان الإيمان فيه : "الإيمان باليوم الآخر".

لكن الله عز وجل في معرض وجوب الإيمان باليوم الآخر ينوع وسائل العرض، فتارة يأمر

الإيمان باليوم الآخر، وتارة ينهى عن الكفر به، وتارة يصرح حيث لا يدع شبهة في التصريح، وتارة يرغب في الجنة، وتارة يرهب من النار، وتارة يشير، ويلمح في مقام حث المؤمنين على العمل الصالح، وتارة يمثل ...

-" وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ " (الكهف، 45)

و هذا التمثيل والتشبيه لتقريب حقيقة هذه الحياة الثانية إلى الأذهان، وتارة بإقامة البراهين، والحجج المنطقية الدافعة في مناقشة منكري البعث، وتارة بوصف ما في هذه الدار الآخرة من نعم ونقم، وعذاب أليم، وجنة ونار وعرض وحساب وميزان وصراط، إلى غير ذلك من مشاهد وصور.

لا يخفى على متعهد كتاب الله بالتلاوة أو بالسماع كثرة الآيات الكريمة، التي تنوه بالبعث من مختلف أطرافه، وبالحياة الآخرة من مختلف ألوانها، فعقيدة الإيمان باليوم الآخر، وما في هذا اليوم من حقائق ثابتة، عقيدة معلومة من الدين بالضرورة.

و قد بينا من قبل أن هناك مجموعة عقائد، يجب أن تعلم بالضرورة، ولا يعفى أي مسلم من مغبة الجهل بها، فلا عذر للجاهل، لكن التبحر في بعض العلوم فرض كفاية، غير أن هناك بعض الحقائق، وبعض المعتقدات الأساسية يجب أن تعلم بالضرورة، فكان حضور مجالس العلم يرقى إلى مستوى الفرض، من اجل أن تعرف العقائد التي لابد أن تعتقد بها، لأن هذه العقائد أساسية في تحرك الإنسان.

من كانت عقيدته صحيحة كان عمله صحيحا، ومن كانت عقيدته زائغة كان عمله زائغا،

والدليل ناصع كالشمس، هذا الذي يأكل مالا حراما، لماذا أكله؟ لأنه اعتقد أن الحياة هكذا ! خلق الإنسان بلا مسؤولية ! أما إذا علم علم اليقين أنه سيحاسب عن هذا المال الحرام حسابا عسيرا، وإذا اعتقد أن هذا المال ربما تلف وأتلف صاحبه ابتعد عن الحرام.

هناك علاقة أساسية، وعلاقة خطيرة جدا بين المعتقد، وبين السلوك: هذا الـــذي يعتقـــد اعتقادا جازما، أن كثرة ملح الطعام يسبب ارتفاع الضغط، وأن الارتفاع في الضغط مرض خطير قاتل، إذا بلغ علمه حد اليقين في خطورة ملح الطعام، يعزف عن الطعام المالح، ولو كـــان مـــن أشهى أنواع الطعام، لأن قناعته اليقينية أن ملح الطعام يسبب له متاعب لا حصر لها تمنعه مـــن تناول ملح الطعام، هذا على المستوى الصحي. فإذا كان جاهلا، و لم يعرف خطورة هذه المـــادة وأثرها، في رفع الضغط، وفي حبس السوائل في الجسم، وفي إرهاق القلب، تناول من الملح بشكل يرضي ذوقه، يقول لك : هذا الطعام لا يأكل، أضف إليه الملح حتى نستسيغ طعمه !

و هكذا علاقة العقيدة لها علاقة بالسلوك، وكلما ارتقى مستوى اليقين كلما سما العمـــل، ولا يمكن لإنسان أن يستقيم على أمر الله إلا إذا صحت عقيدته، فإذا لم تصح فهو يقترف مـــن الآثام، ويقتنص من الشهوات، وينغمس في الملذات، حيث يبدو، وكأن عقيدته غير سليمة.

إذا اعتقد الإنسان أن هذه الصلاة لا لزوم لها، وأنها حركات لا معنى لها، وإنها عبء على الإنسان، وقد يترك المرء الصلاة إنكارا لحقها فيكفر، وقد يتركها تهاونا فيفسق، فالمعتقد شـــيء مهم جدا !

إذا اعتقدت أنه لابد من أكل الربا، هكذا الحياة، هذا المال لا ينبغي أن يبقى مجمدا، ولابد من أن يستثمر بربح مضمون، من دون قلق، ولابد من وضعه، واستثماره بفائدة عالية، إذا اعتقد الإنسان مستحلا الربا فقد كفر ! أما إذا غلب، فأغره بريق الذهب في أن يستثمر ماله، معتقـــدا حرمة الربا فهذا فسق، والفرق بين الكفر والفسق فرق بين صحة العقيدة، وبين زيغ العقيدة !

المسلم يعلن دائما: أنه يؤمن باليوم الآخر، ولا ينكر شيئا من احوال الآخرة وحقائقها التي جاء الإخبار عنها بطريق يقيني صادق، فلا ينقص منها شيئا، فإذا قرأ الإنـــسان في كتـــاب أن الإنسان أصله قرد، وأن هذا الذي جاء في كتاب الله ليس صحيحا، حيث إن الإنسان أصله من آدم، الذي كان في الجنة مع حواء، وهبطا منها، هذه القصة التي وردت في القرآن الكـــريم، إذا اعتقد أنها غير صحيحة، وقع في الكفر، إذا ما موقفه من هذه النظرية؟ لا بد أن يأخذ منها موقفا واضحا، يجب أن يدحضها بالدليل العقلي والنقلي، أما أن يبقى في ذهنه صحة هـــذه النظريـــة وصحة هذه السورة التي وردت فيها قصة سيدنا آدم فهذا مستحيل، وجمع بين النقيضين ! فلابد أن يأخذ موقفا عقائديا صحيحا، إما أن يؤمن بالله، وكتبه، وفي مقدمة كتبه القرآن الكريم، وإما

أن يعد في عقيدته زائغا وكافرا.

إذا .. فلا ينقص منها شيئا، ولا يزيد عليها شيئا من محض الخيال، والتصور، لأنها من أمور الغيب، التي لا يستطيع العقل أن يعرف عنه أية صورة، وهذا شيء نلح عليه كثيرا، أمور الغيب، عالم الأزل، وعالم الأبد، عالم الموت، عالم البرزخ، عالم البعث، عالم النشور، عالم الجنة، عالم النار، عالم الملائكة، عالم الجن، هذه الأشياء المغيبة عنا، لا سبيل للعقل لمعرفتها عن طريق الاستدلال، بل لابد من الاستسلام لما جاء من الأخبار عنها، وهذه عقيدة المؤمن الصحيحة، يجب أن يكون إيماننا بالله إيمانا تحقيقيا، أما الذي أخبرنا الله عنه، فالإيمان به إيمانا تصديقيا !

المبحث الثاني: الأبعاد والآثار على المجتمع الغربي:

المطلب الأول: في المظهر الاجتماعي:

مهما تحلينا بفضيلة نسيان الماضي، وتحكمنا في المشاعر الدينية استجابة لضرورات التجرد الموضوعي في البحث، فلا نملك أن ننكر أن تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية، عبر الأزمنة العابرة، لم يكن فيه الجانب المسيحي يعرف للتسامح معنى من المعاني، و لم يكن تعامله مع المسلمين يرتقي إلى مستوى التعايش. وليس من البحث العلمي في شيء، ولا من الأمانة التاريخية، أن نتجاوز عن هذه الظاهرة التاريخية المسجلة في أصح المراجع، من دون الإشارة إليها، للاعتبار، تحت دعوى التجرد، أو عدم التعصب، أو نسيان مساوئ الماضي.

إننا، وبمنتهى التسامح، وبكل الرغبة في التعايش، وبدافع الحرص عليه والاستجابة لدواعيه، نسجل هنا للعبرة التاريخية، وحتى تستبين لنا معالم السبل، أن أهل الأديان عموما، لم يكونوا في تعاملهم مع المسلمين طوال المراحل التاريخية، في مستوى التسامح الذي تحث عليه تعاليم كل دين، وأن الحضارة الإنسانية خسرت كثيرا بما كان يمارسه أهل الأديان الأخرى من اضطهاد ضد المجتمعات الإسلامية في عصور مختلفة، سواء أكان ذلك في الأندلس، أم في فلسطين، في العصور الوسطى، أم في جميع البلدان الإسلامية التي وقعت تحت نير الاحتلال العسكري الأوروبي، وفي الدول التي توجد بها أقليات إسلامية، في العصرين الحديث والمعاصر.

و التسامح الديني الذي عرفته أوروبا مع نشوء حركة الإصلاح الديني، كان تسامحا بين الطوائف المسيحية، و لم يكن يشمل هذا التسامح التعايش مع غير المسيحيين.

ففي إنجلترا على سبيل المثال، نهض بالدعوة إلى التسامح ثلاثة من المفكرين البارزين هم: هارنجتون Harrington، وملتون Milton، وتايلور Taylor، وقد أدرك أولهم أن الحرية السياسية لا تستقيم بغير حرية دينية مطلقة، لأن الحرية الدينية تتضمن حرية الضمير، وهذه تتضمن بدورها الحرية المدنية، وتكون حرية الضمير متى تمكن الإنسان من مزاولة عبادته ومباشرة تعاليم دينه وفقا لإملاء ضميره وحده، من غير عائق أو تدخل من الحكومة، وقد أقام ملتون Milton دفاعه عن التسامح على أساس أن قيام الحق لا يتطلب الاضطهاد. بالإضافة إلى أن الاضطهاد يعوق اكتشاف الحقيقة.[1]

و حتى فيما بين المسيحيين بعضهم مع بعض، لم يكن التسامح عند ظهوره في أوروبا يسري على الجميع، فلقد كان ملتون مع هذا يستثني الكاثوليك في تطبيقه لمبدأ التسامح، بحجة أن عبادتهم وثنية، وأن (العهد القديم) قد نهى عن عبادة الأوثان[2]. وتوجد اليوم في أوروبا رواسب عميقة لآثار "التسامح الديني المحدود" الذي لم تنعم به طوائف من بين المسيحيين أنفسهم، ناهيك عن غير المسيحيين !

مع ذلك، فنحن لا ننكر أن الكنيسة الكاثوليكية فحصت موقفها التقليدي من الإسلام فصححته، فقد جد جديد منذ أيام أوربان الثاني في عام 1095، ولنقرأ موقف الكنيسة الكاثوليكية في الوثيقة (نوسترا إيتاتي) التي أصدرها المجمع المسكوني الثاني في عهد البابا بولس السادس في عام 1965، عن موقف الكنيسة من غير المسيحيين الذي جاء فيه عن المسلمين:

"أن الكنيسة تنظر بعين التقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحي القيوم الرحيم القادر على كل شيء، خالق السموات والأرض الذي خاطب البشر، والذين يدينون بالطاعة حتى لأوامر الله الخفية، كما دان إبراهيم الذي ينتسب إليه إيمان المسلمين، وهم يجلون عيسى كنبي، وإن لم يعترفوا به كإله، ويبجلون أمه مريم العذراء في تقوى وضراعة، وهم فوق هذا ينتظرون يوم الدين عندما يبعث الله الناس ليحاسبهم، ويعظمون الحياة الأخلاقية، ويؤدون العبادة

[1] توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، طبعة دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1991، ص 123.
[2] المصدر نفسه، ص 124.

لله خاصة بالصلاة والزكاة والصوم".[1]

غير أننا نجد في وثيقة بابوية حديثة. ما يجعلنا نتوقف عند فكرة (الحوار بين الأديان)، أو (التعايش بين الأديان)، لا لنعلن عن تراجعنا عن تطبيق مبدأ الحوار والتعايش، ولكن لنتأمل في عمق دلالة هذا الموقف، وانعكاساتها على مجمل التحركات التي تقوم بها الكنيسة الكاثوليكية الغربية في اتجاه الدعوة إلى الحوار والتعايش، ونسوق هذا المثال في معرض تناولنا لمفهوم التعايش عند غير المسلمين، وهم هنا بالتحديد المسيحيون، أو بعبارة أدق النصارى من أتباع الكنيسة الغربية، حتى نفرق بينهم وبين النصارى العرب الذين يشاركوننا العيش في كنف الحضارة الإسلامية منذ قرون متطاولة، فتحت العنوان الفرعي: "الحوار مع الإخوة من الأديان الأخرى"، من الفصل الخامس لرسالة الفادي[2]، تلك الرسالة التي قال عنها البابا بولس الثاني: "إنها تتضمن رأيه وموقفه من الإسلام والمسلمين، نطالع ما يلي: "إن الحوار بين الديانات يشكل جزءا من رسالة الكنيسة التبشيرية، فهو باعتباره طريقة ووسيلة لمعرفة وإغناء متبادلين، لا يتعارض مع الرسالة إلى الأمم، إنه بالعكس، مرتبط بها، بنوع خاص، وهو تعبير عنها". ثم يستطرد إلى التأكيد على: "أن الخلاص يأتي من المسيح، وأن الحوار لا يعفي من التبشير بالإنجيل" بل "إن الكنيسة لا تعتبر أن هناك ثمة أي تعارض بين البشارة بالمسيح والحوار بين الديانات"[3].

و إذا كان هذا النص ليس بحاجة إلى تفسير، لأنه شديد الوضوح في تحديد معنى التعايش في نظر البابا يوحنا بولس الثاني، والذي لا يخرج عن كونه مجالا لمواصلة عملية التنصير وترسيخها، فإن هناك نصا آخر ورد في العظة الرسولية المعنونة: "تبليغ التعليم الديني" للبابا يوحنا بولس الثاني أيضا، التي أذاعها في عام 1979، جاء فيه: "إن رسالة البشارة متضمنة في الثقافة الإنجيلية التي لا يجب أن تنفصل عنها، إنها تنتقل عبر حوار رسولي متضمن بالضرورة في حوار

---

[1] نقلا عن "رسالة إلى العقل العربي الإسلامي"، ص 169-170، للدكتور حسان حتحوت، وقد كتب هذا الكتاب في الأصل باللغة الإنجليزية، ووزع في الولايات المتحدة الأمريكية، ونعتمد هنا الترجمة العربية التي نشرتها دار المعارف، القاهرة، 1998.

[2] في الخامس من شهر أكتوبر 1993، قام الكاردينال راتزنجر، رئيس رهبانية عقيدة الإيمان، بإعلان الخطاب الرسولي الجديد على العالم أجمع، وهو الخطاب العاشر للبابا يوحنا بولس الثاني منذ توليه منصب البابوية في عام 1978، نقلا عن كتاب "تنصير العالم" للدكتورة زينب عبد العزيز (انظر هامش 2).

[3] زينب عبد العزيز: تنصير العالم، مناقشة لخطاب البابا بولس الثاني، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، 1995، ص 106.

ثقافي بعينه. إن قوة الإنجيل قادرة على التغيير والتجديد لذلك لا يجب أن يتغير الإنجيل أو يتأثر عند اتصاله بالثقافات، وعندئذ فإن التعليم الديني سيتأصل في مختلف الثقافات، ويضفي كمال المسيح على قيمها الشرعية"[1].

فإذا كان الحوار بين الثقافات، وبالتالي بين الأديان، هو بهذا المفهوم عند الفاتيكان، فهذا يعني أن التعايش عندهم يرمي إلى تنصير العالم. وهذا بخلاف المفهوم الإنساني السمح للتعايش عند المسلمين. ومما يزيد في إيضاح هذا المفهوم أن الخطاب الرسولي السالف الذكر يؤكد بالوضوح الكامل على (أهمية تنصير العالم، وخاصة في بلدان ما بعد الشيوعية خشية من استمرارها في الإلحاد، أو من تحولها إلى الإسلام. ومن هنا باتت ضرورة ضرب الإسلام على انه يمثل الملجأ الوحيد أمام الذين يكفرون بمسيحيتهم عند اكتشافهم كل ما أجرى في عقيدتهم من تحريف، ولا يمكنهم العيش في الإلحاد)[2].

إن التعايش بين الأديان يفقد جدواه وقيمته، حين ينقلب دعاته إلى إصرار على استغلاله وتوجيهه الوجهة التي لا تخدم الأهداف الإنسانية التي هي موضع اتفاق الأطراف الراغبة في التعايش، إنه في الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات الداعية إلى التعايش بين الأديان، يخطط على أعلى المستويات لمحاربة الإسلام بصفة خاصة، ويتزامن هذا التخطيط المناوئ للإسلام، مع ممارسة أرقى ضروب التسامح مع اليهود.

ففي ولاية كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية، عقد أكبر مؤتمر تنصيري نشرت مداولاته ومقترحاته والنتائج التي أسفر عنها، في كتاب ضخم صدرت ترجمته إلى اللغة العربية في 900 صفحة مطبوعة بالحروف الصغيرة، وقد خصص هذا المؤتمر لبحث قضية واحدة، هي أمثل الطرق لتنصير المسلمين والقضاء على دينهم، وقد جمع لهذه الغاية ألف مليون دولار، لعلها الخطوة الأولى في تنفيذ هذا المخطط[3].

و بتصفح هذا الكتاب الضخم، نقف على حقائق مثيرة، تؤكد جميعها أن النصارى، أو طائفة منهم، إن أردنا الدقة في التعبير والموضوعية في البحث، لا يؤمنون بالتعايش، ولا بالحوار،

---

[1] المصدر نفسه، ص 107.

[2] زينب عبد العزيز: تنصير العالم، مناقشة لخطاب البابا بولس الثاني، ص 26.

[3] محمد الغزالي: صيحة تحذير من دعاة التنصير، ط1، دار الصحوة للنشر، القاهرة 1991، ص 13.

ولا بالتعاون، وهم إذا نادوا بالتعايش، أو دعوا إلى الحوار، قصدوا بذلك استغلالهما لفرض الهيمنة الدينية التي لا تكاد تختلف في شيء عن الهيمنة السياسية أو الاقتصادية. فالملك عندهم أرْضي والجزاء دنيوي وهذا راجع لتزعزع عقيدتهم في الله واليوم الآخر.

و مهما يكن من أمر، فإن المسلمين لا يمنعهم مانع من أن يستجيبوا لدعوة التعايش مع غيرهم من أتباع الأديان الأخرى، حتى وإن كان مفهوم التعايش عند هؤلاء منافيا –جزئيا أو كليا– للمفهوم الإنساني المتحضر الذي يؤمن به المسلمون، لاعتقادهم بأن طبيعة الحياة الإنسانية تقتضي هذا النوع من التعايش الذي يرتقي إلى المستوى الرفيع من التجرد والإيثار والصدق والإخلاص في العمل لخير بني البشر كافة !

المطلب الثاني: في المظهر السياسي:

الفرع الأول: المضامين السياسية لتهويد المسيحية:

إن الصهيونية المسيحية حركة ذات نتائج سياسية عميقة ودائمة. أظهر الصهيونيون المسيحيون درجات متفاوتة من الحماسة في تطبيق ست قناعات لاهوتية، نشأت عن قراءاتهم الحرفية والمستقبلية للكتاب المقدس.

1. الإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار، ما دفع الصهيونيين المسيحيين إلى السعي إلى مباركة إسرائيل على نحو عملي وملموس.

غير أن نتيجة هذا الاعتقاد الحتمية إنما هي القبول غير المشروط بسياسات إسرائيل التمييزية والعنصرية وتبريرها. وذلك في وسائل الإعلام، وفي ما بين السياسيين، ومن خلال رحلات تضامن إلى إسرائيل.

2. لكون إسرائيل هي شعب الله المختار، فقد شجع الصهيونيون المسيحيون اليهود على العودة إلى الأرض، وسهلوا هذه العودة من خلال علاقات الشراكة التي أقاموها بين المنظمات المسيحية والوكالة اليهودية.

3. إن أرض إسرائيل كما ينص الكتاب المقدس، ملك للشعب اليهودي، لذا ينبغي أن تضم الأرض، وتتبنى المستوطنات وتعززها.

4. يعتبر الصهيونيون المسيحيون مدينة القدس عاصمة أبدية لليهود، ولا يحق للفلسطينيين أن

يشاركوهم إياها. ولذا يمارس الصهيونيون المسيحيون الضغط على الحكومات الغربية لنقل سفاراتها إلى القدس، استعدادا للاعتراف بها عاصمة لإسرائيل.

5. سوف يبنى الهيكل الثالث، ويكرس الكهنة، وتعاد خدم الذبائح وطقوسها. ولأن الصهيونيين المسيحيين التدبيرين يعتقدون بأن في الكتاب نبوءات حول هذا الأمر، فهم يدعمون، بدرجات متفاوتة، منظمات جبل الهيكل اليهودي، التي أخذت على عاتقها إنجاز هذا الأمر.

6..بما أن الصهيونيين المسيحيين يعتقدون بأن حربا رؤيوية سوف تقوم بين الخير والشر في المستقبل القريب، فلا مجال، عندهم، لأي سلام دائم بين اليهود والعرب. فمن شجع على أن تساوم إسرائيل مع الإسلام وتقبل بالعيش المشترك مع الفلسطينيين، سيواجه الله وإسرائيل في حرب هرمجدون العتيدة.[1]

طبعا، لا يقبل كل الصهيونيين المسيحيين هذه المنطلقات الستة كلها، ولا بنفس درجة القناعة والقبول. غير أن عواقب الدعم غير المشروط لدولة إسرائيل، خصوصا في أوساط الإنجيليين الأمريكيين الذين يتعاطفون مع الصهيونية المسيحية بأعداد تفوق ما نراه في بريطانيا، كما بينا، مدمرة بشكل كبير.

الفرع الثاني: الأبعد العملية للمخطط للصّهيوني المسيحي:

يوجز هذا المبحث العوامل الأساسية في تطور الصهيونية المسيحية منذ سنة 1800، ويميز بين أشكالها المختلفة، ويشير إلى جوانبها البنّاءة، وجوانبها الهدامة، ويقدم موجزا نقديا.

-تطور الرؤية الصهيونية المسيحية[2]:

هناك ملاحظات سبع تتعلق بتطور هذه الحركة وأهميتها المعاصرة:

1. سبقت الصهيونية المسيحية، من خلال دعمها النشيط والفعال لعودة اليهود إلى فلسطين، قيام الصهيونية اليهودية بستين سنة على الأقل.

---

[1] ستيفن سايرز: الصهيونية المسيحية ترجمة: نقولا أبو مراد، ط1، دار النشر الأسقفية، القاهرة 2012، ص 365 وما بعدها. نقلا عن:

Michael Lind « the Israel lobby and American power » London : Hodder and stoughton 1991-PP13-14.

[2] Colin chapman : Ten questions for a theology of the Land, Yale university press 2001 PP 147-161.

2. تكمن أصولها في التيار القبل-ألفي البريطاني الذي ظهر في القرن التاسع عشر ومع بداية القرن التاسع عشر، كانت قد أصبحت حركة تدبيرية أمريكية، منتشرة بقوة في أوساط المذاهب الإنجيلية الأساسية.

3. فيما كانت الأهمية الاستراتيجية لإقامة وطن يهودي في فلسطين عاملا في السياسة الخارجية البريطانية في القرن التاسع عشر، فقد تحولت إلى ميزة في السياسة الخارجية الأمريكية في نهاية القرن العشرين.

4. لولا مبادرة المسيحيين البريطانيين والتزامهم (من رجال الدين، والسياسيين، ورجال الدولة)، خلال القرن التاسع عشر، لما تحقق الحلم الصهيوني اليهودي بوطن قومي في فلسطين.

5. لولا الدعم المستمر للصهيونيين المسيحيين الأمريكيين، والتمويل الحكومي الضخم، لما تمكنت دولة إسرائيل من الاستمرار في الوجود بعد 1948، ولما استطاعت أن تحتل الضفة الغربية منذ 1967، وتستوطنها.

6. تشير التقديرات المحافظة أن الحركة الصهيونية المسيحية أكبر بعشر مرات من الحركة الصهيونية اليهودية، وقد تمكنت من أن تصبح لوبيا طاغيا في السياسة الأمريكية المعاصرة.

7. تقوم الصهيونية المسيحية على بدع لاهوتية أساسها قراءة حرفية ومستقبلية للكتاب المقدس، وهذه القراءة، ولئن كانت متجذرة في الإصلاح والحركة الطهرية، إلا أنها، في أساسها، نتاج التيارات الألفية في القرن التاسع عشر.

-الأشكال المختلفة للصهيونية المسيحية:

ظهرت أربعة تيارات مختلفة في الصهيونية المسيحية الإنجيلية المعاصرة، وذلك تبعا لنظرتها اللاهوتية إلى العلاقات القائمة بين الكنيسة وإسرائيل، ومقاربتها للتبشير، ولاهوت الاستعادة، وأرض إسرائيل، والمستوطنات، والقدس، والهيكل، وهرمجدون.

هذه التيارات هي: القبل – ألفية الميثاقية، والتدبيرية المسيحانية، والتدبيرية الرؤيوية، والتدبيرية السياسية، يوضح الرسم البياني الميزات الخاصة لكل من هذه التيارات.

لوحة: عرض مقارن لأنواع الصهيونية المسيحية المختلفة[1]

العقيدة	القبل– ألفية الميثاقية	التدبيرية المسيحانية	التدبيرية الرؤيوية	التدبيرية السياسية
العلاقة مع الكنيسة	جزء	منفصلة	منفصلة	منفصلة
التبشير	أساسي	أساسي	اختياري	غير ضروري
الاستعادة	متوقعة	متوقعة	متوقعة	محققة
أرض إسرائيل والمستوطنات	قابلة للتفاوض	الألفية	غير قابلة للتفاوض	تضامن
أورشليم كعاصمة حصرية	قابلة للتفاوض	الألفية	غير قابلة للتفاوض	العمل على التأثير السياسي
إعادة بناء الهيكل	اختياري	حتمي	حتمي	مرفوض
هرمجدون	غير ضروري	الألفية	وشيك	غير ضروري
الممثلون	هيغتون، وريغانز	رورن، وبريكنر، وفروختنباوم	لندسي، ويفانز، ولاهاي	روبرتسون، وفالويل
المنظمات	CWI-CMJ	AMFI-JFJ	DST	DFP-ICEJ

تتفق القبل–ألفية الميثاقية والتدبيرية المسيحانية على أهمية تبشير اليهود قبل المجيء الثاني، إن التدبيرية المسيحانية، بحكم لاهوتها القائل بالعهدية، تلتزم، أيضا، إعادة إحياء العبادة اليهودية، وبما فيها ممارسات الهيكل، تشترك مع التدبيرية الرؤيوية بتأكيدها القوي على نبوءات نهاية الأزمنة،

[1] لا شك في أن هذه التصنيفات ليست محددة بشكل دقيق، ذلك أن التيارات المنتمية إلى الصهيونية المسيحية متداخلة أحيانا في ميزاتها. أضف إلى هذا أن بعض الوكالات الصهيونية المسيحية تخفي موقفها الحقيقي بخصوص بعض المسائل الخلافية كالمستوطنات وجبل الهيكل، لذا بنينا هذه الدراسة على الآراء المنشورة لقيادات هذه الجمعيات والمنظمات وممثليها الرسميين، علما بأن آراءهم تمثلهم وحدهم، من غير أن تعكس بالضرورة آراء المنظمات.

وكذلك بنظرتها التشاؤمية إلى السلام في الشرق الأوسط أما التدبيرية الرؤيوية فتشارك مع التدبيرية السياسية في التزامها المحافظة على روابط عسكرية وسياسية قوية بين الولايات المتحدة وإسرائيل. يمكن تمييز التدبيرية السياسية بتخليها عن التبشير، وبنظرتها اللاهوتية التفاؤلية، وإعادة تفسيرها للعهد الجديد، وعند التدبيرية السياسية فإن الغاية من الكنيسة دعم إسرائيل ومباركتها، ذلك لأن اليهود مقبولون عند الله على أساس عهده معهم، ولأنهم سوف يعترفون بمسيحهم عندما يأتي. أما القبل ألفية الميثاقية باعتبارها أكثر هذه التيارات أصولية، وأقلها خطرا ضمن الصهيونية المسيحية، فإن التدبيرية السياسية هي أكثرها خطورة. يوجز الرسم البياني التالي العناصر المميزة لكل من هذه التيارات الأربعة.[1]

نوع الصهيونية المسيحية	العناصر المميزة
1. القبل–ألفية الميثاقية	التبشير والاستعادة
2. التدبيرية المسيحانية	التبشير والهيكل اليهودي
3. التدبيرية الرؤيوية	النبوءات وهرمجدون
4. التدبيرية السياسية	الدفاع عن إسرائيل ومباركتها

لوحة: موجز لأنواع الصهيونية المسيحية المختلفة

-الجوانب البناءة والجوانب الهدامة للصهيونية المسيحية:

يصعب علينا أن نقدم تقويما متوازنا وموضوعيا للصهيونية المسيحية، ذلك أن داعميها ومنتقديها، على حد سواء، يستعملون لغة عاطفية انفعالية، أما للدفاع عنها أو لإدانتها. في الوقت نفسه، ثمة تفاوت كبير في الآراء المتصلة بأسباب أزمة الشرق الأوسط وحلولها. مع ذلك، نستطيع أن نوجز الميزات البناءة والهدامة للصهيونية المسيحية. ونرى كيف يمكننا النظر إليها كبركة أو لعنة على الشعب اليهودي. يوجز الرسم البياني التالي الجوانب البناءة والهدامة للصهيونية المسيحية وأبعادها السياسية والعقدية.

[1] ستيفن سايرز: الصهيونية المسيحية، مرجع سابق، ص 374.

نلاحظ أن أيا من الجوانب البناءة يخص الصهيونية المسيحية دون غيرها، فكل هذه الجوانب نجدها عند الوكالات الإنجيلية التي تعمل في ما بين اليهود، دون أن تقدم أي دعم للصهيونية.[1]

البناءة	الهدامة
1. التشجيع على الحوار بين اليهود والفلسطينيين	1. تبرير التمييز العنصري والدولة اليهودية الحصرية
2. الالتزام باشتراك الشعب اليهودي في الإنجيل (ما عدا التدبيرية السياسية)	2. التقليل من شأن الشهادة المسيحية في الشرق الأوسط بالانحياز إلى إسرائيل
3. الوقوف ضد العداء للسامية	3. تشجيع العصب الديني والخوف من الإسلام
4. تعليم كنيسة الأمم ما يختص بالجذور اليهودية للإيمان المسيحي	4. القبول الضمني للتطهير العنصري بحق الفلسطينيين بدعمهم المستوطنات اليهودية
5. التعاطف مع اللاجئين اليهود وممارسة الأعمال الإنسانية لصالحهم	5. احتقار اليهود المعتدلين المستعدين للتفاوض على أساس الأرض مقابل السلام
	6. تأجيج التعصب الديني بدعم إعادة بناء الهيكل اليهودي مكان الحرم الشريف
	7. خطر تحول الأخروية الرؤية إلى نبوءة محققة في ذاتها

لوحة: رسم بياني للجوانب البناءة والهدامة للصهيونية المسيحية

[1] استنادا إلى مقابلات مع الممثلين تضم هذه الوكالات Inter Varsity Christian Fellowship (الولايات المتحدة)، و World Vision and Youth for christ. نقلا عن:

David Rudavsky : Modern jewish religious movements. Ed. Scott appelby London 1991, P 85-87.

*stephen sixer, « justifying apatheid in the name of God », Chyrchnab (summer 2001), PP 147-171.

-تعقيب في " نقد الصهيونية المسيحية":

إن السؤال الأساسي الذي ينبغي للصهيونيين المسيحيين أن يجيبوا عليه هو الآتي: ما الفرق الذي أحدثه مجيء ملكوت الله في شخص يسوع المسيح في الآمال اليهودية التقليدية وتوقعاتهم المتصلة بالأرض والشعب؟[1] يقدم كلارنس باص (Clarence Bass) نظرة شاملة إلى هذه المسألة وذلك بطرحه أسئلة أكثر تخصيصا.

يحق لنا أن نسأل ما إذا كانت تميل إلى العهد الإبراهيمي أكثر من ميلها إلى الصليب. ألا تركز على المملكة اليهودية أكثر من تركيزها على جسد المسيح؟ ألا تفسر العهد الجديد على ضوء نبوات العهد القديم، بدل تفسير تلك النبوءات على ضوء الإعلان الأتم الذي في العهد الجديد؟[2]

يعتقد الصهيونيون المسيحيون أن مجيء يسوع المسيح لم يغير شيئا و لم يقم أي فرق في الميول القومية التي عرفتها اليهودية في القرن الأول، يبدو أنهم يقرؤون العهد القديم كما كان يقرؤه الرسل الأوائل قبل العنصرة، إذ كانوا يؤمنون بأن مجيء ملكوت يسوع إنما كان تأجيلا للآمال اليهودية باستعادة الملك، وما كانوا يعتقدون بتحقق هذه الآمال في المسيح وجماعته المسيانية الجديدة الشاملة.

نتيجة لذلك، ينظر مجلس كنائس الشرق الأوسط Middle East Eaclesia Council، الذي يمثل مسيحي الكنائس الشرقية، إلى الصهيونية المسيحية، كهرطقة وانحراف. فهو يؤكد، أن الصهيونية المسيحية قد فرضت تعبيرا شاذا عن الإيمان المسيحي وتفسيرا خاطئا للكتاب المقدس يخضع للأجندة السياسية لدولة إسرائيل الحديثة. يقول مجلس كنائس الشرق الأوسط إن الحركة الصهيونية تمثل ميلا إلى:

فرض النموذج الصهيوني القائم على الثيوقراطية والقومية الإثنية في الشرق الأوسط (رافضة) ... حركة وحدة مسيحية والتفاهم الديني الذي تشجع عليها الكنائس المحلية في المنطقة، إن خطة العمل الخاصة بالصهيونية المسيحية، وإعلاءها لشأن الصهيونية السياسية

---

[1] أنظر:

Collin Chapman, « ten questions for a theology of the land », in Johnston and Walker (des) The Land of Promise, PP 172-187.

[2] Clarence Bass, Backgrounds to Dispensationalism, P 151.

الحديثة، تقدم للمسيحيين نظرة إلى العالم يتحول فيها الإنجيل إلى إيديولوجيا قوامها النجاح والتفوق العسكري. كما تشدد على الأحداث التي تؤدي إلى نهاية التاريخ، بدل عيش محبة المسيح وعدله في عالم اليوم[1].

في شكليها الرؤيوي والسياسي، على وجه التخصيص، تشوه الصهيونية المسيحية الكتاب المقدس وتهمش الدعوة الشاملة والكونية للرسالة المسيحية –بحسبهم-.

تلك الافتراضات الحرفية تقصي أي إمكانية لقراءة مختلفة للكتاب المقدس، والتاريخ، كما أنها تقصي أي إمكانية لنهاية عادلة ودائمة لمفاوضات السلام في الشرق الأوسط. بدل ذلك، تظهر الصهيونية المسيحية قبولا غير مشروط لليهودية الرابينية، وموافقة لليمين السياسي الإسرائيلي. وفي الوقت نفسه، تبدي انعداما، غير مقبول، في التعاطف مع المأساة الفلسطينية، ومعاناة الجماعات المسيحية المحلية، وهي تشرع، بهذا بقصد أو بغير قصد، الاضطهاد والظلم باسم الإنجيل، فيما تحكم على الشعب اليهودي نفسه بمستقبل رؤيوي أكثر رعبا وهولا من المحرقة النازية.

لا حياة للصهيونية المسيحية إلا بتفسير مستقبلي وحرفي، تطبق، على أساسه، وعود العهد القديم بالبركة للشعب اليهودي، على دولة إسرائيل المعاصرة. للقيام بهذا، على الصهيوني المسيحي أن يتجاهل أو يهمش العهد الجديد الذي يفسر، ويلغي، ويحقق، ويوسع هذه الوعود في يسوع المسيح ومن خلاله. أوجز بالمر روبرتسون (Palmer Robertson) هذا الإعلان التدريجي لمقاصد الله على النحو الآتي:

في مسيرة تاريخ الفداء، تم الانتقال من الصورة إلى الحقيقة. كانت الأرض التي استعملت، قديما، كمكان خاص لعمل الله الفدائي، في العهد القديم، كصورة للفردوس الضائع والموعود به. أما الآن، في زمن تحقق العهد الجديد، اتسعت الأرض لتشمل الكون كله ... في عصر التحقق هذا، ينبغي ألا يكون ثمة تراجع إلى أشكال العهد القديم المحدود، وألا

[1] MECC What is westerm Fumdamentalist Christian Zionism ? p.13. نقلا عن: Rudovsky : Modern Jewish religious movements PP 90-93.

يشجع هذا التراجع. لا تستطيع الحقيقة أن تختفي ليبرز الظل[1].

و تؤكد الميثاقية أن الكنيسة هي إسرائيل المتجدد والمستعاد في المسيح، والذي اتسع الآن ليضم أناسا من كل الأمم. تبرز المقارنة الآتية بين الميثاقية والتدبيرية مقاربتهما المختلفة للتعاليم المتصلة بإسرائيل والمستقبل.

استنادا إلى افتراضات ميثاقية، نعتقد أن المقاربة الكتابية للصراع الفلسطيني-الإسرائيلي سوف تنجح. وتعترف المقاربة الميثاقية باليهود والفلسطينيين على السواء، وبأن لهم، كسائر الشعوب، حق تقرير المصير، والعيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها. وهي تدعم جهود السلام الدولية القائمة على مبدأي العدل والسلام العالميين، وعلى الاعتراف المتبادل والمصالحة بخلاف الصهيونية المسيحية، لا ترى الميثاقية ضرورة لتبرير أو تقديس دولة إسرائيل بحجج لاهوتية وكتابية غامضة وواهية. وهي تبعد نفسها عن الذين يسعون إلى فرض أجندة رؤيوية، محددة مسبقا، على الشعوب في الشرق الأوسط.[2]

العقيدة	الميثاقية	التدبيرية
التفسير الكتابي	حرفي، نموذجي وسياقي	مفرط في الحرفية
نبوءات العهد القديم	تحققت بشكل شبه كامل	مستقبلية بمعظمها
أساس الخلاص	العهد الجديد بالإيمان بواسطة النعمة	7 حقبات تختبر فيها البشرية جمعاء
وعود إسرائيل القومية	روحية تتعلق بالكنيسة العالمية	تنتظر تحققها في المستقبل في إسرائيل
الشعب اليهودي غير المؤمن	محبوب من الله ولكنه مقطوع من شعب إسرائيل	الشعب المختار دون قيد أو شرط
الصهيونية	بديل دهري للإيمان بالمسيح	تستبق النهضة والمملكة اليهودية
علاقة إسرائيل بالكنيسة	شعب لله واحد	شعبان لله منفصلان

[1] Palmer Robertson, « A new-Covenant perspective on the land », in johnston and Walker (eds.), land of promise, p 140.

*Convenant: تعهد علني وملزم بين الله وشعبه، استنادا إلى أرميا 31 والعهد الجديد.

[2] انظر: Chapman, Whose Promised land ? PP 274.

لاهوت الكنيسة	بدأت الكنيسة مع إسرائيل	بدأت الكنيسة يوم العنصرة
النظرة إلى الكنيسة	عروس الله المنتصرة	مرحلة اعتراضية فشلت
أرض إسرائيل	تحققت وأبطلت	ميراث غير مشروط لليهود
القدس	لم يعد هناك معنى لدورها التاريخي	عاصمة المملكة اليهودية
الهيكل	تحقق في يسوع لا معنى له اليوم	ينبغي أن يعاد بناؤه ويدنس
النظرة إلى المستقبل	انتظار	رؤيوية
الأخروية	غير ألفية بعد – ألفية	قبل –ألفية
هرمجدون	حرب رمزية بين الخير والشر	حرب حرفية وشيكة في مجدو
عودة يسوع	حدث منظور	اختطاف على مرحلتين: غير منظورة ومنظورة
ملكوت الله	ليس في هذا العالم	سوف يصير منظورا عما قريب في أورشليم
الألفية	رمزية	حكم المسيح على الأرض ألف سنة

لوحة: مقارنة بين الميثاقية والتدبيرية

الفرع الثالث: مصطلحات تقنية "خاصة بالمبحث"[1]:

1. القبل–ألفية (Premillennialism):

مملكة حرفية تدوم ألف سنة على الأرض تلي مجيء المسيح الثاني الفجائي. تنقسم إلى تيارين، الميثاقي والتدبيري، وذلك على أساس ما إذا كان إسرائيل والكنيسة سيشتركان في الأبدية نفسها.

2. القبل–ألفية الميثاقية (Covenantal Premillennialism):

مملكة حرفية تدوم ألف سنة على الأرض تلي مجيء المسيح الثاني الفجائي، سوف يحظى

[1] Rudovsky : Modern jewish religious movements, PP 197-200.

الشعب اليهودي بمكانة بارزة فيها، ولكن كجزء من الكنيسة، لا تختلف عن القبل-ألفية التاريخية.

3. التدبيرية (Dispensationalism):

سبع حقبات من الزمن تختبرها البشرية، وتمتحن فيها وفق إعلان من الله معين. إسرائيل والكنيسة منفصلان في هذه الحقبات، وستكون الألفية أوج مقاصد الله لإسرائيل.

4. المثالية (Idealism):

تفسير رمزي للرؤيا يشير إلى الصراع بين الخير والشر عبر التاريخ. لا يربط المثاليون، كالتاريخيين، تفسيرهم بأحداث تاريخية معينة.

5. الحرفية (Literalism):

تفسير للكتاب المقدس والنبوءات قائم على المعنى الحرفي للكلمات المستعملة للنص. يختلف هذا التفسير عن التفسير التاريخي، وهو يرتبط، غالبا، بالتيار المستقبلي.

6. التدبيرية المتدرجة (Progressive Dispensationalism):

ليست الكنيسة حالة اعتراضية في التاريخ بل تذوق مسبق لملكوت الله، عند الله قصد واحد لإسرائيل والكنيسة، رغم أن نبوءات العهد القديم المتعلقة بإسرائيل سوف تتحقق في الألفية في يهود الأمم.[1]

[1] Rudovsky : Modern jewish religious movements, PP 200.

الفصل الثالث:

دراسة مقارنة في مواضيع

إسكاتولوجية للأديان السماوية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطـــــئة:

إن الحياة التي نعيشها الآن وإلى ما شاء الله هي الحياة الدنيا، والدنيا بمعنى القرب والانخفاض، أما الحياة الآخرة فتبدأ بمفارقة النفس لجسد الإنسان، وقد شاء الله بحكمته جل وعلا، أن يكون هناك يوم يحاسب فيه جميع البشر والجنة على صعيد واحد.

المبحث الأول: الموت / وأشراط الساعة / وأنماط البعث في الإنجيل و القرآن:

- **في القرآن الكريم:**

فمبجرد موت الإنسان تودع نفسه في إحدى رياض الجنة أو إحدى حفر النار، يستدل على ذلك من الآيات القرآنية:

-" مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥ " (نوح، 25)

-" فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ " (غافر، 45-46)

- أما الذين استشهدوا وسيستشهدون في سبيل الله من هابيل وإلى يوم القيامة فإنهم يحيون عند ربهم:

-" وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ

أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ "

(البقرة 145)

-" وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ " (آل عمران، 169-171)

○ و معنى أن يستشهد إنسان: أ، بمعنى أن الله يوم القيامة سيقيمه شاهدا على الكافرين من قومه، والذين يقتلون في سبيل الله تمحى عنهم ذنوبهم جميعا لأنهم لم يتركوا مالهم وأولادهم في سبيل الله وإلى رجعة كما في الحج، بل أيضا حياتهم وإلى غير ما رجعة، ويتحمل ذنوبهم قاتلوهم، يتبين ذلك مما جاء في قوله:

-" لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ " (المائدة 28، 29)

و لما كانت ذنوبهم جميعا تغفر فإن الله يعطيهم الجنة بمجرد قتلهم، فإن قتالهم في سبيل الله يعني أنهم يؤمنون باليوم الآخر أكثر من ثقتهم بالدنيا.[1]

[1] – بوساحة احمد : فلسفة الموت في نظر الديانات لبنان 2008 ص63- 64

- و الموتى لا يسمعون البشر:

-" فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٢﴾ " (الروم، 52)

و هم لا يشعرون بالزمن، فواقع الأمر أن إحساسنا بالزمن وليد جسدنا، إذ نرى الشمس تشرق وتغرب، أو قد يكون بالسمع والله أعلم:

-" وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ " (النحل، 21،20)

-" أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾ " (البقرة، 259)

Douglas James Davies : Death Ritual and Belief Continuum International 2002 pp81 , 83-

- و المنوه عنه في هذه الآية هو عزير الذي يعبده اليهود على أنه ابن الله بزعمهم:

-" يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾ " (الإسراء، 52)

-" فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿١٢﴾ ..... وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ " (الكهف، 11، 12، 19)

هذا مع أنهم كانوا من عباد الله الصالحين وأنهم لبثوا ثلاثمائة وتسع سنين كما يتبين من الآية 25 من نفس السورة، وهم لم يموتوا بل كانوا نائمين، ولكن النوم ما هو إلا موتة صغرى، فهو استحضار النفس إلى وقت الاستيقاظ.

-" يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ " (طه، 102، 103)

-" وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ

كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ " (الروم، 55، 56)

- **أما في العهد القديم مقارنة ببعض آيات من القرآن الكريم:**

جاء على سليمان:

-" أما الموتى فلا يعلمون شيئا" (الجامعة 5:9)

و يسخر أيوب عليه السلام من الذين يطلبون النصرة من سكان القبور يقول:

-"و ليي حي" (أيوب 25:19).

وكأنى به يقول: أما أولياؤكم أنتم فهم أموات. ويتوالد الناس ويموتون.

-" أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴿٢﴾" (التكاثر، 1، 2)

و يعيش منهم من يعيش حتى يوم الساعة ويتفاخرون ويظنون أنهم قادرون على الأرض

و يمدهم الله في طغيانهم فيزخرف لهم الأرض ويزينها لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز ومقتدر

-" إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ " (يونس، 24)

-" ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ " (الروم، 41)

-" لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾" (التين، 4، 5)

فإنه في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البحر خطرا يلجأ كل من ركبه إلى الله مستغيثا ومحاولا الابتعاد عن الإثم أما الآن وقد تمتع الإنسان بالأمن في السفن الكبيرة فإن الفساد ظهر في البر والبحر، ثم تستثني الآية 6 من سورة التين الذين آمنوا:

-" إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ "

(التين، 6)

و جاء في الحديث النبوي بأن شر ناس تطلع عليهم الشمس أولئك الذين ستلحق بهم الساعة وهم أحياء، أيستطيع علم البشر أن يزيد ذرة واحدة في الكون، أيستطيع الأطباء أن يطيلوا عمر الإنسان كما عاش نوح (أكثر من 950 سنة)، بل ولا يستطيع إلا الله أن يحدد عمر كل إنسان، ولو اجتمع غيره على إضافة أو إنقاص ثانية في عمره ما استطاعوا، ولكن قد تمضي سنون وأحقاب يبقي فيها الله الحليم الأرض رحمة منه لمن لا زالوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ورحمة للذين لم يولدوا بعد ربما من نسل الكافرين ولكن يعلم الله أنهم سيؤمنون به وباليوم الآخر عندما يسمعون .. ويعلمون:

-" وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ

ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ " (الأنفال، 60)

و لكنه إذا علم الله أن كفار الدنيا لن يلدوا إلا كفارا فيأمر عندئذ إسرافيل عليه السلام، فينفخ في الصور ويصعق من في السماء والأرض، فهذه سنة الله في الإهلاك فإن الله يمهل الناس للتوبة ولا يهلك إلا من حق عليه العذاب فلا يؤمن بآيات الله كلها على كثرتها، أو الذين وصلوا إلى أحسن حالات الإيمان فيهم، وتتبين هذه السنة في قول الله تعالى في القرآن الكريم:

-" وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ٢٧ " (نوح، 26، 27)

-" سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢ " (الأحزاب، 62)

و لهذا لم يفن الله (من الفَناء) الذين كفروا برسالة موسى عليه الصلاة والسلام من قومه و لم يفن الذين كفروا برسالة المسيح عليه الصلاة والسلام و لم يفن الله الذين كفروا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأنه يعلم جل وعلا أنه عندما يبشر المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام أهل الكتاب فإنهم سيؤمنون به جميعهم:

-" وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩ " (النساء، 159)

أي أنه من نسل الكافرين من أهل الكتاب، هناك في جيل ما من سيؤمنون بالله واليوم

الآخر وملائكته وكتبه ورسله جميعا. [1]

- **في العهد الجديد:**

عن يعقوب أحد تلاميذ المسيح عليه السلام أنه قال:

-"إن الإيمان بدون أعمال ميت، ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال" (رسالة يعقوب 20:2، 21)

-" كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان بدون أعمال ميت" (رسالة يعقوب 26:2)

- و في الحديث النبوي أن الشمس ستشرق يومها من المغرب مقارنة بما جاء في الإسلام:

-"الآمر الشمس فلا تشرق ويختم على النجوم" (أيوب 7:9)

-" وتتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو" (يوئيل 31:2، 32)

-"الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحجز لمعانيها" (يوئيل 15:3)

و يكون يوم واحد معروف للرب.

-"لا نهار ولا ليل بل يحدث أنه في وقت المساء يكون نور" (زكريا 6:14، 7)

-"تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع" (متى 29:24)

-"فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه، ونجوم السماء تتساقط والقوات التي في السموات تتزعزع" (إنجيل مرقس 24:13، 25)

-" وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء" (لوقا 11:21)

-" وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم" (لوقا 25:21)[2]

---

[1] – سيف الله أحمد فاضل :دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ط2 دار القلم الكويت 1983ص 385-387 .

[2] Audré Vauchez : l'attente des temps nouveaux, Brepols publishers, Belgium 2002, P 121-123-124-127-129.

-" تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم الشهير" (أعمال الرسل 20:2، 21) .

-" والشمس صارت سوداء كمسح من شعر والقمر صار كالدم. ونجوم السماء سقطت إلى الأرض كما تطرح شجرة التين سقاطها إذا هزتها ريح عظيمة" (رؤيا يوحنا اللاهوتي 12:6، 13)

- و يقابلها من القرآن الكريم ما يلي:

-" فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾" (المرسلات، 8)

-" وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾" (الانفطار، 2)

-" يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ " (الطور، 9)

-" يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ " (المعارج، 8)

-" فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ " (القيامة، 7-9)

ما الذي يسبب كل هذه الأحداث الجسام يقول الله تعالى:

-" وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ " (الطارق، 1-3)

فيبدو أن هذه العلامات ستكون كقنبلة ذرية النيترون الذي سيسبب تحطم الذرة الشمسية* هو ذلك النجم الطارق، وإذا لاحظنا أن الله تعالى قد أقسم بقوله جل وعلا:

* يعلل ذلك أيضا وقوف دوران الأرض وحركتها في الاتجاه المضاد .

-" وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ " (النجم، 1)

مما يدل على أن هبوط ذلك النجم خطير للغاية، ثم يذكر اسم ذلك النجم:

-" وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ۝٤٩ " (النجم، 49)

فإنه من المحتمل إذا أن يكون النجم الثاقب هو ذاته ذلك النجم الهاوي، ويقول بعض العلماء أن هناك نجما يتجه إلى الأرض قد يصطدم بالشمس وهو يتحرك بسرعة متزايدة ولكننا لا نعرف مكانه الآن بل نعرف فترة وصول ضوئه إلينا والذي به يمكننا تحديد مكانه، فإن الساعة ورغم توضيحها هكذا فإننا لن نعلم بها إلا عند حدوثها، وكما تحدث قبل الساعة أيضا حروب كثيرة. يقول الله تعالى:

-" ۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ۝٩٩ " (الكهف، 99)

-" حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧ " (الأنبياء، 96، 97)

-"و أجمع كل الأمم على أورشليم للمحاربة فتؤخذ المدينة وتنهب البيوت ..." (زكريا 2:14)

-" وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب" (...) " لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة" (متى 6:24، 7)

-" فإذا سمعتم بحروب وبأخبار حروب فلا ترتاعوا" (...) "لأنه تقوم أمة على امة ومملكة

على مملكة" (مرقس 7:13، 8)

-" فإذا سمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا لأنه لا بد أن يكون هذا أولا" (...) "تقوم أمة على امة ومملكة على مملكة" (لوقا 9:21، 10)

-" ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها ..." (إنجيل لوقا 20:21-24)

-" إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ " (الزلزلة، 1)

-" وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ " (الطارق، 12)

-" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ " (الحج، 1، 2)

-" إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ " (الواقعة، 4)

و من فقرات العهدين مقارنة بآيات القرن الكريم:

-" فارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال وارتعدت وارتجت" (مزمور 7:18)

-" وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن" (متى 7:24)

-" وتكون زلازل في أماكن وتكون مجاعات واضطرابات" (مرقس 8:13)

-" وتكون زلازل عظيمة في أمكان ومجاعات وأوبئة. وتكون مخاوف" (لوقا 11:21)

-" وإذا زلزلة عظيمة حدثت" (رؤيا يوحنا اللاهوتي 12:6)

-" وحدثت زلزلة عظيمة لم يحدث مثلها منذ صار الناس على الأرض زلزلة بمقدارها عظيمة هكذا" (رؤيا يوحنا اللاهوتي 18:16)[1].

و تتحطم الجبال[2]:

-" وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ " (الكهف، 47)

-" وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ " (طه، 105، 107)

-" وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ " (الطور، 10)

-" وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ " (الواقعة، 5، 6)

-" وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ " (الحاقة، 14)

-" وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ " (المعارج، 9)

-" يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴿١٤﴾ " (المزمل، 14)

-" وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ " (المرسلات، 10)

[1] André Vauchez : L'Attente des Temps Nouveaux, pp132 -133-137.

[2] دراسات حول وحدة الدين: ص 403-404 وما بعدها.

-" وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ " (النبأ، 20)

-" وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ " (القارعة، 5)

- **و نفس المشاهد في العهد الجديد:**

-" وكل جبل وجزيرة تزحزحها عن موضعها" (رؤيا يوحنا اللاهوتي 14:6)

-" وكل جزيرة هربت وجبال لم توجد" (رؤيا يوحنا اللاهوتي 20:16)

أما السماوات فماذا يحدث لها؟ :[1]

-" يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ " (الأنبياء، 104)

-" وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ " (الفرقان، 25)

-" فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ " (الرحمن، 37)

-" وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ " (الحاقة، 16)

-" ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ " (المزمل، 18)

-" وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ " (المرسلات، 9)

-" وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ " (النبأ، 78)

[1] - سيف الله أحمد فاضل:دراسات حول وحدة الدين ص 407-405

-" وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ " (التكوير، 11)

-" إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ " (الانفطار، 1)

-" إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ " (الانشقاق، 84)

- وفي **العهد القديم** (**في الإيذان بقيام الساعة**):

-" طأطأ السماوات" (مزمور 9:18)

-" سماوات جديدة وأرض جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال" (أشعياء 17:65)

-" والسماء انفلقت كدرج ملتف" (رؤيا يوحنا اللاهوتي 14:6)

كل هذا كان من نفخة واحدة في الصور :

-" وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ "
(الزمر،68)

-" وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ " (الحاقة، 14)

كل هذا يحدث في وقت قصير ومفاجئ:

-" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ " (الحج، 55)

-" يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا

تُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ " (الأعراف، 187)

-" قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ " (الأنعام، 31)

-" أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ " (يوسف، 107)

-" هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ " (الزخرف، 66)

-" فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ " (محمد، 18)

-" وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ " (النحل، 77)

-" مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ " (يس، 49-50)

- **و في العهد الجديد نفس المشاهد:**[1]

-" يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون" (إنجيل لوقا 27:7)

إلى أن تأتيهم الساعة بغتة، وتفنى المخلوقات جميعا ويكون الله وحده: (...)

-" يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ " (غافر، 16)

-"لمن الملك اليوم لله الواحد القهار و يسمو الرب وحده ذلك اليوم" (أشعياء 11:2، 17)

و يموت كل ما عدا الله الذي له وحده عدم الموت (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس 16:6)،

و يخلق الله سماوات وأرضا غير التي نعيش عليها:

-" يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ " (إبراهيم، 48)

-" لأني ها آنذا خالق سماوات جديدة وأرضا جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال" (أشعياء 17:65)

-" ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر لا يوجد في ما بعد" (رؤيا يوحنا اللاهوتي 1:21)

و يأتي الله بكل مجده:

[1] راغب عبد النور:القيامة إيمان البعث وفكر التجديد مكتبة المحبة القاهرة 2007 ص117-113

-" ... هكذا يكون اليوم الذي فيه يظهر ابن الإنسان .." (لوقا 31:7).

-" هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠ " (البقرة، 210)

-" هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨ " (الأنعام، 158)

-" وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ " (الفجر، 22)

-" لأنه هو ذاب الرب بالنار يأتي" (أشعياء 15:66)

-" ويكون الرب ملكا على كل الأرض في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده" (زكريا 9:14)

-" رئيس هذا العالم يأتي" (إنجيل يوحنا 30:14)

-" لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف يترل من السماء" (الرسالة الأولى إلى تسالونيكي 16:4)

و ينفخ في الصور مرة أخرى:[1]

-" وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ

[1] أحمد فائز: اليوم الآخر في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة بيروت . ص321-312

فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا ﴿٩٩﴾" (الكهف، 99)

-" يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾ " (طه، 102)

-" فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾" (المؤمنون،101)

-" وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ " (النمل، 87)

-" وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ " (يس، 51)

-" وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ " (ق، 20-22)

-" عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ " (النبأ، 18)

-" وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ " (الانشقاق، 3، 4)

-" وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ " (الزلزلة، 2)

- لقد تبرأت الأرض من أخطاء الإنسان ..

- **في البعث:**[1]

و قد كان البعث ومازال من أكثر أمور الدين صعوبة في التصديق، رغم أنه قد أودع فينا الإيمان باليوم الآخر (سورة الأعراف: 172)، إلا أن أول الكفر هو التكذيب به، ولهذا فقد سرد الله لنا أمثلة كثيرة لمن بعثوا في الدنيا، وسرد ما يكفي من الحجج ليؤمن الذين في قلوبهم ذرة من خير:

-" وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٥٦ " (البقرة، 55، 56)

-" وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ۝٧٢ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٧٣ " (البقرة، 72، 73)

-" ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٢٤٣ " (البقرة، 243)

[1] أحمد فائز: اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص 336-333

فأكثر الناس لا يشكرون الله على أنه خلق تراهم من عدم وأحياهم من التراب، وقد سبق ذكر أمثلة أخرى (أصحاب الكهف رضي الله عنهم، وكيف أحيا الله الموتى على يد رسوله المسيح عليه الصلاة والسلام).

ثم إحياء الحيوانات أيضا:

-" وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ " (البقرة، 260)

-" وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ " (آل عمران، 49)

- و يذكر العهد القديم أن إلياس واليسع عليهما السلام قد أحييا ميتين بإذن الله (الملوك الأول 20:17-22، الملوك الثاني 34:4، 35)

أما في إنجيل متى ومرقس بالعهد الجديد فلم يذكر إلا أن المسيح عليه السلام أيقظ فتاة كانت نائمة (إنجيل متى 23:9، إنجيل مرقس 39:5-41)، أما في إنجيل يوحنا فلم يذكر هنالك إلا أنه أيقظ لعازر (إنجيل يوحنا 11)، ويذكر أيضا دعاء المسيح عليه السلام ومعناه: أيها

الإله أشكرك لأنك سمعت لي. وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت: ليؤمنوا أنك أرسلتني ! [1]

○ و بعد الأمثلة العملية للذين لم يكونوا قد اكتملت بهم القدرة العقلية، فإن القرآن الكريم يقنع بلزوم البعث بالحجة العقلية في آيات عديدة نذكر بعضها فقط:[2]

-" وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾"(نوح،17، 18)

-" وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ " (فاطر، 9)

-" وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١١﴾ " (الزخرف، 11)

-" إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ " (يونس، 24)

---

1 راغب عبد النور: القيامة: إيمان البعث وفكر التجديد، ص 147-151.

2 أحمد فائز: اليوم الآخر في ظلال القرآن ص 401-354

-" وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ "(الكهف،45، 46)

-" ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ " (الحديد،20)

○ في هذه الآيات يشبه الله تعالى الحياة الدنيا، وحياتنا فيها بمطر أنزل على بذور فأنبتت ولكنها ما تلبث أن تجف، ولكن بذورها تخرج مرة أخرى، هكذا يكون البعث، ولا يبقى من الدنيا إلى العمل الصالح وما يصحبه من مغفرة الله ورضوانه، أو العمل السيء وما يعادله من العذاب الشديد:

-" أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ " (المؤمنون، 115)

-" وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ

ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ " (الحجر، 85)

-" وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ " (الأنبياء، 16)

-" وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ " (ص، 27)

-" وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ " (الدخان، 38)

-" مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ " (الأحقاف، 3)

فلو لم يكن هناك بعث لما كان خلق السماوات والأرض إلا عبثا –تعالى الله عن هذا علوا كبيرا–.

فلو أن الحياة الدنيا هي الحياة وآخرها الموت لما كانت إلا ملهاة، يقول الله الملك الحق:

-" وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ

عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ " (الأنبياء، 16-21)

سبحانه هو الجامع الباعث وحده:

-" وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ " (يس، 78، 79)

-" أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ " (ق، 15)

-" أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ " (العنكبوت، 19)

-" يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ " (ق، 44)

-" زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ " (التغابن، 7)

-" مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ " (لقمان، 28)

و نحن نقول إن بعثكم أيها الناس لأمر يسير على الله الذي خلقكم من عدم، ثم إن الاستيقاظ من النوم ما هو إلا بعث صغير فالشبه كبير بين النوم والموت...[1]

و يوم يبدأ الحشر، يوم الدين، يوم الدينونة، يوم الحساب، قد يفهم أن الأنبياء أو المستشهدين سيقومون للحشر أولا من:

-" فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ " (النساء، 41)

-" وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿١٥٤﴾ " (النساء، 154)

-" وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾ " (النحل، 84)

-" وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ " (النحل، 89)

-" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ " (الأحزاب، 45)

1 اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص 359.

-" وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ " (الزمر، 69)

-" إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ " (غافر،51)

-" إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ " (الفتح، 8)

-" إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ " (المزمل، 15)[1]

و يصف الله تعالى الناس في ذلك اليوم[2]:

-" يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ " (الحج، 2)

-" يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِىٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ " (عبس، 34-37)

---

[1] المرجع نفسه ص 107-111

[2] شمس الدين قرطبي: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 97-101.

-" قَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ " (يس، 52)

-" يَقُولُ ٱلۡإِنسَـٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ " (القيامة، 10)

-" يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ " (النساء، 42)

-" وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَـٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ " (الأنعام، 27، 28)

توضح الآية أن الكفار يعلمون بالبعث ولكنهم يجحدون وأنهم مع أنهم رأوا العذاب رأي العين، فلو أعيدوا إلى الدنيا لعادوا إلى ظلمهم أفلا يستحق هؤلاء أن يخلدوا في النار؟

-" رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ " (المؤمنون، 107)

-" هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا

كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾ " (الأعراف، 53)

-" وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ " (السجدة، 12)

-" وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ " (فاطر، 37)

إنه من حق هذا اليوم أن ينطق السمع والأبصار والجلود بما ارتكبوه من باطل رغم ما سيؤدي إليه بذلك من عذاب لهم:

-" يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ " (الأنعام، 130)

-" يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ " (النور، 24)

-" ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا

كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ " (يس، 65)

كما يشهد عليهم أيضا الملكان المكلفان:

-" وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ " (ق، 21-23)[1]

و قد يفهم أيضا أن الحيوانات تشهد عليهم من:

-" وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ " (التكوير، 5)

ذلك أن الحيوانات لا تحاسب فحشرها إذا للشهادة على الكفار، وقد تشهد الأرض أيضا:

-" يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ "

(الزلزلة، 4، 5)

- و يتبرأ الشيطان من أعمال الذين عبدوه[2]:

-" وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ

[1] أمل مبروك: فلسفة الموت:المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة 2002 ص 47-43

[2] شمس الدين القرطبي:التذكرة في احوال الموتى وامور الآخرة ، ص 81-79 وما بعدها.

ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ " (إبراهيم، 22)

- و أصبح كل إنس و كل جن بمفرده مسئولا عن أخطائه هو[1]:

-" وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ " (مريم، 95)

-" وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾ " (الأنعام، 94)

- لقد كتبت كل أعمالهم وأفكارهم وأقوالهم:

-" لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ " (آل عمران، 181)

-" إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ " (يس، 12)

-" وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ

[1] شمس الدين القرطبي:التذكرة في احوال الموتى وامور الآخرة، ص 83 والتي تليها

ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ " (النساء، 81)

- " وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ " (يونس، 21)

- " أَمْ تَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾" (الزخرف، 80)

- " وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ " (الزخرف، 19)

- " فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ " (الأنبياء، 94)

- " وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ " (الانفطار، 10، 11)

- " وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ " (الأنعام، 60)

-" وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ " (يونس، 61)

-" هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ " (الجاثية، 29)

-" إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ " (ق، 17،18)

-" وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ " (الإسراء، 36)

-" أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾ "
(البقرة، 77 / هود، 5 / النحل، 23)

-" فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾ "
(يس، 76)

-" وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ "

(الملك، 13)

- **و في العهد القديم**[1]:

- " لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيرا أو شرا" (الجامعة 14:12)

-ويل للمتفكرين بالبطل" (ميخا 1:2)

-" وأنا أجازي أعمالهم وأفكارهم" (أشعياء 18:66)

- **و في العهد الجديد:**

-" ولكن أقول لكم أن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين" (إنجيل متى 36:12)

-" يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم" (إنجيل متى 34:12)

- هذا هو أساس المحاسبة، وكل مخلوق يؤتى كتابا سجلت فيه أفكاره وأقواله وأعماله:

-" يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ " (الحاقة، 18)

-" وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ " (الإسراء، 13، 14)

- فيقول الظالمون:

[1] راغب عبد النور:القيامة إيمان البعث وفكر التجديد 227ص

-" وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ " (الكهف، 49)

- و هؤلاء يؤتون كتابهم:

-" وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾" (الحاقة، 25-29)

- أما الذين آمنوا:

-" فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ " (الحاقة، 19، 20)

-" فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ " (الانشقاق، 8، 9)

وأما الذين بلغوا أعلى درجات الإيمان من البشر بتوفيق الله كالأنبياء والصديقين:

-" كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ " (المطففين، 18-21)

- **و في العهد الجديد:**

- " فأتى غضبك وزمان الأموات ليدانوا ولتعطي الأجرة لعبيدك الأنبياء والقديسين و الخائفين اسمك الصغار والكبار وليهلك الذين كانوا يهلكون الأرض" (رؤيا يوحنا اللاهوتي 18:11)

هكذا، يتم الحساب ويلقى في الجحيم من يلقى، ويقول الله تعالى:

-" يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ " (ق، 30)

و نجد في (أمثال 15:30، 16) أربعة لا تقول كفى: الهاوية والرحيم العقيم وأرض لا تشبع ماء والنار لا تقول كفى.[1]

-" ويطرحونهم في أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (متى 42:13، لوقا 28:13 .. وغيرها)

و في ذلك اليوم:

-إن كان البار بالجهد يخلص فالفاجر والخاطئ أين يظهران (رسالة بطرس الأولى 18:4)

- و يتمنون الموت فلا يجدوه:

-" وفي تلك الأيام سيطلب الناس الموت ولا يجدونه ويرغبون أن يموتوا فيهرب الموت منهم" (رؤيا يوحنا اللاهوتي 6:9)

- **في وصف جهنم[2]:**

فلها سبعة أبواب:

[1] سيداروس عبد المسيح: دراسات في علم الإسخاطولوجيا، الكلية الإكليريكية بشيبين الكوم، ص 41.

[2] عمر سليمان الأشقر: اليوم الآخر الجنة والنار، مكتبة الفلاح، مطابع دار القبس الكويت، ص 48 إلى 58. بتصرف.

-" وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ " (الحجر، 43، 44)

و في سورة النساء أنها ذات دركات وأنه كما يفهم من سياق الآية فإن أشدها عذابا أسفلها:

-" إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ " (النساء، 145)

و يصف لنا القرآن الكريم عذاب جهنم فهو نار لا يمكننا أن نتخيل أو نعلم مدى شدتها:

-" عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ "

(الواقعة، 61)

فالعلم أعلى درجات اليقين وكيف نتيقن مما لا ندرك، وكيف ندرك حرارة مصدر اشتعالها الناس والحجارة.

يقول علماء الجغرافيا أن درجة حرارة الشمس، وهي صخور مشتعلة تزيد عن 300 000 درجة مئوية، هل نستطيع أن نتصور مثل هذه الحرارة:

-" فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ " (البقرة، 24)

-" إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ " (آل عمران، 10)

إن الجلد ليفنى في أقل من ثانية في مثل هذه الحرارة، وقد أثبت العلم أن الجلد هو مركز

الإحساس بالحرارة، إذا فإن العذاب سينتهي باحتراق الجلد، ولكن الله الذي هو بكل شيء عليم يعلم رسوله، فيقول له في سورة النساء:

-" إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ " (النساء، 56)

- و ماذا يقولون، وماذا يتمنون:

-" يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ " (المعارج، 11-16)

-" إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ " (آل عمران، 91)

-" إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ

مِنۡهَا ۗ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾ " (المائدة، 36، 37)

- **و في العهد الجديد:**[1]

-" لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه" (متى 26:16)

و بنفس الصورة في العهد الجديد يقول أحدهم:

-" يا أبي إبراهيم ارحمني وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويبرد لساني لأني معذب في هذا اللهيب" (إنجيل لوقا 24:16/ 25)

الماء والطعام ولكنه حتى هذا لا يعطون، فقد أعطاهم الله في الدنيا وأغدق عليهم فأبوا إلا الكفران بالنعمة، ويتذكرون حال الدنيا، هناك يعرفون الدنيا على حقيقتها:

-" هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾" (يونس، 45)

-" فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ " (الأحقاف، 35)

-" كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ " (النازعات، 46)[2]

[1] علاء تيسير أحمد:البعث والحساب والثواب والعقاب مكتبة مدبولي القاهرة 2011 ص 203-201

[2] صالح بن محمد بن علي آل سويلم:أشراط الساعة والإيمان بالغيب.ط1 دار الهاني للطباعة والنشر2012ص 372-369

- **أما متاع الدنيا فينقلب عليهم شقاء**[1]:

-" يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ " (التوبة، 35، 36)

و الآية تشمل كل ما يكتز أو يجمع في الدنيا، والعقوبة من جنس العمل، كما يتبين ذلك ايضا من الآيات:

-" وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ " (النمل، 90)

-" فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ " (يس، 54)

-" وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ " (الصافات، 39)

-" اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا

1 المرجع نفسه، ص 373

كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ " (الطور، 16 / التحريم، 7) وغيرها.

- و تصف الجمل الكتابية التالية عذاب النار:

-"... إنما تملك مساكن فاعلي الشر وهذا مقام من لا يعرف الله" (أيوب 14:18-21)

-" وزجره بلهيب نار. لأن الرب بالنار يعاقب" (أشعياء 15:66، 16)

-" ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا علي لأن دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ" (أشعياء 24:66)

- و يذكر العهد الجديد صراحة أن الإلقاء في جهنم يكون بالجسد والنفس[1]:

-" يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (متى 28:10)

-" يلقى جسدك كله في جهنم" (متى 29:5، 30)

-" ويطرحونهم في أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (متى 42:13، 50)

- و قد رمز للجحيم في أسفار العهدين بالموت الأبدي[2]، ووصفه القرآن الكريم أيضا بالموت:

-" يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾ " (إبراهيم، 17)

-" إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا تَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ " (طه، 74)

فإذا ظن الإنسان وهو ذلك الكائن الضعيف أنه معادل لله فينكر وجوده أو يساويه بأحد الكائنات الضئيلة مثيلته أو يزيده قليلا عنها ألا يستحق العذاب الأليم المقيم، لذلك فالذين

[1] راغب عبد النور:القيامة إيمان البعث وفكر التجديد 234 ص

[2] Pentecost Dwight :Study in Biblical Eschathology ;Grands Rapids,Zondervan.1964 pp103-113.

ينكرون وجود الله والذين يقولون أن معه إلها آخر والذين يقتلون النفس بغير الحق والذين يزنون أولئك يخلدون في نار جهنم والذين لا يصلون ولا ينفقون في سبيل الله أو يسرفون والذين يستكبرون.

أما من يجتنب هذه الآثام فإن الله يرحمه، كل ذلك يمكن استنتاجه من سورة الفرقان: 63-69، ثم يقول الله تعالى:

-" إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ " (الفرقان، 70)[1]

- أما الذين اتقوا وآمنوا واجتنبوا الفواحش ولكنهم ارتكبوا ذنوبا فسيخرجون من النار:

-" ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ " (مريم، 72)

-" وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ " (الأنعام، 128)

-" فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ

[1] صالح بن محمد بن علي آل سويلم:أشراط الساعة والإيمان بالغيب ص 403

رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ " (هود، 106، 107)

بل إنه من يؤمن بأنه لا إله إلا الله ويعمل صالحا أولئك سيعذبون في النار ولكنهم لم يكونوا عرضة للخوف الذي يحدثه غضب الله على الكافرين والذي هو أشد عذابا من النار:

-" قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ " (البقرة، 38)

-" إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ " (البقرة، 62)

-و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سيخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير".[1]

- و تأتي إشارة في القرآن الكريم إلى الشفاعة[2]:

-" ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

[1] - صالح بن محمد بن علي آل سويلم:أشراط الساعة والإيمان بالغيب، ص 411. الحديث من صحيح البخاري (1/195)، سنن النسائي (2/229) ، و في شرح مسلم للنووي (1/69): لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد و هذه قاعدة متفق عليها عند أهل السنة

[2] المرجع نفسه ص415-413

وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾" (الأعراف، 157)

○ أما الجنة فعرضها كعرض السماوات والأرض، أعدها الله من رحمته لا للذين لا يذنبون، فالله هو وحده الذي لا يخطئ، بل للذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله، و لم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (سورة آل عمران: 133، سورة الحديد: 21)، ورضوان الله الذي يحل بالمقيمين هناك أكبر من متع الجنة جميعها:

-" وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ " (التوبة، 72)

و أي متعة أكبر من أن نرى إلهنا العظيم الذي خلق كل شيء، وكل ما عداه شيء، يقول الله تعالى إن أهل الجنة سيرونه:

-" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ " (القيامة، 22، 23)

و يشرح حديث نبوي حقيقة هذه الرؤية يقول كما جاء في متن الحديث:

-" إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"[1]

و قد كان القمر يومها بدرا.[2]

[1] سنن النسائي (1305)، البخاري "كتاب مواقيت الصلاة" (549)، صحيح مسلم "كتاب المساجد و مواضع الصلاة" (1003)

2 عمر سليمان: اليوم الآخر الجنة والنار، ص 50-52.

- **و في العهد القديم:**

-" لا تكون لك بعد الشمس نورا في النهار ولا القمر ينير لك مضيئا بل الرب يكون لك نورا أبديا وإلهك زينتك لا تغيب بعد شمسك وقمرك لا ينقص لأن الرب يكون لك نورا أبديا" (اشعياء: 19:60، 20).[1]

-تعقيب على علامات الساعة بين التصور في الإسلام والتصور الكتابي:

بعد عرضنا لعلامات الساعة بين الإسلام والمسيحية يمكن أن نقرر مواطن الاتفاق والاختلاف على الوجه التالي:

- **أوجه الاتفاق:**

1. **أولا:** يتفق التصور المسيحي مع التصور الإسلامي في أن الساعة لا يعلمها إلا الله وحده، ووردت نصوص في الأناجيل تتفق مع نصوص القرآن الكريم في هذه القضية، ولا شيء في هذا التوافق بين بعض نصوص الأناجيل ونصوص القرآن، ما دمنا نعترف أن للأناجيل أصلا صحيحا انحرف عنه، هذا الأصل الصحيح يتمثل في الإنجيل الذي أخبرنا الله عز وجل أنه علمه لعيسى ابن مريم عليه السلام.

2. **ثانيا:** أن أشراط الساعة وعلاماتها في الأناجيل جاءت موافقة في المعنى العام مع ما ورد عن أشراط الساعة في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، مع الاختلاف بين الإجمال عند المسيحيين والتفصيل عند المسلمين، وأيضا بعض الجزيئات التي انفرد بها التصور الإسلامي عن التصور المسيحي.

3. **ثالثا:** أن ظهور المسيح الدجال والفتن التي يحدثها قرب قيام الساعة مما اتفق عليه التصور الإسلامي مع التصور المسيحي، مع ملاحظة الإجمال عند المسيحيين والتفصيل عند المسلمين، وأيضا بعض الجزيئات التي انفرد بها الإسلام عن المسيحية كصفة المسيح الدجال، وكيف أنه أعور، وان تلك الصفة أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يخبر أي نبي أمته بتلك الصفة، وعند بحثنا عن تلك الصفة للدجال في كتب المسيحية لم نجد لها أي ذكر وهذا تصديق للرسول صلى الله عليه وسلم.

[1] أبو المجد ليلى إبراهيم: مدخل إلى دراسة التلمود، جامعة عين شمس القاهرة 1996-1995، ص 153-157.

4. **رابعا:** نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان لقتل الدجال مما يتفق فيه التصور المسيحي مع التصور الإسلامي.

- **أوجه الاختلاف:**

1. **أولا:** التناقض الموجود عند المسيحيين بين اعتقادهم في ألوهية المسيح عليه السلام وكونه لا يعلم الساعة، وبلوغ هذا التناقض أقصى حد في عبارة أحد المفسرين: "وباعتباره إنسانا لا يعلم وقتها" وهذا يخالف التصور الإسلامي جملة وتفصيلا

2. **ثانيا:** يختلف التصور المسيحي عن التصور الإسلامي في حكم المسيح بعد قتل الدجال، إذ يعتقد المسيحيون أن المسيح سينشر الإنجيل في كل المسكونة، وهذا يخالف ما في العهد الجديد من أن المسيح رسالته لبني إسرائيل خاصة، ويخالف التصور الإسلامي في أن المسيح عليه السلام سوف ينزل ليحكم بشريعة الإسلام، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ومعلوم أن دعوة الإسلام هي الدعوة العالمية للناس كافة، وهي الدعوة التي يأتي المسيح عليه السلام ليدعو الناس إليها.

- **أشراط الساعة بحسب الرؤية اليهودية:**

نظرا لقلة المصادر اليهودية فإننا لم نعثر في المراجع المتاحة لنا على أي إشارة عن علامات الساعة في التصور اليهودي على عكس ما في الإسلام، وما في المسيحية، ويبدو أن التوراة الحالية لا تهتم كثيرا باليوم الآخر وما يسبقه وما يقع فيه، وإنما تجعل اهتمامها بالحياة الدنيا وما فيها، وأنه إذا وجد عند مفكري اليهود تفصيلات عن الآخرة وعلاماتها فقليلا ما يعثر عليها الباحث، نظرا لأن الديانة اليهودية غير تبشيرية، ولأن اليهود لا يحبون نشر دينهم خارج جنسهم من اليهود.

و هذا ما نسجله في البداية عن قلة المصادر اليهودية التي يمكن أن يرجع الباحث إليها، وعلامات الساعة لا نجد في العهد القديم حديثا عنها، حتى المسيحيون الذين يستدلون على الساعة وعلاماتها لا يرجعون إلى العهد القديم في الاستدلال على علامات الساعة بالرغم من أنهم يعتبرون العهد القديم من الأصول التي يرجعون إليه ويستدلون بها على كثير من قضاياهم، ولو كانت علامات الساعة واضحة في العهد القديم لاستدل النصارى عليها بالعهدين القديم والجديد معا، وهذا ما لم نلحظه في استدلال المسيحيين، إذ رأينا أنهم يكتفون بالعهد الجديد فقط.

و للأمانة العلمية، فإننا قد عثرنا على نص عند أحد مفكري اليهود، فيه إشارة ضمنية إلى علامات الساعة، تتمثل هذه الإشارة في استدلال هذا المفكر على أن اليهود سيميزهم الله عن بقية الأمم، فيحييهم في الدنيا أولا قبل الآخرة، ليصل حياتهم الآخرة بحياتهم الدنيا. يقول سعديا الفيومي* : " أليس نحن معشر الموحدين مقرين بأن الخالق جل جلاله يحيي جميع الموتى في دار الآخرة للمجازاة؟ فأي شيء لمنكر أن يكون فضل هذه الأمة بمدة زيادة، يحيي فيها موتانا قبل دار الآخرة، حتى يصل حياتهم تلك بحياة الآخرة وأي شيء السبب المانع من ذلك والدافع له؟ أو ليس هو عدلا، يعوض كل ممتحن حسب محنته، وأمتنا هذه قد امتحنها بالأمور العظيمة، فبالأحرى أن يزيدها هذه المدة من قبل الدار الآخرة، فتكون أفضل من جميع المحسنين، كما كان صبرها ومحنتها أفضل منهم"[1].

و هذا النص يعطي إشارة ضمنية إلى علامات الساعة، إذ أن ذلك يحدث قبل قيام الساعة.

* سعديا الفيومي (883-943): ويدعى "سعديا جاءون"، ولد في مصر في قرية بالفيوم عين بالعراق رئيسا لحلقة "سورا" التلمودية كتابه "رد على القرائين وتقديم عقائد يهودية للعالم الإسلامي" مزج للتوراة بالحكمة اليونانية، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية لعبد الوهاب المسيري، ج2

[1] سعديا الفيومي: الأمانات والاعتقادات، طبعة، لندن 1882. ص 226

المبحث الثاني: رؤية الله ووصف الجنة في الإنجيل والقرآن:

- **في العهد الجديد[1]:**

-" طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (متى 6:5)

-" ميراث القديسين في النور" (الرسالة إلى كولوسي 12:1)

-" والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أناره" (رؤيا يوحنا اللاهوتي 23:21)

-" إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ " (آل عمران، 77 / البقرة، 174)

-" تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ " (الأحزاب، 44)

و في ظني أن اسم الله السلام هو اسمه لأهل الجنة فهناك فقط ينعم بالسلام ولا يمكن أن يوجد سلام حقيقي على الأرض.

- و تحييهم الملائكة:

-" جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾"(الرعد، 23، 24)

[1] Armerding Carl E. and W.Ward Casque 1985 :A Guide to Biblical prophecy. Peabody,MA: Hendrikson. Pp412-416

- و يرون الملائكة:

-" وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ " (الزمر، 75)

- **في العهد القديم:**

-" يكون أني قبلما يدعون أنا أجيب" (أشعياء 34:65)

من هنا لن يكون هناك حقد أو حسد.[1]

- و يرى أهل الجنة أيضا الأنبياء والصديقين وبعضهم يكون معهم:

-" وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ " (النساء، 69)

-" حينئذ يضيء الأبرار كالشمس" (متى 43:13)[2]

و كل هذه المتع لا يمكننا تصورها الآن ولن يمكننا إدراكها إلا إذا رفع الله إدراكنا، بأن يصرف عنا شياطين الإنس والجن، كما سيرفع إدراك أهل الجنة في ذلك اليوم:

-" فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ " (السجدة، 17)

- **و في الكتاب المقدس للمسيحيين: –من العهدين –**

---

[1] مخل إلى دراسة التلمود، ص 163 وما بعدها.

[2] Armerding Carl E . and W .Ward Casque 1985 :A Guide to Biblical prophecy. Peabody,MA: Hendrikson. P426-427

-" ما أحلى مساكنك يا رب الجنود" (مزمور 1:84)

-" لم تر عينا إلها غيرك يصنع لمن ينتظره" (أشعياء 4:64)

-" بل كما هو مكتوب ما لم تر عين و لم تسمع أذن و لم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه" (الرسالة الأولى إلى كورنيثوس 9:2).[1]

- و الجنة لا برد فيها ولاحر:

-" مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ " (الإنسان، 13، 14)

-" وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ " (النساء، 57)

-" إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ " (المرسلات، 41)

- و ليس في الجنة إلا الطيب من القول:

-" لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ " (النبأ، 35)

-" وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ " (الحج، 24)[2]

[1] فهيم عزيز:الفكر اللاهوتي في كتابات بولس دار الثقافة القاهرة ص 163-161

[2] Armerding Carl E. and W.Ward Casque 1985 :A Guide to Biblical prophecy. Peabody,MA: Hendrikson. P437.

هكذا تتقارب[1]..، هكذا تتقارب ,حتى تقارب الاتحاد، الوصيتان الأوليان في القرآن الكريم وأسفار أهل الكتاب، ولكن العبرة ستكون بمن يؤمن ويتبع الأحكام والوصايا وليس بالذي يضعها في جيبه أو يعلقها على حائط بيته ..

[1] Ibid, P439.

الخـــــاتمـــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الاعتقاد أو الإيمان باليوم الآخر هو شيء عظيم وله آثار بالغة على النفس والروح والجـــسد والفرد والمجتمع، وعجبا لمن ارتاب .. لمن أنكر النشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى !

و من هنا نلحظ، لو أن الناس آمنوا بيوم الميعاد وأنه اليوم المستقر، لما توصلت الإنسانية إلى هـــذا الحد من الانقسام والتناحر وهذا الظلم والاعتداء، فلا بد للإنسان أن يكون على "يقين" من تحقق الحياة بعد الموت، وما الموت إلا حالة انتقال وعبور من دار الدنيا إلى دار الآخرة، فيجب عليه أن يعد العدة لذلك اليوم آخذا معه زاده، وهو زاد العمل والإيمان، زاد التقوى ..

و لا يتصور هذا الإنسان الضعيف أمام قدرة الله إنما خلق مهملا لا أمر له ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب، بل لابد له من الرجوع إلى الذي وعده حق وقوله حق وهو الذي تنزه وتقدس عن أن يخلـــق شيئا عبثا أو سفها لقوله جل وعلا: "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم".

مما يقودنا في نهاية هذه الدراسة الموضوعية لليوم الآخر في الشرائع السماوية إلى تسجيل خلاصة البحث وما توصلنا إليه من استنتاجات نجليها في النقاط التالية:

- قال تعالى في سورة فصلت الآية 11: " ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لهـــا وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين"

و في هذا إيماءة عجيبة إلى انقياد هذا الكون بما فيه ومن فيه للناموس الإلهي وإلى اتصال حقيقـــة هذا الكون بخالقه اتصال الطاعة والاستسلام لكلمته ومشيئته، " ولقد سرت هذه الإيماءة العجيبة بالخلق سريانها بالأرض والسماء، إلا من حق عليه العذاب ممن انقاد إلى النواميس الكونية مكرها غير طائع.

فيا لرضى وسعادة وراحة وطمأنينة القلوب في رحلتها القصيرة على هذا الكوكب الطائع الملبي السائر في رحلته الكبرى إلى ربه في نهاية المطاف[708].

و بناء على هذه الحقيقة البينة في كتاب الله تعالى واعتمادا على هذا الناموس الإلهـــي نجـــد –في الفصل الأول من الباب الأول– من خلال استقصاء عقائد الأمم والشعوب والحضارات القديمـــة مـــن ناحية الاعتقاد بالحياة الأخرى بعد الموت نجد أن معظمها اعتقدت بالحياة الآخرة مـــع شـــيء مـــن الاختلاف حول طبيعة هذه الحياة ويرجع سبب ذلك إلى تعريف القساوسة والرهبان ..

[708] انظر الظلال 7/231

أما في الفصل الثاني من الباب الأول، ومن خلال ما توصلت إليه الدراسة من نتائج يتضح أنـــه يوجد تباين وتناقض وتضارب بين المصادر الدينية اليهودية حول مفاهيم الموت والبعـــث والحـــساب والثواب والعقاب وعدم وضوحها في بعض الأحيان وربما تسبب هذا التضارب والتباين وعدم الوضوح في ترسيخ مفهومين أساسيين:

-نظرة بعض اليهود إلى الموت على أنه المصير النهائي وخشيتهم منه والتماسهم شتى السبل الـــتي تضمن لهم طول العمر، نتج عنها حب اليهود للدنيا وتمسكهم الشديد بها، مما يعكس عـــدم إيمـــانهم بوجود حياة أخرى بعد الموت، من بعث أو حساب أو ثواب أو عقاب وهذا ما أشارت إليه بعـــض الفرق اليهودية مثل فرقة الصدوقيين وما أشار إليه بعض علماء التلمود وربما انعكس ذلك على تصرفات وسلوك اليهود في عصرنا الحالي، فما لم تكن هناك حياة أخرى، فلا حساب ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا نعيم ولا جحيم فما المبرر لكبح جماح النفس ومقاومة الشهوات أو وقـــف العـــدوان وإقرار التسامح !

-تفشي النظرة العنصرية بين البعض الآخر من اليهود التي تمثلت في قصر البعث والحساب والثواب على اليهود وحرمان غير اليهودي من البعث والحساب والثواب بينما الموت هو مصيره النهائي. فالموتى من بني إسرائيل فقط سوف يبعثون ثم يعودون إلى فلسطين مـــن أجـــل الاســـتمتاع بنعـــيم الأرض، والمشاركة في أيام المسيح دون غيرهم من الأمم وهذا ما أشار إليه التلمود والمفسرون اليهود، كما أنهم لن يقدموا حسابا على ما اقترفوه من آثام وكبائر وهذا ما أشار إليه المفسرون اليهود. كمـــا أن عـــالم الثواب الذي أطلقوا عليه "العالم الآتي" خلق لبني إسرائيل دون غيرهم وأنه ليس لغير اليهود نصيب فيه –بحسب العهد القديم–، ربما امتدت تلك النظرة العنصرية إلى عصرنا الحالي، فهذه النظـــرة جعلتـــهم يستحلون دماء غير اليهودي، فبما أنهم لن يحاسبوا وبما أنهم لن يعاقبوا، فمن حقهم أن ينشروا الفساد في الأرض وأن يبيحوا الرذيلة ويعملوا على نشرها. وبما أن كل واحد منهم يضمن له مكانا في "العـــالم الآتي"، فمن حقهم أن يزيفوا الحقائق وأن يحتلوا أرض الغير بغير وجه حق !

- كما تشير الدراسة إلى عدد من التناقضات في تصوير العهد القديم وكتـــب التفاســـير، وتتمثل في خلط التلمود بين "أيام المسيح" و"العالم الآتي"، فأحيانا تشير التفاســـير إلى أنهمـــا حقبتـــان مختلفتان وأحيانا أخرى يشيرون إلى أنهما حقبة واحدة، كما تتمثل في اختلاف علماء التلمود حـــول

مشاركة الآخر "غير اليهودي" في العالم الآتي من عدمه، وكذلك اختلافهم حول المحرومين من العـــالم الآتي، وكذلك حول الأعمال التي تؤدي إلى الحرمان من العالم الآتي.

كما تمس هذه التناقضات أيضا في الصورة التي رسمها علماء التلمود للأتقياء في العالم الآتي.

- نأتي إلى "الدينونة" في العهد الجديد –الفصل الثاني من البـــاب الأول- (انظـــر: مـــتى 15:10 ورو 16:2)

فبحسب الأناجيل فهو "يوم المسيح" هو يوم الغضب (رو 5:2)، هو اليوم العظيم و"ذلك اليوم" في (متى 22:7). وسيكون بصورة فجائية مباغتة ولا يعرف الوقت إلا الآب في السماء (متى 36:24 ولو 34:21) ويقوم الأموات إما لقيامة الحياة أو لقيامة الدينونة (يو 28:5-29) وسيقدم جميع الناس حسابا عن أعمالهم.

كما لا يغيب التقاء الديانتين في مواضع: إذ لولا هذا الحساب لما عرف الناس معنى المسؤولية في هذا العالم ! (راجع: (متى 31:25 وما بعدها)).

- و لا يفوتنا بعد –التحليل والاستقراء- التنبيه إلى المعتقدات المذهبية المشتركة التي تمنح المسلمين والمسيحيين الحق في أن يعتبروا أنفسهم يشارك بعضهم تراثا دينيا واحدا !

إنهم يتحدون كلهم في الإيمان بالله وملائكته والإيمان بمصير لا نهاية له بعد الموت والقيامة، كمـــا يتحدون في العلم اليقين بأن الله قد أرسل بعض الأنبياء وبلغ كلامه المنزل في بعض الكتب المقدسة وإن اختلفت الديانتان في من هم الأنبياء وفي ماهية الكتب المقدسة.

و كلاهما يجد في سر هذه المعتقدات المبررات النهائية لمعاملاتهم الدنيوية والتزاماتهم البشرية.

فإن كان من المعلوم أن معتقدات المسيحيين والمسلمين تختلف في كثير من المواطن الجوهرية، كان من الواضح أيضا أنها تتقارب تقاربا موحدا في الحقائق الأساسية.

- أما في الإسلام –المبحث الثالث من الباب الأول- فقد قيض الله تعالى لهذا الدين الذي كتب له الخلود والذي جعله الله خاتم الرسالات وناسخ الشرائع التي سبقته، رجالا صدقوا ما عاهـــدوا الله عليه وعلماء أجلاء حملوا الأمانة وبلغوها، اقتداء بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم "و إن لكم لفي

رسول الله أسوة حسنة" فتصدوا لمكائد الكائدين وضلالات المضللين والمحـــرفين وهرطقـــة الفلاســـفة الملحدين فأبانوا دسائسهم وكشفوا زيف ادعاءاتهم وفندوا مزاعمهم.

فغدا الإسلام كالطود العظيم شامخا وراسخا إلى يوم الدين !

- ففي زمن طغيان المادة وانتفاشها الفارغ وتمكنها من بعض القلوب والعقول التي حجبتها عن نور الإيمان لقوله جل وعلا: " كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" فأصبحوا لا يؤمنون إلا بالمحسوس الملموس.

في هذا الزمن بالذات نجد أن الكثيرين آمنوا بالغيب إيمانهم بالشهادة، وهذا الإيمان لم يكن سعة في الخيال أو قصورا في العقل أو هروبا من واقع بل إنه إيمان شيد وقام على ركائز أساسية متينـــة، إيمـــان اعتمد على العقل قبل النقل وعلى الحجج المنطقية الدامغة !

- و قد اثبت العلم الحديث ذلك بما لا يدع مجالا للشك ضمن أدلة منطقية علمية واضحة ثابتة مما حدى بأحد العلماء وهو الدكتور دوكاس للقول: " ويتضح من هذا أن عقيدة بقاء الحياة بعد الموت –التي يؤمن بها الكثيرون منا كعقيدة دينية– ليس من الممكن أن تكون واقعا فحسب وإنما لعلها هي الوحيدة من عقائد الدين الكثيرة التي يمكن إثباتها بالدليل التجريبي"[709].

- و موضوع البحث ذا أبعاد روحية وعقدية ذات الأثر البليغ على الفرد والمجتمع يكتسي أهميته حينما نعلم أن جزيئاته مبثوثة في أهم مصدرين مقدسين* في التاريخ البشري وهذا ما يجعله يتبوأ مكانة مرموقة في مجال الدراسات المقارنة التي تستقي أهميتها من أهمية عناصرها، بل حتمت علينا طبيعة الموضوع أن نحيط بسياج من النظر لكل جوانبه ومن جميع زواياه وكيف تطور مفهوم البعث من التراث اليهودي المعتمد على الدين في مجمله بما يتضمنه من أفكار وتفرعات تمثل إحدى الركائز الأساسية التي اعتمدت عليها الحركة الصهيونية لتحقيق هدفها الاستعماري، بل أن حقيقة اختيار فلسطين كـــأرض لتحقيق هذا الهدف مردودة، فقط يرجع إلى تأسيس الفكر الصهيوني لجزء عظيم من فلسفته على الدين

[709] وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى: ترجمة ظفر الإسلام خان، مطبعة المختار الإسلامي، القاهرة، ص 148.

* الكتاب المقدس والقرآن الكريم: le petit prince d'antoine de St Exupéry étant l'ouvrage le plu lu après la bible !

كإحدى دعائمه الأساسية.

- كما أوضحنا أن السبب الذي جذب قادة الفكر الصهيوني لتجنيد فكرة الخلاص لخدمة ونشر دعواهم بين اليهود يرجع إلى ما تتضمنه تلك الفكرة منذ فترة العهد القديم من أمـــل في مجـــيء حاكم مثالي يعمل على خلاص شعبه ويقيم مملكة داود المثالية.

- كما ركزت هذه الدراسة على إبراز الأبعاد الدينية لعقيدة البعث وعلى دورها في رسم سياسة وتوجهات أقوى دولة في العالم تجاه المنطقة العربية والعالم الإسلامي انطلاقا من إيمان أتباع هذا التيار بنبوءات كتابية يعملون على تطبيقها حرفيا على أرض الواقع اعتقادا منهم بأنهم ينفذون أمرا إلهيا للتعجيل بالرجوع الثاني للمسيح "La parousie" والذي لن يتم حسب اعتقادهم إلا من خـــلال تحقيق بعض المقدمات الضرورية التي تسبقها من إقامة دولة إسرائيل المنصوص عليها في التوراة –مـــن النيل إلى الفرات– وتجميع يهود العالم فيها ثم وقوع معركة كبرى بين قوى الـــشر والخـــير تـــسمى "هرمجدون" يباد فيها ملايين البشر ..

تدعمها الأصولية المسيحية المعاصرة تأييدا منها لمقاصد الله في تحقيق نبوءاته .. والتي من شأنها – بحسبهم طبعا– تعميم البركة الإلهية على العالم كله ولن يتم ذلك إلا عن طريق هيمنة إسرائيلية كاملـــة على كل فلسطين !

- تلكم هي صورة التحالف الصهيوني المسيحي والترجمة السياسية لنظرية الألفية وســـبب التأييد المسيحي لليهود والذي يضرب جذوره في أعماق الفكر الديني لعقيـــدة البعـــث في الأديـــان السماوية.

- ثم في الفصل الثاني من الباب الثاني وقفنا على مظاهر الإيمان باليوم الآخـــر أو علاقـــة المعتقد بالسلوك وآثارها على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، وخلصنا إلى أنه لو لم يكن بعـــث ولا حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي يتره الرب الحكيم عنه ..

و إنما تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها .. وتحرير العقل مـــن التخبط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة ..

في الختام، نسأل الله السداد والرشاد وأن يجنبنا الزلل والخلل، ومعذرة عن كل تقصير أو نقـــص فهي صفة الإنسان لأنه لا يستطيع الوصول للكمال، فالكمال لله وحده. وما توفيقي إلا بـــالله عليـــه توكلت وإليه أنيب – والحمد لله رب العالمين-.

تم بحمد الله تعالى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

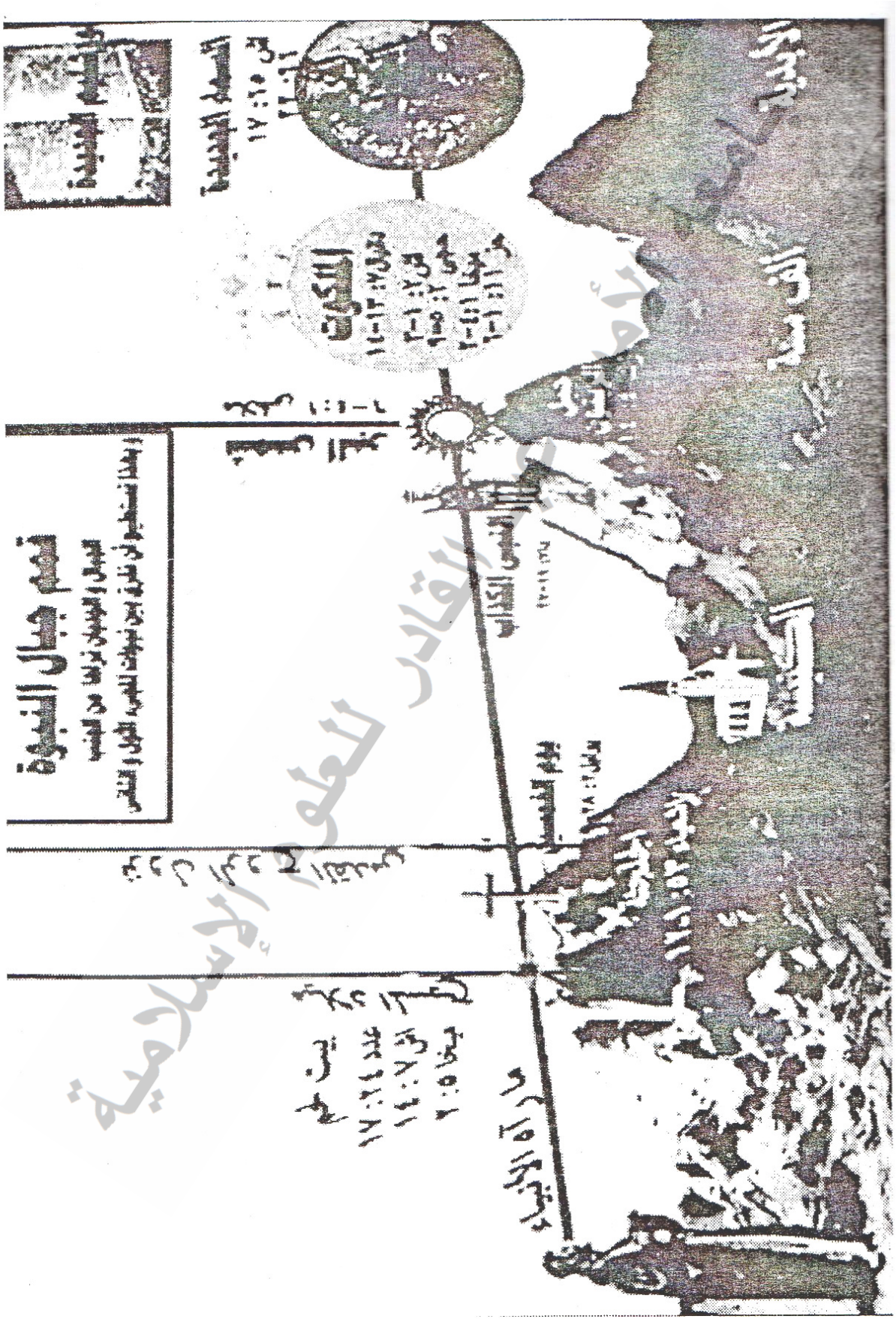
قسم جبال النبوة

(يوضح رسم نظرية التفسير الروحي)

رسم تخطيطي يوضح ما يؤمن به "الأحقوا الألف سنة"

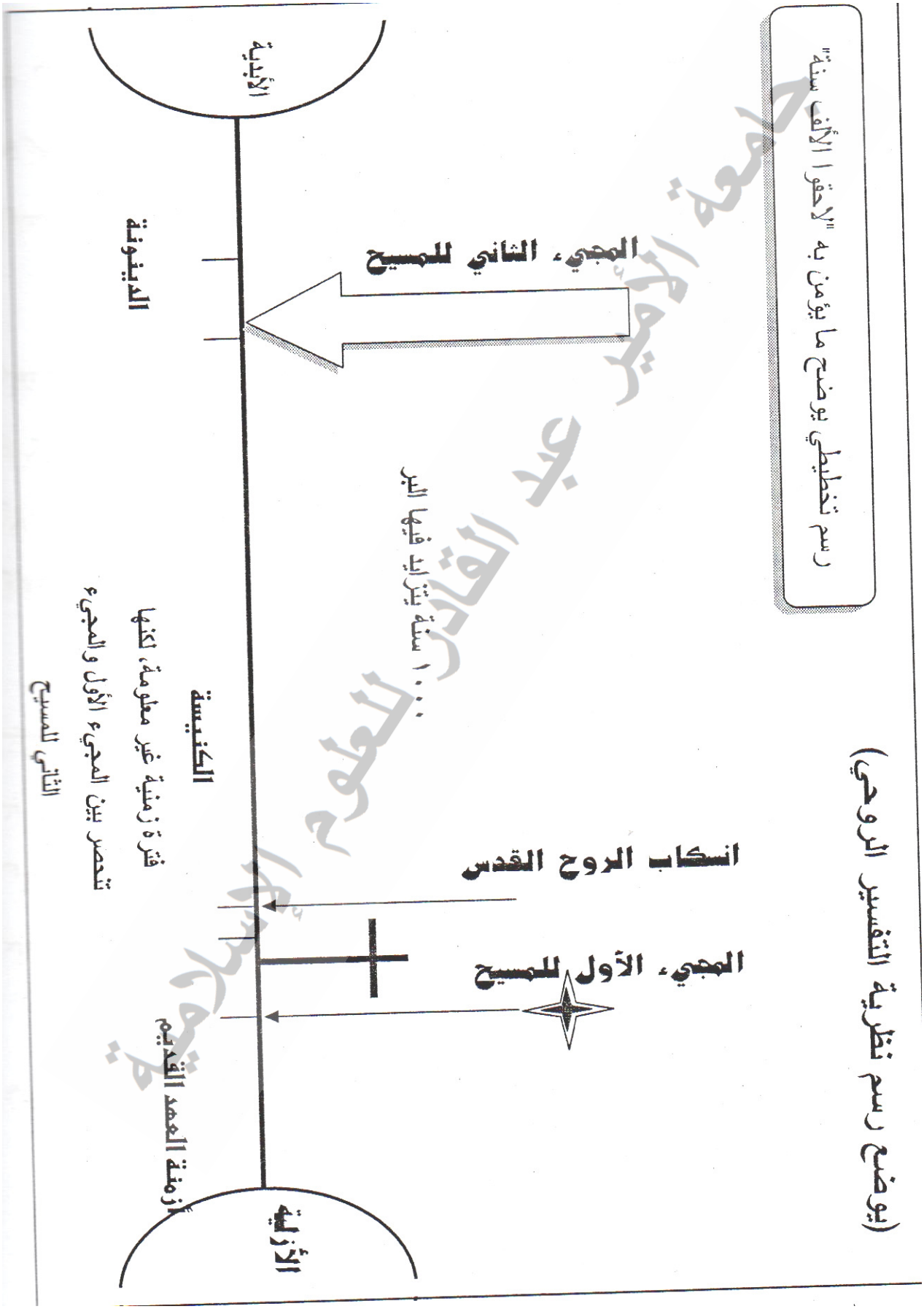

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(يوضع رسم نظرية التفسير الحرفي)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- **المدراش (بالعبرية .....):**

هي سلسلة مجموعة من التعليقات القديمة على كل أجزاء التناخ بتنظيم مختلفين من مجموعة إلى أخرى فكل جزء من كتاب في المدراش يمكن أن يكون قصيرا جدا وبعضه يصل في القصر إلى كلمات قليلة أو جملة ويوجد بعض من أجزاء من المدراش في التلمود.

المدراش هلخاه هي شروح الحاخامات المدراشية للمقرا، التي تربط بين المكتوب بالمقرا وبين الهلخاه العملية. والمدراش يربط بين الآية وبين الهلخاه، وبذلك يوفر رؤية عن منطقية الهلخاه، ففهم الآية بشكل معين يمنح تأييد الهلخاه، وفي بعض الأحيان تعد مصدرها الأول (على الرغم من وجود شرائع عديدة ليس لها مصدر في التوراة). ويستخدم المدراش أيضا لإنتاج شرائع جديدة، سواء من الاقتباس المباشر من الآية أو على أسس الشروح المعقدة. المجموعات الأساسية من مدرشي هلخاه الموجودة بحوزتها هي مخيلتا على سفر الخروج، وهسبرا على سفر اللاويين وهسفري على سفر العدد وسفر التثنية. والعديد من مدرشي هلخاه مقتبسين من التلمود.[1]

[1] رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2002، ص 203.

- اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المفاهيم والعقائد الاساسية في اليهودية / مج الخامس، الجزء الثاني، الباب العشرون.

- **"غوش إيمونيم" أو "جوش إمونيم":**

حركة دينية قومية غير برلمانية تنادي بفرض السيادة الإسرائيلية على يهودا والسامرة وقطاع غزة وتعتبر ذلك هدفا حيويا لتحقيق الصهيونية، تدعي حركة غوش إمونيم أن الطريق لتحقيق هذا الهدف هو عن طريق التواجد المكثف للمواطنين اليهود في جميع هذه المناطق. ومن أجل تحقيق هذا لم تقم هذه الحركة بعمليات استيطان فقط بل اهتمت بالجوانب التربوية والمشاريع الاجتماعية، الإعلام، وتشجيع الهجرة. وفيما يتعلق بالسكان العرب في المناطق فقد دعت حركة غوش إمونيم إلى التعايش معهم ورفضت بإصرار مبدأ الترانسفير الذي دعا إليه منير كهانا. وقد أخذت حركة غوش إمونيم النظرية من عقيدة الحاخام تسفي يهودا كوك، التي بموجبها خلاصة ماهية الشعب الإسرائيلي هي نيل الخلاص الجسماني والروحاني بواسطة العيش في أرض إسرائيل تفرض استمرار البقاء فيها بعد تحريرها من الحكم الأجنبي، ويجب إعمارها حتى وإن كان ذلك مخالفا لسياسة الحكومة.

و قد تم تأسيس حركة غوش إمونيم في شباط / فبراير عام 1974، وكانت الشخصيتان البارزتان فيها هما: حنان بورات (و الذي أصبح مع مرور الوقت عضو كنيست عن حركة هتحييا وبعد ذلك عن حزب "المفدال") والحاخام موشيه لفينغر.

في البداية كانت الحركة مرتبطة بالمفدال[1] لكنها بعد عدة أشهر قطعت علاقتها السياسية به. وقد حاولت حركة غوش إمونيم في المرحلة الأولى إقامة المستوطنات اليهودية في المناطق خارج حدود خطة ألون (راجع / ي يغئال ألون)، والذي اعتمدت عليه سياسة الاستيطان للحكومة الأولى برئاسة يتسحاق رابين. واكبت هذه المحاولات مسيرات جماهيرية ومظاهرات واعتصام فعال في المواقع التي اختيرت للاستيطان فيها، وفي أكثر من مرة من خلال الصدمات مع قوات جيش الدفاع الإسرائيلي. وقد تم الطرد بالقوة للمجموعة التي قررت الاستيطان في "ألون موريه" بالقرب من سبسطية القديمة سبع مرات إلى أن حصلت على ترخيص بالانتقال الموقت إلى

[1] المفدال: حزب ديني قومي تأسس في 1956

المعسكر في "كادوم" ومن هناك انتقلت بعد فترة إلى جبل "كبير" والذي يقع شرقي نابلس. وقد أخطأ وزير الدفاع، من وجهة نظر معارضي غوش إمونيم في ذلك الحين، شمعون بيرس، عندما صادق على هذا الترتيب.

مع الوقت اتسعت أوساط مؤيدي حركة غوش إمونيم عندما انضمت إليها مجموعات غير متدينة مثل كل من الحركة من أجل أرض إسرائيل الكبرى ومجموعة "عين فيرد" من حزب العمل وأعضاء من التكتل والمهاجرين الجدد من الاتحاد السوفييتي.

في أعقاب "الانقلاب" في عام 1977 والسياسة الاستيطانية للحكومة برئاسة مناحيم بيغن وراء "الخط الأخضر"، استطاعت حركة غوش إمونيم العمل بانسجام أكبر مع الحكومة من جهة كما ومع الهستروت الصهيونية من جهة أخرى، إلا أنه معارضتها لخطة الحكم الذاتي كما اتقف عليها في اتفاقيات كامب دايفيد، ومعارضتها انسحاب إسرائيل من سيناء في إطار اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل أثارت توترات ليست بقليلة.

و في عام 1978 تم تأسيس "أمانا" على أنها الساعد القائم على الاستيطان من قبل غوش إمونيم.

بعد مدة أقيمت "بماعاليه" لرعاية المهاجرين الجدد. وفي ربيع عام 1982 أسس نشطاء في حركة غوش إمونيم الحركة لوقف الانسحاب من السيناء، التي تزعمت معارضة إخلاء ياميت. وقد أدى التجميد شبه الكامل لإقامة المستوطنات الجديدة بعد إقامة حكومة الائتلاف الوطني في عام 1984، إلى جانب ازدياد العمليات الإرهابية الفلسطينية في المناطق، وبعدها اندلاع الانتفاضة، أدت جميعها إلى إدخال حركة غوش إمونيم إلى مرحلة جديدة ازدادت في خلالها المطالبة بممارسة نشاط أكثر نجاعة من جانب جيش الدفاع الإسرائيلي، مع المطالبة باستئناف الحملة الاستيطانية، وخاصة في كل من مدينتي نابلس والخليل. وقد قامت حركة غوش إمونيم في هذا الوقت بمحاولات للقيام بدوريات مدنية مسلحة في المناطق، إلا أن السلطات حالت دون ذلك.

في أثناء ذلك بدأت تظهر على السطح مشاكل داخلية في حركة غوش إمونيم، نتجت بعضها عن البيروقراطية داخل حركة غوش إمونيم، وبعضها عن حقيقة كون جمهور المستوطنين غير متجانسين بعد وأن الكثيرين من المستوطنين في يهودا والسامرة وقطاع غزة تنقلوا إلى هناك

ليس من منطلقات عقائدية بل لأسباب اقتصادية وبحثا عن حياة أفضل. وتحفظوا من الصراعات العقائدية التي قامت بها حركة غوش إمونيم.

أما السبب الرئيسي للمشاكل الداخلية فقد كانت اختلاف وجهات النظر بين العناصر الأكثر تطرفا وبين العناصر الأكثر اعتدالا داخل الحركة. لقد أسفر اكتشاف "الحركة السرية اليهودي" التي كان غالبية أعضائها أعضاء في حركة غوش إمونيم، أسفر عن هزة عميقة في داخل حركة غوش إمونيم. وقد زادت الأزمة تصعيدا عندما أخذت المواطنة دانيئلا فايس، والتي تم اختيارها عام 1984 السكرتيرة العامة للحركة والممثلة للخط المتشدد للحاخام لفينغز، أخذت تكافح باسم حركة غوش إمونيم من أجل إطلاق سراح أعضاء الحركة السرية. وقد وقفت فايس أيضا من وراء عملية انتقام عنيفة قام بها أعضاء حركة غوش إمونيم في قلقيلية عام 1987، وذلك في أعقاب إلقاء زجاجة حارقة على السيارة التي سافرت فيها المواطنة عوفرا موزيس والتي لاقت مصرعها في هذا الحدث، لقد أدت هذه العملية إلى اصطدام مباشر مع جيش الدفاع الإسرائيلي. محاولات العناصر المعتدلة في حركة غوش إمونيم —من بينهم الحاخام يوئيل بن- نون والحاخام مناحيم فرومان وحنان بورات — بتغيير القيادة المتطرفة لحركة غوش إمونيم بزعامة الحاخام ليفينغز وبني كاتسوفير، قد فشلت وأدت إلى انشقاق داخل الحركة.

و لم يتمكن زعماء حركة غوش إمونيم قبل الانتخابات للكنيست الثالثة عشر من خوض الانتخابات في قائمة واحدة، وفي نهاية الأمر لم تتمكن القائمتان اللتان كانتا مؤيدتين لحركة غوش إمونيم وهي: هتحييا، القائمة التي أقامها الحاخام ليفينغز من تجاوز نسبة الحسم. وفي أيلول / سبتمبر عام 1992 في أعقاب الفشل في الانتخابات وصعود حكومة يسارية برئاسة حزب العمل، كانت محاولة لإقامة حركة جديدة باسم "إمونيم" تواصل طريق حركة غوش إمونيم القديمة بدون الزعماء المتطرفين، ومع المحاولة للحصول على دعم سكان بلدات التطوير والأحياء الفقيرة، وقد ترأس الحركة الحاخام بنيامين (بني) أيلون (الذي صار عضو كنيست عن موليدت في الكنيست الرابعة عشر) لكنها لم تتمكن من الحصول على دعم واسع النطاق، حيث انتقل الحاخام ألون بنفسه في أعقاب اتفاقيات أوسلو إلى النشاط المتطرف في إطار حركة "زو أرتسنوا".

و قد أصدرت حركة غوش إمونيم مجلة شهرية باسم "نقودا"، وهي مازالت تصدر عن "أمانا" ومجلس يشاع (مجلس المستوطنات في يهودا والسامرة وقطاع غزة).[1]

- **داود الرائي (القرن الثاني عشر) David Alroy :**

هو داود بن سليمان، ويدعى أيضا داود الرائي (أو الروحي). سمى هو نفسه مناحم، أي "المواسي"، وهو أحد الألقاب التي كانت تطلق على الماشيح. وقد قيل إن كلمة "الروحي" أو "الرائي" تصحيف لكلمة "الدوحي"، وهو اسم أسرته بالعبرية، وهو من مواليد مدينة آمد في إقليم كردستان سنة 1135، درس التوراة والمشناه، كما أتقن علوم العرب التي كانت مزدهرة آنذاك وتعلم فنون السحر والتصوف اليهودية.

و في شمال شرق القوقاز، بدأت دعوته المشيحانية بين يهود الجبال، وذلك بعد هجوم قبائل الكبشاك (من شعوب الإستبس المقيمين حول البحر الأسود) وهو الهجوم الذي ألحق البؤس الشديد بأعضاء الجماعة اليهودية.

و يبدو أن هجمات الفرنجة على فلسطين، والفوضى في العالم العربي، طرحت إمكانات العودة وتحرير القدس في مخيلة أعضاء الجماعة.

بدأت الحركة على يد سليمان (أبي داود) الذي أعلن أنه إليا المبشر به. وقد أخذ داود الرائي في نشر دعوته بين يهود بغداد والموصل والمناطق المحيطة، وتجمعت حوله أعداد كبيرة من يهود أذربيجان، وبعد أن انكسرت قواته، حاول نقل مركز حركته إلى آمد (في جبال كردستان)

---

[1] اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المفاهيم والعقائد الاساسية في اليهودية / مج الخامس، الجزء الثاني، الباب العشرون.

- عمرو زكريا خليل، مترجم لغة عبرية، عضو جمعية المترجمين واللغويين المصريين
- Stephen Sizer : Christian Zionism, inter varisty press Leicester, England 2004, PP 82-83.

على الطريق الاستراتيجي الموصل بين مملكة الخزر اليهودية التركية (ولعل شيئا من ذكراها كان لا يزال عالقا بذهنه أو وجدانه) والممالك الصليبية، وقد انتشرت حوله الشائعات، فأشيع أنه أودع السجن ولكنه فر منه بسحره. وقد دعا الرائي يهود أذربيجان وفارس والموصل إلى أن يأتوا إلى آمد مخبئين أسلحتهم، ليشهدوا كيف سيستولي على المدينة، ويبدو أن بعض المحتالين زيفوا خطابا باسمه، وعد فيه يهود بغداد بأنه سينقلهم إلى القدس ليلا على أجنحة الملائكة، وصدق كثيرون ما جاء في الخطاب. فانتظروا وصول الماشيح طوال الليلة الموعودة، وفي الصباح أصبحوا أضحوكة الجميع.

و مما يجدر ذكره، أن المؤسسة الحاخامية، كعادتها، وقفت ضد هذه الدعوى المشيحانية وحاولت رد داود الرائي عن عزمه دون جدوى. وفي نهاية الأمر، قتله والد زوجته بعد أن تقاضى مكافأة من حاكم المدينة. وبعد مقتله، تحول إلى أسطورة حافلة بالخوارق والمعجزات الخرافية. وقد بقي المؤمنون من يهود أذربيجان ينتظرون عودته، وكانت فرقتهم تسمى "النحمانيين". وقد كتب دزرائيلي[1] رواية خيالية تدور أحداثها حوله.[2]

- **المشناه:**

كلمة عبرية مشتقة من الفعل العبري "شناه" ومعناها "يثني أو يكرر" ولكن تحت تأثير الفعل الآرامي "تانا" أصبح معناها "يدرس"، ثم أصبحت الكلمة تشير بشكل محدد إلى دراسة الشريعة الشفوية، وهي أول ما ألف في التوراة الشفهية، وتتضمن الشرائع ومجموعة واسعة من الشروح والتفاسير تتناول أسفار "العهد القديم" التي قالها التنائيم. وهناك آراء مختلفة حول بداية صيغة المشناه، لكن تم الاتفاق على أن تحريرها وصياغتها النهائية تمت في نهاية فترة التنائيم، في بداية

---

[1] دزرائيلي: (بنيامين) 1804-1881: تولى رئاسة الوزراء في بريطانيا مرتين –مؤرخ و سياسي- من اعتقاداته: في 1833 أنظر Alroyالتكامل بين المسيحية و اليهودية و ضرورة التوفيق بينهما، صاحب أعمال أدبية أهمها ص375 من الرسالة.

نقلا عن: Endelman, Todd M : « Disraeli's Jewishness reconsidered » princeton university press, May 1985, P 109-123.

[2] اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المفاهيم والعقائد الاساسية في اليهودية / مج الخامس، الجزء الثاني، الباب العشرون.

القرن الثالث، بواسطة الرابي يهودا الناسي وحكماء جيله.

-معلمو المشناه (تنائيم" (100 ق م – 200 ق م):

معلمو المشناه هي المقابل العربي لكلمة "تنائيم"، و"تنا" كلمة آرامية تعني "يكرر" ومنها "تنائيم"، وتستخدم الكلمة للإشارة إلى علماء اليهود الذين جاءوا بعد الكتبة (سوفريم) وعاشوا في القرنين الأول والثاني الميلاديين.

يبدأ عصرهم بمدرستي هليل وشماي (القرن الأول) وينتهي عند الحاخام يهودا الملقب بالبطريرك أو الناسي. ويحمل معظم معلمي المشناه لقب "رابي" بمعنى "سيدي"، ثم صار فيما بعد "راب" أو "رابانان"، أي "سيدنا" وقد أتى ذكر أسماء مائتين وخمسة وسبعين من معلمي المشناه، يقسمون إلى أربعة أجيال. وقد شهدت هذه المرحلة سحق التمرد اليهودي الأول والتمرد اليهودي الثاني ضد الرومان، حيث انتهى أولهما بهدم الهيكل وانتهى ثانيهما بهدم القدس وتحريمها على اليهود. وأدى سقوط السلطة المركزية الدينية إلى تهديد اليهودية نفسها، ولكن معلمي المشناه نجحوا في تخليص اليهودية من عناصر العبادة القربانية بحيث أصبحت اليهودية دينا يستند إلى الإيمان ويدور حول المعبد أينما كان بدلا من الهيكل في أورشليم (القدس)، وهو في الواقع تطور كان الفريسيون قد مهدوا له. كما أن ظهور مركز اليهودية البابلي (ثم السكندري)، وكذلك هيكل أونياس والتجمعات اليهودية المختلفة في مدن البحر الأبيض المتوسط، كان قد قضى على المركزية الدينية بالفعل، ولم يبق سوى الاعتراف بالواقع القائم واستيعابه داخل البناء العقائدي، ويعد الحاخام يوحنان بن زكاي (مؤسسة حلقة يفنه التلمودية) مهندس عملية الانتقال وقد عارضه في ذلك بقية الكهنة وبعض عناصر الأرستقراطية وعدد من الحاخامات.

و لكنه نجح في أن يدخل التعديلات المطلوبة ويؤكد قيادته ليهود فلسطين، كما نجح في أن تعترف به السلطات الرومانية رئيسا دينيا لليهود (الناسي أو البطريرك). وبعد هدم حلقة يفنه التلمودية، اتبع جماليل السياسة نفسها حينما أسس حلقة أخرى.

و قد قام معلمو المشناه بتفسير العهد القديم وشرحه، وبتجميع وتطوير التقاليد الشفوية الخاصة بالشريعة. وقد أخذ عملهم شكله النهائي في بداية القرن الثالث ميلادي على يد يهودا الناسي الذي جمع القوانين الفقهية وصنفها في المشناه. ويعتقد بعض العلماء أن المشناه دونت في تلك الفترة (و يعتقد الآخرون أنها دونت بعد ثلاثة أو أربعة قرون). وقد تبعهم في عملية تفسير

التوراة وجمعها الشراح (أمورائيم).[1]

- **الصهيونية:**

ملاحظة: ارتاينا تقديم نبذة عن "الصهيونية" من خلال سرد لهذه المراحل نظرا لأهمية الموضوع وارتباطه بمبحث من الرسالة.

-المرحلة الأولى: تأسيس الحركة الصهيونية:

حيث تم تأسيس الحركة الصهيونية المستندة إلى فكرة القومية اليهودية، والمتبنية لمشروع إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين "الكيان الصهيوني".

ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تبنى عدد من المفكرين اليهود الدعوة إلى تكوين قومية يهودية، وبلور هذه الدعوة المفكر اليهودي الروسي "بينسكر" في كتابه "التحرير الذاتي" الذي أصدره في عام 1882م، ولكن هذه الدعوة قوبلت بالرفض والمعارضة من بعض المفكرين اليهود المتدينين، وتبلورت هذه المعارضة في المؤتمر الوطني العام لممثلي الدين الإصلاحي اليهودي الذي انعقد في مدينة بيتسبورغ بالولايات المتحدة في عام 1885م، حيث أصدر بيانا يرفض فيه فكرة العودة إلى فلسطين معلنا أن أمريكا هي "صهيوننا".

و لكن هذه المعارضة لم تصمد طويلا، فقد انبرى ثيودور هرتزل إلى إذكاء نيران الفكرة الصهيونية في كتابه "الدولة اليهودية" الذي أصدره في عام 1895م، حيث دعا فيه جهارا إلى تأسيس دولة إسرائيل على أرض فلسطين، ثم تبع ذلك انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال السويسرية برئاسة تيودور هرتزل في عام 1897م، حيث تكرست في هذا المؤتمر الفكرة الصهيونية، وأخذت الحركة الصهيونية شكلها الحركي والتنظيمي بعد أن هزمت فكرة إقامة الوطن القومي اليهودي –أي دولة إسرائيل في فلسطين– جميع الاقتراحات الأخرى الداعية إلى إقامتها في أوغندا أو الأرجنتين وغيرها.

الدور الإسلامي في هذه المرحلة:

[1] رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2002، ص 203.

- اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المفاهيم والعقائد الاساسية في اليهودية / مج الخامس، الجزء الثاني، الباب العشرون.

لا أزعم أنني أستطيع أن أقدم أي مؤشر أو دليل على وجود أي دور للإسلاميين في مواجهة هذه المرحلة، ولعل أساتذتي الأكثر إلماما بهذه المرحلة يسدون عجزي، فيكشفوا عن أية مؤشرات أو أدلة تشرح دور التيار الإسلامي في مواجهة مرحلة تأسيس الحركة الصهيونية. (يعزى الكلام إلى: عبد الوهاب المسيري، صاحب الموسوعة المعلومة).

-المرحلة الثانية: تنفيذ مقررات مؤتمر بال:

و هي مرحلة التمهيد لتنفيذ مقررات مؤتمر بال وقد اتخذت هذه المرحلة منحيين: الأول في اتجاه إيجاد ثقل ديمغرافي في فلسطين من خلال تشجيع الهجرة اليهودية إليها، والثاني في اتجاه الحصول على اعتراف دولي يضفي شرعية على الفكرة الصهيونية ومشروعها لإقامة دولة إسرائيل في فلسطين.

دور التيار الإسلامي في هذه المرحلة:

مثلت الدولة العثمانية الإسلامية التيار الإسلامي في مواجهة الاتجاه الأول من هذه المرحلة، فقد جاءت أول محاولة صهيونية لتهجير اليهود إلى فلسطين في عام 1850م على شكل مشروع وضعه الصهيوني البريطاني "إيرل. إن. شانتري"، وتبناه وقدمه إلى الدولة العثمانية وزير خارجية بريطانيا "بانشتون"، ولكن الخليفة العثماني المسلم عبد المجيد خان —والد عبد الحميد الثاني– رفض المشروع بحزم.

و عندما انفضح دور اليهود في المؤامرة على قيصر روسيا إسكندر الثاني عام 1881م، تقدمت منظمة "أحباء صهيون" باسترحام للخليفة العثماني عبد الحميد الثاني للسماح ليهود روسيا المضطهدين بسبب تآمرهم على القيصر بالهجرة إلى فلسطين، فكان جواب السلطان حازما بالرفض.

و في عام 1892م حاول بعض اليهود الألمان الاستيطان في منطقة الساحل الشرقي لخليج العقبة، وأقاموا مستوطنة لهم في "المويلح"، فأصدر السلطان أمرا في 16 شباط / فبراير 1892م، لقواته المرابطة في السعودية بإعادة المستوطنين اليهود من حيث أتوا.

ثم بدأت محاولات هرتزل بعد مؤتمر بال لإغراء وإغواء عبد الحميد بكل وسائل الإغراء والإغواء، ومستغلا وساطة العشرات من الزعماء الأوروبيين لدى السلطان لثنيه عن موقفه

الرافض لفتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولا أريد أن أفصل كثيرا فيما جرى من صراعات بين السلطان عبد الحميد وهرتزل حول هذا الأمر، فمجال ذلك في الكتب الكثيرة التي تحدثت عن هذه الصراعات، ولكنني أريد أن أخلص إلى القول بأن الدولة العثمانية وخليفتها عبد الحميد الثاني دفعا ثمنا غاليا مقابل الموقف الإسلامي الصلب ضد الهجرة اليهودية، حيث استطاع اليهود في نهاية المطاف اجتياز هذه العقبة الكؤود المتمثلة في الدولة العثمانية وخليفتها السلطان عبد الحميد حين تمكنت المحافل الماسونية من الإجهاز عليه وخلعه من الخلافة في عام 1908م، وتسليم زمام أمور الدولة العثمانية إلى الماسونيين من زعماء حزب الاتحاد والترقي.

و لكن مع كل ذلك فإن دور السلطان عبد الحميد كممثل للضمير الإسلامي الصادق لا يمكن أن ينسى في مواجهة المخططات الصهيونية ضد فلسطين.

و من الإنصاف أن أشير إلى أن فلسطين بعد إزاحة السلطان عبد الحميد، كانت من نصيب أهل فلسطين بقيادة العلماء، وبدعم معنوي متقطع من الشعوب العربية والإسلامية التي كان كل شعب منها منشغلا بهمومه، كما كان لفتاوى علماء المسلمين بتحريم بيع الأراضي والعقارات لليهود تأثير في إعاقة عملية الهجرة.

و لقد بذل أهل فلسطين بأغلبيتهم المسلمة كل ما يستطيعون من جهد في مواجهة الهجرة اليهودية، وقاموا بصراعات مريرة على كافة الجبهات السياسية والعسكرية والإعلامية من أجل ذلك، ولعل أبرز محطات دور التيار الإسلامي في هذه المرحلة يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

1. كانت أول مواجهة دموية بين المسلمين واليهود في الرابع من نيسان / أبريل 1920م، عندما اعترض اليهود موكبا للمسلمين متجها للاحتفال بموسم النبي موسى عليه السلام، وهو احتفال تقليدي دأب المسلمون في فلسطين على تنظيمه سنويا، وحاول اليهود إهانة الأعلام التي يحملها المسلمون، فجرت مشادة لم تلبث أن تحولت إلى معركة بالسلاح، ثم لم يلبث أن انضم الجند الإنجليز إلى جانب اليهود فسقط من اليهود تسعة قتلى ومن المسلمين أربعة شهداء.
2. كان قد سبق تلك المواجهة الدموية انعقاد مؤتمر وطني فلسطيني في الخامس من آذار / مارس 1919م أعلن فيه الفلسطينيون بأغلبيتهم المسلمة رفضهم وعد بلفور، ورفضهم للهجرة اليهودية إلى فلسطين.
3. توالت المؤتمرات الوطنية التي كان يغلب عليها التوجه الإسلامي، والتي كان يشرف على

تنظيمها الإسلاميون خاصة الشيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين، كما توالت الوفود السياسية في زيارات إلى العواصم الأوروبية لإبراز الرفض الفلسطيني للهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولإبراز الرفض وعد بلفور.

أما الاتجاه الثاني في هذه المرحلة –و هو الحصول على اعتراف دولي بالفكرة الصهيونية– فقد تمكن اليهود من خلال إقناعهم للحكومة البريطانية بأسلوب ابتزازي، من إصدار وعد لسان وزير خارجية بريطانيا "بلفور" في 2 تشرين الثاني / نوفمبر 1917م، يتعهد بمساعدة اليهود على إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، فاكتسبت الفكرة الصهيونية ومشروعها لإقامة "دولة إسرائيل" اعترافا دوليا، و لم تلبث فرنسا والولايات المتحدة وغيرهما من الدول الغربية أن سارعت لإصدار تعهدات مماثلة.

-المرحلة الثالثة: تعزيز الوجود اليهودي في فلسطين:

و تأتي بعد تعزيز الوجود اليهودي في فلسطين وتأسيس العصابات اليهودية العسكرية لحماية الوجود اليهودي من جهة، ولتكون نواة للجيش الذي ستناط به مهمة إقامة "دولة إسرائيل" في فلسطين.

تجلى دور التيار الإسلامي في مواجهة تزايد الوجود اليهودي ومواجهة العصابات اليهودية، في العديد من الانتفاضات والثورات والنشاطات الجهادية، أذكر منها ما يلي:

أ. ثورة البراق:

ففي يوم العشرين من آب / أغسطس 1929م اندلعت معركة عنيفة بين المسلمين واليهود والبريطانيين إثر محاولة اليهود الاستيلاء على حائط البراق الشريف، واستمرت المعركة داخل القدس، وعلى مقربة من حائط البراق الذي يسميه اليهود "المبكى" حتى مساء 23 أب/ أغسطس وقتل من اليهود 28، واستشهد 13 من المسلمين، ثم انتقل القتال إلى أنحاء أخرى من فلسطين مما اضطر الإنجليز إلى جلب إمدادات من خارج فلسطين، واستعانوا بالطائرات، وزودوا العصابات اليهودية بالسلاح، واستمرت الثورة 15 يوما قتل وجرح فيها 472 يهوديا، واستشهد وجرح 338 مسلما، وأعقب الثورة حملة من الاعتقالات، وصدرت أحكام بإعدام

20 من الثوار المسلمين، ونفذ الحكم في ثلاثة منهم في يوم الثلاثاء 17 جزيران / يونيو 1930م وهم: فؤاد حجازي، وعطا الزير، ومحمد جمجوم.

و أثارت هذه الأحكام وما أعقبها من إجراءات قمعية ضد عرب فلسطين، ردود فعل في الوطن الإسلامي، وجاء أول رد فعل عملي في تنادي علماء المسلمين في فلسطين إلى عقد مؤتمر إسلامي عالمي في القدس لنصرة الشعب الفلسطيني المسلم، وانعقد المؤتمر في ليلة الإسراء والمعراج 4 كانون الأول / ديسمبر 1931م، وشارك فيه ممثلون للمسلمين من 22 قطرا.

ب. ثورة الشهيد عز الدين القسام:

يمكننا القول إن ثورة الشيخ عز الدين القسام – السوري المنبت- كانت أول رد فعل حركي منظم يمثل التيار الإسلامي في الصراع ضد اليهود في فلسطين، فقد كانت ثورته وليدة جهود منظمة أشرف عليها الشهيد القسام لتجميع الإسلاميين حول فكرة الجهاد، منطلقا بدعوته من مسجد الاستقلال في حيفا، لينتقل بعد ذلك إلى منطقة جنين ونابلس وطولكرم، لتكون مسرحا لعملياته الجهادية ضد الإنجليز حماة اليهود، وضد العصابات اليهودية، متخذا من غابات "يعبد" مقرا لقيادته، ولكن القوة الغاشمة غلبت الفئة المؤمنة، ففي الخامس والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر من عام 1935م ارتقى شهيدنا القسام وعدد من إخوانه المجاهدين إلى جنان الخلد شهداء في سبيل الله دفاعا عن أرض فلسطين المسلمة بعد حصار محكم فرضته القوات البريطانية، وبعد معركة دامية أبلى فيها المجاهدون بلاء حسنا.

- **القبالاه: تاريخ Kabbalah : History**

"القبالاه" هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود. والاسم مشتق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر أو القبول أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي "التقاليد والتراث" أو "التقليد المتوارث". وكان يقصد بالكلمة أصلا تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم "الشريعة الشفوية"، ثم أصبحت الكلمة تعني، من أواخر القرن الثاني عشر، "أشكال التصوف والعلم الحاخامي المتطورة" (إلى جانب مدلولها الأكثر عموما باعتبارها دالا على سائر المذاهب اليهودية الباطنية منذ بداية العصر المسيحي). وقد أطلق العارفون بأسرار القبالاه ("مقوباليم" بالعبرية و"القباليون" بالعربية) على أنفسهم لقب "العارفون بالفيض الرباني".

و مصطلح "قبالاه" واحد من مصطلحات أخرى تشير إلى المدلول نفسه، فالتلمود يتحدث عن "رازي هتوراه"، أي "أسرار التوراة". وقد كان يشار إلى المتصوفين بعبارات "يوردي مركافاه"، أي "النازلون إلى المركبة"، و"بعلي هاسود"، أي "أسياد أو أصحاب الاسم"، و"إنشي إيموناه"، أي "رجال الإيمان"، و"بني هيخلاه دي ملكا"، أي "أبناء قصر الملك".[1]

و كان القباليون يرون أن المعرفة، كل المعرفة (الغنوص أو العرفان)، توجد في أسفار موسى الخمسة، ولكنهم كانوا يرفضون تفسير الفلاسفة المجازي، وكانوا لا يأخذون في الوقت نفسه بالتفسير الحرفي أيضا. فقد كانوا ينطلقون من مفهوم غنوصي أفلاطوني محدث يقضي إلى معرفة غنوصية، أي باطنية، بأسرار الكون وبنصوص العهد القديم وبالمعنى الباطني للتوراة الشفوية.

و التوراة –حسب هذا التصور– هي مخطط الإله للخلق كله، وينبغي دراستها، لكن كل كلمة فيها تمثل رمزا، وكل علامة أو نقطة فيها تحوي سرا داخليا، ومن ثم تصبح النظرة الباطنية الوسيلة الوحيدة لفهم أسرارها. وقد جاء أنه، قبل الخلق، كتبت التوراة بنار سوداء على نار بيضاء، وأن النص الحقيقي هو المكتوب بالنار البيضاء، وهو ما يعني أن التوراة الحقيقية مختفية على

[1] رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2002، ص 111.

الصفحات البيضاء لا تدركها عيون البشر. ويقول القباليون إن الأبجدية العبرية لها قداسة خاصة، ولها دور في عملية الخلق، وتنطوي على قوى غريبة قوية ومعان مختلفة، وبالذات الأحرف الأربعة التي تكون اسم يهوه (تتراجرماتون)، فلكل حرف أو نقطة أو شرطة قيمة عددية. ومن هذا المنطلق، فإن الحروف تنقسم بصفة عامة إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى الهمزة (رمز الهواء)، والمجموعة الثانية الميم (رمز الماء)، والمجموعة الثالثة الشين (رمز النار). وبإمكان الإنسان الخبير بأسرار القبالاه أن يفصل الحروف، ويجمع معادلها الرقمي ليستخلص معناها الحقيقي، كما كان من الممكن جمع الحروف الأولى من العبارات، وأن يقرأ عكسا لا طردا ليصل المرء إلى معناها الباطني. وكانت هناك أيضا طريقة الجماتريا.

و بذلك تصبح كلمات التوراة مجرد علامات، أو دوال، تشير إلى قوى ومدلولات كونية وبنى خفية يستكشفها مفسر النص الذي يخترق الرداء اللفظي ليصل إلى النور الإلهي الكامن. ومن خلال هذا المنهج التفسيري، تمكن القباليون من فرض رؤاهم الخاصة على النصوص الدينية وإشاعتها، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه لكل الآراء الحلولية المتطرفة.

و إذا كانت الديانات التوحيدية، وضمنها اليهودية، التي تدور حول إله مفارق يتجاوز الطبيعة والتاريخ ترى أن ثمة مساحة تفصل بين الخالق والمخلوق، وبين الإله والكون، فإن التراث القبالي يترع نزوعا حلوليا واضحا نحو تضييق المسافة بينهما، حتى تتلاشى تماما في نهاية الأمر. والواقع أن الإله، حسب التصور القبالي، ليس الإله المفارق المتسامي الذي ليس كمثله شيء، وإنما ينظر إليه من منظورين: باعتباره (أولا) الإله الخفي والجوهر الذي لا يستطيع الإنسان إدراك كنهه، وهذا هو إله الفلاسفة، الإله الواحد الذي لا يتجزأ، وهو في رأي القبالاه حالة ساكنة تفتقد إلى الحيوية، وهو الخالق في حالة انكماش قبل عملية الخلق، وهو العدم واللاوجود (فهو يشبه من كثير من الوجوه إله الغنوصية الخفي)، كما ينظر إليه باعتباره (ثانيا) الإله القريب الحي، القريب بسبب وجوده الذاتي وتعدديته، فهو بنية داخلية، مركبة وديناميه، وهو عملية عضوية تؤثر في العالم وتتأثر به، وهو تجسد مادي (لوجوس) يحل في المادة (سواء كانت الشعب اليهودي أو الظواهر الطبيعية أو اسم الإله الأعظم من يكتشفه يتحكم في الكون بأسره). والإله يتسم بسمات عديدة اشتقها القباليون من خلال قراءتهم الغنوصية الدينية اليهودية السابقة، ومن خلال تجاربهم الصوفية (فهو يشبه من بعض الوجوه الإله الصانع في المنظومة الغنوصية والطبيعة الطابعة

في المنظومة الإسبينوزية).

و بينما حاول الفلاسفة اليهود والحاخامات تفسير ما يرد في العهد القديم من خلع صفات بشرية على الإله وتجسيمه بأنها من قبيل المجاز، فإن القباليين أخذوا ما جاء في سفر التكوين (28/1) من أن الإله قد خلق الإنسان على صورته، وفسروه تفسيرا حرفيا ثم فرضوا عليه كثيرا من المعاني حتى توصلوا إلى فكرة آدم قدمون، أي الإنسان الأصلي، ومفادها أن جسم الإنسان يعكس في سماته بناء التجليات النورانية العشرة (سفيروت). وهذا مثل جيد للمنهج الذي يفسر القباليون به العهد القديم بطريقة ليست مجازية ولا حرفية، وإنما عن طريق فرض المعنى الذي يريده المفسر.

و قد أصبحت القبالاه في نهاية الأمر ضربا من الصوفية الحلولية ترمي إلى محاولة معرفة الإله بهدف التأثير في الذات العلية حتى تنفذ رغبات القبالي أو المتصوف حتى يتسنى لصاحب هذه المعرفة السيطرة على العالم والتحكم فيه. ولذا، فإن القبالاه تتبدى دائما في شكل قبالاه عملية، وهي أقرب إلى السحر الذي يستخدم اسم الإله والمعادل الرقمي للحروف (جماتريا) والأرقام الأولية والاختصارات (نوطيرقون) للسيطرة، وترتبط القبالاه في وجهها العملي بعدد من العلوم السحرية، مثل: التنجيم، والسيمياء، والفراسة، وقراءة الكف، وعمل الأحجبة، وتحضير الأرواح. ومع ابتعادها عن التقاليد الحاخامية الدراسية استوعبت عناصر كثيرة من التراث الشعبي تمثل الازدهار الأقصى للتفكير الاسطوري والحلولي في اليهودية.

و رغم تأكيدنا أن القبالاه ثورة على التراث الحاخامي إلا أنها تضرب بجذورها في الطبقة الحلولية التي تراكمت داخل التركيب الجيولوجي اليهودي منذ البداية في العهد القديم، حيث يتوحد الإله مع شعبه. وهو توحد كان يأخذ شكل العهد المتجدد بين الإله والشعب، والتدخل المستمر للإله في التاريخ لصالح شعبه، وتجسده في شكل عمود نار ليقودهم، وغضبه منهم وحبه لهم وغزله فيهم ومعهم. وقد عبر الحلول الإلهي وعشقه لبنت صهيون عن نفسه في نهاية الأمر في شكل العبادة القربانية المركزية حيث كانت تتم لحظة الحلول والالتحام بين الإله والشعب والأرض في يوم عيد الغفران حين كان كبير الكهنة يدخل إلى قدس الأقداس لينطق باسم يهوه.

و رغم حرب الأنبياء ضد الأفكار الحلولية إلا أنها زادت ترسخا في القرن الأول قبل الميلاد، وعبرت عن نفسها في جماعة مثل جماعة الأسينيين، وفي أسفار الرؤى (أبوكاليبس) مثل

كتاب حنوخ وفي الكتب الخفية (أبوكريفا)، وفي الغنوصية اليهودية وغير اليهودية، كما ترسخت الطبقة الحلولية بترسخ مفهوم الخلاص المشيحاني باعتباره خلاصا قوميا لا فرديا. ويلاحظ أن ثمة تشابها بين القبالاه وكتب الرؤى في عدة أوجه من أهمها رؤية الخلاص، فالخلاص لن يتم الوصول إليه من خلال عملية أخلاقية تاريخية تدريجية، وإنما من خلال معجزة خارجية وتدخل إلهي فجائي، عندما يظهر الماشيح ويشع بضوئه على العالم بأركانه الأربعة عند نهاية التاريخ وتحقق الفردوس الأرضي. كما أن الأفكار الثنوية الرؤياوية التي تساوي بين الجوهر الإلهي وجوهر آخر، وهي فكرة ذات أصول فارسية، وجدت طريقها إلى القبالاه أيضا، في تفرقتها بين عالم الدنس والرذيلة والموت الحالي من ناحية وعالم الخير والطهارة والوجود الأبدي الآتي بعد ظهور الماشيح من ناحية أخرى.

و من المصادر الأخرى الأساسية للقبالاه، فكرة الشريعة الشفوية التي تضاهي الشريعة المكتوبة وتتفوق عليها، فهي فكرة حلولية متطرفة تساوي بين الخالق ومخلوقاته. وقد تعمق التيار الحلولي الذي يسري في العهد القديم وازداد كثافة في التلمود حتى اكتسب أبعادا متطرفة في كثير من الأحيان.

و لكن النزعة الحلولية في التلمود ظلت مختلطة بعناصر أخرى توحيدية تحددها وتحد منها. وما فعله القباليون، فيما بعد، هو أنهم اقتبسوا من التلمود المقاطع والآراء ذات الطابع الحلولي ونزعوها من سياقها ودفعوها إلى نتيجتها المنطقية المتطرفة، وهذا يفسر وقوف المؤسسة الحاخامية ضد القباليين بعض الوقت، ويفسر التوتر بين الفريقين، ولكنه يفسر في الوقت نفسه سر انتشار الشبتانية (الحلولية) بين كبار العلماء التلموديين في القرن الثامن عشر، كما أنه يفسر كيفية تحول القبالاه، في نهاية الأمر، إلى جزء أساسي من الشريعة الشفوية.

و يظهر ارتباط التلمود بالقبالاه من خلال دراسة تاريخ التصوف اليهودي، فقد تشكلت حلقات من أتباع يوحنان بن زكاي، وهو من معلمي المشناه (تنائيم) ومن مؤسسي حلقة يفنه التلمودية في القرنين الأول والثاني، وحاولت هذه الحلقات أن تغوص في أسرار الخلق أو ما يسمى عمل الخليقة (بالعبرية: معسيه بريشيت)، وفي طبيعة العرش الإلهي (أو المركبة) (بالعبرية: معسية مركافاه). وقد ساهمت كتاباتهم في وضع أسس أدب الهيخالوت الصوفي، أو الحجرات السماوية، الذي ازدهر في بابل بيزنطة في القرنين السابع والثامن، والذي يصور سبعة قصور أو عوالم سماوية

تسكنها الملائكة التي تسبح بحمد الإله. ويوجد عرش الإله، حسبما جاء في قصص هذا الأدب، في العالم السابع، أي في السماء السابعة. وقد اعتقد أتباع هذه المدرسة أنه من خلال التدريبات الروحية الصارمة، ومن خلال الصوم وإرهاق الجسد، يمكن الوصول إلى الشطحات الصوفية التي تمكن الواصلين (أو مشاهدي المركبة) من أن يشعروا بروحهم وهي تصعد من خلال هذه السماوات حتى تصل إلى النقطة التي يطالعون فيها، وبشكل مباشر، التجلي أو الحضور الإلهي والعرش الإلهي. وبإمكان الأرواح التي تصل إلى هذه المنزلة أن تكشف أسرار الخلق وطرق الملائكة وموعد وصول الماشيح. وينتمي كتاب سفر يتسيرا (كتاب الخلق) إلى هذه الفترة نفسها والتي تمتد بين القرنين الثالث والسادس، وهو يصف بنية الكون من خلال التجليات النورانية العشرة، أو قدرات الرب الكامنة العشرة أو القنوات العشر (سفيروت)، وحروف الأبجدية وقيمتها العددية وقوتها الخالقة.

و قد انتقلت تقاليد أدب الهيخالوت إلى جنوب إيطاليا، ومنها إلى ألمانيا، حيث ظهر ضرب جديد من التقوى الصوفية وصل إلى قمته في القرن الثاني عشر يسمى "أتقياء ألمانيا"، وقد نادى هؤلاء بضرورة الاكتراث بالعواطف والرغبات الدنيوية. ومن أهم أعلام هذا الاتجاه يهودا هيحاسيد (توفي عام 1217) مؤلف كتاب سفر حسيديم أي كتاب الأتقياء. وقد فرق أتباع هذا الاتجاه الصوفي بين الإله الخفي المتسامي الذي يتجاوز الإدراك البشري من جهة، وملاكه المخلوق أو جلال الإله (كافود) الذي هو تجل للألوهية من جهة أخرى. ويتكون هذا الاتجاه الصوفي من خليط من عقائد سفر يتسيرا، وأفكار صوفية المركبة، وأفكار أرسطية مشوهة، وعقائد سحرية. وقد كان للحركات الصوفية المسيحية في أوربا أثرها في أتباع هذا المنهج الذين لجأوا أيضا إلى التأمل في الحروف العبرية وقيمها العددية، وهي طريقة في التأمل أصبحت منذ ذلك الوقت أحد ثوابت التراث القبالي.[1]

و على أية حال، فإن القبالاه، بمعناها الحالي، ظهرت في فرنسا، وكان من أهم العارفين بالقبالاه أبراهام بن داود وابنه إسحق الأعمى اللذان بدآ يتداولان كتاب الباهير (الذي ظهر أول ما ظهر في بروفانس، فرنسا) في القرن الثاني عشر. وانتقل مركز القبالاه بعد ذلك إلى إسبانيا حيث نشأت حلقات متصوفة تحاول أن تتواصل مع الإله من خلال التأمل في التجليات النورانية

[1] رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2002، ص 116.

العشرة (سفيروت). كما كان هؤلاء المتصوفون يهدفون إلى تحديد تقاليد النبوة، وإلى الكشف الإلهي من خلال الشطحات الصوفية، ومن خلال التأمل في حروف الكتاب المقدس وقيمها العددية وأسماء الإله المقدسة. ومن أهم القباليين أبراهام بن شموئيل أبو العافية (1240 / 1291). وقد وصلت الحركة القبالية إلى قمتها بظهور الزوهار الذي وضعه موسى دي ليون المتوفى عام 1305، والذي تستند إليه الأنساق القبالية التي ظهرت بعد ذلك، وكانت مدينة جيرونا في قطالونيا من أهم مراكز القباله في إسبانيا. وقد قام القباليون بإنشاء مركز لهم في مدينة صفد في فلسطين عام 1421.

و كان شيوع القباله في هذه المرحلة تعبيرا عن رفض التراث التلمودي الذي وضعه الحاخامات وعلماء الدين الذين ارتبطوا بالطبقات الثرية وبيهود البلاط في إسبانيا. وقد شجع أعضاء هذه الفئات الفلسفة العقلانية واتبعوا في حياتهم العامة والخاصة سلوكا يتفق مع هذه الفلسفة، ولا ينم عن كبير احترام لبعض العقائد اليهودية (من وجهة نظر العوام على الأقل). وقد ساهمت القباله في عزل أعضاء الجماعات اليهودية عن هذا التراث الفلسفي العقلاني الذي أشاعه موسى بن ميمون وغيره من الفلاسفة المتأثرين بكتابات الفلاسفة المسلمين العرب. وقد كانت كتب الفلسفة تسمى "الكتب الشيطانية". وبعد ذلك، انتشرت التقاليد القبالية بعد أن أخذت شكلها المحدد في الزوهار، في القرنين الرابع عشر والخامس عشر في إسبانيا ثم في كل من إيطاليا وبولندا.

و تسمى القباله النابعة من الزوهار قبالاة الزوهار (و يسميها جيرشوم شولم "القباله النبوية"). وازداد الاهتمام بالقباله بعد طرد يهود إسبانيا وتصاعد الحمى المشيحانية، وخصوصا بما اشتملت عليه القباله من عقيدة خلاص جماعة يسرائيل. وقد وجد واحد من أهم مراكز القباله في صفد، وكان يضم مجموعة من اليهود السفارد الذين طردوا من إسبانيا، ومن هنا كان عمق إحساسهم بالكارثة التي حاقت باليهود وبعجزهم الكامل وعزلتهم عن أية مشاركة حقيقية في العمليات التاريخية.[1]

- **الحركات الباطنية اليهودية الحديثة: "الحركة الحسيدية":**

-التعريف:

[1] اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المفاهيم والعقائد الأساسية في اليهودية، مج الخامس، الجزء الثاني.

بالعبرية "حسيدوت"، وهو مصطلح مشتق من الكلمة العبرية (حسيد)، أي: "تقي"[1]، ويدل الجذر في العبرية على معنى الإحسان وعمل الخير، ويستخدم المصطلح للإشارة إلى عدة فرق دينية في العصور الوسطى والقديمة، ولكنه يستخدم في العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية الحلولية، اليهودية الأرثوذكسية، التي أسسها وتزعمها بعل شيم طوف[2] (1700-1760م)، وهو إسرائيل بن أليعازر[3]، وكان أقرب لشخصية المسيح الدجال، يمارس الطب على طريقة المشعوذين، مدعيا معرفة اسم الله الأعظم[4].

و بدأت الحركة في جنوب بولندا وقرى أوكرانيا في القرن الثامن عشر، وخصوصا في مقاطعة يودوليا في جنوب شرق أوكرانيا، وقد كانت هذه المقاطعة تابعة لتركيا في نهاية القرن السابع عشر، التي ظهرت فيها الحركة الفرانكية، كما ظهرت فيها فرق نصرانية حلولية ذات طابع غنوصي متمردة على الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، مثل: الدوخوبور، والخليستي، والسكوبستي.

انتشرت الحسيدية منها إلى وسط بولندا وليتوانيا وروسيا البيضاء، ثم المناطق الشرقية من الإمبراطورية النمساوية المجرية: جاليشيا، وبوكوفينا، وترانسلفانيا، وسلوفاكيا، فالمجر ورومانيا، ولكن جل ترمكزها في الأراضي البولندية التي ضمتها روسيا إليها.

انتشرت الحسيدية بادئ الأمر في القرى بين أصحاب الحانات والتجار والريفيين والوكلاء الزراعيين، ثم انتشرت في المدن الكبرى، حتى أصبحت عقيدة أغلبية الجماهير اليهودية في شرق أوربا بحلول عام 1815م، بل يقال: إنها صارت عقيدة نصف يهود العالم آنذاك، إلى جانب أنها عقيدة أغلبية يهود اليديشية[5].

لم تضم الحركة في صفوفها كثيرا من العمال والحرفيين اليهود، لأن الأساس الاقتصادي لوجودهم كان ثابتا، وأولادهم لا يدرسون إلى التوراة، وبعضهم يترك المدارس لفقرهم، لذا لم يخوضوا في دراسة الشريعة الشفوية، وبالتالي كانت أفكار الحسيدية غريبة غير مفهومة، كما أن

---

[1] "الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات"، عبد المجيد همو، ص 53.

[2] معنى اللقب: سيد الاسم الطيب

[3] "اليهود الحسديم"، جعفر هادي حسين، ص 5.

[4] "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية"، عبد المنعم الحنفي، ص 108.

[5] اليديش: لغة خليط من العبرية والألمانية القديمة.

الأحزاب الاشتراكية والثورية نجحت في ضم الطبقات الفقيرة الكادحة إلى صفوفها.

-دواعي انتشار الحركة الحسيدية:

و يرجع نجاح الحسيدية إلى عوامل اجتماعية وتاريخية:

- **ضنك العيش:** فالجماهير اليهودية كانت تعيس في بؤس نفسي وفقر اقتصادي شديد بسبب التدهور التدريجي للاقتصاد البولندي، إذ طرد كثير من يهود الأرندا، وأصحاب الحانات من القرى الصغيرة، الأمر الذي زاد من عدد المتسولين واللصوص والمتعطلين، ويقال: إن عشر أرباب العائلات كانوا بلا عمل، وكانت قيادة الحركة الحسيدية –أساسا- من يهود الأرندا السابقين ومستأجري الحانات وأصحاب المحال الصغيرة.

- **عمليات القتل:** فهذه الجماهير كانت في خوف دائم بعد هجمات شميلنكي[1]، وعصابات الهايدماك من الفلاحين القوزاق.

- **الإحباط الجماعي:** والعميق، بعد فشل دعوة "المسيح الدجال" شبتاي تسفي[2] وتحوله إلى الإسلام، فقد كان أملا لاح في الأفق بأن المسيح المنتظر جاء لإنقاذ اليهود وعودتهم لأرض الميعاد، كما يحكم العالم، فإذا بالمسيح يعلن إسلامه (نفاقا).

- **المنظومة الاقتصادية الجديدة:** زادت من حدة مشاعر الإحباط النفسي الديني التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تخوضها مجتمعات شرق أوربا آنئذ، هذه التحولات التي جعلت من القاهال[3] شكلا إقطاعيا طفيليا لا مضمون له، يقوم باستغلال اليهود لحساب الحكومة البولندية والنبلاء البولنديين، ولحساب موظفي القاهال من اليهود الذين كانوا يشترون المناصب.

- **التخلف الثقافي:** وقد صاحب هذا الوضع الاقتصادي المتردي تدني الحياة الثقافية والدينية

---

[1] هو بوغدان شميليكي (جميلنكي) ت 1675م، مزارع أوكراني، قادة ثورة ضد حكم البولنديين لأوكرانيا عام 1648م، بعد أن أحرقت مزرعته من قبلهم وذبح طفله الصغير، استمرت ثورته سنوات قتل فيها خلق كثير منهم اليهود البولنديين

[2] الذي ادعى أنه مخلص اليهود ومعيدهم لأرض الميعاد، فاستخف قومه فأطاعوا واتبعه خلق كبير، ثم بان كذبه، فادعى الإسلام كذبا هو وأنصاره، وهم يهود الدونمة، فأحدث صدمة نفسية عميقة لمريديه ومن زحفوا نحو دعواه، فأصيبوا باكتئاب جماعي شملهم أجمعين، ورأوا أن الدنيا كلها تمقتهم وهي تصارع أحلامهم.

[3] القاهال: كلمة عبرية بمعنى "جماعة" و هو الإسم الحركي للحكومة الخفية التي تنظم شؤون اليهود في العالم.

داخل الجيتو والشتتل إلى درجة كبيرة، وصار اليهود يعيشون في شبه عزلة عن العالم، بل في عزلة عن المراكز التلمودية في المدن الكبرى، وتحولت اليهودية الحاخامية إلى عقيدة شكلية، تافهة وجافة، خالية من المضمون الروحي والعاطفي، تؤكد الأوامر والنواهي دون اهتمام بالمعنى الروحي لها، لهم نمط الترف الجدلي، بعيدة عن واقع الناس ومآسيهم، لها عالمها الآخر الذي يلفظ كل من ليس حاخاميا.

- **انتشار السحر والشعوذة والتراث القابالي:** فقد أحكمت القبالاه هيمنتها على الفكر الديني اليهودي بين جماهير اليهود، وحتى بين طلاب المدارس التلمودية العليا وأعضاء المؤسسة الحاخامية، والفكر القبالي الحلولي قادر على إشباع التطلعات العاطفية لدى الجماهير الساذجة اليائسة.

- **التأثر بالمحيط النصراني:** فبعد أن عاشر اليهود فلاحي أوكرانيا وشرق أوربا لمئات السنين بعيدا عن المؤسسات الحاخامية في المدن الكبرى والمدن الملكية –تأثروا بفولكلور فلاحي شرق أوربا، وبمعتقداتهم الشعبية الدينية، وبوضعهم الحضاري المتدني بشكل عام، وتأثر الحسيديون بالتراث الديني النصراني، خصوصا تراث جماعات المنشقين في روسيا وأوكرانيا، بالروسية: راسكولنيكس Raskolniks من فعل (راسكول Raskol) بمعنى (ينشق)، فالقرنان السابع عشر والثامن عشر شهدا ظهور جماعات دينية نصرانية متطرفة، مثل:

- ✓ الدوخوبور: المتصارعون مع الروح، وكان بينهم مدام بلافاتسكي
- ✓ الخليستي: من يضربون أنفسهم بالسياط
- ✓ السترانيكي: الهائمون على وجوههم، كان راسبوتين عضوا في هاتين الجماعتين
- ✓ السكوبتسي: المخصيون
- ✓ المولوكاني: شاربو اللبن، وغيرهم

و كان عدد أعضاء هذه الجمعيات كبيرا إلى درجة غير عادية، حيث كان يصل إلى خمس عدد السكان حسب التقديرات الرسمية، وإلى نحو نصفهم حسب التقديرات الأخرى، وكان أتباع هذه الفرق يتبعون أشكالا حلولية متطرفة، فالسكوبتسي طالبوا بالإحجام عن الجماع الجنسي، ولكنهم كانوا يقومون في الوقت نفسه بتنظيم اجتماعات ذات طابع جنسي جماعي داعر.

-مفهوم التساديك:

قيادات هذه الجماعات كانوا يتسمون بأسماء غريبة مثل: (المسيح) أو (النبي) أو (أم الإله)، فقد كانوا يؤمنون بأن القيادة هي تجسيد للإله، تماما مثل المسيح.

و أقرب الجماعات النصرانية المنشقة إلى الحسيدية هي جماعات الخليستي، وذهب قادة هذه الجماعة إلى أنه حينما صلب المسيح، ظل جسده في القبر، أما البعث فهو هبوط الروح القدس، بحيث تحل في مسيح آخر هو قائد الجماعة، لذا فإن قادتهم مسحاء قادرون على الإتيان بالمعجزات، ويحل فيهم الإله !

و الواقع أن مفهوم "التساديك" في الحسيدية قريب جدا من هذا، فالتساديك هو القائد الذي يحل فيه الإله، وعادة ما يتم توراث الحلول، لذا فإننا نجد أن قيادات الخليستي يكونون أسرا حاكمة، يتبع كل واحدة منها مجموعة من الأتباع، وهذا ما حدث بين الحسيديين أيضا.

بل إن التماثل في التفاصيل كان يصل إلى درجة مدهشة، فكان الخليستي يعيشون بعيدا عن زوجاتهم، باعتبار أن الإله إن شاء أن تحمل العذراء لحملت، وهذا هو موقف بعل شيم طوف، برغم أن فكرة (الحمل بلاد نس) أبعد ما تكون عن اليهودية، فعندما ماتت زوجته وعرض عليه أن يتزوج من امرأة أخرى، احتج ورفض، وقال: إنه لم يعاشر زوجته قط، وإن ابنه هرشل قد ولد من خلال الكلمة "اللوجوس".

و كان دانيال الكوستروميي (1600-1700م) من أهم زعماء الخليستي، ولد ابنه (الروحي) بعد أن بلغت أمه من العمر مائة عام، وكذلك بعل شيم طوف ولد —حسب الأساطير التي نسجت حوله- بعد أن بلغت أمه من العمر مائة عام.

و الخليستي يرتدون ثيابا بيضاء في أعيادهم، وكذلك الحسيديون والخليستي يعدون انفسهم —من خلال الغناء والرقص- لحلول روح المسيح فيهم، وهذا قريب من تمارين الحسيديين أيضا.

و المضمون الفكري الاجتماعي لكل من الخليستي والحسيديين مضمون شعبي يقف ضد التميزات الطبقية بشكل عام، وفي هذا المناخ ظهر "الدراويش" الذين يحملون اسم "بعل شيم"، أي (سيد الاسم)، وهم أفراد كانت الجماهير البائسة تتصور أنهم قادرون على معرفة الأسرار الباطنية، وإرادة الإله، وطرد الأرواح الشريرة من أجساد المرضى، كما أنهم كانوا يتسمون

بالتدفق العاطفي الذي افتقدته الجماهير في الحاخامات، وظهرت الحسيدية بحلوليتها المتطرفة، وبريقها الخاص، ورموزها الشعبية الثرية التي تروي عطش الجماهير اليهودية الفقيرة التي كان يخيم عليها التخلف.

-معتقدات الحسيدية:

و قد تبدت هذه الأفكار الحلولية المتطرفة في التصادم الحاد بين الحسيديين والمؤسسة الحاخامية (متنجديم)، وهو تصادم كان حتميا، باعتبار أن الحسيدية تمثل رؤية بعض قطاعات الجماعات اليهودية، التي استبعدت من جانب المؤسسة الحاخامية والقهال.

وكانت الحسيدية تحاول أن تحقق لهم قسطا ولو ضئيلا من الحرية، ومن المشاركة في السلطة.

و الحسيدية —في جانب من أهم جوانبها- محاولة لكسر احتكار المؤسسة التلمودية للسلطة الدينية، ومحاولة لحل مشكلة المعنى، وانعكس هذا التصادم على المستوى الفكري، حين قام الحسيديون بالتقليل من شأن الدراسة التلمودية أو دراسة التوراة، فإذا كان الهدف من الحياة ليس الدراسة وإنما التأمل في الإله والالتصاق به، والتوحد معه وعبادته بكل الطرق، فإن هذه العملية لابد أن تستغرق وقتا طويلا، وهو ما لا يترك للإنسان أي وقت لدراسة التوراة على الطريقة الحاخامية القديمة، كما أن التواصل المباشر مع الإله يطرح إمكانية أمام اليهود العاديين، ممن لا يتلقون تعليما تلموديا لأن يحققوا الوصول والالتصاق (ديفيقوت).

و من معتقداتهم عقيدة التناسخ التي تسمى بالعبرية "غلغول"، أخذوها عن القبالاه من كتاب "الزوهار"، والأرواح المتناسخة إما أن تكون أرواحا جديدة لم تنزل للأرض من قبل، أو قديمة، والحكمة من التناسخ تطهير النفس ومنحها فرصة ثانية، و"الصديقيم" يتناسخون لمصلحة العالم وأتباعهم، كيما يستمر الإصلاح[1].

بل إن الجهل —في إطار التجربة الوجودية المباشرة- يصبح ميزة كبرى، وهدف التجربة الدينية هو الفرح والنشوة، وهو إعادة تعريف للتجربة الدينية، تؤكد العاطفة (الجوانية) كوسيلة للوصول إلى الإله، بدلا من الشعائر والدراسات التلمودية (البرانية)، فالإله —حسب تصور بعل

[1] "الحسيديم"، جعفر ياسين، ص 65.

شيم طوف- لا يسمع الدعاء، ولا يقبل الصلاة إلا إذا نبعت من قلب فرح، ومن ثم يصبح الإخلاص العاطفي أهم من التعليم العقلي، وقد قلب الحسيديون الأمور رأسا على عقب، إذ تبنوا الفكرة اللوريانية[1] الخاصة بحاجة الإله إلى الشعب اليهودي ككل، وخصوصا القادة التساديك، وذهب الحسيديون إلى أنه لا يوجد ملك دون شعب، وبالتالي فإن ملك اليهود في حاجة إليهم، ومن خلال حاجته إليهم تتضاءل أهمية الأوامر والنواهي.

و قد نجحت الحسيدية في تحقيق قدر من الاستقلال عن المؤسسة الحاخامية، فاتبعت بعض التقاليد السفاردية في الشعائر، ربما تحت تأثير القبالاه اللوريانية ذات الأصول السفاردية، كما أدخلوا بعض التعديلات على طريقة الذبح الشرعي، وهو ما يعني في واقع الأمر السيطرة على تجارة اللحم، وأصبح للحسيديين معابدهم الخاصة وطريقة عبادتهم، ولذلك تحولت الحركة من يهودية حسيدية إلى يهودية تساديكية، نسبة إلى التساديك الذي يقوم بالوساطة بين أتباعه والإله، وقد أصبح هذا مفهوما محوريا في الفكر الحسيدي، وكان الحسيديون يعمدون إلى إحلال التساديك محل الحاخام، لتقليص سلطان المؤسسة الحاخامية كلما كان ذلك بوسعهم، والتساديك نوع من القيادة الكاريزمية، يحل مشكلة المعنى والانتماء لأتباعه متجاوزا المؤسسات التلمودية.

و قد تحولت الحسيدية (التساديكية) إلى بيروقراطية دينية لها مصالحها الخاصة، واستولت على القهال في كثير من الأحيان، ولكنها لم تدخل أية إصلاحات اجتماعية، بل كان القهال أحيانا يزيد الضرائب على اليهود بعد استيلاء الحسيديين عليه.

و قد ارتبطت كل جماعة حسيدية بالتساديك الخاص بها، لذا فقد انقسمت الحركة إلى فرق متعددة: فبعض هذه الفرق اتجه اتجاها صوفيا عاطفيا محضا، في حين اتجه بعضها الآخر —مثل حركة حبد- اتجاها صوفيا ذهنيا، يعتمد على دراسة كل من القبالاه والتلمود، كما أن وجود هؤلاء الحاخامات داخل دول مختلفة، زاد من هذا الانقسام، وأثناء الحرب النابليونية ضد روسيا أيد بعض الحسيديين الروس روسيا ضد نابليون، ولكن بعض الجماعات أيدته ضد روسيا، بل تحسست لحسابه.

و قد حاولت المؤسسة الحاخامية القضاء على الحسيدية، فأصدر معارضو الحسيدية الذين

[1] نسبة للحاخام إسحاق لوريا (ت 1572)، وهو صاحب مدرسة في القابالاه، وله تنسب القابالاه اللاورانية، اعتكف على ضفاف النيل سبع سنين يفكر ويتأمل.

كان يقال لهم: (المتنجديم)، قرارا بطرد اليهود من حظيرة الدين، وحرق كتاباتهم كلها، وعدم التزاوج بهم، وكان من أهم الشخصيات الحاخامية التي قادت الحرب ضدهم الحاخام إلياهو (فقيه فلنا).

و رغم الانقسامات والخلافات بين الحسيدية واليهودية الحاخامية، فقد وحدوا صفوفهم في النهاية بسبب انتشار العلمانية ومثل الاستنارة والتنوير، والنزعات الثورية بين اليهود، ولما كان القهال قد تداعى كإطار تنظيمي فإن الحسيدية استطاعت أن تحل محله كإطار تنظيمي جديد، لذا فإن الحسيدية لم تنتشر جغرافيا وحسب، بل انتشرت عبر حدود الطبقات أيضا.

و يتكون الأدب الحسيدي من الكتب التي تلخص تفاسير الزعماء التساديك للكتاب المقدس، وتعاليمهم وأقوالهم، وقصص الأفعال العجائبية التي أتوا بها، ومن أشهر القادة التساديك شيناؤور زلمان، وليفي إسحق، ونحمان البراتسلافي حفيد بعل شيم طوف، وكان لكل مجموعة من الحسيديين أغانيها وطرقها في الصلاة، وكذلك عقائدها وقصصها، وكانت لهم شبكة من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية خارج القهال.

و قد أتت النازية على المراكز الحسيدية الأساسية في شرق أوربا، فانتقلت الحركة الحسيدية إلى الولايات المتحدة، مع انتقال يهود اليديشية إليها، منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر، لكن جماعات الحسيديين تفرقت وتبعثرت، نظرا لابتعاد زعامتها المتمثلة في التساديك، وقد هاجر بعض القادة التساديك بعد الحرب العالمية الأولى، لكن الحركة الحسيدية لم تبدأ نشاطها الحقيقي إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وقد استقر الحسيديون في بروكلين في منطقة وليامز برج[1].

و أهم الجماعات الحسيدية هي[2]: جماعة لوبافيتش (حبد)، وجماعة الساتمار، وبراتسلاف وتشرنوبيل، ولا تزال توجد بينهم جيوب قوية معارضة للصهيونية، ويوجد مركزان أساسيان للحسيدية في الوقت الحاضر: أحدهما في الولايات المتحدة، والآخر في إسرائيل.

-الحركة الحسيدية وفلسطين:

[1] "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية"، عبد الوهاب المسيري، ج14، ص (468-475)

[2] راجع تفاصيل الكلام عنهم: "اليهود الحسيديم"، جعفر الهادي حسن، ص (213-259)

و من معتقداتهم أن الاستيطان في فلسطين من الأعمال المقدسة، فمن بدايات الحركة وهم يتطلعون للذهاب لفلسطين، ولهم أقوال في التشجيع على الهجرة لفلسطين، ومن أوائل من هاجر أخو زوجة مؤسس الحركة الحاخام غرشون الذي استقر فيها مع جماعة من أتباعه عام 1748م، وسكنوا مدينة الخليل ثم القدس، وقد سجل الحاخام إعجابه بالعرب وسلوكهم نحو اليهود، ونظرتهم إليهم[1]، ثم توالت الهجرات زرافات ووحدانا، وأنشؤوا المؤسسات الخيرية والاجتماعية التي تعنى بالإنفاق على المهاجرين والفقراء منهم، وأوائل المؤسسات تلك التي أنشأها شنيور زلمان الزعيم الأول لجماعة الحسيديم اللابافتش، واسمها "كلل حبد" مقرها بالقدس، ولا زالت تنشط إلى يومنا.

و بعد إعلان قيام (الدولة الإسرائيلية) تكاثروا، وزاد نشاطهم في جميع المجالات حتى صار نصف المدارس اليهودية الدينية تابعة لهم.

و يمتازون بإعفاء لحاهم والضفائر من أمام الأذن تراها متدلية، مع لبس قبعة سوداء.[2] [3]

- **شبتاي تسفي (1626-1676) Shabettai Tzevi:**

ماشيح دجال. ولد في أزمير لأب إشكنازي يشتغل بالتجارة، وكان إخوته أيضا من التجار الناجحين، وقد تلقى تسفي تعليما دينيا تقليديا، فدرس التوراة والتلمود، ولكنه استغرق في دراسة القبالاه وخصوصا القبالاه اللوريانية بتروعها الغنوصي. وتتزامن الفترة التي ولد ونشأ فيها تسفي مع بداية تعاظم نفوذ الرأسمالية البريطانية والهولندية (البروتستانتية)، وبدايات مشروعهما الاستعماري العالمي، وبداية حلولهما محل المشروع الاستعماري الإسباني والبرتغالي (الكاثوليكي).

---

[1] Hasidism and tha state of Israel : H.Robinowicz.

[2] قارن بين قصتهم، وحكاية قدوم النصارى قبل حروب الفرنج "الصليبية" لكأني بالرواية واحدة والشخوص مغايرة، قدم أوائل النصارى للشام والأراضي المقدسة حجاجا، فاستقبلوا وأكرموا، طلبوا أرضا للإقامة فأعطوا، ثم استوطنوا، ثم أنشؤوا جمعيات ومؤسسات الرعاية الاجتماعية لتشجيع الهجرة نحوهم، وبتصريح من المسلمين، ثم غدروا وأعانوا على قيام المملكة النصرانية بالأراضي المقدسة، وكانوا لها خير عضد أيام تداولها بينهم، وحكاية تكررت مرتين، والضحية دائما في موقف المتفرج الذي خر من الدهشة، لكأني بهم تواصوا علينا، لكن هذا حال من لا يعي تاريخ أرضه، ولا يستوعب ألاعيب أعدائه، وقانون قيام الدول لا يحمي المغفلين، ولا يرحم من لا يبصر أبعد من أخمص رجليه.

[3] اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المفاهيم والعقائد الاساسية في اليهودية / مج الخامس، الجزء الثاني، الباب العشرون.

كان أبوه مندوبا لشركتين تجاريتين: إحداهما بريطانية والأخرى هولندية. وقد شهد عام 1648 حدثين من أخطر الأحداث في تاريخ الجماعات اليهودية في الغرب: أولهما انتهاء حرب الثلاثين عاما (1618-1648)، وهي حرب استفاد منها أعضاء النخبة من يهود البلاط، وعانت منها الجماهير اليهوودية أيما معاناة. وبرغم استفادة أثرياء اليهود، فإن نهاية الحرب نفسها كانت بداية تدهور الشبكة التجارية اليهودية العالمية، وتدني وضع النخبة اليهودية بسبب تصاعد عملية تركز السلطة في يد الدولة القومية المركزية الذي أدى إلى الاستغناء عن اليهود كجماعة وظيفية. أما الحدث الثاني، فهو انتفاضة فلاحي أوكرانيا والقوازق تحت قيادة شميلنكي (1648) التي هزت قواعد التجمع اليهودي في بولندا، أكبر تجمع يهودي في العالم آنذاك. وكان مجلس البلاد الأربعة أهم مؤسسة يهودية تتمتع بشرعية لم تحققها مؤسسة يهودية أخرى منذ زمن بعيد. وقد كان لهذه الانتفاضة أعمق الأثر في يهود العالم كافة. ومن الطريف أن كتاب الزوهار حسب بعض التفسيرات، كان قد تنبأ بوصول الماشيح عام 1648، وقد أعقب ذلك كله حروب عام 1655 (بين روسيا والسويد) في مناطق تركز اليهود في بولندا، ثم هجمات القوزاق الهايدماك. وتعرف هذه الفترة من تاريخ بولندا باسم "الطوفان". وشهدت هذه الفترة إرهاصات الفكر الصهيوني بين المسيحيين في إنجلترا، وبداية الاهتمام باليهود، واسترجاعهم كشرط أساسي للخلاص. وكانت هناك نبوءة تسري في الأوساط المسيحية (البروتستانتية الصهيونية في إنجلترا وبعض فرق المنشفين المسيحيين في روسيا) بأن عام 1666 هو بداية العصر الألفي الذي سيتحقق فيه استرجاع اليهود لفلسطين. ولا شك في أن مثل هذه النبوءات الاسترجاعية ذات علاقة قوية بالجو الاستعماري والاستيطاني النشيط في تلك المرحلة. وقد تزايد في تلك الفترة أيضا نشاط محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال، وظهر الإصلاح المضاد في إيطاليا بنزعته المعادية لليهود.

و تعتبر حركة شبتاي تسفي أهم الحركات المشيحانية على الإطلاق، فقد هزت اليهودية الحاخامية من جذورها، حتى لم تقم لها قائمة بعد ذلك. وانتشر أتباع تسفي في كل مكان، وانتشر معهم الفكر الشبتاني حتى بين بعض القيادات الحاخامية، ويتضح ذلك في المناظرة الشبتانية الكبرى التي ظهر خلالها أن الحاخام جوناثان إيبيشويتس، وهو من أهم العلماء التلموديين في عصره، كان شبتانيا. وبعد ذلك، ظهرت الحركتان الحسيدية والفرانكية اللتان رفضتا القيادة التقليدية التلمودية، وأخيرا ظهرت الصهيونية التي ورثت كثيرا من النزعات المشيحانية، وثمة رأي

يذهب إلى أن تسفي بهجومه على اليهودية الحاخامية التقليدية مهد الطريق للصهيونية التي ترفض القيود الدينية، كما ترفض الأوامر والنواهي وتعلي الذات القومية على كل شيء. كما أن توجه تسفي للعمل على العودة الفورية إلى فلسطين يشبه، في كثير من النواحي، المشيحانية الصهيونية العلمانية التي ترفض الموقف الديني التقليدي الذي ينصح اليهود بالانتظار، بل تبادر إلى الإسراع بالنهاية ليبدأ العصر المشيحاني دون انتظار مشيئة الإله. وقد كان تيودور هرتزل معجبا للغاية بتسفي وكان يفكر في كتابة أوبرا عنه لتمثيلها في الدولة الصهيونية بعد إنشائها.[1]

- **يهود الدونمة:**

-التعريف:

هم جماعة من اليهود أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية للكيد بالمسلمين، سكنوا منطقة الغرب من آسيا الصغرى وأسهموا في تفويض الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة (*) عن طريق انقلاب جماعة الاتحاد والترقي (*) .. ولا يزالون إلى الآن يكيدوا للإسلام، لهم براعة في مجالات الاقتصاد والثقافة والإعلام، لأنها هي وسائل السيطرة على المجتمعات.

-التأسيس وأبرز الشخصيات:

- أسسها سباتاي زيفي (1626-1675م: وهي يهودي أسباني الأصل، تركي المولد والنشأة، وكان ذلك سنة 1648م حين أعلن انه مسيح (*) بني إسرائيل ومخلصهم الموعود واسمه الحقيقي موردخاي تسفي وعرف بين الأتراك باسم قرامنتشته.

استفحل خطر سباتاي فاعتقلته السلطات العثمانية وناقشه العلماء في ادعاءاته ولما عرف أنه تقرر قتله اظهر رغبته في الإسلام، وتسمى باسم محمد أفندي.

واصل دعوته الهدامة من موقعه الجديد كمسلم وكرئيس للحجاب وأمر أتباعه بأن يظهروا الإسلام ويبقوا على يهوديتهم في الباطن.

طلب من الدولة السماح له بالدعوة في صفوف اليهود فسمحت له بذلك فعمل بكل خبث واستفاد من هذه الفرصة العظيمة للنيل من الإسلام.

[1] اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المفاهيم والعقائد الاساسية في اليهودية / مج الخامس، الجزء الثاني، الباب العشرون.

اتضح للحكومة بعد أكثر من 10 سنوات أن إسلام سباتاي كان خدعة فنفته إلى ألبانيا ومات بها.

- أطلق الأتراك على أتباع هذا المذهب الدونمة وهي مشتقة من المصدر التركي دونمك بمعنى العودة والرجوع.
- إبراهام نطحان: يهودي وقد أصبح رسول سباتاي إلى الناس.
- جوزيف بيلوسوف: وهو خليفة سباتاي ووالد زوجته الثانية، كان يتحرك باسم عبد الغفور أفندي.

- مصطفى جبلي رئيس فرقة قاش وهي من ضمن ثلاث فرق تفرعت عن الدونمة وهي اليعاقبة والقاقاشية والقابانجية.
- ليس لهم مؤلفات مطبوعة ومتداولة ولكن لهم نشرات سرية كثيرة يتداولنوها فيما بينهم.

-الأفكار والمعتقدات :

- يعتقدون أن سباتاي هو مسيح إسرائيل المخلص لليهود.
- يقولون إن الجسم القديم لسباتاي صعد إلى السماء فعاد بأمر الله في شكل ملاك يلبس الجلباب والعمامة ليكمل رسالته.
- يظهرون الإسلام ويبطنون اليهودية الماكرة الحاقدة على المسلمين.
- لا يصومون ولا يصلون ولا يغتسلون من الجنابة، وقد يظهرون بعض الشعائر الإسلامية في بعض المناسبات كالأعياد مثلا إيهاما وخداعا، ومراعاة لعادات الأتراك ذرا للرماد في عيونهم ومحافظة على مظاهرهم كمسلمين.
- يحرمون مناكحة المسلمين، ولا يستطيع الفرد منهم التعرف على حياة الطائفة وأفكارها إلا بعد الزواج.
- لهم أعياد كثيرة تزيد على العشرين منها: الاحتفال بإطفاء الأنوار وارتكاب الفواحش، ويعتقدون أن مواليد تلك الليلة مباركون، ويكتسبون نوعا من القدسية بين أفراد الدونمة.
- لهم زي خاص بهم فالنساء ينتعلن الأحذية الصفراء والرجال يضعون قبعات صوفية بيضاء مع لفها بعمامة خضراء.
- يحرمون المبادرة بالتحية لغيرهم.

- يهاجمون حجاب المرأة ويدعون إلى السفور والتحلل من القيم ويدعون إلى التعليم المختلط ليفسدوا على الأمة شبابها.

-الجذور الفكرية والعقائدية:

- عقيدتهم يهودية صرفة وبالتالي فهم يتحلون بالخصال الأساسية لليهود، كالخبث والمراوغة والدهاء والكذب والجبن والغدر، وتظاهرهم بالإسلام إنما هو وسيلة لضرب الإسلام من داخله.
- لهم علاقة وطيدة بالماسونية، وكان كبار الدونمة من كبار الماسونيين.
- يعملون ضمن مخططات الصهيونية العالمية.
- يمتلكون ويديرون أكثر الجرائد التركية انتشارا مثل جريدة حريت ومجلة حياة ومجلة التاريخ وجريدة مليت وجريدة جمهوريت وكلها تحمل اتجاهات يسارية ولها تأثير واضح على الرأي العام التركي.

-الانتشار ومواقع النفوذ:

- غالبيتهم العظمى توجد الآن في تركيا.
- ما يزالون إلى الآن يملكون في تركيا وسائل السيطرة على الإعلام والاقتصاد، ولهم مناصب حساسة جدا في الحكومة.
- كانوا وراء تكوين جماعة الاتحاد والترقي (*) التي كانت جل أعضائها منهم، وكما ساهموا من موقعهم هذا في علمنة تركيا المسلمة، وسخروا كثيرا من شباب المسلمين المخدوعين لخدمة أغراضهم التدميرية.

و يتضح مما سبق:

أن الدونمة طائفة من اليهود ادعت الإسلام ولا علاقة لهم به قدر ذرة، وكانوا يتحينون الفرص للانتقام من الإسلام وإفساد الحياة الاجتماعية الإسلامية والهجوم على شعائر الإسلام. ويكفي أنهم أداروا الجزء الأعظم من انقلاب تركيا الفتاة الذي أسقط السلطان عبد الحميد الثاني.[1]

---

[1] اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المفاهيم والعقائد الاساسية في اليهودية / مج الخامس، الجزء الثاني، الباب العشرون.

- يهود الدونمة، محمد علي قطب
- وثائق منظمات وعادات السباتاي، إبراهيم غالانتي

- **الحركة الفرانكية Frankist Movement:**

الحركة الفرانكية نسبة إلى جيكوب فرانك، التي تعود نشأتها إلى عام 1759 حين تنصر فرانك هو ومجموعة من أتباعه على الطريقة المارانية، أي أظهروا المسيحية وأبطنوا عقيدتهم الغنوصية. ويمكن القول بأن منظومة فرانك الحلولية هي منظومة يصل الحلول فيها إلى منتهاه إذ يحل الإله في المادة ويموت وتصبح وحدة وجود مادية كاملة، المادة فيها مقدسة تماما، والإنسان فيها إله، ومن ثم فهي أيضا النقطة التي تسقط فيها كل الحدود ويتساوى فيها المطلق والنسبي والمقدس والمدنس والمحرم والمباح وتنقلب القيم رأسا على عقب ويتساوى الخير والشر والوجود والعدم، ولذا فإن منظومة فرانك أكثر حداثة وجذرية من منظومة نيتشه على سبيل المثال.

و يتحدد إسهام فرانك في أنه خلص القبالاه من رموزها الكونية المترابطة المركبة، ووضعها في مصطلح شعبي مزخرف، وفي إطار أسطوري، بل طعمها بصور مسيحية مألوفة لدى يهود شرق أوربا الذين اختلطوا بالفلاحين السلاف في الريف، وابتعدوا عن مراكز الدراسة التلمودية في المدن. وقد تأثر الفرانكيون بالفرق الأرثوذكسية الروسية المنشقة، وخصوصا الدوخوبور والخليستي.

و تدور العقيدة الفرانكية حول ثالوث جديد يتكون مما يلي:

1. الإله الخير أو الأب الطيب. وهو إله خفي يختبئ وراء ثاني أعضاء الثالوث، ولا علاقة له بعملية الخلق أو المخلوقات، فهو لم يخلق الكون (فلو أنه خلق الكون لأصبح هذا الكون خالدا وخيرا، ولكانت حياة الإنسان أبدية). وهو مقابل الإين سوف في العقيدة القبالية.

2. الأخ الأعظم أو الأكبر، ويسمى أيضا "هذا الذي يقف أمام الإله". وهو الإله الحقيقي للعقيدة الذي يحاول العبد التقرب منه، ومن خلال الاقتراب منه يستطيع العابد أن يحطم هيمنة حكام العالم الثلاثة (قيصر روسيا، والسلطان العثماني، وحاكم إحدى القوى العظمى الأخرى ولعلها النمسا أو ألمانيا) الذين يهيمنون على العالم ويفرضون عليه شريعة غير ملائمة. والأخ الأعظم (المقابل للتفئيريت أو الابن، ولبعض التجليات الأخرى) مرتبط بالشخيناه التي هي الأم التي يقال لها "علماه".

- مجموعة مقالات عن الدونمة، علاء الدين غوسة
- يهود الدونمة، للدكتور محمد عمر (مؤسسة الدراسات التاريخية)

3. الأم "علماه" أو العذراء "بتولاه" أو "هي" وهي خليط من الشيخناه والعذراء مريم. والواقع أن صورة الأنثى في الثالوث الفرانكي جعلت العنصر الجنسي الكامن في القبالاه اللوريانية أو في الحركة الشبتانية عنصرا أكثر وضوحا. وقد استخلص الفرانكيون أن التجربة الدينية الحقة لابد أن تأخذ شكل ممارسة جنسية. ولن يصل العالم إلى الخلاص إلا باكتمال الثالوث الجديد السابق.

وهذا الثالوث أقرب إلى شخصيات المنظومة الغنوصية (الإله الخفي والديوس أبيسكونديتوس، والمخلص أو الكريستوس، وصوفيا أو الحكمة). وشبتاي تسفي نفسه، حسب التصور الفرانكي، ليس إلا أحد تجليات الإله، فهو تجسيد جديد للأخ الأعظم، ولكنه تملكه الضعف وهو بعد في منتصف الطريق، فلم يستطع تحقيق أي شيء. ووصولا إلى الخلاص، لابد أن يظهر ماشيح جديد يكمل الطريق، ولابد أيضا أن تظهر العذراء (تجسيد العنصر الأنثوي). وحتى يتحقق الخلاص، ينبغي أن يسير المؤمن بالعقيدة الفرانكية في طريق جديد تماما، لم يطرقه أحد من قبل، وهو طريق عيسو (أدوم) الذي يشار إليه في الأجاداه بلفظ "أدوم" ويستخدم اللفظ نفسه للإشارة إلى "روما"، أي القوى الكاثوليكية. فعيسو رمز تدفق الحياة الذي سيحرر الإنسان والحياة فهو قوة لا تخضع لأي قانون فهي حالة سيولة كونية ورحمية.

و قد جاء في التوراة أن يعقوب قال إنه سيزور أخاه (تكوين 14/33) ولكنه لم يفعل لأن الطريق كان صعبا عليه. وقد حان الوقت لأن يسير الماشيح في ذلك الطريق الذي يؤدي إلى الحياة الحقة التي تحمل كل معاني الحرية والإباحية (و لنلاحظ هذا الارتباط بين حالة السيولة الرحمية والإباحية الجنسية وهو أمر متكرر في الأنماط الحلولية). فالطريق الجديد يؤدي إلى عالم لا توجد فيه قوانين ولا حدود، عالم تم فيه التجرد من كل الشرائع والقوانين والأديان، لكنه عالم ليس فيه حدود (الحد بمعنى "الحاجز الذي يفصل بين شيئين" وبمعنى "عقوبة مقدرة وجبت على الجاني" وبمعنى "حدود الشخصية" أي هويتها)، وتصبح العدمية والتخريب هما طريق الخلاص. إن هذا العالم الشرير لم يخلقه الإله الخفي، وهو مادة دنيئة تقف في وجه وصول الإنسان إلى الأخ الأعظم (و يلاحظ هنا الأثر العميق للغنوصية). وحتى يتم إنجاز هذا الهدف، لابد أن تحطم كل القوانين والتعاليم والممارسات التي تعوق تدفق الحياة: " لقد أتيت لأحرر العالم من كل الشرائع والعادات الموجودة فيه. إن مهمتي هي إزالة كل شيء حتى يستطيع الإله أن يكشف عن نفسه".

ثم تظهر العدمية الدينية بشكل أوضح في الحديث عن الطريق إلى الحياة الجديدة، فهو طريق جديد تماما، وكما يقول فرانك: " أينما كان يخطو آدم، كانت تنشأ مدينة. لكن أينما أضع أنا قدمي، يجب أن يدمر كل شيء، فقد أتيت إلى هذا العالم لأدمر وأبيد".

و مع الفرانكية، ظهرت الحسيدية في المرحلة الزمنية نفسها وفي المكان نفسه (بودوليا) جنبا إلى جنب، وانتشرتا بين الجماهير نفسها (الفلاحين اليهود، وأصحاب الحانات، ومستأجري الامتيازات من يهود الأرندا، والوعاظ المتجولين الذين لم يكونوا أعضاء في النخبة الدينية). والواقع أن نقاط التشابه بينهما كثيرة وعميقة، فكلتاهما تنطلقان من القبالاه (و خصوصا اللوريانية) كإطار فكري، وتؤكدان أهمية التلقائية والحرية، وتهملان دراسة التوراة والتلمود (و الفرانكية تعادي التلمود)، كما أن كلتيهما تأثرتا بالنزعة الشبتانية وبكثير من أفكارها، واتخذتا موقفا متحررا جدليا من مشكلة الخطيئة والذنب، كما أن كلتيهما جعلت من المنفى حالة شبه نهائية على اليهود تقبلها. ورغم أن الحسيدية تعبر عن حب عارم لفلسطين، فإن الحسيديين لم يشجعوا الهجرة إليها قط، بل وقفوا ضدها. أما فرانك فلم يكترث كثيرا لفلسطين، وقد تضمن برنامجه الإصلاحي (المشيحاني) تأسيس جماعة زراعية في إحدى مناطق بولندا، وقد وقفت كل من الحركتين موقفا معاديا من المؤسسة الحاخامية.

و لكن الفرانكية فشلت كحركة جماهيرية في حين أن الحسيدية نجحت حتى أصبحت أهم الحركات الدينية بين يهود اليديشية في شرق أوربا. ويرجع هذا إلى عدة أسباب:

1. بينما قامت الفرانكية بإعلاء الخطيئة وجعلها فضيلة، وانغمس أتباعها في الممارسات الجنسية، قللت الحسيدية من أهمية مشكلة الخطيئة وحسب وجعلت التساديك واسطة الغفران. وقد كان موقف الفرانكية الراديكالي العدمي موقفا متفجرا غير اجتماعي. أما موقف الحسيديين، فهو على العكس يساعد على الترابط التنظيمي والاجتماعي.

2. لجأت الفرانكية، في النهاية، إلى الكنيسة الكاثوليكية، وكان تحديها للمؤسسة الدينية اليهودية تحديا جذريا رافضا. أما الحسيدية، فقط ظلت تعمل من داخل الجماعة اليهودية.

3. جعلت الفرانكية الخلاص ممكنا من خلال شخص الماشيح. لكن تعليق مصير الحركة على شخص واحد كان لا بد أن يؤدي إلى أزمة عميقة في حالة فشل هذا الشخص أو انحرافه، وهو الأمر الذي أودى في نهاية الأمر بالفرانكية. أما الحسيدية، فقد جعلت المشيحانية مسألة لفظية،

وفتتت النزعة المشيحانية بتوزيعها على شخصيات متعددة هم التساديك، وبالتالي لم تصل إلى مرحلة الأزمة.

4. ظل الحلم الفرانكي، حتى النهاية، قابلا للتحقيق من خلال رجل باطش وشخصية كاريزمية. أما الحسيدية، فقد ظلت دون حلم واضح محدد المعالم وإنما انعكست في عدة ممارسات تهدف إلى تخفيف حدة اغتراب اليهود وآلامهم وتأكيد أهمية الجماعة.

و الواقع أن كلا من الفرانكية والحسيدية تشبه الصهيونية من بعض الوجوه، لكن الأولى أكثر قربا إلى الصهيونية من الثانية. فالفرانكية والصهيونية، كلتاهما، ترفضان التراث الديني اليهودي بشكل راديكالي، وكلتاهما تخرقان الشريعة ولا تلتزمان بها، كما أن قضية السلطة أساسية بالنسبة إلى الفريقين. وقد انتقد فرانك فكرة أن ينتظر اليهود عودتهم إلى صهيون في آخر الأيام، ورأى فيها فكرة سلبية تماما، وهو يتفق في ذلك مع الصهاينة.

و كذلك، فإن الصياغة الفرانكية لدمج اليهود كجماعة تم تطبيعها (أي تنصيرها جزئيا وتحويلها إلى شعب منتج) لا تختلف كثيرا عن التصور الصهيوني الخاص بإخلاء أوربا من يهودها، وتجميع هؤلاء اليهود في فلسطين، وتطبيعهم داخل إطار الدولة اليهودية التي ستندمج في المجتمع الدولي. كما أن اهتمام فرانك بالزراعة والتنظيم العسكري له ما يناظره في النظرية والممارسة الصهيونيتين.[1]

- **الأشكناز والسفاراديم:**

رغم أن كلا من السفارد والأشكناز يشار إليهم على أنهم "يهود" بشكل عام، ورغم أن كلا الفريقين تبنى التلمود البابلي (و ليس الفلسطيني) مرجعا وحيدا في الأمور الدينية، فقد ظلت بعض نقاط الاختلاف، بعضها سطحي والآخر عميق، تعدو إلى اختلاف البيئات الحضارية التي يعيش في كنفها أعضاء الجماعات اليهودية السفاردية والأشكنازية. فقد كان ليهود إسبانيا طريقتهم الخاصة في الصلاة وإقامة الشعائر الدينية التي تعد استمرارا للتقاليد الدينية اليهودية التي

[1] اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المفاهيم والعقائد الاساسية في اليهودية / مج الخامس، الجزء الثاني، الباب العشرون.

نشأت وتطورت في بابل. أما الأشكناز، فتعود عبادتهم أساسا إلى أصول يهودية فلسطينية، وقد تعمقت الفروق بين الفريقين نتيجة تأثر السفارد في عبادتهم وتلاوتهم وترتيلهم وإنشادهم بالذوق العربي، كما انفردوا بنصوص شعرية ونثرية في أدعيتهم وصلواتهم قريبة الشبه بما يماثلها عند المسلمين.

و يمكن حصر أهم نقط الاختلاف فيما يلي:

1. بعض الاختلافات العامة:

أ. يلاحظ أن السفارد، بسبب مستواهم الثقافي العالي، يتسمون باتساع الأفق. أما الأشكناز، فلم ينفتحوا على الحضارات التي عاشوا بين ظهرانيها برغم تأثرهم بها، وانغلقوا على الكتاب المقدس والتلمود وعلى تفسير النصوص الجزئية.

ب. لم يحاول الإشكناز جمع الشريعة وتقنينها والتوصل إلى مبادئها العامة، على عكس السفارد الذين فعلوا ذلك نتيجة لاحتكاكهم بالحضارة الإسلامية ومفهوم أصول الدين.

ج. يلاحظ أن التأثير الفكري للسفارد في الإشكناز كان عميقا. فرغم أن بدايات القبالاه إشكنازية، فإن تحولها إلى نسق متكامل في قبالاه الزوهار ثم القبالاه اللوريانية تم على يد السفارد، بل إن الفكر القبالي ذاته كاد يكون فكرا سفارديا، وهو الذي اكتسح الفكر الحاخامي الإشكنازي. كما أن أهم كتب الشريعة اليهودية الشولحان عاروخ (بالعبرية : المائدة المنضودة)، وهو المصنف التشريعي الذي وضعه يوسف كارو السفاردي في أسبانيا كتاب سفاردي كتب عليه أحد الإشكناز شروحا وتعليقات.

د. لاحظ أحد المفكرين أثر الفكر المسيحي في الفكر الديني للإشكناز، فظاهرة الاستشهاد فيما يعرف بمصطلح "تقديس الاسم" (بالعبرية: "قيدوش هاشيم" هي ظاهرة إشكنازية لعلها جاءت نتيجة تأثير واقعة الصلب في المسيحية على اليهود. أما المارانية، وهي شكل من أشكال التقية، فهي ظاهرة سفاردية، ويمكن ملاحظة تأثير الفكر المسيحي في الحسيدية أيضا، على عكس الفكر السفاردي الذي تأثر في بعض جوانبه بالفكر الديني الإسلامي.

ه. و من الظواهر التي تستحق التسجيل أن المشيحانية، أي عودة المسيح المخلص اليهودي (الماشيح) آخر الأيام ليقود شعبه إلى صهيون ويحكم العالم، وهي في واقع الأمر ظاهرة تعبر عن إحباط الجماهير، هي حركة إشكنازية بالدرجة الأولى رغم أن الفكر القبالي فكر سفاردي،

ورغم أن شبتاي تسفي (أول ماشيح دجال في العصر الحديث) سفاردي. كما أن قيادة هذه الحركات انتقلت إلى الغرب بعد حركة شبتاي تسفي. فجيكوب فرانك إشكنازي (رغم تبنيه بعض الأساليب السفاردية، ورغم أن أعداءه سموه "فرانك"، أي "السفاردي" باليديشية). والحركة الحسيدية أيضا حركة إشكنازية. ولعل تعدد المسحاء الدجالين بين الأشكناز يعود على وضع أعضاء الجماعات اليهودية المتردي في الغرب، على عكس وضع أعضاء الجماعات اليهودية في العالم الإسلامي.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- **COHEN THOUGHTS :**

-Monotheism and prophetic Messianism :

Cohen[1]'s second aim in the religion is to show that Judaism has what he calls a special « methodological » significance for philosophy of religion, because it is the original historical source of a religion of reason (Cohen 1972 (1919), 8). Judaism has this special status because it was, Cohen contends, the original monotheistic religion, and only monotheistic religions can be religions of reason. The polytheism of the ancient world posited different gods for different people. But, Cohen argues, since reason is a "universal human power" that belongs to all humanity (Cohen 1972 (1919), 7-8), a religion of reason cannot recognize different gods for different people, but must recognize a single, unique God for all humanity. Since the idea of such a God first emerged in history with Judaism, it is the original source of a religion of reason.

Consequently, the investigation of a religion of reason muste recover that religion's source by interpreting the historical scriptures and liturgical practices of Judaism (Kepnes 2007, Ch2).

According to Cohen, monotheism, and so too Judaism, was the historical source of the idea that all humanity could be unified by a single set of ethical laws. As cohen sees it, God is the set of ideal ethical laws. To assert that there is only ong god for all of humanity is thus to assert a universal ethical ideal, one on which individuals see all people as "fellow humans", and not as "others" who can be excluded from the moral community (Cohen 1972 (1919), 14ff). later religious scholars such as Wendell Dietrich would call this doctrine "ethical monotheism" (Cf. Dietrich 1986 and Theodore and Hadley 2001). Cohen thinks that because monotheism has an ethical dimension, it culminates in –its highest form is- a view he calls prophetic messianism. For Cohen, messianism just is "the dominion of the good on earth". It is the view that the messiah's coming consists on nothing but the ultimate end of injustice (Cohen 1972 (1919), 21). Prophetic messianism is thus an expression of faith that humanity is making progress towards realizing ideal ethical laws.

---

[1] Herman Cohen : فيلسوف يهودي ألماني (1842-1918) انظر الملاحق ص426 التوحيدية و المسيحية الرسولية Monotheism prophetic Messianism

Cohen's conception of the essentially ethical nature of Judaism had important consequences for this view of judaism's relation to other religions, as well as his views of Zionism and the Jew's place in Wilhelmine Germany. Because Cohen thought the ethical nature of Judaism was expressed by its monotheism, he believed that at least some forms of Christianity had the same ethical nature. While for Cohen Judaism was the original religion of reason, liberal Protestantism expresses universal ethical ideals and is a religion of reason as well. (he thought Catholicism failed to express properly universal ideals. He seems not have considered Islam). At the same time, because for Cohen Judaism ultimately aims at an ethical ideal that includes all humanity, he rejected the nationalism he saw in non-liberal forms of Judaism and was a vocal critic of Zionism. In a public exchange with Martin Buber, Cohen argued that jews had an obligation to remain in their countries of birth, so that their religious communities could serve as exemplars for the rest of humanity of communities unified by ethical laws. He died in 1919, before the increasing virulence of anti-Semitism in Germany could make him reconsider this argument.[1]

[1] 1915, Der Begriffe der Religion in System der philosophie, (the concept of religion in system of philosophy), Geissen : Topelmann.

- Poma, A, 1997, the Critical philosophy of Hermann Cohen, trans. John Denton, Albany: SUNY Press.

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1. فهرس القرآن الكريم

تمت فهرست الآيات الكريمة بحسب ترتيب المصحف الشريف

الآية	رقم الآية	الصفحة
البقرة		
- " ألم * ..."	5-1	160
- " فاتقوا النار التي وقودها الناس و الحجارة"	24	347
- " فمن تبع هداي ....."	38	351
- " و إذا قلتم يا موسى ... * ثم بعثناكم من ... "	56-55	334
- " إذ قلتم يا موسى لن نصبر ..."	61	43
- " إن الذين آمنوا و الذين هادوا ..."	62	45
- " إن الذين آمنوا و الذين هادوا ..."	62	168
- " إن الذين آمنوا ....."	62	351
- " إن الذين آمنوا و الذين هادوا ..."	63	41
- " و إذا قتلتم نفسا ..... * فقلنا اضربوه ببعضها ...."	73-72	334
- " يعلم ما يسرون و ما يعلنون"	77	344
- " و لتجدنهم ..."	96	284
- " و قالوا لن يدخل الجنة ..."	112-111	92

- " أما الذين استشهدوا ..."	154	319
- " و يكلمهم الله و يحييهم"	174	356
- " ليس البر أن تولوا ..."	177	161
- " ليس البر أن تولوا وجوهكم ..."	177	167
- " هل ينظرون إلا أن تأتيهم ....."	210	332
- " و المطلقات يتربصن ..."	228	168
- " و إذا طلقتم ..."	232	168
- " ألم تر إلى الذين ..."	243	178
- " ألم تر الذين خرجوا من ....."	243	334
- " أو كالذي مر على قرية ..."	259	178
- "أو كالذي مر على قرية و هي خاوية ..."	259	321
- " و إذ قال إبراهيم رب ..."	260	178
- " قال فخذ أربعة من الطير ....."	260	334
- " آمن الرسول بما أنزل إليه ..."	285	293
آل عمران		
- " و أولئك هم وقود النار"	10	347
- " الله لا إله إلا هو ..."	4-2	295

- " فكيف إذا جمعناهم ..."	25	168
- " أني أخلق لكم من الطين ....."	49	334
- " قل يا أيها الكتاب ..."	64	296
- " يا أهل الكتاب ..."	71/70	225
- " و من أهل الكتاب ..."	75	226
- " و يكلمهم الله و يحييهم"	77	356
- " فلن يقبل من أحدهم ....."	91	348
- " كل الطعام كان حلا لبني ..."	93	98
- " ليسوا سواء من أهل الكتاب ..."	114-113	161
- " و أطيعوا الله ..."	132	197
- " و لا تحسبن الذين قتلوا ...* فرحين بما آتاهم ..."	171-169	320
- " كلا سنكتب ما قالوا"	181	342
- " لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد"	196	291
- " و إن من أهل الكتاب ..."	199	226
النساء		
- " لكن الراسخون في العلم ..."	162	162
- " فكيف إذا جئنا ....."	41	338

- " يود الذين كفروا ....."	42	340
- " سوف نصليهم نارا ....."	56	347
- " و ندخلهم ظلا ظليلا"	57	358
- " و من يطع الله ....."	69	357
- " و الله يكتب ما يبيتون"	81	342
- " الله لا إله إلا هو ..."	87	169
- " يا أيها الذين آمنوا أمنوا بالله ..."	136	168
- " إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار"	145	347
- " و إن من أهل الكتاب ....."	159	324
- " و يوم القيامة يكون عليهم شهيدا"	159	338
- " يا أهل الكتاب ..."	171	226
المائدة		
- " لقد كفر الذين ..."	17	226
- " لئن بسطت إلي ... * إني أريد أن تبوء ..."	29-28	320
- " إن الذين كفروا لو أن ..... * يريدون أن ....."	37-36	348
- " و ليحكم أهل الكتاب ..."	48/47	225
- " و أنزلنا إليك الكتاب ..."	48	294

- " و لو أن أهل الكتاب ..."	65	44
- " و لو أن أهل الكتاب ..."	66-65	225
- " قل يا أيها الكتاب ..."	68	225
- " إن الذين آمنوا و الذين هادوا ..."	69	41
- " قل يا أيها الكتاب ..."	77	225
الأنعام		
- " و لو ترى إذ وقفوا ....."	28-27	340
- " حتى إذا جاءتهم الساعة ....."	31	330
- " هو الذي يتوفاكم ....."	60	343
- " و لقد جئتمونا ....."	94	342
- " و يوم يحشرهم ....."	128	351
- " شهدنا على أنفسنا ....."	130	341
- " ثم آتينا موسى الكتاب ..."	154	103
- " أن تقولوا إنما انزل ..."	156	43
- " هل ينظرون إلا أن تأتيهم ....."	158	332
الأعراف		
- " و لنسألن الذين أرسل ..."	7-6	204

- " يوم يأتي تأويله ....."	53	340
- " و يضع عنهم إصرهم"	157	352
- " يسألونك عن الساعة ..."	187	131
- " و يسألونك عن الساعة أيان ....."	187	330
-	الأنفال	
- " و قاتلوهم حتى ..."	39	285
- " و آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم"	60	323
التوبة		
- " إنما يعمر مساجد الله ..."	18	162
- " و الذين يكنزون * يوم يحمى عليها ....."	36-35	349
- " وعد الله المؤمنين ....."	72	352
- " و قل اعملوا ..."	105	290
يونس		
- " إن رسلنا يكتبون ما تمكرون"	21	342
- "حتى إذا أخذت الأرض ..."	24	322
- " إنما مثل الحياة الدنيا ....."	24	336
- " و يوم يحشرهم كأن ....."	45	348

- " و ما تكون في شأن ....."	61	343
هود		
- " يعلم ما يسرون و ما يعلنون"	5	344
- " فأما الذين شقوا ..... * خالدين فيها ما دامت ....."	107/106	351
- " " فأما الذين شقوا ..."	108-106	173
- " و لو شاء ربك ..."	119-118	294
يوسف		
- " أفأمنوا أن تأتيهم غاشية ....."	107	330
الرعد		
- " سواء منكم من..... * له معقبات ....."	11-10	344
- " و الملائكة يدخلون ....."	24-23	356
إبراهيم		
- " و يأتيه الموت ....."	17	350
- " و قال الشيطان لما قضي ....."	22	342
- " يوم تبدل الأرض ....."	48	331
الحجر		
- " و إن جهنم ..... * لها سبعة أبواب ....."	44-43	346
- " إن المتقين في جنات و عيون * ..."	48-45	162

- " و ما خلقنا السموات و الأرض ..."	85	164
- " و ما خلقنا السماوات و ....."	85	336
النحل		
- " أفمن يخلق كمن ..."	17	40
- " و الذين يدعون ...* أموات غير أحياء ..."	21 - 20	320
- " يعلم ما يسرون و ما يعلنون"	23	344
- " و ما أمر الساعة كلمح البصر"	77	331
- " و يوم نبعث من كل أمة شهيدا"	84	338
- " و يوم نبعث في ....."	89	338
الإسراء		
- " و تخرج له ..... * اقرأ كتابك ....."	14-13	344
- " إن السمع و البصر ....."	36	344
- " و قالوا إذا كنا . ..."	49	190
- " يوم يدعوكم فتستجيبون ..."	52	321
- " أولم يروا أن الله ..."	99	190
الكهف		
- " فضربنا على آذانهم ... * ثم بعثناهم لنعلم ..."	11- 12 ،	321

	19	
- " و قل الحق من ربك ..."	29	197
- " و اضرب لهم مثل ..."	45	301
- " و اضرب لهم مثل ..... * المال و البنون ....."	46-45	336
- " يوم نسير الجبال و ترى الأرض بارزة"	47	328
- " و عرضوا على ربك صفا ..."	48	172
- " مال هذا الكتاب ....."	49	344
- " و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض"	99	326
- " و نفخ في الصور فجمعناهم جمعا"	99	333
- " قل إنما أنا بشر ..."	110	290
مريم		
- " و إن منكم إلا واردها ..."	72-71	169
- " ثم ننجي الذين ....."	72	351
- " كلا سنكتب ما يقول"	79	342
- " و كلهم آتية يوم القيامة فردا"	95	342
طه		
- " إن الساعة آتية ..."	15	164

- " " منها خلقناكم ..."	55	191
- " لا يموت فيها و لا يحيا"	74	350
- " يوم ينفخ في الصور و ....."	102	333
- " يوم ينفخ في الصور . ...* يتخافتون بينهم ..."	103-102	321
- " و يسألونك عن الجبال....."	107-105	328
- " و عنت الوجوه ..."	111	170
الأنبياء		
- " و ما خلقنا السماء و ....."	16	337
- " و ما خلقنا السماء و ....."	21-16	337
- " و نضع الموازين ..."	47	170
- " " و نضع الموازين بالقسط ..."	47	172
- " فلا كفران لسعيه و إنا له كاتبون"	94	343
- " حتى إذا فتحت يأجوج و ..... * و اقترب ....."	97-96	326
- " يوم نطوي ..."	104	171
- " يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب"	104	329
الحج		
- " إن زلزلة الساعة ..... * يوم ترونها تذهل ....."	2-1	327

- " و ترى الناس سكارى ....."	2	339
- " و أن الساعة آتية ..."	7	164
- " و أن الساعة آتية ..."	7	171
- " إن الذين آمنوا و الذين هادوا..."	17	26
- " إن الذين آمنوا و الذين هادوا ..."	17	41
- " يا أيها الناس اتقوا ....."	21	327
- " و هدوا إلى الطيب ....."	24	358
- " و لا يزال الذين كفروا ....."	55	330
المؤمنون		
- " فإذا نفخ في الصور ....."	101	333
- " ربنا أخرجنا منها ....."	107	340
- " أفحسبتم أنما خلقناكم ....."	115	336
- " أفحسبتم أنما خلقناكم ..."	116-115	169
النور		
- " يوم تشهد عليهم ....."	24	341
الفرقان		
- " و يوم تشقق السماء"	25	329

- " إلا من تاب ....."	70	351
الشعراء		
- " يوم لا ينفع مال ..."	89-88	162
النمل		
- " قال الذي عنده ..."	40	289
- " و يوم ينفخ في الصور ففزع ....."	87	333
- " هل تجزون إلا ما كنتم تعملون"	90	349
العنكبوت		
- " أو لم يروا كيف يبدئ ....."	19	338
- " و لا تجادلوا أهل الكتاب ..."	46	224
- " و ما هذه الحياة ..."	64	290
الروم		
- " و يحيي الأرض ...."	19	5
- " و هو الذي يبدؤا ..."	27	174
- " و هو الذي يبدؤأ ..."	27	190
- " و هو الذي يبدؤا ..."	27	171
- " ظهر الفساد في البر ...."	41	322

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- " فإنك لا تسمع الموتى"	52	320
- " و يوم تقوم الساعة ... * و قال الذين أوتوا ..."	56-55	322
لقمان		
- " و ما خلقكم و لا بعثكم ....."	28	338
السجدة		
- " و لو ترى إذا المجرمون ....."	12	340
- " فلا تعلم نفس ..."	17	197
- " فلا تعلم نفس ....."	17	357
الأحزاب		
- " يا أيها النبي قل..."	29-28	287
- " تحيتهم يوم يلقون سلام" (سورة الأحزاب : 44)	44	356
- " يا أيها النبي إنا ....."	45	339
- " و لن تجد لسنة الله تبديلا"	62	324
- " يسألونك عن الساعة ..."	63	131
- " يسألك الناس عن الساعة ..."	66-63	197
فاطر		
- " و الله الذي أرسل الرياح ....."	9	335

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- " إنا أرسلناك بالحق ..."	24	15
- " و هم يصطرخون فيها ....."	37	340
يس		
- " و نكتب ما قدموا ....."	12	342
- " ما ينظرون إلا صيحة ....."	50-49	331
- " و نفخ في الصور فإذا هم ....."	51	333
- " قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا"	52	339
- " و لا تجزون إلا ما كنتم تعملون"	54	349
- " اليوم نختم على ....."	65	341
- " إنا نعلم ما يسرون و ما يعلنون"	76	344
- " أو لم ير الإنسان ..."	77	176
- " و ضرب لنا مثلا ..."	79-78	175
- " و ضرب لنا مثلا ..... * قل يحييها ....."	79-78	337
- " الذي جعل لكم ..."	80	190
الصافات		
- " و ما تجزون إلا ما كنتم تعملون"	39	349
ص		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- " و ما خلقنا السماء و....."	27	337
الزمر		
- " و نفخ في الصور ....."	68	330
- " و جيء بالنبيين ....."	69	339
- " و ترى الملائكة حافين ....."	75	356
- " لمن الملك اليوم لله الواحد القهار"	16	331
غافر		
- اليوم تجزى كل ..."	17	169
- و حاق بآل . ... * النار يعرضون عليها ..."	46 - 45	319
- "إنا لننصر رسلنا ....."	51	339
- " لخلق السموات ..."	57	174
- " إن الساعة آتية ..."	59	164
الزخرف		
- " و الذي نزل من السماء ماء ....."	11	335
- " ستكتب شهادتهم و يسألون"	19	343
- " هل ينظرون إلا الساعة ....."	66	331
- " و رسلنا لديهم يكتبون"	80	343

الدخان		
- " و ما خلقنا السماوات و ....."	38	337
الجاثية		
- " و قالوا ما هي ..."	24	284
- " هذا كتابنا ينطق ....."	29	343
- " و إذا قيل إن وعد الله ..."	32	164
الأحقاف		
- " و ما خلقنا السماوات و ....."	3	337
- " أولم يروا أن الله ..."	33	191
- " كأنهم يوم يرون ....."	35	349
محمد		
- " فهل ينظرون إلا الساعة ....."	18	331
الفتح		
- " إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا"	8	339
ق		
- " أفعيينا بالخلق الأول ....."	15	337
- " إذ يتلقى المتلقيان ..... * ما يلفظ من ....."	18-17	343
- " و نفخ في الصور .... * و جاءت كل نفس ....."	22-20	333

- " و جاءت كل نفس ....."	23-21	341
- " يوم نقول لجهنم هل امتلأت هل من مزيد"	30	346
- " يوم تشقق الأرض ....."	44	338
الطور		
- " يوم تمور السماء مورا"	9	325
- " و تسير الجبال سيرا"	10	328
- " إنما تجزون ما كنتم تعملون"	16	349
النجم		
- "و النجم إذا هوى"	1	326
- " و أنه هو رب الشعرى"	49	326
الرحمن		
- " فإذا انشقت السماء ....."	37	329
الواقعة		
- " إذا رجت الأرض رجا"	4	327
- " إذا رجت الأرض رجا"	4	327
- " و بست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا"	6-5	328
- " على أن تبدل أمثالكم ..."	62-61	191
الحديد		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- " يوم يقول المنافقون ..."	14-13	174
- " يوم يقول المنافقون ..."	13	291
- " اعلموا أنما الحياة ....."	20	336
- " لقد أرسلنا رسلنا ..."	25	297
الواقعة		
- " و ننشئكم فيما لا تعلمون"	61	347
الصف		
- " و إذا قال عيسى ..."	6	295
التغابن		
- " زعم الذين كفروا...."	7	40
- " قل بلى و ربي ....."	7	338
التحريم		
- " يا يها الذين آمنوا قو أنفسكم ..."	6	47
- " إنما تجزون ما كنتم تعملون"	7	349
الملك		
- " و أسروا قولكم أو ....."	13	344
الحاقة		

- " و حملت الأرض و الجبال فدكتا دكة واحدة"	14	328
- " فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة"	14	330
- " و انشقت السماء فهي يومئذ واهية"	16	329
- " يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية"	18	344
- " و أما من أوتي كتابه ....."	29-25	344
المعارج		
- " يوم تكون السماء كالمهل"	8	325
- " و تكون الجبال كالعهن"	9	328
- " يود المجرم لو ...* و صاحبته و أخيه * ..."	16-11	348
نوح		
- " و الله أنبتكم من الأرض ..."	18-17	191
- " و الله أنبتكم من ... * ثم يعيدكم فيها ... "	18-17	335
- " مما خطيئاتهم ..."	25	319
- " رب لا تذر على ... * إنك إن تذرهم ... "	27-26	323
المزمل		
- " يوم ترجف الأرض و ... "	14	328
- " إنا أرسلناك إليكم رسولا شاهدا عليكم"	15	339

- " السماء منفطر به"	18	329
القيامة		
- " فإذا برق البصر * ... "	9-7	326
- " يقول الإنسان يومئذ أين المفر"	10	340
- " وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة"	23-22	353
الإنسان		
- " إنما نطعمكم ..."	10-9	170
- " متكئين فيها .... * و دانية عليهم ظلالها"	14-13	358
المرسلات		
- "فإذا النجوم طمست"	8	325
- " و إذا السماء فرجت"	9	329
- " و إذا الجبال نسفت"	10	328
- " إن المتقين في ظلال و عيون"	41	358
النبأ		
- " يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا"	18	333
- " و فتحت السماء فكانت أبوابا"	19	329

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- " و سيرت الجبال فكانت سرابا"	20	328
- " لا يسمعون فيها لغوا و لا كذابا"	35	358
النازعات		
- " كأنهم يوم يرونها ....."	46	349
عبس		
- " يوم يفر المرء....."	37-34	339
التكوير		
- " إذا الوحوش حشرت"	5	341
- " و إذا السماء كشطت"	11	329
الانفطار		
- " إذا السماء انفطرت"	1	329
- " و إذا الكواكب انتثرت"	2	325
- " و إن عليكم لحافظين * كراما كاتبين"	11-10	343
المطففين		
- " إن كتاب الفجار لفي سجين * ....."	21-18	344
الانشقاق		
- "إذا السماء انشقت"	1	329

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- " و إذا الأرض مدت * و ألقت ما فيها و تخلت"	4-3	333
- " فأما من أوتي كتابه ..."	12-7	173
- " و أما من أوتي ..... * فسوف ....."	11-10	344
الطارق		
- " و السماء و الطارق * ....."	3-1	326
- " و الأرض ذات الصدع"	12	327
- " و الأرض ذات الصدع"	12	327
الفجر		
- " و جاء ربك و الملك صفا صفا"	22	332
التين		
- " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين"	5-4	323
- "إلا الذين آمنوا و عملوا..."	6	323
البينة		
- " " إن الذين آمنوا ..."	8-7	197
الزلزلة		
- " فمن يعمل مثقال ..."	8-7	170
- و زلزال مهول "إذا زلزلت الأرض زلزالها"	1	327
- " و أخرجت الأرض أثقالها"	2	333

- " يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها"	5-4	341
- " و من يعمل مثقال ذرة شرا يره"	8	290
العاديات		
- " و إنه لحب الخير لشديد"	8	286
القارعة		
- " و تكون الجبال كالعهن المنفوش"	5	329
التكاثر		
- "ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر"	2-1	322

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الكتاب المقدس

السفر	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
- أشعياء	13	6	85
- حزقيال	30	3	85
- يوئيل	1	15	85
- يوئيل	1	2	85
- يوئيل	3	14	85
- عوبديا	15		85
- صفنيا	1	14	85
- أشعياء	2	17	86
- عاموس	5	20-18	86
- أشعياء	13	9-6	87
- سفر التثنية	32	35-34	88
- أيوب	19	26-25	88

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- تكوين	2	17-8	89
- تكوين	3	24	89
- تثنية	32	24-20	89
- حزقيال	18	9	90
- أشعياء	26	19	90
- أشعياء	30	33	90
- أشعياء	66	24	90
- أشعياء	64	4	90
- دانيال	12	2	90
- تثنية		35/34/32	98
- أشعياء	26	19	100
- دانيال	12	2	101
- يوحنا	5	22	105
- 1 كورنيثوس	15	52	106
- متى	33	6	107

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- متى	4	17	107
- متى	21	43	107
- متى	16	28	107
- متى	6	10	108
- متى	8	11	108
- حزقيال	31	14	110
- أشعياء	38	10	110
- 2 صموئيل	22	6	110
- تكوين	37	35	110
- تثنية	11	6	110
- متى	22	5	111
- روم	8	23	113
- أف	1	14	113
- يوحنا	3	16	132
- أعمال	1	87	150

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- تسالونيكي الثانية	2	4-3	150
- تيموثاوس الثانية	3	5-1	150
- متى	24	7-6	150
- لوقا	17	31-27	151
- متى	24	14-6	151
- متى	24	27-23	151
- لوقا	21	25	151
- تسالونيكي الأولى	4	18-13	152
- فليبي	3	21-20	152
- كورنيثوس الأولى	15	56-51	152
- جامعة	12	7	153
- يوحنا		30-29	154
- متى	25	36-31	154
- كورنيثوس الثانية	5	11-10	154
- أفسس	1	22	154

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- رومية	14	10	154
- يوحنا	5	22	154
- يوحنا	5	30	154
- أعمال	17	31	154
- متى	12	36	155
- رؤيا	20	15-1	155
- رؤيا	14	11	155
- لوقا	23	43	156
- كورنيثوس الثانية	12	3	156
- رؤيا	2	7	156
- كورنيثوس الأولى	15	23-20	156
- متى	13	39	156
- أعمال	26	23	156
- يوحنا	5	29-28	157
- تسالونيكي الأولى	4	16	157

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- متى	24	31	157
- أشعياء	52	2-1	157
- تسالونيكي الأولى	4	17	157
- يوحنا	14	3	157
- رؤيا	20	6-4	157
- رؤيا	20	5	158
- رؤيا	20	2	158
- رؤيا	20	15-9-8	158
- أيوب	10	14-12	220
- دانيال	12	3-1	220
- متى	25	31	243
- متى	16	27	243
- مر	8	38	243
- لو	9	29	244
- يو	10	30	244

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- يو	17	10	244
- يو	17	5	244
- أشعياء	42	8	244
- لو	24	26	245
- دانيال	7	14/13	245
- لوقا	21	20	255
- لوقا	21	23	255
- متى	23	38/37	255
- تثنية	13	21	256
- أشعياء	51	4	257
- أشعياء	54	15	259
- أشعياء	66	23	259
- رؤيا	20	6-4	262
- 2 كورنيثوس	3	6/5	262
- متى	23	38	274

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- 1 تسالونيكي	2	16/15	274
- غلاطية	3	29/28	274
- أفسس	3	6	274
- رومية	14	17	275
- لوقا	17	21	275
- يوحنا	18	36	275
- أفسس	1	22-20	275
- أعمال الرسل	74	18	276
- رومية	6	23	276
- رومية	5	12	276
- 2 بطرس	3	10	280
- يعقوب	2	26	324
- يعقوب	2	21/20	324
- أيوب	9	7	324
- يوئيل	2	32/31	324

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- يوئيل	3	15	325
- زكريا	14	7/6	325
- متى	24	29	325
- مرقس	13	25/24	325
- لوقا	21	11	325
- لوقا	21	25	325
- أعمال الرسل	2	21/20	325
- رؤيا يوحنا اللاهوتي	6	13/12	325
- زكريا	14	2	327
- متى	24	7/6	327
- مرقس	13	8/7	327
- لوقا	21	10/9	327
- لوقا	21	24-20	327
- مزمور	18	9	327
- متى	24	7	327

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- مرقس	13	8	328
- لوقا	21	11	328
- يوحنا اللاهوتي	6	12	328
- يوحنا اللاهوتي	16	18	328
- يوحنا اللاهوتي	6	14	329
- يوحنا اللاهوتي	16	20	329
- أشعياء	65	17	330
- لوقا	7	27	331
- أشعياء	2	17/11	331
- أشعياء	65	17	332
- يوحنا	21	1	332
- لوقا	7	31	332
- أشعياء	66	15	332
- زكريا	14	9	332
- يوحنا	14	30	332

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- تسالونيكي	4	16	332
- جامعة	12	14	344
- ميخا	2	1	344
- أشعياء	66	18	344
- متى	12	36	344
- متى	12	34	344
- رؤيا يوحنا اللاهوتي	11	18	346
- بطرس الأولى	4	18	346
- متى	16	26	348
- لوقا	16	25/24	348
- أيوب	18	21-14	350
- أشعياء	66	24	350
- متى	10	28	350
- متى	5	30/29	350
- متى	13	50/42	350

- أشعياء	60	20/19	353
- متى	5	6	356
- كولوسي	1	12	356
- رؤيا يوحنا اللاهوتي	21	23	356
- أشعياء	65	34	357
- متى	13	43	357
- مزمور	84	1	357
- أشعياء	64	4	357
- كورنيثوس	2	9	357

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والعهد الجديد) ترجم من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1989.

المصادر والمراجع باللغة العربية.

1. إبراهيم سعيد: فتح السفر المختوم،ط2، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى 1969.

2. إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام، ط2، دار النشر القبطية، القاهرة، دت.

3. أحمد إبراهيم خليل: إسرائيل والتلمود، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1991.

4. أحمد الخشاب: الاجتماع الديني، مكتبة القاهرة الحديثة، ط3، 1970.

5. أحمد بن الحسين البهيقي: البعث والنشور، تحقيق أحمد عامر حيدر، ط1، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت 2006.

6. أحمد بوساحة: حقيقة الموت في نظر الديانات، الانتشار العربي، لبنان، 2008.

7. أحمد حجازي السقا: نقد التوراة في أسفار موسى الخمسة، الكليات الأزهرية، مصر.

8. أحمد حجازي السقا: يوم الرب العظيم في التوراة والإنجيل والقرآن، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2003.

9. أحمد شلبي: مقارنة الأديان، دار النهضة العربية، مصر.

10. أحمد عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد، ط1، مكة المكرمة 1981، ج4.

11. أحمد فائز: اليوم الآخر في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، دط، بيروت، دت.

12. أحمد محمود الهويدي: القضايا النقدية في سفر دانيال، مج 13، الأعداد 1-4، ججامعة القاهرة، 2004.

13. إدي وليم: الكتر المرصود في قواعد التلمود، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت 1973، الجزء1.

14. أرمان أدولف: الموت وطقوسه في التلمود. ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997.

15. إسحاق إميل ماهر: أحداث المجيء الثاني، دار الثقافة القاهرة 1996.

16. الألمعي زاهر عواض: مناهج الجدل في القرآن، دط، السعودية، دت.

17. الألوسي أبو الفضل شهاب الدين: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الطبعة المنيرية، ط2، بيروت.

18. أمل مبروك: فلسفة الموت: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2002.

19. إميل ماهر: موعد المجيء والعلامات التي تسبقه، الأنبا رويس، القاهرة 1996.

20. أمين محمد جمال الدين: هرمجدون، آخر بيان يا أمة الإسلام، المكتبة التوفيقية الحسين، القاهرة 2001.

21. الأنبا غريغوريوس: المجيء للمسيح الرب –الحكم الألفي- القيامة الأولى والقيامة العامة، سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية، منشورات الدراسات العليا اللاهوتية

22. أنجيلوس جرجس: تدبير الخلاص سيليكون بريس 1996.

23. أنطون ذكرى: الأدب والدين عند قدماء المصريين، مطبعة المعارف، 1923.

24. إيروثيئوس: الحياة بعد الموت. ترجمة الدكتورة نيفين سعد، مطبعة الدلتا سبورتنج.

25. بروس أنيستي: الأحداث النبوية مرتبة ترتيبا تاريخيا من الاختطاف إلى الحالة الأبدية. تعريب: ثروت فؤاد، مكتبة الأخوة.

26. بروس أنيستي: الأحداث النبوية من الاختطاف إلى الحالة الأبدية. عربه: ثروت فؤاد، مكتبة الأخوة، القاهرة.

27. البيروني أبو الريحان أحمد: تحقيق ما للهند من مقولة، ط2، مطبعة عالم الكتاب، مصر، 1983.

28. الترجمان عبد الله: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تحقيق وتقديم: الطاهر المعموري، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، دت.

29. توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، طبعة دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1991.

30. توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، المطبعة الأدبية، القاهرة، 1881م.

31. تيسير شيخ الأرض: المقدمة إلى فلسفة ابن سينا، دار الأنوار، بيروت.

32. ابن تيمية تقي الدين: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار ابن الهيثم، دط، القاهرة، 2003.

33. الثعالبي عبد العزيز: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985.

34. جرهاردوش فوس: علم اللاهوت الكتابي، ترجمة الدكتور عزت زكي، دار الثقافة 1982، ج2.

35. جورج حبيب بباوي: الموت الكفاري حسب تسليم الآباء، ط1، 2009.

36. جيمس فريزر: الغض الذهبي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ترجمة أحمد أبو زيد، القاهرة 1971، ج1.

37. جينيبير شارل: المسيحية نشأتها وتطورها، تر: عبد الحليم محمود: بيروت، دت.

38. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: الأربعين في أصول الدين، ط4، دار الآفاق، بيروت 1982.

39. ابن حزم أبو محمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1395هـ.

40. حسان حتحوت: رسالة إلى العقل العربي المسلم، ط1، دار المعارف، القاهرة 1998.

41. أبو حسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي: أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت 2000.

42. حسن فتحي مجاهد: النبوة والسياسة مطبعة العمرانية للأوفست، الجيزة 2001.

43. الحسني عبد الرزاق: الصابئون، ط3، مطبعة العرفان صيدا، بيروت 1970.

44. أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

45. حكيم حبيب: مفهوم إسرائيل في الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة 1991.

46. حمدي سعد: إشعياء والأزمنة الأخيرة، دار الفكر الإنجيلي للترجمة والنشر 2009.

47. حنان كامل متولي: القبالاه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة 2003.

48. دراز محمد عبد الله: الدين، دار القلم، الكويت، 1982.

49. ديورانت ويل: قصة الحضارة، تر: محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1964.

50. راغب عبد النور: القيامة إيمان البعث وفكر التجديد، مكتبة المحبة، القاهرة.

51. رجاء بن سلامة: الموت والبعث، ط2، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة 2009.

52. رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2002.

53. ابن رشد أبو الوليد محمد بن حمد بن محمد: تهافت التهافت، تحقيق: سليمان دنيا، ط2، دار المعارف، القاهرة، دت.

54. رياض يوسف: مختصر شرح سفر الرؤيا.

55. أبو الزنداني عبد المجيد بن عبد العزيز: علم الإيمان، دار المنابع، بني مسوس، الجزائر، 2001.

56. زهرة، مقارنات الأديان، ج4.

57. زينب عبد العزيز: تنصير العالم، مناقشة لخطاب البابا بولس الثاني، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة 1995.

58. ساندي ديفيد: دراسة في الرسائل التعليمية مؤسسة الدراسات الكتابية، الإسكندرية 1996.

59. ستيفن سايرز: الصهيونية المسيحية، دار النشر الأسقفية، ط1، القاهرة 2012.

60. سعدون محمود الساموك: موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، ج2، دار المناهج، ط1، عمان الأردن 2002.

61. سعدون محمود ساموك ورشدي عليان: الأديان –دراسة تاريخية مقارنة– القسم الأول: الديانات القديمة، دار الحرية، بغداد.

62. سعديا كؤون (الفيومي): الأمانات والاعتقادات، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، مصر، 1880م.

63. سعيد حكيم: الحياة والموت، رؤية كتابية.

64. سعيد حكيم: قيامة الجسد إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة ندت.

65. سليمان مظهر: قصة الديانات، ط2، دار الوطن العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002.

66. سنقراط داود عبد الغفور: جذور الفكر اليهودي، دار الثقافة، الجزائر، دت.

67. سيداروس عبد المسيح: دراسات في علم الاسكاتولوجيا، الناشر: الكلية الإكليريكية، بشبين الكوم.

68. سير ولسن بدج: الديانة الفرعونية، أفكار المصريين القدماء عن الحياة الأخرى، ترجمة وتقديم: يوسف سامي اليوسف، دار منارات للنشر، عمان الأردن.

69. ابن سينا: الرسالة الأضحوية في أمر المعاد، تحقيق سليمان دنيا، ط1، دار الفكر العربي، مصر 1949.

70. شارلز باس: خلفيات حول الوعد الإلهي، دار العودة، بيروت 1960.

71. شاكر عزت: الملك الألفي، مجلس العمل الرعوي الكرازي، القاهرة 2000.

72. شرفي عبد المجيد: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.

73. شريف حسين: المفهوم السياسي لليهود عبر التاريخ، ج1، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة

1995.

74. شلبي أحمد: اليهودي، القاهرة، ط3، 1967.

75. شمس الدين القرطبي: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ط3، دار الريان للتراث، القاهرة 1991.

76. شهاب الدين بن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد الله بن عبد العزيز بن باز، المكتبة السلفية.

77. الشهرستاني: الملل والنحل، ج2، والبغدادي، الفرق بين الفرق.

78. الشيرازي صدر الدين: حقائق البعث والنشور، تحقيق عبد القادر غظا، ط1، دار التراث العربي 1984.

79. صبحي حموي: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت، 1994.

80. صبري إبراهيم: قصد الدهور في التدابير السبعة.

81. صناديقي خالد: اليوم الآخر ونهاية الزمان، دار علاء الدين، ط1، دمشق، 2001.

82. الطبري علي بن ربن: الدين والدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، بيروت، 1977.

83. طه باقر: تاريخ الحضارات القديمة، الدار العالمية، بيروت.

84. ظاظا حسن: الفكر الديني اليهودي وأطواره ومذاهبه، ط4، دار العلم، بيروت، دمشق، 1999.

85. ظاظا د.حسن، الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، 1971.

86. ظفر الإسلام خان: التلموذ تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، بيروت.

87. عباس محمود العقاد: الله، مكتبة الأسرة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر 1998.

88. عبد الباقي محمد فؤاد: المعجم المفهرس لأسماء يوم الدين في القرآن الكريم، دار الكتب

المصرية، القاهرة.

89. عبد العال الجلدي: ملكوت الله، دار النهار للنشر، بيروت، 1995.

90. عبد الغني عبود: اليوم الآخر والحياة المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.

91. عبد الكريم الخطيب: الله والإنسان، دار الفكر العربي.

92. عبد المجيد الجندي: ملكوت الله في النصرانية واليهودية والإسلام، دار النهار للنشر، بيروت 1995.

93. عبد المسيح إسطفانوس: تاريخ الفكر المسيحي في القرون الأولى،ط1، شركة سولي للطباعة والإعلان، مصر الجديدة 2012.

94. عبد الوهاب عبد السلام طويلة: المسيح المنتظر ونهاية العالم، ط7، دار السلام، القاهرة، مصر، 2007.

95. عروة أحمد: المنهجية الاستدلالية في القرآن للرد على خصوم الإيمان: دراسة مقدمة إلى ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي، قسنطينة، الجزائر، 1989.

96. عزيز فهيم: الفكر اللاهوتي في كتابات بولس، دار الثقافة، القاهرة 1981.

97. علاء تيسير أحمد: التلمود: البعث والحساب والثواب والعقاب، مكتبة مدبولي، القاهرة 2011.

98. عمر سليمان الأشقر: اليوم الآخر، الجنة والنار، مكتبة الفلاح، مطابع دار القبس، الكويت.

99. عمر سليمان الأشقر: اليوم الآخر، القيامة الصغرى، دار النفائس، الأردن، 2005.

100. عمر سليمان الأشقر: اليوم الآخر، القيامة الكبرى، دار النفائس، الأردن، 2005.

101. غريس هالسل: النبوة والسياسة، ترجمة محمد السماك، ط5، دار النفائس، بيروت 2003.

102. غريس هالسل: يد الله، ترجمة محمد السماك، ط1، دار النفائس، بيروت 2005.

103. غضبان رومي: تعاليم دينية، لأبناء الصابئة.

104. فؤاد كامل عبد الرشيد الصادق، زكي نجيب محمود: الموسوعة الفلسفية المختصرة، دط، دار العلم، بيروت، دت.

105. فاضل سيداوس، جورج قنواتي، صبحي حموي وآخرون: معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق، بيروت، 1986.

106. الفاوي عبد الفتاح: المسيحية بين النقل والعقل، ط1، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1992.

107. فايز فارس: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي.

108. فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004.

109. الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، المطبعة الميمنية، مصر.

110. قاسم الشواف: ديوان الأساطير في التلمود، الكتاب الرابع الموت والبعث والحياة الأبدية، تعريب وتقديم أدونيس، دار الساقي، لبنان 2001.

111. القرافي: الأجوبة الفاخرة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1986.

112. القرطبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد: الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي.

113. قويدر بشار: مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه، ط1، دار الوعي، الجزائر، 1993. ابن

114. القيم الجوزية: الروح، دار العلوم الحديثة، بيروت.

115. كارين أرمسترونغ، النزاعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، ترجمة: محمد الجورا، ط1، دار الكلمة، دمشق، بيروت، 2005م.

116. كالفن جون: مسيحية الكتاب المقدس، ترجمة القس عبد الكريم كيرلس الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط، ط1، القاهرة 2002.

117. كامل سعفان: اليهود تاريخا وعقيدة، دار الهلال 1981.

118. كثير أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية. ابن

119. كمال صليبي: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ط4، بيروت 1998.

120. كمبي جون: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، تع: مجموعة من الآباء، ط1، دار المشرق، بيروت، 1994.

121. كوربان هنتري: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ط1، دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2004.

122. كيرلس سليم بسترس وحنا الفاخوري: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المكتبة البولسية، ط1، بيروت.

123. لاتور دويرة: دراسة في الأسكاتولوجيا، تر: صبحي حموي، دار المشرق، بيروت، 1994.

124. لونجلي كليفورد: الشعب المختار، الأسطورة التي شكلت انجلترا وأمريكا، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.

125. لويس غردية، جورج قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، تر: صبحي الصالح وفريد جبر، ط2، دار المعارف للملايين، بيروت، 1979.

126. الليدي داروود: أساطير وحكايات شعبية صابئية، مطبعة الأديب البغدادية، دت.

127. الليدي داروود: الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، مكتبة خياط، بيروت 1963.

128. ماري سترونج: سفر الرؤيا والأزمنة الأخيرة، تعريب ماستر ميديا، إدارة مكتبات النيل المسيحية 1994.

129. ماكدويل جوش: تفسير العهد الجديد، دراسة تاريخية لاهوتية. ترجمة لويس كامل، لوجوس، القاهرة 1992.

130. ماكدويل جوش: ضلالات الأزمنة الأخيرة، ترجمة: لويس كامل، مكتبة الأخوة، القاهرة 2001.

131. مانوراك موداك: الهند شعبها وأرضها، ترجمة العميد محمد عبد الفتاح إبراهيم طه، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، القاهرة 1964.

132. أبو المجد ليلى إبراهيم: مدخل إلى دراسة التلمود، جامعة عين شمس، القاهرة، مج 24، ج2، 1995-1996.

133. المحرقي الأبيل إسحاق: دينونة البشر العامة، مطبعة فيكتور كيرلس، القاهرة، 1984.

134. محمد السماك: الدين في القرار الأمريكي، ط1، دار النفائس، بيروت 2003.

135. محمد الغزالي: صيحة تحذير من دعاة التنصير، ط1، دار الصحوة للنشر، القاهرة 1991.

136. محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الصحيح المعروف بـــ: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

137. محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ج1، دار المعارف، ط8، القاهرة 1986.

138. محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي: ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام دين الأخوة والسلام، ط6، مكتبة القاهرة 1960.

139. محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، مكتبة الأسد، دار الفكر، دمشق 1997.

140. محمد شيخاني: الله يتحدى الملحدين، ط1، دار قتيبة، بيروت 2001.

141. محمد عبد الله دراز: الدين، مطبعة السعادة 1969.

142. محمد عمارة: العطاء الحضاري للإسلام، دار المعارف، القاهرة 1997.

143. محمد قطب: حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ط1، دار الشروق، القاهرة 1998.

144. محمد كمال جعفر: الدين المقارن، دار الكتب الجامعية 1970.

145. محمد متولي الشعراوي: البعث والميزان والجزاء، دار الندوة، الإسكندرية 1991.

146. محمود بن الشريف: الأديان في القرآن.

147. محمود عبد الحليم: الإسلام والعقل، دار المعارف، مصر، دت.

148. مراد مصطفى: نهاية العالم، ط1، دار الفكر للتراث، القاهرة، 2002.

149. المستشار علي علي منصور: الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، دار القلم، القاهرة، دت.

150. مكرم نجيب: المجيء الثاني ونهاية التاريخ، دار الثقافة، دائرة المعارف الكتابية، القاهرة 1996.

151. موسى بن ميمون: دلائل الحائرين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، دط، دت.

152. ميشيل صباح: واقع المواطنة في إسرائيل، مجلة اللقاء، العدد 4، مركز الدراسات الدينية، القدس 2001.

153. ناظم د.منى، المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، الاتحاد للصحافة والنشر أبو ظبي، مطابع دار الهلال، القاهرة.

154. النجار عبد المجيد: مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

155. النجيري محمود: هرمجدون، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2003.

156. النسائي: سنن النسائي، دار الفكر، بيروت، ط1.

157. نصر الله زكريا: عودة المسيح ودينونة العالم، ط1، مطبوعات نظرة المستقبل 2010.

158. نورمان دودمان: العهد القديم، دراسة كتابية تأملية أو ما وراء الأحداث. ترجمة عبد الكريم كيرلس، دار الطباعة القومية، الفجالة، دت.

159. هلال دوس: رجاء العالم، صدر عن كنيسة الأدفنتيست السبتيين، بيروت.

160. هلال رضا: المسيح اليهودي ونهاية العالم، ط2، مكتبة الشروق، مصر، 2001.

161. الهندي رحمت الله: إظهار الحق، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، رسالة التنبيهات في إثبات البعث والحشر، ملحقة بإظهار الحق، تحقيق: محمد كمال فراج، توزيع الأهرام، 1978.

162. هنري كريمونا: أوريجانوس عبقري المسيحية الأولى، موسوعة المعرفة المسيحية "آباء الكنيسة"، دار المشرق، بيروت 1991.

163. و الثقافية القطبية والبحث العلمي، القاهرة، 1991.

164. واتكتر برادالي: هل دولة إسرائيل الحديثة تحقيق لنبوة كتابية؟، ترجمة عزرا مرجان، دار الثقافة، القاهرة 1991.

165. وافي علي عبد الواحد: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، دت.

166. وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ترجمة: ظفر الإسلام خان، ط22، مؤسس الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001.

167. ول ديورنت: قصة الحضارة الفارسية، ترجمة أمين الشواربي، مطبعة الخازندار 1948.

المصادر والمراجع الأجنبية:

168. Al Tabari Ali Riposte aux chretiens ,Traductions Jean Marie Gaudeul (P.I.S.A.I) :Pontificio Istituto di studi Arabi et d'islamistica.

169. Alexis Kurl :Man the unknown,Universal library London 1981.

170. Angelo Di Behardino : Dictionnaire encyclopédique du christianisme ancien, Editions du cerf, Belgique, 1990.

171. Armerding Carl E and W.Ward Casque 1985, A guid to biblical prophecy Peaboly, MA Hendrikson.

172. Arthur Cushman MC Gieffert : A history of Christian thoughts, Vol I, New York Charles Scribner's sons 1954.

173. Aubier Montaigne : la Vie de la Liturgie, Eds du cerf 1997.

174. Audré Vauchez : l'attente des temps nouveaux Brepols publishers, Belgium 2002.

175. Aviezer Ravitsky : Messianism, Zionism and Jewish. Religious Redicalism, Chicago and London, 1993.

176. Bouamama(Ali) :La litterature polemique musulmane contre le christianisme,Entreprise national du livre Alger 1988.

177. Chanoine Osty et P.Claudel : Le Dictionnaire pratique des connaissances religieuses, Eds du cerf Paris 1996, Vol 2.

178. Chester Bowles : The Makings old a Just sociey, NY, 1963.

179. Ch.guinebert: Le monde juif vers le temps de Jesus, Desclée Paris 1950.

180. Claude Tassin : Le Judaïsme de l'Eglise au temps de Jesus, Editions du cerf, Imprimerie Dumas, Paris, 1986.

181. Clouse Robert G and richard V.Pierard : The meaning of the millenium, Albion Ed, London 1977, P 48-49.

182. Collin Brown ED : Dictionary of new testament theology, USA : Michigan 1981, V2.

183. David Samwel : Apotalypse : An Article in the Enc. Britanica, London 1898-1899.

184. David Rudovsky : Modern Jewish Religious movements, Ed. Scott appleby ondon 1991.

185. Denis Saurat : Histoire des Religions les Editions de Noêl et Stele, Paris, 1933.

186. Donald Guthrie : Old testament theology, USA downers Grove illinois, inter-varsity press , 1981.

187. E. Royston Pike : Dictionnaire des Religions, Presse Universitaire de France, Paris, 1954.

188. Encyclopedia of social sciences, 1957, Vol13.

189. George Eliot: The essence of Messianism, Cambridge UK 1975.

190. Georges H.Blount :the Evidence of God London 1961.

191. Gideon Aran: The father, the son and the holy land, Marty and Appleby eds, London 1986. P409-411.

192. Hergenrother : Histoire de l'Eglise, Bibliothèque Theologique du XIXeme Siècle, Editions Delhommes et Briguet, Paris, 1894.

193. Hodges, Jesse Wilson (1957) : Christ's Kingdom and coming with and analysis of dispensationalism, Grand Rapids Eerdmans

194. Hook, S.H : Myth and Ritual. The religion of Ancient palastine in the light of archology. London 1938.

195. Jacob Lewis : Principle of the Jewish Faith , Michell Press, London 1964.

196. Jeffrey Grant R (1991) : Messiah : War in the middle East and Road to Armageddon, Toronto : Frontier Research Publications.

197. J.F Alliolo : Nouveau commentaire litteral critique et théologique avec rapport aux textes primitifs sur tous les livres des divines écritures, Editions Louis Vives, Paris, 1854.

198. Jhon Eidsmore : Biblical faith and political actions, Westchester 1984, P 88.

199. J.W.N Sullivan :Limitations of sciences London 1977.

200. Klawesner J : Eschatology An Artical in the Jewish Enc. Jerusalem 1972, Vol8.

201. Karen Armstrrong : The messianic Idea in Judaism, London and Prinaton, Nj, 1991.

202. Lagrang M.J : Le messianisme chez les juifs Librairie le coffre Paris 1909.

203. Lee, Dr.Francis Nigel : Biblical Predictions, Not Preterist but Historicist, Earliest Views on Biblical predictions not preteristic bue historicalistic, Queensland Presbyterian Theological College Brisbane, Queensland, Australia, Second Edition, 2001, AD.

204. L'escathologie de st Augustin et la pensée médievale de K.Saka Guchi, Institute of Cultural and Linguistic, Studies Tokyo, 1983.

205. Louis Bouyer : la clé des évangiles, Librairie Plon 1958.

206. Lockyer Herbert : all the messianic prophecies of the bible zondervan grand rapids Michigan 1973.

207. Mails R : Religion and Scientific Out look, 1954.

208. Marcel Légant, Français Varillon : Débat sur la foi, centre catholique des Intellectuels Français, Eidtions Desclée Brouwer, Paris, 1972.

209. Maurice Bucaille : La Science, La bible et le Corau , Seghers, Paris, 1988.

210. Moor, George Foot : Judaism in the first on the Christian ear, the age of the Tannaim, Vol2, Cambridge Harvard University press, 1962.

211. Noe John (1999) Beyond the end times, Bradford PA : international peterist association.

212. Nouvelle Encyclopédie catholique ; Théo (Vie et foi de l'Eglise) : Editions Droguet Ardant, Fayard, Paris, 1989.

213. Paul Brad Show : La liturgie chrétienne en ses origines, Editions du

Cerf, Paris, 1981.

214. Pentecost Dwight : Study in biblical eschatology, Grand Rapids, zondervan 1964.

215. Prgan MJ (1985) : Faith and Fulfilment, Christians and the return to the promised land : London : Valentine, Mitchell.

216. Price, Randall, Jerusalem in prophecy, Eugence : Harvest House Publishers, 1998.

217. Robertson : Christians and the return to the promised land OR : Harvest house, London 1999.

218. Roth Cecil : A history of Jewish People. East and West Library, London, 1969.

219. Royston pike : Dictionnaire des religions, presse universitaire de France 1954.

220. Samuel C Heilman and Menachem Friedman : religious fundamentalism and religious Jews marty anec apple by editions, London 1991.

221. Sharot, Stephen : Messianism, Mysticism and Magic, Asociological analysis of Jewish religious movements, The University of North Carolina Press Chapel Hill.

222. Sources chrétiennes, Ed du cerf Paris.

223. St Augristin : La cité de Dieu traduction de l'Abbé Gabriel Vidal, Librairie Brunnet, Alger, 1930.

224. Torrey, oseph : General history of the Christian religion and Church, Translated by, Dr.Augustus Neander, Vol1, Publishing by Crocker & Brewster, London 1854.

225. Weber, Timothy p (1979) : Living in the shadow of the second coming : American premillennialism. New York 1982, Oxford University Press.

226. William R.Kimball : Eucharist, tribulation and Eschaton, Grand apids, Baker Book House 1985.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
المقدمة	أ-
الباب الأول: دراسة تأصيلية لليوم الآخر في التاريخ الإنساني	
الفصل الأول: اليوم الآخر في الديانات القديمة والفلسفات الوضعية	
توطئة	4-3
المبحث الأول: من الديانات القديمة البائدة : اليوم الآخر عند الشعوب المصرية	10-5
المبحث الثاني: من الديانات القديمة الباقية الحية :البرهمية – الهندوسية	16-11
المبحث الثالث: اليوم الآخر عند الفرس	34-17
المبحث الرابع :من الديانات الوضعية الباقية : اليوم الآخر عند البوذيين	40-35
المبحث الخامس : من الأديان السماوية السّابقة للإسلام : الصابئة	51-41
الفرع الأول: الصابئة في القرآن الكريم	46-41
الفرع الثاني: عقائد الصابئة	51-46
الفصل الثاني: الأصول الكتابية لعقيدة البعث في الأديان الإبراهيمية	

مبحث تمهيدي: في ضبط مصطلحات الإسكاتولوجيا للعهدين	84-53
المبحث الأول: يوم الرب واليوم الآخر في العهد القديم	104-85
المطلب الأول :في ضبط مصطلح يوم الرب	87-85
المطلب الثاني : اليوم الآخر في التوراة والتلمود	89-88
المطلب الثالث : اليوم الآخر في كتابات الأنبياء	91-90
المطلب الرابع : اليوم الآخر عند الفرق اليهودية	93-91
المطلب الخامس: فلسفة اليهود في الآخرة و البعث	104-93
المبحث الثاني :الدينونة في العهد الجديد	158-105
المطلب الأول : في ضبط المصطلحات الإسكاتولوجية للعهد الجديد	113-105
المطلب الثاني : الدينونة بحسب الأناجيل	121-114
الفرع الأول: في الأناجيل الإزائية	120-119
الفرع الثاني: في إنجيل يوحنا	121-120
الفرع الثالث: في رسائل بولس	121-121
المطلب الثالث : الدينونة بحسب رؤيا يوحنا اللاهوتي	133-122
المطلب الرابع: الدينونة في الفكر البولسي و أنواعها	143-133

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الخامس : الدينونة في الفكر الآبائي –أوريجانوس أنموذجا–	150-143
المطلب السادس : الأخيرية : من المجيء الثاني " Parousie" إلى الدينونة الأبدية	158-150
المبحث الثالث : يوم الدين في الإسلام	204-159
توْطئة	164-159
المطلب الأول : تعريف يوم الدين وأسمائه وصفاته	167-164
الفرع الأول :تعريف كلمة "الدين"	165-164
الفرع الثاني : أسماء يوم الدين ومدلولاتها	167-165
المطلب الثاني : المنهج العلمي للبعث عند المسلمين: أو حقيقة البعث في الإسلام	183-167
الفرع الأول : في القرآن الكريم	179-167
الفرع الثاني :سورة " ق" أنموذجا	183-179
المطلب الثالث :طرق الاستدلال في إثبات البعث	204-184
الفرع الأول : عند الأنبياء والفلاسفة والملحِدين	195-184
الفرع الثاني :الأدلة العقلية والحسية والشرعية	203-195
الفرع الثالث : مسالك الإيمان باليوم الآخر	204-203
الباب الثاني : اليوم الآخر :الارتدادات والأبعاد الروحية والعقدية	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول : تطور مفهوم عقيدة البعث

المبحث الأول : في الفكر اليهودي	240-207
المطلب الأول :المشيحانية والحلولية الكمونية	221-207
الفرع الأول : الآخرة أو العالم الآخر (الآتي) .World to come	207-207
الفرع الثاني :الماشيح والمشيحانية.Messiah and Messianism	219-207
الفرع الثالث: البعث Resuscitation	221-219
المطلب الثاني :التحالف الصهيوني المسيحي:الأبعاد الفكرية والعقدية	223-222
الفرع الأول :تأصيل تاريخي	228-222
الفرع الثاني : تطور الفكر الصهيوني المسيحي	233-228
المطلب الثالث :الترجمة السياسية لنظرية الألفية في الفكر اليهودي	240-233
الفرع الأول :الأسس والمرتكزات	237-233
الفرع الثاني :من الأمّة المنتهية إلى.. شعب الله المختار	240-237
المبحث الثاني : في الفكر المسيحي	282-241
المطلب الأول : هل سيكون لاهوت المسيح متّحدا بناسوته يوم القيامة؟	245-241
المطلب الثاني :نظرة نقدية في "الباروزيا" ونهاية العالم	248-246

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث :تطور مفهوم الألفية أو سبب التأييد المسيحي لليهود	255-249
المطلب الرابع : أورشليم في الفكر النصراني	260-255
المطلب الخامس: تطور مفهوم المجيء من خلال المدارس اللاهوتية	280-261
المطلب السادس: التوظيف الصهيوني لعقيدة العودة الثانية للمسيح	282-280

الفصل الثاني: الأبعاد العملية لليوم الآخر وأثر هذه العقيدة على الأفراد والمجتمعات

تَوْطِئة	285-284
المبحث الأول : الأبعاد والآثار على المجتمع الإسلامي	302-286
المطلب الأول :مظاهر الإيمان باليوم الآخر و آثارها في النفس والمجتمع	292-286
المطلب الثاني :في علاقة المسلمين بأهل الكتاب	300-292
تعقيب حول علاقة المعتقد بالسلوك	302-300
المبحث الثاني :الأبعاد والآثار على المجتمع الغربي	317-303
المطلب الأول :في المظهر الاجتماعي	306-303
المطلب الثاني: في المظهر السياسي	317-307
الفرع الأول :المضامين السياسية لتهويد المسيحية	308-307
الفرع الثاني:الأبعاد العملية للمخطط الصهيوني المسيحي	316-308
الفرع الثالث:مصطلحات تقنية –خاصة بالمبحث–	317-316

الفصل الثالث:دراسة مقارنة في مواضيع اسكاتولوجية

توطئة	319-319
المبحث الأول: الموت / و أشراط الساعة / و أنماط البعث في الإنجيل و القرآن	355-319
المبحث الثاني : رؤية الله ووصف الجنة في الإنجيل والقرآن	358-356
الخاتمة	365-360
الملاحق	407-367

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية	409
فهرس الكتاب المقدس	425
قائمة المصادر والمراجع	434
فهرس الموضوعات	449
التلخيص باللغة الإنجليزية	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية